

سورة الإسراء

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحدى عَشْرَةِ وَمِائَةٍ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى
**{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ لِتُرِيهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ البَصِيرُ} .**

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى: يعني تعالى ذكره بقوله تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا تنزيهاً للذى أسرى عبده وتبئنة له مما يقول فيه المشركون من أنّ له من خلقه شريكًا، وأنّ له صاحبة و ولدا، وعاوّا له و تعظيمًا عما أضافوه إليه، ونسبوه من جهالاتهم و خطأ أقوالهم.

وقد بيّنت فيما مضى قبل، أن قوله سبحان اسم وضع موضع المصدر، فنصب لوقعه موقعه بما أغني عن إعادته في هذا الموضع. وقد كان بعضهم يقول: نصب لأنّه غير موصوف، وللعرب في التسبيح أماكن تستعمله فيها. فمنها الصلاة، كان كثير من أهل التأويل يتأنّلون قول الله: قَلُولًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ: فلو لا أنه كان من المصليين. ومنها الاستثناء، كان بعضهم يتأنّل قول الله تعالى: أَلَمْ أَقْلُ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ: لو لا تستثنون، وزعم أن ذلك لغة لبعض أهل اليمن، ويستشهد لصحة تأويله ذلك بقوله: إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثِنُونَ قال: قال أوساطهم أَلَمْ أَقْلُ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ فذكرهم ترکهم الاستثناء. ومنها النور، وكان بعضهم يتأنّل في الخبر الذي رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْلَا ذَلِكَ لَأَءْخْرَقْتُ سُبْحَاثُ وَجْهِهِ مَا أَذْرَكْتُ مِنْ شَيْءٍ» أنه عنى بقوله: سبات وجهه: نور وجهه.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16621. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن عثمان بن موهب، عن موسى بن طلحة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سُئل عن التسبيح أن يقول الإنسان: سُبْحَانَ اللَّهِ، قال: إِنْرَاهُ اللَّهُ عَنِ السَّوْءِ».

16622. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عبدة بن سليمان، عن الحسن بن صالح، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: سبحان الله: قال: إنكaf لله. وقد ذكرنا من الآثار في ذلك ما فيه الكفاية فيما مضى من كتابنا هذا قبل. والإسراء والسرى: سير الليل. فمن قال: أَسْرَى، قال: يُسْرِي إِسْرَاءً وَمَنْ قَالَ: سَرَى، قَالَ: يَسْرِي سَرَى، كما قال الشاعر:

وَلَيْلَةٌ ذَاتُ دُجَى سَرَيْتُ وَلَمْ يَلْتَنِي عَنْ سُرَاهَا لَيْلُ
ويروى: ذات ندى سريت.

ويعني بقوله: لَيْلًا من الليل. وكذلك كان حذيفة بن اليمان يقرؤها.

16623. حدثنا أبو كريب، قال: سمعت أبا بكر بن عياش ورجل يحدّث عنده بحدث حين أسرى بالنبيٍّ صلى الله عليه وسلم فقال له: لا تجيء بمثل عاصم ولا زر، قال: قرأ حذيفة: «سُبْحَانَ الرَّبِّ الْأَكْبَرِ إِنَّمَا قَوْلُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» وكذا قرأ عبد الله. وبعدها: مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَإِنَّهُ أَخْلَفَ فِيهِ وَفِي مَعْنَاهِ، فقال بعضهم: يعني من الحرم، وقال: الحرم كل مسجد. وقد بيّنا ذلك في غير موضعٍ من كتابنا هذا. وقال: وقد ذكر لنا أن النبيٍّ صلى الله عليه وسلم كان ليلاً أسرى به إلى المسجد الأقصى كان نائماً في بيت أم هانئ ابنة أبي طالب. ذكر من قال ذلك:

16624. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن السائب، عن أبي صالح بن باذام عن أم هانئ بنت أبي طالب، في مسري النبيٍّ صلى الله عليه وسلم، أنها كانت تقول: ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيته نائم عندي تلك الليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر، أهبّنا رسول الله صلی الله عليه وسلم، فلما صلی الصبح وصلينا معه قال: «يا أم هانئ! لقد صلّيتم معيكم العشاء الآخرة كما رأيتم بهدا الوادي، ثم جئتم بيت المقدس فصلّيتم فيه، ثم صلّيتم صلاة العدّاد معيكم الآن كما ترین». و قال آخرون: بل أسرى به من المسجد، وفيه كان حين أسرى به. ذكر من قال ذلك:

16625. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر بن عدي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، وهو رجل من قومه قال: قال النبيٌّ صلی الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا عَنْ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْطَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ، أَحَدُ الْمُلْكَاتِ بَطَسْتِ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ رَمْرَمٍ، فَشَرَحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا» قال قتادة: قلت: ما يعني به؟ قال: إلى أسفل بطنه قال: «فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي فَغُسِّلَ بِمَاءِ رَمْرَمٍ ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِّي إِيمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتَيْتُ بِدَائِبَةً أَبِيَضَ»، وفي رواية أخرى: «بِدَائِنَةً بَيْضَاءً يُقَالُ لَهُ الْبُرَاقُ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَقْعُدُ حَطْوَهُ مُتَنَاهِي طَرْفِهِ، فَحُمِّلَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ بِالنِّيَّينَ وَالْمُرْسَلِينَ إِمَاماً، ثُمَّ غَرَّبَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»... فذكر الحديث.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا خالد بن الحرت، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك، يعني ابن صعصعة رجل من قومه، عن النبيٍّ صلی الله عليه وسلم، نحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رجل من قومه، قال: قال النبيٌّ صلی الله عليه وسلم، ثم ذكر نحوه.

16626. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: ثني عمرو بن عبد الرحمن، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: قال رسول الله صلی الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحِجْرَةِ جِبْرِيلُ فَهَمَرَنِي بِقَدَمِهِ، فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرْ سَيْئَا، فَعُذْتُ لِمَصْبَحِي، فَجَاءَنِي الثَّانِيَةُ فَهَمَرَنِي بِقَدَمِهِ، فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرْ سَيْئَا، فَعُذْتُ لِمَصْبَحِي، فَجَاءَنِي التَّالِيَةُ

فَهَمَرَنِي بِقَدَمِهِ، فَجَلَسْتُ، فَأَحَدَ بَعْصُدِي فَقُمْتُ مَعْهُ، فَخَرَّجَ يَ بِي إِلَى بَابِ
الْمَسْجِدِ، فَإِذَا دَابِّةً بَيْضَاءً بَيْنَ الْحَمَارِ وَالْبَغْلِ، لَهُ فِي فَخْدِيهِ جَنَاحَانِ يَحْفَرُ
بِهِمَا رِجْلَيْهِ، يَصْعُبُ يَدَهُ فِي مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَحَمَلْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ حَرَّجَ مَعِي، لَا
يَقُوْثِنِي وَلَا أَفُوْتُهُ».

16627. حدثنا الربيع بن سليمان، قال: أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنساً يحدثنا عن ليلة المسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولاً لهم: أيهم هو؟ قال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه، ولا ينام قلبه. وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زرمزم، فتولاه منهم جبرائيل عليه السلام، فشقّ ما بين نحره إلى لبته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زرمزم حتى أنقى جوفه، ثم أتي بطست من ذهب فيه تؤزّ محسّن إيماناً وحكمة، فحشا به جوفه وصدره ولغاديده، ثم أطبقه ثم ركب البراق، فسار حتى أتى به إلى بيت المقدس فصلّى فيه بالنبيين والمرسلين إماماً، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب ببابا من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ قال: هذا جبرائيل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد بعث إليك؟ قال: نعم، قالوا: فمرحباً به وأهلاً، فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله بأهل الأرض حتى يعلّمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبرائيل: هذا أبوك، فسلم عليه، فرد عليه، فقال: مرحبا بك وأهلاً يابني، فنعم الابن أنت، ثم مضى به إلى السماء الثانية، فاستفتح جبرائيل ببابا من أبوابها، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم قد أرسل إليه، فقيل: مرحبا به وأهلاً، ففتح لها فلما صعد فيها فإذا هو بنهرین يجريان، فقال: ما هذان النهران يا جبرائيل؟ قال: هذا النيل والفرات عنصرهما ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبرائيل ببابا من أبوابها، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد بعث إليك؟ قال: نعم قد بعث إليك، قيل: مرحبا به وأهلاً، ففتح له فإذا هو بنهر عليه قباب وقصور من لؤلؤ وزبرجد وباقوت، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، فذهب يشمّ ترابه، فإذا هو مسك أذفر، فقال: يا جبرائيل ما هذا النهر؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك في الآخرة ثم عرج به إلى الرابعة، فقالوا به مثل ذلك ثم عرج به إلى الخامسة، فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السادسة، فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السابعة، فقالوا له مثل ذلك، وكلّ سماه فيها أنبياء قد سماهم أنس، فوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وأخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلامه الله، فقال موسى: رب لم أظنّ أن يرفع عليّ أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهي، ودنا بباب الجبار رب العزة، فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما شاء، وأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه، فقال: يا

محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: «عهد إليّ خمسين صلاة على أمتي كل يوم وليلة» قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك وعنهم، فالتفت إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه أن نعم، فعاد به جبرائيل حتى أتى الجبار عزّ وجلّ وهو مكانه، فقال: «ربّ حفف عنا، فإن أمتي لا تستطيع هذا»، فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى عليه السلام فاحتبسه، فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه عند الخامس، فقال: يا محمد قد والله راودتبني إسرائيل على أدنى من هذه الخامس، فضعفوا وتركوه، فامتلك أضعف أجساداً وقلوباً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت إلى جبرائيل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبرائيل، فرفعه عند الخامس، فقال: «يا ربّ إن أمتي ضعاف أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، فخفف عنا»، قال الجبار جلّ جلاله: يا محمد، قال: «لبيك وسعديك»، فقال: إني لا يبدّل القول لدّي كما كتبت عليك في أم الكتاب، ولّك بكلّ حسنة عشر أمثالها، وهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت؟ فقال: «خفف عنّي، أعطانا بكلّ حسنة عشر أمثالها»، قال: قد والله راودتبني إسرائيل على أدنى من هذا فتركوه فارجع فليخفف عنك أيضاً، قال: «يا موسى قد والله استحييت من ربّي مما أختلف إليه»، قال: فاهبط باسم الله، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله عزّ وجلّ أخبر أنه أسرى بعده من المسجد الحرام، والمسجد الحرام هو الذي يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه، وقوله: إلى المسجد الأقصى يعني: مسجد بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لأنّه أبعد المساجد التي تزار، ويُبيغى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام. فتأويل الكلام تنزيهاً لله، وتبرئة له مما نحله المشركون من الإشراك والأنداد والصاحبة، وما يجعل عنّه جلّ جلاله، الذي سار بعده ليلاً من بيته الأقصى.

ثم اختلف أهل العلم في صفة إسراء الله تبارك وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فقال بعضهم: أسرى الله بجسده، فسار به ليلاً على البراق من بيته الحرام إلى بيته الأقصى حتى أتاه، فأراه ما شاء أن يريه من عجائب أمره وعبره وعظيم سلطانه، فجمعت له به الأنبياء، فصلى بهم هنالك، وعَرَجَ به إلى السماء حتى صعد به فوق السموات السبع، وأوحى إليه هنالك ما شاء أن يوحى ثم رجع إلى المسجد الحرام من ليلته، فصلى به صلاة الصبح. ذكر من قال ذلك، وذكر بعض الروايات التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحّحه:

16628- حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرني ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى به على البراق، وهي دابة إبراهيم التي كان يزور عليها البيت الحرام، يقع حافرها موضع طرفها، قال: فمررت بغير من عيرات قريش بoward من تلك الأودية، فنفرت العير، وفيها بغير عليه غرارتان: سوداء، وزرقاء، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إيلاء فأتاها بقدحين: قدر خمر، وقدح لبن، فأخذ

رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح اللبن، فقال له جبرئيل: **هُدِيتَ إِلَى الفطرة، لَوْ أَخْذَتْ قَدْحَ الْخَمْرِ غَوْتَ أَمْتَكَ.** قال ابن شهاب: فأخبرني ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي هناك إبراهيم وعيسى، فنعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: **«فَأَمَّا مُوسَى فَصَرَبْ رَجُلُ الرَّاسِ كَائِنٌ مِّنْ رِجَالِ شَوْءَةَ، وَأَمَّا عِيسَى فَرَجُلٌ أَخْمَرٌ كَائِنًا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسَ، فَأَشْبَهَهُ مَنْ رَأَيْتُ يَهُ عُرْوَةً بْنُ مَسْعُودٍ التَّقْفِيًّ** **وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَأَنَا أَسْبَهُ وَلَدِهِ يَهِ»** فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حدث قريشا أنه أسرى به. قال عبد الله: فارتدى ناس كثير بعد ما أسلموا، قال أبو سلمة: فأتى أبو بكر الصديق، فقيل له: هل لك في صاحبك، يزعم أنه أسرى به إلى بيت المقدس ثم رجع في ليلة واحدة، قال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فأشهد إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أفتشهد أنه جاء الشام في ليلة واحدة؟ قال: إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء. قال أبو سلمة: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«لَمَّا كَذَّبْتِنِي فُرِّيْشْ فَمَتْ قَمَّلَ اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَافِقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أُنْظَرُ إِلَيْهِ»**.

16629- حديثي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن أنس بن مالك، قال: لما جاء جبرائيل عليه السلام بالبراق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانها ضربت بذنبها، فقال لها جبرئيل: مه يا براق، فوالله إن ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو بعجز ناء عن الطريق: أي على جنب الطريق.

قال أو جعفر: ينبغي أن يقال: نائية، ولكن أسقط منها التأنيت.

قال: **«مَا هَذِهِ يَا جِبْرَائِيلَ؟**

قال: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، فإذا شيء يدعوه متنحيا عن الطريق يقول: **هَلَمْ يَا مُحَمَّدَ**، قال جبرائيل: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير قال: ثم لقيه خلق من الخلائق، فقال أحدهم: السلام عليك يا أولى، والسلام عليك يا آخر، والسلام عليك يا حاضر، فقال له جبرائيل: اردد السلام يا محمد، قال: فردا السلام ثم لقيه الثاني، فقال له مثل مقالة الأولين حتى انتهى إلى بيت المقدس، فعرض عليه الماء واللبن والخمر، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن، فقال له جبرائيل: أصبت يا محمد الفطرة، ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك، ولو شربت الخمر لغوبت وغوت أمتك. ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء، فأمامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، ثم قال له جبرائيل: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق، فلم يبق من الدنيا إلا بقدر ما بقي من عمر تلك العجوز، وأما الذي أراد أن تميل إليه، فذاك عدو الله إبليس، أراد أن تميل إليه وأما الذين سلما عليك، فذاك إبراهيم وموسى وعيسى.

16630- حديثي علي بن سهل، قال: حدثنا حاج، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازى، عن الريبع بن أنس، عن أبي العالية الرياحى، عن أبي هريرة أو غيره شك أبو جعفر في قول الله عز وجل: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَنْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِتُرْبِيْهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** قال: جاء جبرائيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيل، فقال جبرائيل لميكائيل: أئنني بسطت من ماء

زمزم كيما أطهر قلبه، وأشار له صدره، قال: فشقّ عن بطنه، فغسله ثلاث مرات، وacha الف إلى ميكائيل بثلاث طسات من ماء ززمزم، فشرح صدره، ونزع ما كان فيه من غل، وملأه حلماً وعلماً وإيماناً وبقينا إسلاماً، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة، ثم أتاه بفرس فحمل عليه كل خطوة منه متنهي طرفه وأقصى بصره. قال: فسار وسار معه جبرائيل عليه السلام، فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا جبرائيل ما هذَا؟» قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، نصاعف لهم الحسنة بسبعين مئة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترخص رؤوسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت، لا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: «ما هؤلاء يا جبرائيل؟» قال: هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع والزقّوم ورفض جهنم وحجارتها، قال: «ما هؤلاء يا جبرائيل؟» قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئاً، وما الله بظلم للعبد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نصيج في قدور، ولحم آخر شيء فذر خبيث، فجعلوا يأكلون من النبي، ويدعون النصيج الطيب، فقال: «ما هؤلاء يا جبرائيل؟» قال: هذا الرجل من أمتك، تكون عنده المرأة الحال الطيب، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً، فتأتي رجلاً خبيثاً، فتبكيت معه حتى تصبح. قال: ثم أتى على خشبة في الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقّته، ولا شيء إلا خرقته، قال: «ما هذَا يا جبرائيل؟» قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه. ثم قرأ: ولا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ يُوعِدُونَ وَتَصْدُّونَ... الآية. ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها، وهو يزيد عليها، فقال: «ما هذا يا جبرائيل؟» قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها، وهو يزيد عليها، ويريد أن يحملها، فلا يستطيع ذلك ثم أتى على قوم تفرض ألسنتهم وشفاهم بمقاييس من حديد، كلما قرضاً عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء، قال: «ما هؤلاء يا جبرائيل؟» قال: هؤلاء خطباء أمتك خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم، يجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع، فقال: «ما هذَا يا جبرائيل؟» قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة، ثم يندم عليها، فلا يستطيع أن يردها ثم أتى على وادٍ، فوجد ريحًا طيبة باردة، وفيه ريح المسك، وسمع صوتاً، فقال: «يا جبرائيل ما هذِه الرِّيح الطَّيِّبَةُ الْبَارِدَةُ وَهَذِهِ الرَّائِحَةُ الَّتِي كَرِيحَ الْمَسْكِ، وَمَا هَذَا الصَّوْتُ؟» قال: هذا صوت الجنة تقول: يا ربّ أنتي ما وعدتني، فقد كثرت غرفتي واستبرقي وحريري وسندسي وعنقري، ولؤلؤي ومرجانني، وفضتي وذهبني، وأكوابي وصحافي وأباريقى، وفواكهـي ونخلي ورماني، ولبني وخمري، فأنتي ما وعدتني، فقال: لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسلي، وعمل صالحـا ولم يشرك بي، ولم يتخذ من دوني أندادا، ومن خشينـي فهو آمن، ومن سألـني أعطيـه، ومن أقرـضـني جزيـته، ومن توـكـلـ علىـيـ كـفيـتهـ، إـنـيـ أـنـاـ اللـهـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ أـنـاـ لـاـ أـخـلـفـ الـمـيـعـادـ، وـقـدـ أـفـلـحـ

المؤمنون، وتبارك الله أحسن الخالقين، قالت: قد رضيت ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا، ووجد رجلا متنبه، فقال: «ما هذِه الرِّيحُ يا جَبْرِيلُ وَمَا هَذَا الصَّوْتُ؟» قال: هذا صوت جهنم، تقول: يا ربّ آتني ما وعدتني، فقد كثرت سلالتي وأغلالي، وسعيري وجحيمي، وضربي وغضافي، وعذابي وعقابي، وقد بعْد قوري واشتد حري، فآتني ما وعدتني، قال: لك كُلّ مشرك ومشرك، وكافر وكافرة، وكلّ خبيث وخبيثة، وكلّ جبار لا يؤمن بيوم الحساب، قالت: قد رضيت قال: ثم سار حتى أتى بيت المقدس، فنزل فربط فرسه إلى صخرة، ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قُضيت الصلاة. قالوا: يا جبريل من هذا معك؟ قال: محمد، فقالوا: أَوْ قَدْ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِ؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أَخْ وَمِنْ خَلِيفَةٍ، فنعم الأَخْ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء قال: ثم لقي أرواح الأنبياء فأثنوا على رיהם، فقال إبراهيم: الحمد لله الذي اتخذني خليلاً وأعطاني ملكاً عظيماً، وجعلني أمةً قاتلة لله يؤتمن بي، وأنقذني من النار، وجعلها علَيَّ برداً وسلاماً ثم إن موسى أتني على ربي فقال: الحمد لله الذي كلمني بكلماتي، وجعل هلاك آل فرعون ونجاةبني إسرائيل على يدي، وجعل من أمتي قوماً يهدون بالحقّ وبه يعدلون ثم إن داود عليه السلام أتني على ربي، فقال: الحمد لله الذي جعل لي ملكاً عظيماً وعلمني الزبور، وألان لي الحديد، وسحر لي الجبال يسبحن والطير، وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ثم إن سليمان أتني على ربي، فقال: الحمد لله الذي سحر لي الرياح، وسحر لي الشياطين، يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب، وقدور راسيات، وعلمني منطق الطير، وأتاني من كل شيء فضلاً، وسحر لي جنود الشياطين والإنس والطير، وفضّلني على كثير من عباده المؤمنين، وأتاني ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعدي، وجعل ملكي ملكاً طيباً ليس على فيه حساب ثم إن عيسى عليه السلام أتني على ربي، فقال: الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مثلي مثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له: كن فيكون، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير، فأنا فتح فيه، فيكون طيراً بإذن الله، وجعلني أبـريءـ الأـكـنهـ والأـبـرـصـ، وأـحـيـيـ الـمـوـتـىـ بـإـذـنـ اللـهـ، وـرـفـعـنـيـ وـطـهـرـنـيـ، وـأـعـاذـنـيـ وـأـمـيـ منـ الشـيـطـانـ الرـجـيمـ، فـلـمـ يـكـنـ لـلـشـيـطـانـ عـلـيـنـاـ سـيـيلـ قالـ: ثـمـ إنـ مـحـمـدـاـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـتـنـىـ عـلـيـ رـبـيـ، وـأـنـ مـُـنـ عـلـىـ رـبـيـ»، فـقـالـ: «الـحـمـدـ لـلـهـ أـتـنـىـ عـلـىـ رـبـيـ، وـكـافـةـ لـلـنـاسـ بـتـشـيـرـاـ وـتـبـذـيرـاـ، وـأـنـزـلـ عـلـىـ الـقـرـآنـ فـيـهـ تـبـيـانـ كـلـ شـيـءـ، وـجـعـلـ أـمـتـيـ خـيـرـ أـمـةـ أـخـرـجـتـ لـلـنـاسـ، وـجـعـلـ أـمـتـيـ وـسـطاـ، وـجـعـلـ أـمـتـيـ هـمـ الـأـوـلـوـنـ وـهـمـ الـأـخـرـوـنـ، وـشـرـحـ لـيـ صـدـرـيـ، وـوـضـعـ عـنـيـ وـزـرـيـ وـرـقـعـ لـيـ ذـكـرـيـ، وـجـعـلـنـيـ فـاتـحـاـ خـاتـيـماـ» قالـ إـبـرـاهـيـمـ: بـهـذـاـ فـضـلـكـمـ مـحـمـدـ. قالـ: أـبـوـ جـعـفـرـ: وـهـوـ الرـازـيـ: خـاتـمـ النـبـوـةـ، وـفـاتـحـ بـالـشـفـاعـةـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ثـمـ أـتـيـ إـلـيـهـ بـأـنـيـةـ ثـلـاثـةـ مـغـطـاـةـ أـفـواـهـاـ، فـأـتـيـ بـإـنـاءـ مـنـهـ فـيـهـ مـاءـ، فـقـيـلـ: اـشـرـبـ، فـشـرـبـ مـنـهـ يـسـيـرـاـ ثـمـ دـفـعـ إـلـيـهـ إـنـاءـ آخـرـ فـيـهـ لـبـنـ، فـقـيـلـ لـهـ: اـشـرـبـ، فـشـرـبـ مـنـهـ حـتـىـ روـىـ ثـمـ دـفـعـ إـلـيـهـ إـنـاءـ آخـرـ فـيـهـ خـمـرـ، فـقـيـلـ لـهـ: اـشـرـبـ، فـقـالـ: «لـاـ أـرـيـدـهـ قـدـ روـيـتـ» فـقـالـ لـهـ جـبـرـئـيلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: أـمـاـ إـنـهـ سـتـحـرـمـ عـلـىـ أـمـتـكـ، وـلـوـ شـرـبـ مـنـهـ لـمـ يـتـبعـكـ مـنـ أـمـتـكـ إـلـاـ الـقـلـيلـ، ثـمـ عـرـجـ بـهـ

إلى سماء الدنيا، فاستفتح جبرائيل ببابا من أبوابها، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ فقال: محمد، قالوا: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، قال: نعم، قالوا: حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخْ وَمِنْ خَلِيفَةً، فَنَعِمَ الْأَخُ وَنَعِمَ الْخَلِيفَةُ، وَنَعِمَ الْمُجِيءُ جَاءَ فَدَخَلَ تَامَّ الْخَلْقِ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ، كَمَا يَنْقُصُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ عَلَى يَمِينِهِ بَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ، وَعَنْ شَمَالِهِ بَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ خَبِيثَةٌ، إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ صَحُوكٌ وَاسْتَبَشَرَ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي عَنْ شَمَالِهِ بَكَى وَحَزَنَ، فَقَالَتِ الْمَلائِكَةُ: «يَا جَبَرِيلُ مَنْ هَذَا السَّيِّئُ التَّامُ الْخَلِيقُ الَّذِي لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ، وَمَا هَذَا الْبَابُانِ؟» قَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمَ، وَهَذَا الْبَابُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ بَابُ الْجَنَّةِ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ دُرْرِيَّتِهِ صَحُوكٌ وَاسْتَبَشَرَ، وَالْبَابُ الَّذِي عَنْ شَمَالِهِ بَابُ جَهَنَّمَ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ دُرْرِيَّتِهِ بَكَى وَحَزَنَ ثُمَّ صَعَدَ بِهِ جَبَرِيلٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبَرِيلٌ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخْ وَمِنْ خَلِيفَةً، فَنَعِمَ الْأَخُ وَنَعِمَ الْخَلِيفَةُ، وَنَعِمَ الْمُجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَإِذَا هُوَ بِشَابِّيْنِ، فَقَالَ: «يَا جَبَرِيلُ مَنْ هَذَا الشَّابَّانِ؟» قَالَ: هَذَا عِيسَى ابْنُ مُرِيمٍ، وَيَحْيَى بْنُ زَكْرِيَا ابْنَا الْخَالِدَةِ، قَالَ: فَصَعَدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْثَالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبَرِيلٌ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالُوا: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخْ وَمِنْ خَلِيفَةً، فَنَعِمَ الْأَخُ وَنَعِمَ الْخَلِيفَةُ، وَنَعِمَ الْمُجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ فَصَلَ عَلَى النَّاسِ كُلَّهُمْ فِي الْخُسْنَ، كَمَا فَصَلَ الْقَمْرُ لِيَلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، قَالَ: «مَنْ هَذَا يَا جَبَرِيلُ الَّذِي فَصَلَ عَلَى النَّاسِ فِي الْخُسْنِ؟» قَالَ: هَذَا أَخُوكَ يُوسُفَ ثُمَّ صَعَدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جَبَرِيلٌ، قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالُوا: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخْ وَمِنْ خَلِيفَةً، فَنَعِمَ الْأَخُ وَنَعِمَ الْخَلِيفَةُ، وَنَعِمَ الْمُجِيءُ جَاءَ قَالَ: فَدَخَلَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ هَذَا يَا جَبَرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا إِدْرِيسٌ رَفِعَهُ اللَّهُ مَكَانًا عَلَيْهَا، ثُمَّ صَعَدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبَرِيلٌ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبَرِيلٌ، قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالُوا: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخْ وَمِنْ خَلِيفَةً، وَنَعِمَ الْأَخُ وَنَعِمَ الْخَلِيفَةُ، قَالَ: «مَنْ هَذَا يَا جَبَرِيلُ وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَوَّلْتُهُمْ؟» قَالَ: هَذَا هَارُونُ الْمُحَبُّ فِي قَوْمِهِ، وَهُؤُلَاءِ بْنُو إِسْرَائِيلَ ثُمَّ صَعَدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبَرِيلٌ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبَرِيلٌ، قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالُوا: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخْ وَمِنْ خَلِيفَةً، فَنَعِمَ الْأَخُ وَنَعِمَ الْخَلِيفَةُ، وَنَعِمَ الْمُجِيءُ جَاءَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ جَالِسٍ، فَيُكَيِّنُ الرَّجُلَ، فَقَالَ: «يَا جَبَرِيلُ مَنْ هَذَا؟» قَالَ: مُوسَى، قَالَ: «فَمَا بَالُهُ يَيْكِي؟» قَالَ: تَزَعَّمُ بْنُو إِسْرَائِيلَ أَنِّي أَكْرَمُ بْنَي آدَمَ عَلَى اللَّهِ، وَهَذَا رَجُلٌ مِنْ بْنَي آدَمَ قَدْ خَلَفَنِي فِي دُنْيَا، وَأَنَا فِي أُخْرَى، فَلَوْ أَنِّي بِنَفْسِي لَمْ أَبَلَ، وَلَكِنْ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ أَمْتَهُ ثُمَّ صَعَدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبَرِيلٌ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبَرِيلٌ، قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالُوا: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا:

حَيَاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةً، فَنَعِمُ الْأَخُ وَنَعِمُ الْخَلِيفَةُ، وَنَعِمُ الْمَجِيءُ
جَاءَ، قَالَ: فَدَخَلَ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ أَشْمَطَ حَالِسٌ عَنْ بَابِ الْجَنَّةِ عَلَى
كَرْسِيٍّ، وَعِنْدَهُ قَوْمٌ جَلُوسٌ بِيَضِ الْوَجْهِ، أَمْثَالَ الْقَرَاطِيسِ، وَقَوْمٌ فِي
أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ، فَقَامَ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي الْأَلْوَانِ شَيْءٌ، فَدَخَلُوا نَهْرًا فَاغْتَسَلُوا
فِيهِ، فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْأَلْوَانِ شَيْءٌ، ثُمَّ دَخَلُوا نَهْرًا آخَرَ، فَاغْتَسَلُوا
فِيهِ، فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْأَلْوَانِ شَيْءٌ، فَصَارَتْ مِثْلَ الْأَلْوَانِ أَصْحَابَهُمْ،
فَجَاءُوهُمْ فَجَلَسُوا إِلَيْهِمْ أَصْحَابَهُمْ، قَالُوا: «يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَذَا الْأَشْمَطُ، ثُمَّ مَنْ
هُؤُلَاءِ الْبَيْضُ وَجُوَهُهُمْ، وَمَنْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي الْأَلْوَانِ شَيْءٌ، وَمَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ
الَّتِي دَخَلُوا، فَجَاءُوا وَقَدْ صَفَتِ الْأَلْوَانُ؟» قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمَ أَوْلَى مِنْ
شَمِطٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَمَا هُؤُلَاءِ الْبَيْضِ الْوَجْهِ: فَقَوْمٌ لَمْ يُلْسِوْا إِيمَانَهُمْ
بِظُلْمٍ، وَأَمَا هُؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي الْأَلْوَانِ شَيْءٌ، فَقَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا
وَآخَرَ شَيْئًا، فَتَابُوا، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَمَا الْأَنْهَارُ: فَأَوْلَاهَا رَحْمَةُ اللَّهِ، وَثَانِيهَا:
نَعْمَةُ اللَّهِ، وَالثَّالِثُ: سَقَاهُمْ رِبِّهِمْ شَرَابًا طَهُورًا قَالَ: ثُمَّ اتَّهَى إِلَى السَّدْرَةِ،
فَقَيْلَ لَهُ: هَذِهِ السَّدْرَةُ يَنْتَهِ إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ خَلَّا مِنْ أَمْتَكَ عَلَى سَنْتَكَ، فَإِذَا
هِيَ شَجَرَةٌ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لِبْنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ
طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَدَّةٌ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسْلٍ مَصْفَىٰ، وَهِيَ
شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظَلِّهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يَقْطَعُهَا، وَالْوَرْقَةُ مِنْهَا مَغْطِيَةٌ
لِلْأَمْمَةِ كُلِّهَا، قَالَ: فَغَشَّيْهَا نُورُ الْخَلَاقِ عَزْ وَجَلْ، وَغَشَّيْتُهَا الْمَلَائِكَةُ أَمْثَالَ
الْغَرَبَانِ حِينَ يَقْعُنُ عَلَى الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَكَلَمَهُ عَنْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: سَلْ،
فَقَالَ: «اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا عَظِيمًا، وَكَلَمْتُ مُوسَى
تَكْلِيمًا، وَأَعْطَيْتُ دَاؤِ مُلْكًا عَظِيمًا، وَأَنْتَ لَهُ الْحَدِيدُ، وَسَخَرْتُ لَهُ
الْجَبَالُ، وَأَعْطَيْتُ سَلِيمَانَ مُلْكًا عَظِيمًا، وَسَخَرْتُ لَهُ الْجَنُّ وَالْإِنْسَانُ
وَالشَّيَاطِينُ، وَسَخَرْتُ لَهُ الرِّيحَ، وَأَعْطَيْتُهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ،
وَعَلِمْتُ عِيسَى التُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَجَعَلْتُهُ يَبْرِئُ الْأَكْمَهُ وَالْأَبْرَصَ، وَيَحْيِي
الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَعْذَتُهُ وَأَمْهَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطَانِ
عَلَيْهِمَا سَبِيلٌ». فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: قَدْ اتَّخَذْتَكَ حَبِيبًا وَخَلِيلًا، وَهُوَ مَكْتُوبٌ
فِي التُّورَةِ: حَبِيبُ اللَّهِ وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كَافَةً بِشِيراً وَنَذِيراً، وَشَرَحْتَ لَكَ
صَدْرَكَ، وَوَضَعْتَ عَنْكَ وزْرَكَ، وَرَفَعْتَ لَكَ ذَكْرَكَ، فَلَا أَذْكُرُ إِلَّا ذَكْرَ
مَعِيِّ، وَجَعَلْتَ أَمْتَكَ أَمْمَةً وَسُطْرًا، وَجَعَلْتَ أَمْتَكَ هُمَ الْأُوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، وَجَعَلْتَ
أَمْتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خَطْبَةً، حَتَّى يَشَهُدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي، وَجَعَلْتَ مِنْ
أَمْتَكَ أَقْوَامًا قَلْوَبِهِمْ أَنَا جِيلُهُمْ، وَجَعَلْتَكَ أَوْلَى النَّبِيِّينَ حَلْقَا، وَآخِرَهُمْ بَعْثَا،
وَأَوْلَاهُمْ يُفْصَى لَهُ، وَأَعْطَيْتَكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي، لَمْ يُعْطِهَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ،
وَأَعْطَيْتَكَ الْكَوْثَرَ، وَأَعْطَيْتَكَ ثَمَانِيَّةً أَسْهَمَ الْإِسْلَامَ وَالْهِجْرَةَ، وَالْجَهَادَ،
وَالصَّدَقَةَ، وَالصَّلَاةَ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ،
وَجَعَلْتَكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَصَلَّنِي رَبِّي
بِسْتٌ: أَعْطَانِي فَوَاتِحَ الْكَلِمَ وَخَوَاتِيمَهُ، وَجَوَامِعَ الْحَدِيثِ، وَأَرْسَلَنِي إِلَى
النَّاسِ كَافَةً بَشِيراً وَنَذِيراً، وَقَدَّفَ فِي قُلُوبِ عَدُوِّي الرُّغْبَ مِنْ مَسِيرَةِ
شَهْرٍ، وَأَحِلَّ لِيَ الْعَنَاءُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجَعَلَ لِيَ الْأَرْضَ كُلُّهَا
طَهُورًا وَمَسِحِّداً، قَالَ: وَفَرَضَ عَلَيْهِ حَمْسِينَ صَلَاةً» فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مُوسَى،
قَالَ: يَمْ أَمْرَتِ يَا مُحَمَّدَ، قَالَ: «بَحْمَسِينَ صَلَاةً»، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ
فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنْ أَمْتَكَ أَصْعَفَ الْأَمْمَ، فَقَدْ لَقِيتَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

شدة، قال: فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه فسألة التخفيف، فوضع عنه عشراء، ثم رجع إلى موسى، فقال: بكم أمرت؟ قال: «بأربعين»، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيت منبني إسرائيل شدة، قال: فرجع إلى ربه، فسألة التخفيف، لقيت من بنى إسرائيل شدة، قال: فرجع إلى ربه، فسألة التخفيف، فوضع عنه عشراء، قال: بكم أمرت؟ قال: «أمرت بثلاثين»، فقال له موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة، قال: فرجع إلى ربه، فسألة التخفيف، فوضع عنه عشراء، قال: بكم أمرت؟ قال: «بعشرين»، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة، قال: فرجع إلى ربه، فسألة التخفيف، فوضع عنه عشراء، قال: لكم أمرت؟ قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة، قال: فرجع على حياء إلى ربه فسألة التخفيف، فوضع عنه خمسا، فرجع إلى موسى، فقال: بكم أمرت؟ قال: «بخمس»، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة، قال: «قد رجعت إلى ربِّي حتى استحييتَ قَمَا أنا راجعُ إلَيْهِ»، فقيل له: أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فإنهن يجزين عنك خمسين صلاة، فإن كل حسنة بعشر أمثالها، قال: فرضي محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضا، فكان موسى أشدُّهم عليه حين مر به، وخيرهم له حين رجع إليه.

حدثي محمد بن عبد الله، قال: أخبرنا أبو النصر هاشم بن القاسم، قال: حدثنا أبو جعفر الرازبي، عن الربع بن أنس، عن أبي العالية أو غيره شك أبو جعفر عن أبي هريرة في قوله: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِه... إلى قوله: إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ قال: جاء جبرائيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر نحو حديث علي بن سهل، عن حجاج، إلا أنه قال: جاء جبرائيل ومعه مكائيل، وقال فيه: وإذا بقوم يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع والزقوم، وقال في كل موضع قال علي: «ما هؤلاء»، «من هؤلاء يا جبرئيل»، وقال في موضع «تقرض ألسنتهم» «تقض ألسنتهم»، وقال أيضا في موضع قال علي فيه: «ونعم الخليفة». قال في ذكر الخمر، فقال: «لا أريده قد رويت»، قال جبرائيل: قد أصبت الفطرة يا محمد، إنها ستحرم على أمتك، وقال في سدرة المنتهى أيضا: هذه السدرة المنتهى، إليها ينتهي كل أحد خلا على سبيلك من أمتك وقال أيضا في الورقة منها: «تظلُّ الْخَلْقُ كُلَّهُمْ، تغشاها الْمَلَائِكَةُ مُثْلَةُ الْغَرَبَانِ حِينَ يَقْعُنُ عَلَى الشَّجَرَةِ، مِنْ حُبَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» وسائر الحديث مثل حديث علي.

16631 حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي هارون العبدلي، عن أبي سعيد الخدري وحدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، قال: أخبرنا أبو هارون العبدلي، عن أبي سعيد الخدري، واللطف لحفظ الحديث الحرام إلى المسجد الأقصى قال: حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن لبلة أسرى به فقال النبي: «أَتَيْتُ بِدَابَّةً هِيَ أَسْبَهُ الدَّوَابَّ بِالْبَعْلِ، لَهُ أَذْنَانٌ مُصْطَرِّبَاتٌ وَهُوَ

البُرَاقُ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ تَرْكِبُهُ الْأَئِيَاءُ قَبْلِي، فَإِنْطَلَقَ بِي يَضْعُفُ بَعْدَهُ عِنْدَ مُنْتَهِيَّ بَصَرِهِ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ يَمِينِي: يَا مُحَمَّدُ عَلَى رَسُولِكَ أَسَالَكَ، فَمَصَبَّتُ وَلَمْ أَعْرِجْ عَلَيْهِ ثُمَّ سَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ شِمَالِي: يَا مُحَمَّدُ عَلَى رَسُولِكَ أَسَالَكَ، قَمَصَبَّتُ وَلَمْ أَعْرِجْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتُ امْرَأً فِي الطَّرِيقِ، فَرَأَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِيَّةٍ مِنْ زِيَّةِ الدُّنْيَا رَافِعَةً يَدَهَا، قَوْلٌ: يَا مُحَمَّدُ عَلَى رَسُولِكَ أَسَالَكَ، قَمَصَبَّتُ وَلَمْ أَعْرِجْ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، أَوْ قَالَ الْمَسْجَدُ الْأَقْصَى، فَنَزَلْتُ عَنِ الدَّائِيَةِ فَأَوْتَقْتُهَا بِالْحَلْقَةِ التِّي كَانَ الْأَيَاءُ تُوثِقُ بِهَا، ثُمَّ دَحَلْتُ الْمَسْجَدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ، فَقَالَ لِي جَبْرِيلٌ: مَاذَا رَأَيْتَ فِي وَجْهِكَ، فَقُلْتُ: سَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ يَمِينِي أَنْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى رَسُولِكَ أَسَالَكَ، قَمَصَبَّتُ وَلَمْ أَعْرِجْ عَلَيْهِ، قَالَ: ذَاكَ دَاعِيُ الْيَهُودِ، أَمَا لَوْ أَنِّي وَقَفَتُ عَلَيْهِ لَتَهْوَدَثُ أَمْنِكَ، قَالَ: ثُمَّ سَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ يَسَارِي أَنْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى رَسُولِكَ أَسَالَكَ، قَمَصَبَّتُ وَلَمْ أَعْرِجْ عَلَيْهِ، قَالَ: ذَاكَ دَاعِي النَّصَارَىِ، أَمَا إِنِّي لَوْ وَقَفْتُ عَلَيْهِ لَتَنْصَرَثُ أَمْنِكَ، قُلْتُ: ثُمَّ اسْتَقْبَلْتُنِي امْرَأٌ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِيَّةٍ مِنْ زِيَّةِ الدُّنْيَا رَافِعَةً يَدَهَا تَقُولُ عَلَى رَسُولِكَ، أَسَالَكَ، قَمَصَبَّتُ وَلَمْ أَعْرِجْ عَلَيْهَا، قَالَ: تِلْكَ الدُّنْيَا تَرَبَّتْ لَكَ، أَمَا إِنِّي لَوْ وَقَفَتُ عَلَيْهَا لَاخْتَارَتْ أَمْنِكَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِإِيَّاهُمَا أَحْدُهُمَا فِيهِ لَيْنُ، وَالْآخَرُ فِيهِ حَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: اسْرِبْ أَيْهُمَا شَيْئاً، فَأَخَدْتُ اللَّبَنَ فَشَرِّيْتُهُ، قَالَ: أَصَبَّتِ الْفِطْرَةَ أَوْ قَالَ: أَخَدْتُ الْفِطْرَةَ».

قال عمر: وأخبرني الزهري، عن ابن المسيب أنه قيل له: أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك.

قال أبو هارون في حديث أبي سعيد: «ثُمَّ جِيءَ بِالْمِعْرَاجِ الَّذِي تَعْرَجَ فِيهِ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ فَإِذَا هُوَ أَخْسَنُ مَا رَأَيْتُ أَلْمَ تَرَ إِلَى الْمَيَّتِ كَيْفَ يُحَدِّدُ بَصَرَهُ إِلَيْهِ فَعُرِجَ بِنَا فِيهِ حَتَّى اتَّهَيْنَا إِلَى بَابِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِائِيلُ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيلٌ؟ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوْ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفَتَّحُوا وَسَلَّمُوا عَلَيَّ، وَإِذَا مَلَكُ مُوَكِّلٌ يَحْرُبُ السَّمَاءَ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ، مَعْهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مَعَ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ مِئَةُ الْفَلِيْفَلِ، ثُمَّ قَرَأَ: وَمَا يَعْلَمُ حُنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَإِذَا أَنَا يَرْجُلُ كَهْيَتِهِ يَوْمَ حَلْقَةُ اللَّهِ لَمْ يَتَعَيَّنْ مِنْهُ شَيْءٌ، فَإِذَا هُوَ تُعَرِّضِي أَرْوَاحَ ذُرِّيْتِهِ، فَإِذَا كَانَ رُوحُ مُؤْمِنٍ، قَالَ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ، وَرَيحٌ طَيِّبَةٌ، اجْعَلُوهَا كِتَابَهُ فِي عِلَيْنَ وَإِذَا كَانَ رُوحٌ كَافِرٌ قَالَ: رُوحٌ حَبِيْبَةٌ وَرَيحٌ حَبِيْبَةٌ، اجْعَلُوهَا كِتَابَهُ فِي سِجِّيلٍ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِائِيلُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحِبَ بِي وَدَعَانِي بِخَيْرٍ وَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْوَلَدِ الصَّالِحِ، ثُمَّ نَظَرَتُ فَإِذَا أَنَا بَقْوَمٌ لَهُمْ مَشَايِرُ كَمَشَايِرِ الْأَبْلِيلِ، وَقَدْ وُكِّلَ بِهِمْ مَنْ يَأْخُذُ بِمَشَايِرِهِمْ، ثُمَّ يُجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ صَحْوَانِ نَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَسْفَالِهِمْ، قُلْتُ: يَا جَبْرِائِيلُ مَنْ هَوْلَاءُ؟ قَالَ: هَوْلَاءُ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْبَيَّانِيَّةِ طَلَّمَا، ثُمَّ نَظَرَتُ فَإِذَا أَنَا بَقْوَمٌ يُخْدِي مِنْ خُلُودِهِمْ وَبُرَدٌ فِي أَفْوَاهِهِمْ، ثُمَّ يُقَالُ: كُلُّوا كَمَا أَكَلْتُمْ، فَإِذَا أَكَرَهَ مَا حَلَّ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ، قُلْتُ: مَنْ هَوْلَاءِ يَا جَبْرِائِيلُ؟ قَالَ: هَوْلَاءُ الْهَمَارُونَ اللَّمَارُونَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَبَقْعُونَ فِي أَغْرَاصِهِمْ بِالسَّبِّ ثُمَّ نَظَرَتُ فَإِذَا أَنَا بَقْوَمٌ عَلَى مَائِدَةٍ عَلَيْهَا لَحْمٌ مَسْوِيٌّ كَأْخَسَنِ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْلَّحْمِ، وَإِذَا حَوْلَهُمْ حَيْفٌ، فَجَعَلُوهَا يَأْكُلُونَ عَلَى الْحِيفِ يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَدْعُونَ ذَلِكَ الْلَّحْمَ، قُلْتُ: مَنْ هَوْلَاءِ يَا جَبْرِائِيلُ؟ قَالَ: هَوْلَاءُ الرِّنَاهُ عَمَدُوا إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَتَرَكُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ ثُمَّ نَظَرَتُ فَإِذَا أَنَا بَقْوَمٌ لَهُمْ بُطُونٌ كَانُوا

الْبُلْيُوتُ وَهِيَ عَلَى سَابِلَةِ الْأَلْ فِرْعَوْنَ، فَإِذَا مَرَّ بِهِمْ الْأُلْ فِرْعَوْنَ ثَأْرُوا، فَيَمِيلُ بِأَحَدِهِمْ بَطْنَهُ قَيْقَعُ، فَيَتَوَطَّهُمْ الْأُلْ فِرْعَوْنَ بِأَرْجُلِهِمْ، وَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ عَدُوًا وَعَنِيشِيَا قُلْتُ: مَنْ هُوَلَاءِ يَا جَبْرَائِيلُ؟ قَالَ: هُوَلَاءِ أَكْلَهُ الرِّبَا، رَبَا فِي بُطُونِهِمْ، قَمْتَهُمْ كَمَتَلِ الْذِي يَتَحَبَّطُ السَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ثُمَّ نَطَرْتُ، فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ مُعْلَقَاتٍ شُدِّيَّهُنَّ، وَنِسَاءٌ مُمْكِسَاتٍ بِأَرْجُلِهِنَّ، قُلْتُ: مَنْ هُوَلَاءِ يَا جَبْرَائِيلُ؟ قَالَ: هُنَّ الَّذِي يَرْزِيْنَ وَيَقْتِلُنَّ أَوْلَادَهُنَّ قَالَ: ثُمَّ صَعَدْنَا إِلَى السَّمَاءِ التَّلَيْيَةِ، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ وَحْولَهُ تَبَعُّ مِنْ أَمْتِهِ، وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَسَلَمَ عَلَيْ وَرَحْبَتِي، ثُمَّ مَصَبَّنَا إِلَى السَّمَاءِ التَّالِيَةِ، فَإِذَا أَنَا بِأَنِيَّ الْخَالَةِ يَحْيَى وَعِيسَى، يُشْهِي أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ يَاهُمَا وَشَغَرُهُمَا، فَسَلَّمَ عَلَيْ وَرَحْبَابِي ثُمَّ مَصَبَّنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَإِذَا أَنَا بِأَدْرِيسَ، فَسَلَمَ عَلَيْ وَرَحْبَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: وَرَقْعَنَاهُ مَكَانًا عَلَيْا ثُمَّ مَصَبَّنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ الْمُحَبِّبِ فِي قَوْمِهِ، حَوْلَهُ تَبَعُّ كَثِيرٌ مِنْ أَمْتِهِ قَوْصَفَةِ النَّبِيِّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طَوِيلُ الْلَّحْيَةِ تَكَادُ لِحْيَتُهُ تَمَسَّ سُرْتَهُ، فَسَلَمَ عَلَيْ وَرَحْبَتِي مَصَبَّنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى بْنِ عَمْرَانَ» قَوْصَفَةِ النَّبِيِّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَثِيرُ الشَّعْرِ لَوْ كَانَ عَلَيْهِ قَمِيصَانِ خَرَّ شَعْرُهُ مِنْهُمَا قَالَ مُوسَى: تَرْعَمُ النَّاسُ أَنِي أَكْرَمُ الْحَلْقَ عَلَى اللَّهِ، فَهَدَا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنِّي، وَلَوْ كَانَ وَحْدَهُ لَمْ أَكُنْ أَبَالِي، وَلَكِنْ كُلَّ تَبِيِّ وَمَنْ تَبَعَهُ مِنْ أَمْتِهِ ثُمَّ مَصَبَّنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَإِذَا أَنَا بِأَبْرَاهِيمَ وَهُوَ جَالِسٌ مُسِنِّدٌ ظَهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فَسَلَمَ عَلَيْ وَقَالَ: مَرْحَبَا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْوَلِدِ الصَّالِحِ، فَقِيلَ: هَذَا مَكَانُكَ وَمَكَانُ أَمْتِكَ، ثُمَّ تَلَى: إِنَّ أُولَى النَّاسِ بِأَبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوا وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَاللَّهُ وَلِيِّ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ نَطَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِشَجَرَةِ إِنَّ كَانَتِ الْوَرَقَةُ مِنْهَا لِمَعْطَيَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِذَا فِي أَصْلِهَا عَيْنٌ تَجْرِي قَدْ تَشَعَّبُتْ سُعْبَيْنِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرَائِيلُ؟ قَالَ: أَمِّا هَذَا: فَهُوَ نَهْرُ الرَّحْمَةِ، وَأَمِّا هَذَا: فَهُوَ الْكَوْتَرُ الْذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ، فَاعْتَسَلْتُ فِي نَهْرِ الرَّحْمَةِ قَعْفَرَ لِي مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَبِيِّ وَمَا تَأْخَرَ، ثُمَّ أَحْدَثْتُ عَلَى الْكَوْتَرِ حَتَّى دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا رُمَانٌ كَائِنٌ حُلُودُ الْإِبْلِ الْمُقْبَلَةُ، وَإِذَا وَلَأَخْطَرَ عَلَى قَلْبِي بَشَرٌ، وَإِذَا فِيهَا رُمَانٌ كَائِنٌ حُلُودُ الْإِبْلِ الْمُقْبَلَةُ، وَإِذَا فِيهَا طَيْرٌ كَائِنُهَا الْبُلْجُونُ» فَقَالَ أَبُو تَكْرُ: إِنَّ تِلْكَ الطَّيْرَ لَنَا عَمَّةً، قَالَ: «أَكْلِنَهَا أَنَعْمُ مِنْهَا يَا أَبَا تَكْرُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا، وَرَأَيْتُ فِيهَا جَارِيَّةً، فَسَأَلْتُهَا لَمَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: لَرَبِيدُ بْنُ حَارَثَةً» فَبَشَّرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبِيدًا قَالَ: «ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي بِأَمْرِهِ، وَقَرَضَ عَلَيَّ حَمْسِينَ صَلَّةً، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: يَمْ أَمْرَكَ رَبَّكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيَّ حَمْسِينَ صَلَّةً، قَالَ: ازْرِجْ إِلَى رَبِيكَ فَاسْأَلْهُ التَّحْفِيفَ، فَإِنِّي أَمْتَكَ لَنْ يَقُومُوا بِهَذَا، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَسَأَلْهُ التَّحْفِيفَ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَلَمْ أَرْلُ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي إِذَا مَرَرْتُ بِمُوسَى حَتَّى فَرَضَ عَلَيَّ حَمْسَ صَلَوَاتٍ، فَقَالَ مُوسَى: ازْرِجْ إِلَى رَبِيكَ فَاسْأَلْهُ التَّحْفِيفَ، قُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيِيْنُ» أَوْ قَالَ: «قُلْتُ: مَا أَنَا بِرَاجِعٍ، فَقِيلَ لِي: إِنَّ لَكَ بِهَذِهِ الْحَمْسِ صَلَوَاتٍ حَمْسِينَ صَلَّةً، الْحَسَنَةُ يَعْشِرُ أَمْتَالَهَا، وَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلُهَا كَتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلُهَا لَمْ تُكْتَبْ سَيِّئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتِبَتْ وَاحِدَةً».

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني روح بن القاسم، عن أبي هارون عمارة بن جوين العبدى، عن أبي سعيد الخدري وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: وثني أبو جعفر، عن أبي هارون، عن أبي سعيد، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لَمَّا فَرَغْتُ مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَتَيَ بِالْمَغْرَاجِ، وَلَمْ أَرْ شَيْئًا قَطُّ أَخْسَنَ مِنْهُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْدُدُ إِلَيْهِ مَيِّتَكُمْ عَيْنَيْهِ إِذَا حَصَرَ، فَأَصْعَدَنِي صَاحِبِي فِيهِ حَتَّى انتَهَى إِلَى بَابِ مِنَ الْأَبْوَابِ يُقَالُ لَهُ بَابُ الْحَفَظَةِ، عَلَيْهِ مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ إِسْمًا عِيلُ، تَحْتَ يَدِيهِ أَثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ، تَحْتَ يَدِي كُلُّ مَلَكٍ مِنْهُمْ أَثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث هذا الحديث: «ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ» ثم ذكر نحو حديث عمر، عن أبي هارون إلا أنه قال في حديثه: قال: «نَمَّ دَخَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ فِيهَا جَارِيَةً، فَسَأَلْتُهَا لِمَنْ أَنْتِ؟ وَقَدْ أَعْجَبْتِنِي حِينَ رَأَيْتُهَا، فَقَالَتْ: لِرَبِّنِ حَارِيَةَ» فبَشَّرَ بَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، ثُمَّ انتَهَى حديث ابن حميد عن سلمة إلى ههنا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر، عن الزهرى، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه ليلة أسرى به إبراهيم وموسى وعيسى فقال: «أَمَا إِبْرَاهِيمُ فَلَمْ أَرْ رَجُلًا أَشَبَّهَ بِصَاحِبِكُمْ مِنْهُ. وَأَمَا مُوسَى فَرَجُلٌ آدَمُ طِوَالٌ حَقْدٌ أَفْتَى، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شُتُّوَّةَ. وَأَمَا عِيسَى فَرَجُلٌ أَحْمَرٌ بَيْنَ الْقَصِيرِ وَالْطَّوِيلِ سَبْطُ الشَّعْرِ كَثِيرٌ خِيلَانُ الْوَجْهِ، كَأَنَّهُ حَرَّجٌ مِنْ دِيمَاسٍ كَانَ رَأْسَهُ يَقْطُرُ مَاءً، وَمَا يَهُ مَاءُ، أَشَبَّهُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ عُرْوَةً بْنُ مَسْعُودٍ».

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه، ولم يقل عن أبي هريرة.

16632. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر، عن قتادة، عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به مسراً جاً ملجمًا ليركبها، فاستصعب عليه، فقال له جبرئيل: ما يحملك على هذا، فوالله ما ركبك أحد قطًّا أكرم على الله منه قال: فارفض عرقاً.

16633. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بَعْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ أَسْرِي بَيْنَهُ اللَّهُ عِشَاءَ مِنْ مَكَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَصَلَّى نَبِيُّ اللَّهِ فِيهِ، فَأَرَاهُ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ وَأَمْرِهِ بِمَا شَاءَ لِيَلَةَ أَسْرِي بِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ بِمَكَةَ. ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خُمِلَثُ عَلَى دَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْبَرَاقُ، فَوَقَقَ الْحِمَارُ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهِي طَرْفِهِ» فحدث النبي بذلك أهل مكة، فكذب به المشركون وأنكروه وقالوا: يا محمد تخربنا أنت أتيت بيت المقدس، وأقبلت من ليتك، ثم أصبحت عندنا بمكة، فما كنت تجيئنا به، وتأتي بـه قبل هذا اليوم مع هذا فصدقه أبو بكر، فسمى أبو بكر الصديق من أجل ذلك.

16634. حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد، قال: حدثنا سليمان الشيباني، عن عبد الله بن شداد، قال: لما كان ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بدابة يقال لها البراق، دون

البلغ وفوق الحمار، تضع حافرها عند منتهى ظفرها فلما أتى بيت المقدس أتى بـإياءين: إماء من لبن، وإناء من خمر، فشرب اللبن. قال: فقال له جبرائيل: هديت وهديت أمتك.

وقال آخرون ممن قال: أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى بنفسه وجسمه أسرى به عليه السلام، غير أنه لم يدخل بيت المقدس، ولم يصلّ فيه، ولم ينزل عن البراق حتى رجع إلى مكة. ذكر من قال ذلك:

16635. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان، قال: حدثنا سفيان، قال: ثني عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش، عن حذيفة بن اليمان، أنه قال في هذه الآية: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَنْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى قَالَ: لَمْ يَصُلْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ صَلَّى فِيهِ لَكُتبَ عَلَيْكُمُ الصَّلَاةَ فِيهِ، كَمَا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصَّلَاةَ عَنْدَ الْكَعْبَةِ.

حدثنا أبو كريب، قال: سمعاً أبا بكر بن عياش، ورجل يحدّث عنده بحديث حين أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: لا تجيء بمثل عاصم ولا زر قال: قال حذيفة لزر بن حبيش قال: وكان زر رجلاً شريفاً من أشرف العرب، قال: فرأى حذيفة سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَنْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ، لِتُرِيَةً مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وكذا قرأ عبد الله، قال: وهذا كما يقولون: إنه دخل المسجد فصلى فيه، ثم دخل فربط دابته، قال: قلت: والله قد دخله، قال: من أنت فإني أعرف وجهك ولا أدرى ما اسمك، قال: قلت: زر بن حبيش، قال: ما عملك هذا؟ قال: قلت: من قبل القرآن، قال: من أخذ بالقرآن أفلح، قال: فقلت: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَنْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ قال: فنظر إليّ فقال: يا أصلع، هل ترى دخله؟ قال: قلت: لا والله، قال حذيفة: أجل والله الذي لا إله إلا هو ما دخله، ولو دخله لوجبتم عليكم صلاة فيه، لا والله ما نزل عن البراق حتى رأى الجنة والنار، وما أعد الله في الآخرة أجمع و قال: تدري ما البراق؟ قال: دائبة دون البلل وفوق الحمار، خطوه مد البصر.

وقال آخرون: بل أسرى بروحه، ولم يسر بجسمه. ذكر من قال ذلك:

16636. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأختنس أن معاوية بن أبي سفيان، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كانت رؤيا من الله صادقة.

16637. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد، قال: ثني بعض آل أبي بكر، أن عائشة كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله أسرى بروحه.

16638. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال ابن إسحاق: فلم يُنكِر ذلك من قولها الحسن أن هذه الآية نزلت وما جعلنا الرؤيا التي أرِيناكَ إلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ولقول الله في الخبر عن إبراهيم، إذ قال لابنه: يا بني إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ثُمَّ ماضِي على ذلك، فعرفت أن الوحي يأتي بالأنبياء من الله أبْقاطاً ونِياماً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تَنَامُ عَيْسَى وَقَلِيلٌ يَقْظَانُ» فالله أعلم أي ذلك كان

قد جاءه ؤعاين فيه من أمر الله ما عاين على أىٰ حالته كان نائماً أو يقطاناً كلّ ذلك حقّ وصدق.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الله حمله على البراق حين أتاه به، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات ولا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يجب أن يكون ذلك دليلاً على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكراً عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟ وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزًا لأحد أن يتعدّى ما قال الله إلى غيره. فإن طنّ طانٌ أن ذلك جائز، إذ كانت العرب تفعل ذلك في كلامها، كما قال قائلهم:

حَسِبْتُ بِغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقَوْمَا هِيَ وَبْ غَيرِكِ بِالْعَنَاقِ

يعني: حسبت بفأمة راحلتي صوت عنق، فحذف الصوت واكتفى منه بالعنق، فإن العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوماً مراد المتكلم منهم به من الكلام. فأما فيما لا دلالة عليه إلا بظهوره، ولا يصل إلى معرفة مراد المتكلّم إلا ببيانه، فإنها لا تحذف ذلك ولا دلالة تدلّ على أن مراد الله من قوله: أَسْرَى بِعَنْدِهِ أَسْرَى بِرُوحِ عَبْدِهِ، بل الأدلة الواضحة، والأخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أسرى به على دابة يُقال لها البراق ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام. إلا أن يقول قائل: إن معنى قولنا: أسرى بروحه: رأى في المنام أنه أسرى بحسده على البراق، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التي روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن جبرئيل حمله على البراق، لأن ذلك إذا كان مناماً على قول قائل هذا القول، ولم تكن الروح عنده مما تركب الدواب، ولم يحمل على البراق جسم النبي صلى الله عليه وسلم، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على قوله حُمل على البراق لا جسمه، ولا شيء منه، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين، وذلك دفع لظاهر التنزيل، وما تبعت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين.

وقوله: الْذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ يَقُولُ تَعَالَى ذَكْرُهُ: الْذِي جَعَلَنَا حَوْلَهُ الْبَرْكَةَ لِسَكَانِهِ فِي مَعَايِشِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَحَرُوثِهِمْ وَغَرِوْسِهِمْ. وَقَوْلُهُ: لِتُرِيهُ مِنْ آيَاتِنَا يَقُولُ تَعَالَى ذَكْرُهُ: كَيْ نَرِي عِبْدَنَا مُحَمَّداً مِنْ آيَاتِنَا، يَقُولُ: مِنْ عِبْرَنَا وَأَدْلَنَا وَحَجَنَا، وَذَلِكَ هُوَ مَا قَدْ ذَكَرْتَ فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي رَوَيْتَهَا أَنْفَا، أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَيْهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبَعْدَ مَصِيرِهِ إِلَيْهِ مِنْ عَجَابِ الْعَبْرِ وَالْمَوَاعِظِ. كَمَا:

16639 - حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: لِتُرِيهُ مِنْ آيَاتِنَا مَا أَرَاهُ اللَّهُ مِنِ الْآيَاتِ وَالْعَبْرِ فِي طَرِيقِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

وقوله: إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ يقول تعالى ذكره: إن الذي أسرى بعده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة في مسri محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس، ولغير ذلك من قولهم وقول غيرهم، البصير بما يعملون من الأعمال، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ولا يعزب عنه علم شيء منه، بل هو محيط بجميعه علما، ومحصيه عددا، وهو لهم بالمرصاد، ليجزي جميعهم بما هم أهله.
وكان بعض البصريين يقول: كسرت «إن» من قوله: إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لأن معنى الكلام: قل يا محمد: سبحان الذي أسرى بعده، وقل: إنه هو السميع البصير.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا}.
يقول تعالى ذكره: سبحان الذي أسرى بعده ليلاً وآتى موسى الكتاب، ورد الكلام إلى وآتينا وقد ابتدأ بقوله أسرى لما قد ذكرنا قبل فيما مضى من فعل العرب في نظائر ذلك من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب، ثم الرجوع إلى الخطاب وأشباهه. ومعنى بالكتاب الذي أوتي موسى: التوراة. وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ يقول: وجعلنا الكتاب الذي هو التوراة بيانا للحق، ودليلًا لهم على محة الصواب فيما افترض عليهم، وأمرهم به، ونهائهم عنه.

وقوله: أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا اختفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة أَلَا تَتَّخِذُوا بالباء بمعنى: وآتينا موسى الكتاب بأن لا تتخذوا يابني إسرائيل مِنْ دُونِي وَكِيلًا. وقرأ ذلك بعض قراء البصرة: «أَلَا يَتَّخِذُوا» بالياء على الخبر عنبني إسرائيل، بمعنى: وجعلناه هدى لبني إسرائيل، ألا يتخذ بنو إسرائيل، من دوني وكيلًا، وهذا قراءتان صحيحتا المعنى، متفقان غير مختلفتين، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب الصواب، غير أنني أوثر القراءة بالباء، لأنها أشهر في القراءة وأشد استفاضة فيهم من القراءة بالياء. ومعنى الكلام: وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أَلَا تَتَّخِذُوا حفيظا لكم سواعي. وقد بینا معنى الوكيل فيما مضى. وكان مجاهد يقول: معناه في هذا الموضع: الشريك.

16640. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجح، عن مجاهد، في قوله: أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا قال: شريكًا.

وكان مجاهدا جعل إقامة من أقام شيئاً سوى الله مقامه شريكاً منه له، ووكيلًا للذي أقامه مقام الله. وبنحو الذي قلنا في تأويل هذه الآية، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16641. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ جعله الله لهم هدى، يخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعله رحمة لهم.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {ذُرْرَةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ تُوحِّدِ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}.

يقول تعالى ذكره: سِيَّاحُ الْذِي أُسْرِىَ بَعْدَهُ لِيَلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصِيِّ، وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هَدِيًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ذُرْيَّةً مِنْ حَمْلَنَا مَعَ نُوحٍ. وَعَنِ الْذَّرِيَّةِ: جَمِيعُ مَنْ احْتَاجَ عَلَيْهِ جَلَّ ثَناؤُهُ بِهَذَا الْقُرْآنِ مِنْ أَجْنَاسِ الْأَمْمِ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَهُمْ مِنْ ذُرْيَةِ مَنْ حَمَلَ اللَّهَ مَعَ نُوحٍ فِي السُّفِينَةِ. وَبِنَحْوِ الْذِي قَلَّنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلَ. ذَكْرٌ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

16642. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ذُرْيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ ذُرْيَةً مِنْ أَنْجَى اللَّهُ فِي تِلْكَ السُّفِينَةِ وَذُكْرٌ لَنَا أَنَّهُ مَا نَجَا فِيهَا يَوْمَئِذٍ غَيْرُ نُوحٍ وَثَلَاثَةَ بَنِينَ لَهُ، وَأُمُّهُ وَثَلَاثَ نَسَوَةٍ، وَهُمْ: سَامٌ، وَحَامٌ، وَيَافِثٌ فَأَمَا سَامٌ: فَأَبُو الْعَرَبِ وَأَمَا حَامٌ: فَأَبُو الْحَبْشِ وَأَمَا يَافِثٌ: فَأَبُو الرُّومِ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ذُرْيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ قال: بنوه ثلاثة ونساءهم، ونوح وامرأته.

16643. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال مجاهد: بنوه ونساءهم ونوح، ولم تكن امرأته.

وقد بيّنا في غير هذا الموضع فيما مضى بما أغني عن إعادته. قوله: إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا يعني بقوله تعالى ذكره: «إنه» إن نوحاً، والهاء من ذكر نوح، كان عبداً شكوراً لله على نعمه.

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي سماه الله من أجله شكوراً، فقال بعضهم: سماه الله بذلك لأنَّه كان يحمد الله على طعامه إذا طعمه. ذكر من قال ذلك:

16644. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهدي، قالا: حدثنا سفيان، عن التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان، قال: كان نوح إذا ليس ثوباً أو أكل طعاماً حمد الله، فسمى عبداً شكوراً.

16645. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن، قالا: حدثنا سفيان، عن أبي حصين، عن عبد الله بن سنان، عن سعيد بن مسعود بمثله.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن عبد الله بن سنان، عن سعيد بن مسعود قال: ما ليس نوح جديداً قطّ، ولا أكل طعاماً قطّ إلا حمد الله فلذلك قال الله: عَبْدًا شَكُورًا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: ثني سفيان الثوري، قال: ثني أليوب، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، قال: إنما سمي نوح عبداً شكوراً أنه كان إذا ليس ثوباً حمد الله، وإذا أكل طعاماً حمد الله.

16646. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجج، عن ابن حريج، عن مجاهد ذُرْيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرَهُمْ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا قال: إنه لم يجده ثوباً قطّ إلا حمد الله، ولم يبل ثوباً قطّ إلا حمد الله، وإذا شرب شربة حمد الله، قال: الحمد لله الذي سقانيها على شهوة ولذة وصحة، وليس في تفسيرها، وإذا شرب شربة قال هذا، ولكن بلغني ذا.

16647. حديثي القاسم، قال: حدثنا أبو فضالة، عن النصر بن شفي، عن عمران بن سليم، قال: إنما سُمِّي نوح عبداً شكوراً أنه كان إذا أكل الطعام قال: الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني، ولو شاء أطمني وإذا لبس ثوباً قال: الحمد لله الذي كسانني، ولو شاء أعراني وإذا لبس نعلاً قال: الحمد لله الذي حذاني، ولو شاء أحفاني وإذا قضى حاجة قال: الحمد لله الذي أخرجعني أذاه، ولو شاء حبسه. وقال آخرون في ذلك بما:

16648. حديثي به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني عبد الجبار بن عمر أن ابن أبي مريم حدثه، قال: إنما سمي الله نوحاً عبداً شكوراً، أنه كان إذا خرج البراز منه قال: الحمد لله الذي سوّغنيك طيباً، وأخرجعني أذاك، وأبقى منفعتك. وقال آخرون في ذلك بما:

16649. حديثنا به بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال الله لنوح إلهه كان عبداً شكوراً ذكر لنا أنه لم يستجد ثوباً قط إلا حمد الله، وكان يأمر إذا استجدَ الرجل ثوباً أن يقول: الحمد لله الذي كسانني ما أتجمّل به، وأواري به عورتي.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معاوية، عن قتادة إلهه كان عبداً شكوراً قال: كان إذا لبس ثوباً قال: الحمد لله، وإذا أخلقه قال: الحمد لله.

الآية : 4 و 5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَصَّيْنَا إِلَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَوْتَيْنَ وَلَتَعْلُمُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَهُمْ وَغُدُّ أَوْلَاهُمَا يَعْتَنِي عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَئِي بَاسِ سَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِيَارِ وَكَانَ وَغُدًا مُفْعُلاً }.

وقد بيّنا فيما مضى قبل أن معنى القضاة: الفراغ من الشيء، ثم يستعمل في كل مفروغ منه، فتأويل الكلام في هذا الموضوع: وفرغ ربكم إلى بنى إسرائيل فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه بإعلامه إياهم، وإخباره لهم لتفسدن في الأرض مرتين يقول: لتعصي الله يا معاشر بنى إسرائيل ولتخالفن أمره في بلاده مرتين ولتعلن علواً كبيراً يقول: ولتستكبرن على الله باجترائكم عليه استكباراً شديداً. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16650. حديثي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: وَقَصَّيْنَا إِلَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قال: أعلمناهم.

16651. حديثي عليّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: وَقَصَّيْنَا إِلَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقُولُ: أعلمناهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: وقضينا على بنى إسرائيل في أم الكتاب، وبسابق علمه. ذكر من قال ذلك:

16652. حديثي محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، وَقَصَّيْنَا إِلَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قال: هو قضاء قضى عليهم.

16653. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَقَصَّيْنَا إِلَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قضاء قضاه على القوم كما تسمون. وقال آخرون: معنى ذلك: أخبرنا. ذكر من قال ذلك:

16654. حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرف، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: **وَقَصَّيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ** قال: أخبرنا بني إسرائيل.

وكُلُّ هذه الأقوال تعود معانيها إلى ما قلت في معني قوله: **وَقَصَّيْنَا إِلَى** ما كان الذي اخترنا من التأويل فيه أشبه بالصواب لجماع القراء على قراءة قوله **لَتُفْسِدُنَّ** بالتاء دون الياء، ولو كان معنى الكلام: وقضينا عليهم في الكتاب، وكانت القراءة بالتاء أولى منها بالتاء، ولكن معناه لما كان أعلم منهم وأخبرناهم، وقلنا لهم، كانت التاء أشبه وأولى للمخاطبة. وكان فساد بني إسرائيل في الأرض المرة الأولى ما:

16655. حدثني به هارون، قال: حدثنا عمرو بن حمار، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي صالح، وعن أبي مالك، عن ابن عباس، وعن مزّة، عن عبد الله أن الله عهد إلى بني إسرائيل في التوراة **لَتُفْسِدُنَّ** في الأرض مرتين فكان أول الفسادين: قتل زكريا، فبعث الله عليهم ملك النبط، وكان يدعى صحابين فبعث الجنود، وكان أساورته من أهل فارس، فهم أولو باس شديد، فتحصنت بنو إسرائيل، وخرج فيهم بختنصر يتيمًا مسكييناً، إنما خرج يستطعم، وتلطف حتى دخل المدينة فأتى مجالسهم، فسمعهم يقولون: لو يعلم عدونا ما قدف في قلوبنا من الرعب بذنبينا ما أرادوا قاتلنا، فخرج بختنصر حين سمع ذلك منهم، واستد القيام على الجيش، فوجعوا، وذلك قول الله: **إِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَاهُمَا بَعْثَنَا عَلَيْكُمْ عَبَادًا لَّتَأْلِمُوا** سيد، فجاؤوا خلال الديار وكان وعدهما مفعولاً ثم إن بني إسرائيل تجهزوا، فغزوا النبط، فأصابوا منهم واستنقذوا ما في أيديهم، بذلك قول الله ثم رددنا لكم الكراة **عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ**، **وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا** يقول: عدداً.

16656. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين: قتل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكاً من ملوك فارس، من قتل زكريا، وسلط عليهم بختنصر من قتل يحيى.

16657. حدثنا عصام بن رواد بن الجراح، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: حدثنا منصور بن المعتمر، عن رباعي بن حراس، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا اعْتَدُوا وَعَلَوْا، وَقَتَّلُوا الْأَنْبِيَاءَ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَلِكًا فَارِسَ بُحْتَنَصَرَ، وَكَانَ اللَّهُ مَلِكُهُ سَبْعَ مِنَّةَ سَنَةٍ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسَ فَحَاصَرَهَا وَقَتَّحَهَا، وَقُتِّلَ عَلَيَّ دَمٌ رَّكَرِيًّا سَبْعينَ أَلْفًا، ثُمَّ سَبِّيَ أَهْلَهَا وَبَنِي الْأَنْبِيَاءِ، وَسَلَّبَ حُلُّيَّ بَيْتَ الْمَقْدِسَ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعينَ أَلْفًا وَمِنَّهُ عَجَلَةٌ مِنْ حُلُّيَّ حَتَّى أَوْرَدَهُ بَايْلَ» قال حذيفة: فقتل: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيماً عند الله؟ قال: «أَجَلْ بَنَاهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاؤَدَ مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٍّ وَيَافُوتٍ وَرَبَرَجَدٍ، وَكَانَ بِلَاطَةً بِلَاطَةً مِنْ ذَهَبٍ وَبِلَاطَةً مِنْ فَصَّةٍ، وَعُمْدَهُ ذَهَبًا، أَعْطَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ، وَسَحَّرَ لَهُ الشَّيَاطِينَ يَأْتُونُهُ بِهِذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، فَسَارَ بُحْتَنَصَرَ بِهِذِهِ الْأَشْيَاءِ حَتَّى تَرَلَ بِهَا بَايْلَ، فَأَقَامَ بَنُوا إِسْرَائِيلَ فِي يَدِيهِ مِنَّةَ سَنَةٍ تُعَذِّبُهُمُ الْمَجُوسُ وَأَبْنَاءُ الْمَجُوسِ، فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَأَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ رَحْمَهُمْ، فَأَوْحَى إِلَى

مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ فَارسَ يُقالُ لُهُ كُورَسُ، وَكَانَ مُؤْمِنًا، أَنْ سِرْ بَقَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى تَسْتَنِقَدُهُمْ، فَسَارَ كُورَسُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَحْلِيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى رَدَدَهُ إِلَيْهِ، فَأَقَامَ بَنُوا إِسْرَائِيلَ مُطْبِعِينَ لِلَّهِ مِنَةَ سَنَةً، ثُمَّ إِنَّهُمْ عَادُوا فِي الْمَعَاصِي، فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ابْطِيَانُ حُوسَنَ، فَغَرَّا بَأْبَاءَ مَنْ عَرَّا مَعَ بُخْتَصَرِ، فَغَرَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى أَتَاهُمْ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، فَسَبَّيَ أَهْلَهَا، وَأَخْرَقَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَقَالَ لَهُمْ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنْ عَذْتُمْ فِي الْمَعَاصِي عَذْنَا عَلَيْكُمْ بِالسَّبَاءِ، فَعَادُوا فِي الْمَعَاصِي، فَسَيِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّبَاءَ التَّالِثَ مَلِكَ رُومِيَّةَ، يُقالُ لَهُ قَاقِسُ بْنُ إِسْبَارِيوسَ، فَعَرَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَسَبَّاهُمْ وَسَبَّيَ حُلِيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَخْرَقَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ بِالنَّيْرَانَ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا مِنْ صَنْعَةِ حُلِيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَيَرْدَهُ الْمَهْدِيُّ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهُوَ أَفْ سَفِينَةٍ وَسَبَعَ مِنَةَ سَفِينَةٍ، يُرْسَى بِهَا عَلَى يَافَا حَتَّى تَنْقَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبِهَا يَجْمِعُ اللَّهُ أَلْأَوْلَى وَالآخِرِينَ».

16658- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال: كان مما أنزل الله على موسى في خبره عن بنى إسرائيل، وفي أحداثهم ما هم فاعلون بعده، فقال: وَقَصَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ، وَلَتَعْلُمُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا... إِلَى قَوْلِهِ: وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا فَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَفِيهِمُ الْأَحْدَاثُ وَالذُّنُوبُ، وَكَانَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مُتَجَاوِزًا عَنْهُمْ، مُتَعْطِفًا عَلَيْهِمْ مُحَسِّنًا إِلَيْهِمْ، فَكَانَ مَا نُزِّلَ بِهِمْ فِي ذُنُوبِهِمْ مَا كَانَ قَدْمًا إِلَيْهِمْ فِي الْخَبَرِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى مَا نُزِّلَ بِهِمْ فِي ذُنُوبِهِمْ. فَكَانَ أَوَّلَ مَا نُزِّلَ بِهِمْ مِنْ تِلْكَ الْوَقَائِعِ، أَنْ مَلِكًا مِنْهُمْ كَانَ يُدْعَى صَدِيقَةً، وَكَانَ اللَّهُ إِذَا مَلَكَ الْمُلْكَ عَلَيْهِمْ، بَعْثَ نَبِيًّا يَسِّدِّدُهُ وَيَرْشِدُهُ، وَيَكُونُ فِيمَا بَيْنِهِ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَيَحْدُثُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِمْ، لَا يَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْكِتَبُ، إِنَّمَا يُؤْمِنُونَ بِاتِّبَاعِ التُّورَاةِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي فِيهَا، وَيَنْهَا عَنِ الْمُعْصِيَةِ، وَيَدْعُونَهُمْ إِلَى مَا تَرَكُوا مِنِ الطَّاعَةِ فَلَمَّا مَلَكَ ذَلِكَ الْمُلْكَ، بَعْثَ اللَّهُ مَعَهُ شَعِيَّاءَ أُمْصِيَا، وَذَلِكَ قَبْلَ مَبْعَثِ زَكْرِيَا وَيَحِيَا وَعِيسَى وَشَعِيَّاءَ الَّذِي يَشَرِّبُ بَعِيسَى وَمُحَمَّدًا، فَمَلَكَ ذَلِكَ الْمُلْكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ زَمَانًا فَلَمَّا انْقَضَ مَلِكُهُ عَظَمَتْ فِيهِمُ الْأَحْدَاثُ، وَشَعِيَّاءَ مَعَهُ، بَعْثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَنْحَارِيبَ مَلِكَ بَابِلَ، وَمَعَهُ سَتُّ مِئَةَ أَلْفَ رَأْيَةً، فَأَقْبَلَ سَائِرًا حَتَّى نَزَلَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالْمُلْكُ مَرِيضٌ فِي سَاقِهِ قَرْحَةً، فَجَاءَ النَّبِيُّ شَعِيَّاءَ، فَقَالَ لَهُ: يَا مَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّ سَنْحَارِيقَ مَلِكَ بَابِلَ، قَدْ نَزَلَ بِكَ هُوَ وَجَنُودُهُ سَتُّ مِئَةَ أَلْفَ رَأْيَةً، وَقَدْ هَابُوهُمُ النَّاسُ وَفَرَقُوهُمْ مِنْهُمْ، فَكَبَرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُلْكِ، فَقَالَ: يَا نَبِيًّا اللَّهُ هَلْ أَتَاكَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ فِيمَا حَدَثَ، فَتَخْبِرْنَا بِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ اللَّهُ بَنَا وَبِسَنْحَارِيبِ وَجَنُودِهِ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمْ يَأْتِنِي وَحْيٌ أَحَدَثُ إِلَيْهِ فِي شَانِكَ. فَبَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى شَعِيَّاءَ النَّبِيِّ: أَنَّ أَئْتَ مَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَهُ أَنْ يَوْصِي وَصِيَّهُ، وَيَسْتَخْلِفُ عَلَى مَلِكِهِ مِنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّكَ مَيْتَ فَلَمَا قَالَ ذَلِكَ شَعِيَّاءَ لِصَدِيقَةَ، أَقْبَلَ عَلَى الْقَبْلَةِ، فَصَلَّى وَسَبَحَ وَدَعَا وَبَكَى، فَقَالَ وَهُوَ يَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ بِقَلْبٍ مُخْلِصٍ وَتَوْكِلٍ وَصَبْرٍ وَصَدْقٍ وَظَنٍّ صَادِقٍ. اللَّهُمَّ رَبَّ الْأَرْبَابِ، وَإِلَهَ الْأَلَهَةِ، قَدْوَسُ

المقدسين، يا رحمن يا رحيم، المترحم الرؤوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، اذكرني بعملي وفعلني وحسن قضائي علىبني إسرائيل وذلك كلّه كان منك، فلأنّت أعلم به من نفسي سرّي وعلانيتي لك وإن الرحمن استجاب له، وكان عبادا صالحا، فأوحي الله إلى شعيب أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له وقبل منه ورحمه، وقد رأى بكاءه، وقد أخرّ أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده، فأتى شعيب النبي إلى ذلك الملك فأخبره بذلك، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع، وانقطع عنه الشّر والحزن، وخرّ ساجدا وقال: يا إلهي وإله آبائي، لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت، أنت الذي تعطي الملك من تشاء، وتتنزّعه ممّن تشاء، وتعزّز من تشاء، وتذلّل من تشاء، عالم الغيب والشهادة، أنت الأوّل والآخر، والظاهر والباطن، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المصطرين، أنت الذي أحببت دعوتي ورحمت تضرّعي فلما رفع رأسه، أوّحي الله إلى شعيب إن قل للملك صديقة فيأمر عبادا من عبيده بالتّينة، ف يأتيه بماء التّين فيجعله على قرحته فيشفى، ويصبح وقد برأ، ففعل ذلك فشيّفي. وقال الملك لشعيب النبي: سل ربّك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدهنا هذا. قال: فقال الله لشعيب النبي: قل له: إنّي قد كفيتك عدوّك، وأنجيتك منه، وإنّهم سيصبحون موتهن لهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ ينبعهم، فصرخ على باب المدينة: يا ملك بنى إسرائيل، إن الله قد كفاك عدوّك فاخذ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التّمس سنحاريب، فلم يوجد في الموتى، فبعث الملك في طلبه، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه، أحدهم بختنصر، فجعلوه في الجوامع، ثم أتوا بهم ملك بنى إسرائيل فلما رآهم خرّ ساجدا من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر، ثم قال لسنحاريب: كيف ترى فعلينا بكم؟ ألم يقتلّكم بحوله وقوّته، ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنحاريب له: قد أتاني خبر ربّكم، ونصره إياكم، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي، فلم أطع مرشدكم، ولم يلقني في الشّقّوة إلا قلة عقلّي، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم، ولكن الشّقّوة غلبت عليّ وعلى من معّي، فقال ملك بنى إسرائيل: الحمد لله ربّ العزة الذي كفاناكم بما شاء، إن ربّنا لم يُبِّنك ومن معك لكرامة بك عليه، ولكنه إنما أبّاك ومن معك لما هو شرّ لك، لتزدادوا شقّوة في الدنيا، وعداً في الآخرة، ولتخبروا من وراءكم بما لقيتم من فعل ربّنا، ولتتذرّ من بعدكم، ولو لا ذلك ما أبّاك، فلدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته. ثم إن ملك بنى إسرائيل أمر أمير حرسه، فقدف في رقابهم الجوامع، وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس إيليا، وكان يرزقهم في كلّ يوم خبزتين من شعير لكلّ رجل منهم، فقال سنحاريب لملك بنى إسرائيل: القتل خير مما يفعل بنا، فافعل ما أمرت فنقل بهم الملك إلى سجن القتل، فأوحي الله إلى شعيب النبي أن قل لملك بنى إسرائيل يرسل سنحاريب ومعه ليندروا من وراءهم، وليكرّمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ النبي شعيب الملك ذلك، ففعل، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده، فقال له كهانه وسحرته: يا ملك بابل قد كنا نقصّ عليك خبر ربّهم وخبر نبيّهم،

ووحي الله إلى نبيهم، فلم تطعننا، وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم، فكان أمر سحاريب مما خوفوا، ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة، ثم لبث سحاريب بعد ذلك سبع سنين، ثم مات.

16659. حديث ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما مات سحاريب استخلف بختنصر ابن ابنه على ما كان عليه جده يعمل بعمله، ويقضي بقضائه، فلبت سبع عشرة سنة. ثم قبض الله ملكبني إسرائيل صديقة فمرج أمربني إسرائيل وتنافسوا الملك، حتى قتل بعضهم بعضاً عليه، ونبيهم شعيب معهم لا يذعنون إليه، ولا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك، قال الله فيما بلغنا لشعيب: قم في قومك أوح على لسانك فلما قام النبي أنطق الله لسانه بالوحى فقال: يا سماء استمعي، ويا أرض أنصتي، فإن الله يريد أن يقصّ شأنبني إسرائيل الذين رباهم بنعمته، واصطفاهم لنفسه، وخصّهم بكرامته، وفضلهم على عباده، وفضلهم بالكرامة، وهم كالغم الضائعة التي لا راعي لها، فآوى شارتها، وجمع ضالتها، وجبر كسيرها، وداوى مريضها، وأسم من مهزولها، وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت، فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضاً، حتى لم يبق منها عظم صحيح يخبر إليه آخر كسير، فويل لهذه الأمة الخاطئة، وويل لهؤلاء القوم الخاطئين الذين لا يدركون أين جاءهم الحين. إن البعير ربما يذكر وطنه فينتابه، وإن الحمار ربما يذكر الآري الذي شبع عليه فيراجعه، وإن الثور ربما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه، وإن هؤلاء القوم لا يدركون من حيث جاءهم الحين، وهم أولو الألباب والعقول، ليسوا بغير ولا حمير وإنني صارب لهم مثلاً فليس معوه: قل لهم: كيف ترون في أرض كانت خواء زماناً، خربة موata لا عمران فيها، وكان لها ربٌ حكيم قويٌّ، فأقبل عليها بالعمارة، وكسره أن تخرُب أرضه وهو قويٌّ، أو يقال ضيع وهو حكيم، فأحاط عليها جداراً، وشيد فيها قصراً، وأنبط فيها نهرًا، وصف فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب، وألوان التumar كلها، وولى ذلك واستحفظه قياماً ذا رأي وهمة، حفيظاً قوياً أميناً، وتأنى طلعها وانتظرها فلما أطلعت جاء طلعاً خروباً، قالوا: بئست الأرض هذه، نرى أن يهدم جدرانها وقصرها، ويدفن نهرها، ويقبض قيمها، ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أولاً مرةً، خربة موata لا عمران فيها. قال الله لهم: فإن الجدار ذمتِي، وإن القصر شريعتِي، وإن النهر كتابي، وإن القِيمَ نِيبي، وإن الغراس هم، وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة، وإن قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم، وإن مَثَل ضربه الله لهم يتقرّبون إلى بذبح البقر والغنم، وليس ينالني اللحم ولا أكله، ويدعون أن يتقرّبوا بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها، فأيديهم مخصوصة منها، وثيابهم متزملة بدمائها، يشيدون لي البيوت مساجد، ويظهرن أجوفها، وينجسون قلوبهم وأجسامهم ويدنسونها، ويزوّدون لي البيوت والمساجد ويزبنونها، ويخرّبون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها، فـأي حاجة لي إلى تشييد البيوت ولن يليست أسكنها، وأي حاجة إلى تزويب المساجد ولن يستدخلها، إنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح فيها، ولتكون معلماً لمن أراد أن يصلّي فيها، يقولون: لو كان الله يقدر على أن يجمع الفتنة لجمعها، ولو كان الله يقدر على أن يفقّه قلوبنا لأفقيها، فاعمد إلى عودين يابسين، ثم ائت بهما ناديهما في أجمع ما يكونون، فقل للعودين: إن

الله يأمر كما أن تكوننا عودا واحدا فلما قال لهم ذلك، احتلطا فصاروا واحدا، فقال الله: قل لهم: إني قدرت على ألفة العيدان اليابسة وعلى أن أولف بينها، فكيف لا أقدر على أن أجمع ألفتهم إن شئت، أم كيف لا أقدر على أن أفق قلوبهم، وأنا الذي صررتها يقولون: صمنا فلم يرفع صيامنا، وصلينا فلم تنور صلاتنا، وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا، ودعونا بمثل حنين الحمام، وب يكنا بمثل عواء الذئب، في كل ذلك لا نسمع، ولا يستجاب لنا قال الله: فسلهم ما الذي يمنعني أن استجيب لهم، ألسنت أسمع السامعين، وأبصر الناظرين، وأقرب المحبين، وأرحم الراحمين؟ لأن ذات يدي قلت كيف ويداي مبسوطتان بالخير، أنفق كيف أشاء، ومفاتيح الخزائن عندي لا يفتحها ولا يغلقها غيري ألا وإن رحمتي وسعت كل شيء، إنما يتراحم المتراحمون بفضلها أو لأن البخل يعتربني أو لست أكرم الأكرمين والفتاح بالخيرات، أجود من أعطى، وأكرم من سئل لو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التي نورت في قلوبهم فنبدوها، واشتروا بها الدنيا، إذن لأبصروا من حيث أتوا، وإذن لأيقنوا أن أنفسهم هي أعدى العداة لهم، فكيف أرفع صيامهم وهو يلبسونه بقول الزور، ويتقرون عليه بطعمة الحرام؟ وكيف أنور صلاتهم، وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني وبحاربني، وينتهك محارمي؟ أم كيف تزكوا عندي صدقاتهم وهو يتصدقون بأموال غيرهم؟ وإنما أوجر عليها أهلها المغضوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وإنما هو قول بالسنن والفعل من ذلك بعيد؟ وإنما أستجيب للداعي اللين، وإنما أسمع من قول المستضعف المسكين، وإن من عالمة رضاي رضا المساكين فلو رحموا المساكين، وقربوا الضعفاء، وأنصفوا المظلوم، ونصروا المغضوب، وعدلو للغائب، وأدوا إلى الأرمدة واليتيم والمسكين، وكل ذي حق حقه، ثم لو كان ينبغي أن أكلم البشر إذن لكلمتهم، وإذن لكنت نور أبصارهم، وسمع آذانهم، ومعقول قلوبهم، وإذن لدعمت أركانهم، فكنت قوة أيديهم وأرجلهم، وإذن لثبتت السنن لهم وعقولهم، يقولون لما سمعوا كلامي، وبلغتهم رسالاتي بأنها أقاويل منقوله، وأحاديث متوارثة، وتاليف مما تألف السحرة والكهنة، وزعموا أنهم لو شاءوا أن يأتوا بحدث مثله فعلوا، وأن يطلعوا على الغيب بما توحى إليهم الشياطين طلعوا، وكلهم يستخفى بالذي يقول ويسر، وهم يعلمون أنني أعلم غيب السموات والأرض، وأعلم ما يبدون وما يكتمون، وإنني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبته على نفسي، وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً، لا بد أنه واقع، فإن صدقوا بما ينتحرون من لم الغيب، فليخبروك متى أنفذه، أو في أي زمان يكون، وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون، فليأتوا بمثل القدرة التي بها أمضيت، فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وإن كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاءون فليؤلفوا مثل الحكمة التي أدب بها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين، فإني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوة في الأجراء، وأن أحول الملك في الرعاء، والعرش في الأذلاء، والقوة في الضعفاء، والغني في الفقراء، والثروة في الأقلاء، والمدائن في الفلووات، والأجسام في المفاوز، والبردى في الغيطان، والعلم في الجهلة، والحكم في الأميين، فسلهم متى هذا، ومن القائم بهذا، وعلى يد من أسره، ومن أعون هذه الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون فإني باعث

لذلك نبياً أمياً، ليس أعمى من عميان، ولا ضالاً من صالحين، وليس بفطّة ولا غليظ، ولا صحّاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوّال للخنا، أسدده لكل جميل، أهب له كلّ خلق كريم، أجعل السكينة لباسه، والبرّ شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والعرف خلقة والعدل والمعروف سيرته، والحقّ شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الصلاة، وأعلم به بعد الجماعة، وأرفع به بعد العيالة، وأشهر به بعد النكارة، وأكثر به بعد القلة، وأغنى به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأولف به قلوباً مختلفة، وأهواه مشتتة، وأمما متفرقة، وأجعل أمنته خيراً أمّة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، توحيداً لي، وإيماناً وإخلاصاً بي، يصلون لي قياماً وقعوداً، وركوعاً وسجوداً، يُقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوانى، ألهمهم التكبر والتوحيد، والتسبيح والحمد والمدح، والتمجيد لي في مساجدهم ومجالسهم ومصاجعهم ومتقلبهم ومثواهم، يكثرون وبهلوان، ويقدّسون على رؤوس الأسواق، ويظهرن لى الوجوه والأطراف، ويعقدون الثياب في الأنصاف، فربانهم دمائهم، وأنجي لهم صدورهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، ذلك فضلي أوتىهم من أشاء، وأنا ذو الفضل العظيم. فلما فرغ نبيهم شعيباً إليهم من مقالته، عدوا عليه فيما بلغني ليقتلوه، فهرب منهم، فلقيته شجرة، فانفلقت فدخل فيها، وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها، وقطعوا في وسطها.

قال أبو جعفر: فعلى القول الذي ذكرنا عن ابن عباس من رواية السديّ، وقول ابن زيد، كان إفساد بنى إسرائيل في الأرض المرة الأولى قتلهم زكرياً نبيّ الله، مع ما كان سلف منهم قبل ذلك وبعده، إلى أن بعث الله عليهم من أحلّ على يده بهم نقمته من معاصي الله، وعذّبهم على ربهم. وأما على قول ابن إسحاق الذي روينا عنه، فكان إفسادهم المرة الأولى ما وصف من قتلهم شعيباً بن أوصيماً نبيّ الله. وذكر ابن إسحاق أن بعض أهل العلم أخبره أن زكرياً مات موتاً ولم يُقتل، وأن المقتول إنما هو شعيباً، وأن بختنصر هو الذي سلط على بنى إسرائيل في المرة الأولى بعد قتلهم شعيباً. حدثنا بذلك ابن حميد، عن سلمة عنه.

وأما إفسادهم في الأرض المرة الآخرة، فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكرياً. وقد اختلفوا في الذي سلطه الله عليهم منتقماً به منهم عند ذلك، وأنا ذاكر اختلافهم في ذلك إن شاء الله.

وأمّا قوله: **وَلَتَعْلَمُنَّ عُلُوّاً كَبِيرًا** فقد ذكرنا قول من قال: يعني به: استكبارهم على الله بالجرأة عليه، وخلافهم أمره. وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

16660- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **وَلَتَعْلَمُنَّ عُلُوّاً كَبِيرًا** قال: ولتعلّم الناس علّواً كبيراً.

حدثنا الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وأما قوله: فإذا جاءَ وَعْدُ أَوْلَاهُمَا يَعْنِي: فِإِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَى الْمَرْتَبَتَيْنِ اللَّتِيْنَ يَفْسِدُونَ بِهِمَا فِي الْأَرْضِ كَمَا:

16661. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فإذا جاءَ وَعْدُ أَوْلَاهُمَا قَالَ: إِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَى تَيْنَكَ الْمَرْتَبَتَيْنِ اللَّتِيْنَ قُصِّيْنَا إِلَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَتُقْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنَ.

وقوله: بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُه بِقُولِه: بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ وَجْهَنَّمَ إِلَيْكُمْ، وَأَرْسَلْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلَى بَأْسٍ شَدِيدٍ يَقُولُ: ذُوِي بَطْشٍ فِي الْحَرْبِ شَدِيدٌ. وَقُولُه: فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا يَقُولُ: فَتَرَدَّدُوا بَيْنَ الدُّورِ وَالْمَسَاكِنِ، وَذَهَبُوا وَجَاءُوا. يَقُولُ فِيهِ: جَاسَ الْقَوْمُ بَيْنَ الدِّيَارِ وَجَاسُوا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَجَسَتْ أَنَا أَجْوَسْ جَوْسًا وَجَوْسَانًا. وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلَّنَا فِي ذَلِكَ،

رُوِيَ الْخَبَرُ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ:

16662. حدثني عليٌّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ قَالَ: مَشَوْا. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرَةِ يَقُولُ: مَعْنَى جَاسُوا: قُتِلُوا، وَيُسْتَشَهِدُ لِقُولِه ذَلِكَ بِبَيْتِ حَسَانٍ:

وَمِنْهَا الَّذِي لَاقَ بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ فَجَاسَ إِلَيْهِ الْأَغْدَاءَ غُرْصَنَ الْعَسَاكِيرِ وَجَائزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، فَقُتِلُوْهُمْ ذَاهِبِينَ وَجَائِينَ، فَيَصِحُّ التَّأْوِيلُ جَمِيعًا. وَيَعْنِي بِقُولِه: وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا وَكَانَ جَوْسُ الْقَوْمِ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ خِلَالَ دِيَارِهِمْ وَعَدَا مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَفْعُولًا ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُفُ الْمَيْعَادَ.

ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ بَقُولُه: أَوْلَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فِيمَا كَانَ مِنْ فَعْلِهِمْ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأَوْلَى فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ بَعَثُوا عَلَيْهِمْ، وَمِنَ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَرْتَبَةِ الْآخِرَةِ، وَمَا كَانَ مِنْ صَنْعِهِمْ بَعْدَمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأَوْلَى جَالُوتَ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

16663. حدثني محمد بن سعد، قال: حدثنا أبي، قال: ثني عمِي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عبدِ اللهِ، قوله: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَالُوتَ، فَجَاسَ خِلَالَ دِيَارِهِمْ، وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْخَرَاجَ وَالذَّلِّ، فَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ مَلِكًا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَبَعَثَ اللَّهُ طَالُوتَ، فَقَاتَلُوا جَالُوتَ، فَنَصَرَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقُتِلَ جَالُوتُ بِيَدِي داودَ، وَرَجَعَ اللَّهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مَلِكَهُمْ.

16664. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلَى بَأْسٍ شَدِيدٍ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا قَضَاءً قَضَى اللَّهُ عَلَى الْقَوْمِ كَمَا تَسْمَعُونَ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ فِي الْأَوْلَى جَالُوتَ الْجَزَرِيَّ، فُسِّيَ وَقُتِلَ، وَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ كَمَا قَالَ اللَّهُ، ثُمَّ رَجَعَ الْقَوْمُ عَلَى دَخْنِ فِيهِمْ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة، قال: أَمَّا الْمَرْتَبَةُ الْأَوْلَى فَسُلْطَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَالُوتَ، حَتَّى بَعَثَ طَالُوتَ وَمَعْهُ دَاؤِدَ، فَقُتِلَهُ دَاؤِدَ.

وقال آخرون: بل بعث عليهم في المرة الأولى سحاريب، وقد ذكرنا بعض قائلين ذلك فيما مضى ونذكر ما حضرنا ذكره ممن لم نذكره قبل.
16665. حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، عن أبي المعلى، قال: سمعت سعيد بن جبير، يقول في قوله: **بَعْثَنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ** قال: بعث الله تبارك وتعالى عليهم في المرة الأولى سحاريب من أهل أشور ونینوى فسألت سعيداً عنها، فزعم أنها الموصل.

16666. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريح، قال: ثني يعلى بن مسلم بن سعيد بن جبير، أنه سمعه يقول: كمان رجل منبني إسرائيل يقرأ، حتى إذا بلغ **بَعْثَنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ** بكى وفاضت عيناه، وطبق المصحف، فقال ذلك ما شاء الله من الزمان، ثم قال: أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بنى إسرائيل على يديه، فأري في المنام مسكنينا ببابل، يقال له بختنصر، فانطلق بمال وأعبد له، وكان رجلاً موسراً، فقيل له أين ت يريد؟ قال: أريد التجارة، حتى نزل داراً ببابل، فاستكرها لليس فيها أحد غيره، فجعل يدعو المساكين ويلطف بهم حتى لم يبق أحد، فقال: هل بقي مسكون غيركم؟ قالوا: نعم، مسكون بفتح آل فلان مريض يقال له بختنصر، فقال لغلمته: انطلقوا، حتى أتاهم، فقال: ما اسمك؟ قال: بختنصر، فقال لغلمته: احتملوه، فنقله إليه ومرضه حتى برأ، فكساه وأعطاه نفقة، ثم آذن الإسرائيلي بالرحيل، فبكى بختنصر، فقال الإسرائيلي: ما يبكيك؟ قال: أبكي أنك فعلت بي ما فعلت، ولا أجد شيئاً أجزيك، قال: بلـ شيئاً يسيرـ، إن ملكـ أطعـتـنيـ فـجـعـلـ الآـخـرـ يـتـبعـهـ وـيـقـولـ: تـسـتـهـزـءـ بـيـ؟ـ وـلـيـمـعـنـعـهـ أـنـ يـعـطـيـهـ مـاـ سـأـلـهـ، إـلـاـ أـنـهـ يـرـىـ أـنـهـ يـسـتـهـزـءـ بـهـ، فـبـكـيـ الإـسـرـائـيلـيـ وـقـالـ: وـلـقـدـ عـلـمـتـ مـاـ يـمـنـعـكـ أـنـ تـعـطـيـنـيـ مـاـ سـأـلـتـكـ، إـلـاـ أـنـ اللـهـ يـرـيدـ أـنـ يـنـفـذـ مـاـ قـدـ قـضـاهـ وـكـتـبـ فـيـ كـتـابـهـ وـضـرـبـ الـدـهـرـ مـنـ ضـرـبـهـ فـقـالـ يـوـمـاـ صـيـحـونـ، وـهـوـ مـلـكـ فـارـسـ بـبـابـلـ: لـوـ أـنـاـ بـعـثـنـاـ طـلـيـعـةـ إـلـىـ الشـامـ قـالـواـ: وـمـاـ ضـرـكـ لـوـ فـعـلـتـ؟ـ قـالـ: فـمـنـ تـرـوـنـ؟ـ قـالـواـ: فـلـانـ، فـبـعـثـ رـجـلـاًـ وـأـعـطـاهـ مـئـةـ أـلـفـ، وـخـرـجـ بـخـتـنـصـرـ فـيـ مـطـبـخـهـ، لـمـ يـخـرـجـ إـلـاـ لـيـأـكـلـ فـيـ مـطـبـخـهـ فـلـمـ قـدـمـ الشـامـ وـرـأـيـ صـاحـبـ الطـلـيـعـةـ أـكـثـرـ أـرـضـ اللـهـ فـرـسـاـ وـرـجـلـاًـ جـلـداـ، فـكـسـرـ ذـلـكـ فـيـ ذـرـعـهـ، فـلـمـ يـسـأـلـ، قـالـ: فـجـعـلـ بـخـتـنـصـرـ يـجـلسـ مـجـالـسـ أـهـلـ الشـامـ فـيـقـولـ: مـاـ يـمـنـعـكـ أـنـ تـغـزـوـ بـبـابـلـ، فـلـوـ غـزـوـتـمـوـهـ مـاـ دـوـنـ بـيـتـ مـالـهـ شـيـءـ، قـالـواـ: لـاـ تـحـسـنـ الـقـتـالـ، قـالـ: فـلـوـ أـنـكـمـ غـزـوـتـمـ، قـالـواـ: إـنـاـ لـاـ نـحـسـنـ الـقـتـالـ وـلـاـ نـقـاتـلـ حتـىـ أـنـفـذـ مـجـالـسـ أـهـلـ الشـامـ، ثـمـ رـجـعـواـ فـأـخـبـرـ الطـلـيـعـةـ مـلـكـهـ بـمـاـ رـأـيـ وـجـعـلـ بـخـتـنـصـرـ يـقـولـ لـفـوـارـسـ الـمـلـكـ: لـوـ دـعـانـيـ الـمـلـكـ لـأـخـبـرـتـهـ غـيرـ مـاـ أـخـبـرـهـ فـلـانـ فـرـفـعـ ذـلـكـ إـلـيـهـ، فـدـعـاهـ فـأـخـبـرـهـ الـخـبـرـ وـقـالـ: إـنـ فـلـانـ لـمـ رـأـيـ أـكـثـرـ أـرـضـ اللـهـ فـرـسـاـ وـرـجـلـاًـ جـلـداـ، كـبـرـ ذـلـكـ فـيـ رـوعـهـ وـلـمـ يـسـأـلـهـ عـنـ شـيـءـ، وـإـنـيـ لـمـ أـدـعـ مـجـلـسـاـ بـالـشـامـ إـلـاـ جـالـسـتـ أـهـلـهـ، فـقـلـتـ لـهـ كـذـاـ وـكـذـاـ، وـقـالـواـ لـيـ كـذـاـ وـكـذـاـ، الـذـيـ ذـكـرـ سـعـيدـ بـنـ جـبـيرـ أـنـهـ قـالـ لـهـمـ، قـالـ الطـلـيـعـةـ بـيـتـ مـالـ بـبـابـلـ مـاـ نـزـعـتـ، ضـرـبـ الـدـهـرـ مـنـ ضـرـبـهـ فـقـالـ الـمـلـكـ: لـوـ بـعـثـنـاـ جـرـيـدةـ خـيـلـ إـلـىـ الشـامـ، فـإـنـ وـجـدـواـ مـسـاغـاـ سـاغـواـ، إـلـاـ اـنـشـوـاـ مـاـ قـدـرـواـ عـلـيـهـ، قـالـواـ: مـاـ ضـرـكـ لـوـ فـعـلـتـ؟ـ قـالـ: فـمـنـ تـرـوـنـ؟ـ قـالـواـ: فـلـانـ، قـالـ: بـلـ

الرجل الذي أخبرني ما أخبرني، فدعا بختنصر وأرسله، وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار، فسبوا ما شاء الله ولم يخربيا ولم يقتلوا. ومات صيحون الملك قالوا: استخلفوا رجلاً، قالوا: على رسركم حتى تأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم، لن ينقضوا عليكم شيئاً، أمهلوا فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسيسي ومما معه، فقسمه في الناس، فقالوا: ما رأينا أحداً أحق بالملك من هذا، فملّوكوه.

16667. حديثي يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ظهر بختنصر على الشام، فخرب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتى دمشق، فوجد بها دما يغلي على كبا: أي كناسة، فسألهم ما هذا الدم؟ قالوا: أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر، قال: فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم، فسكن. وقال آخرون: يعني بذلك قوماً من أهل فارس، قالوا: ولم يكن في المرة الأولى قتال. ذكر من قال ذلك:

16668. حديثي محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فإذا جاءَ وَعْدُ أُولَئِمَّا بَعْثَنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلَى بِأَنْ شَدِيدٌ فَجَاسُوا خَلَالَ الدِّيَارِ قال: من جاءهم من فارس يتجلسون أخبارهم، ويسمعون حديثهم، معهم بختنصر، فوعى أحاديثهم من بين أصحابه، ثم رجعت فارس ولم يكن قتال، ونصرت عليهم بنو إسرائيل، فهذا وعد الأولى.

حدثني الحرج، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بعثنا علیکم عباداً لنا أولى بأس شديد جند جاءهم من فارس يتجلسون أخبارهم، ثم ذكر نحوه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد فإذا جاءَ وَعْدُ أُولَئِمَّا بَعْثَنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلَى بِأَنْ شَدِيدٌ قال: ذلك أي من جاءهم من فارس، ثم ذكر نحوه.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى {تُمْ رَدَدْتَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْتَا كُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْتَا كُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا}.
يقول تعالى ذكره: ثم أدلناكم يابني إسرائيل على هؤلاء القوم الذين

وصفهم جل شناوه أنه يبعثهم عليهم، وكانت تلك الإدالة والكرمة لهم عليهم، فيما ذكر السدي في خبره أنبني إسرائيل غزوهم، وأصابوا منهم، واستنقذوا ما في أيديهم منهم. وفي قول آخرين: إطلاق الملك الذي غزاهم ما في يديه من أسراه، ورد ما كان أصاب من أموالهم عليهم من غير قتال. وفي قول ابن عباس الذي رواه عطية عنه هي إدالة الله إياهم من عدوهم جالوت حتى قتلوا، وقد ذكرنا كل ذلك بأسانيده فيما مضى وأمدناكم بأموال وبنين يقول: وزدنا فيما أعطيناكم من الأموال والبنين. وقوله: وَجَعَلْنَا كُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا يقول: وصيরناكم أكثر عدداً نافراً منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16669. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله وَجَعَلْنَا كُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا: أي عدداً، وذلك في زمن داود.

16670. حديث موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ وجعلناكم أكثر تفيرا يقول: عددا.
16671. حديث يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ثُمَّ رَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ، بعد أن كانت الهزيمة، وانصرف الآخرون منهم وجعلناكم أكثر تفيرا قال: جعلناكم بعد هذا أكثر عددا.
16672. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور عن عمر، عن قتادة ثُمَّ رَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ثم ردت الكرة لبني إسرائيل.
16673. حديث محمد بن سنان القرّاز، قال: حدثنا أبو عاصم، عن سفيان، في قوله: وأمْدَنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ قَال: أربعة آلاف.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى {إِنَّ أَخْسَتُمْ أَخْسَتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَقَاتُهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهُكُمْ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوْلَ مَرَّةٍ وَلَيُتَبَرُّوا مَا عَلَوْا شَيْرًا} .

يقول تعالى ذكره لبني إسرائيل فيما قضى إليهم في التوراة: إن أحسنتم يا بني إسرائيل، فأطاعتم الله وأصلحتم أمركم، ولزمتم أمره ونهيه أحسنتم وفعلتم ما فعلتم من ذلك لأنفسكم لأنكم إنما تنفعون بفعلتكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءاً، وينمي لكم أموالكم، وبزيادةكم إلى قوتكم قوة. وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جنانه وإن أساءتم يقول: وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ، فإلى أنفسكم تسيئون، لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم، فيسلط عليكم في الدنيا عذابكم، ويمكّن منكم من بغاكم سوءاً، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهنئين. وقال جل شأنه وإن أساءتم فلها والمعنى: إليها كما قال **بأن ربكم أوحى لها والمعنى: أوحى إليها**.

وقوله: فإذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ يقول: فإذا جاء وعد المرة الأخيرة من مرتين إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض لِيَسُوءُوا وُجُوهُكُم يقول: ليسوا مجيء ذلك الوعد للمرة الأخيرة وجوهكم فيقبّها.

وقد اختلف القراء في قراءة قوله لِيَسُوءُوا وُجُوهُكُم فقرأ ذلك عامّة القراء أهل المدينة والبصرة لِيَسُوءُوا وُجُوهُكُم بمعنى: ليسوا العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم، واستشهد قارئوا ذلك لصحة قراءتهم كذلك بقوله وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ وقالوا: ذلك خبر عن الجميع فكذلك الواجب أن يكون قوله لِيَسُوءُوا. وقرأ ذلك عامّة قراء الكوفة: «لِيَسُوءَ وُجُوهُكُم» على التوحيد وبالباء. وقد يحمل ذلك وجهين من التأويل أحدهما ما قد ذكرت، والآخر منها: ليسوا الله وجوهكم. فمن وجّه تأويل ذلك إلى ليسوا مجيء الوعد وجوهكم، جعل جواب قوله «إذا» ممحوظاً، وقد استغنى بما ظهر عنه، وذلك المحذوف « جاء »، فيكون الكلام تأويله: إذا جاء وعد الآخرة ليسوا وجوهكم جاء. ومن وجّه تأويله إلى: ليسوا الله وجوهكم، كان أيضاً في الكلام ممحوظ، قد استغنى هنا عنه بما قد ظهر منه، غير أن ذلك المحذوف سوى « جاء »، فيكون معنى الكلام حينئذ: إذا جاء وعد الآخرة بعثاهم ليسوا الله

وجوهكم، فيكون المضرم بعثاهم، وذلك جواب «إذا» حينئذٍ. وقرأ ذلك بعض أهل العربية من الكوفيين: «لِنَسْوَةٍ وُجُوهَكُمْ» على وجه الخبر من الله تبارك وتعالى اسمه عن نفسه.

وكان مجيء وعد المرة الآخرة عند قتلهم يحيى. ذكر الرواية بذلك، والخبر عما جاءهم من عند الله حينئذٍ كما:

16674. حدثنا موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في الحديث الذي ذكرنا إسناده قبل أن رجلاً منبني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاكبني إسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل، يدعى بختنصر، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم، فأقبل فسائل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب، فلما جاء وعلى رأسه حزمة من حطاب ألقاها، ثم قعد في جانب البيت فضمه، ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فقال: اشترا لينا بها طعاماً وشراباً، فاشترى بدرهم لحاماً وبدرهم خبزاً وبدرهم خمراً، فأكلوا وشربوا حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك، ثم قال له: إنني أحبّ أن تكتب لي أماناً إن كنت ملكت يوماً من الدهر، فقال: أتسخر بي؟ فقال: إنني لا أسرّ بك، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يداً، فكلمته أمه، فقالت: وما عليك إن كان ذلك إلاً لم ينقصك شيئاً، فكتب له أماناً، فقال له: أرأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك، فاجعل لي آية تعرفني بها قال: نرفع صحيفتك على قصبة أعرفك بها، فكساه وأعطاه. ثم إن ملكبني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا، ويدني مجلسه، ويستشيره في أمره، ولا يقطع أمراً دونه، وأنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له، فسأل يحيى عن ذلك، فنهاه عن نكاحها وقال: لست أرضاه لك، فبلغ ذلك أمها فحققت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنته، فعمدت أم الجارية حين جلس الملك على شرابه، فألبستها ثياباً رقاقة حمراً، وطبيتها وألبستها من الخليّ، وقيل: إنها ألبستها فوق ذلك كساء أسود، وأرسلتها إلى الملك، وأمرتها أن تسقيه، وأن تعرض له نفسها، فإن أرادها على نفسها أبى عليه حتى يعطيها ما سأله، فإذا أعطاها ذلك سأله أن يأتي برأس يحيى بن زكريا في طست، ففعلت، فجعلت تسقيه وتعرض له نفسها فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها، فقالت: لا أفعل حتى تعطيني ما أأسألك، فقال: ما الذي تسأليني؟ قالت: أأسألك أن تبعث إلى يحيى بن زكريا، فأوى برأسه في هذا الطست، فقال: وبحك سليني غير هذا، فقالت له: ما أريد أن أسألك إلاً هذا. قال: فلما ألت علىه بعث إليه، فأتي برأسه، والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول: لا يحلّ لك ذلك فلما أصبح إذا دمه يغلي، فأمر بتراكب فألقى عليه، فرقى الدم فوق التراب يغلي، فألقى عليه التراب أيضاً، فارتفع الدم فوقه فلم ينزل يلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو يغلي ويبلغ صيحابين، فثار في الناس، وأراد أن يبعث عليهم جيشاً، وبؤمر عليهم رجالاً، فأتاهم بختنصر وكلمه وقال: إن الذي كنت أرسلته تلك المرة ضعيف، وإنني قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها، فابعثني، فبعثه، فسار بختنصر حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدانهن، فلم يطقطهم، فلما أشتدّ عليهم المقام وجاء أصحابه، أرادوا الرجوع، فخرجت إليهم عجوز من عجائزبني إسرائيل فقالت: أين أمير الجن؟ فأتاها إليها، فقالت له: إنه بلغني أنك تريدين أن

ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة، قال: نعم، قد طال مقامي، وجاء أصحابي، فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني، فقالت: أرأيتك إن فتحت لك المدينة أتعطيني ما سألك، وتقتل من أمرتك بقتله، وتكتف إذا أمرتك أن تكتف؟ قال: نعم، قالت: إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أربع، ثم أقم على كل زاوية ربعا، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء فنادوا: إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا، فإنها سوف تسقط ففعلوا، فتسقطت المدينة، ودخلوا من جوانبها، فقالت له: اقتل على هذا الدم حتى يسكن، وانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير، فقتل عليه حتى سكن سبعين ألفا وامرأة فلما سكن الدم قالت له: كف يدك، فإن الله تبارك وتعالى إذا قتلنبي لم يرض، حتى يقتل من قتله، ومن رضي قتله، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته، فكف عنه وعن أهل بيته، وخرّب بيت المقدس، وأمر به أن تطرح فيه الجيف، وقال: من طرح فيه جيفة فله جزيته تلك السنة، وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى، فلما خرّبه بختنصر ذهب معه بوجوهبني إسرائيل وأشرافهم، وذهب بدانיאל وعليا وعزاريا وميشائيل، هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء، فملك مكانه، وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه، فحسدهم المجروس على ذلك، فوشوا بهم إليه وقالوا: إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك، ولا يأكلون من ذبيحتك، فدعاهم فسالهم، فقالوا: أجل إن لنا ربنا نعبد، ولسنا نأكل من ذبيحتكم، فأمر بخذلهم، فألقوا فيه وهم ستة، وألقى معهم سبعة ضاريا ليأكلهم، فقال: انطلقوا فلنأكل ولنشرب، فذهبو فأكلوا وشربوا، ثم راحوا يوجد لهم جلوسا والسبع مفترش دراعيه بينهم، ولم يخدش منهم أحدا، ولم ينكأه شيئا، ووحدوا معهم رجلاً، فعدوهم يوجدوهم سبعة، فقالوا: ما بال هذا السابع إنما كانوا ستة؟ فخرج إليهم السابع، وكان ملكا من الملائكة، فلطمه لطمة فصار في الوحش، فكان فيهم سبع سنين، لا يراه وحشٌ إلا أتاها حتى ينكحه، يقتضي منه ما كان يصنع بالرجال ثم إنه رجع ورد الله عليه ملكه، فكانوا أكرم خلق الله عليه، ثم إن المجروس وَشَوَّا به ثانية، فألقواأسدا في بئر قد صري، فكانوا يلقون إليه الصخرة فياخذها، فألقوا إليه دانيال، فقام الأسد في جانب، وقام دانيال في جانب لا يمسه، فأخرجوه، وقد كان قبل ذلك خذل لهم خذلاً، فأوقد فيه نارا، حتى إذا أتجها قذفهم فيها، فأطfaها الله عليهم ولم ينلهم منها شيء، ثم إن بختنصر رأى بعد ذلك في منامه صنما رأسه من ذهب، وعنقه من شَبَه، وصدره من حديد، وبطنه أخلاط ذهب وفضة وقوارير، ورجلاه من فخار وبينها هو قائم ينظر، إذ جاءت صخرة من السماء من قبّل القبلة، فكسرت الصنم فجعلته هشيمًا، فاستيقظ فرعا وأنسيها، فدعى السحرة والكهنة، فسألهم، فقال: أخبروني عما رأيت فقالوا له: لا، بل أنت أخبرنا ما رأيت فنعيه لك، قال: لا أدرى، قالوا له: فهو لاء الفتية الذين تكرّهم، فادعهم فسألهم، فإنهم لم يخبروك بما رأيت فما تصنع بهم؟ قال: أقتلهم فأرسل إلى دانيال وأصحابه، فدعاهم، فقال لهم: أخبروني ماذا رأيت؟ فقال له دانيال: بل أنت أخبرنا ما رأيت فنعيه لك قال: لا أدرى قد نسيتها فقال له دانيال: كيف نعلم رؤيا لم تخبرنا بها؟ فأمر البوّاب أن يقتلهم، فقال دانيال للبوّاب: إن الملك إنما أمر بقتلنا من أجل رؤياه،

فأَخْرَنَا ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَإِنْ نَحْنُ أَخْبَرْنَا الْمَلَكَ بِرَؤْيَاهُ وَلَا فَاضْرَبْ أَعْنَاقَنَا فَأَجْلَهُمْ فَدَعُوا اللَّهَ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْثَالِثُ أَبْصَرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَؤْيَا بَخْتَنَصَرَ عَلَى حَدَّةٍ، فَأَتَوْا الْبَوَّابَ فَأَخْبَرُوهُ، فَدَخَلَ عَلَى الْمَلَكَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: أَدْخِلْهُمْ عَلَيَّ وَكَانَ بَخْتَنَصَرَ لَا يَعْرِفُ مِنْ رَؤْيَاهُ شَيْئًا، إِلَّا شَيْئًا يَذَكُرُونَهُ، فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ رَأَيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَقَصَصُوهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: صَدَقْتُمْ قَالُوا: نَحْنُ نَعْبَرُهَا لَكَ، أَمَا الصَّنْمِ الَّذِي رَأَيْتَ رَأْسَهُ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِنَّهُ مَلَكٌ حَسَنٌ مِثْلُ الْذَّهَبِ، وَكَانَ قَدْ مَلَكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا وَأَمَّا الْعَنْقُ مِنَ الشَّبَّهِ، فَهُوَ مَلَكٌ ابْنَكَ بَعْدَ، يَمْلِكُ فَيَكُونُ مَلَكَهُ حَسَنًا، وَلَا يَكُونُ مِثْلُ الْذَّهَبِ وَأَمَّا صَدْرُهُ الَّذِي مِنْ حَدِيدٍ فَهُوَ مَلَكٌ أَهْلَ فَارْسٍ، يَمْلِكُونَ بَعْدَكَ ابْنَكَ، فَيَكُونُ مَلَكَهُمْ شَدِيدًا مِثْلُ الْحَدِيدِ وَأَمَّا بَطْنُهُ الْأَخْلَاطِ، فَإِنَّهُ يَذَهِبُ مَلَكُ أَهْلَ فَارْسٍ، وَيَتَنَازَعُ النَّاسُ الْمَلَكُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ، حَتَّى يَكُونُ الْمَلَكُ يَمْلِكُ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ، وَالشَّهْرَ وَالشَّهْرَيْنِ، ثُمَّ يُقْتَلُ، فَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ قَوْمٌ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا لَمْ يَكُنْ لِلصَّنْمِ قَوْمٌ عَلَى رِجْلَيْنِ مِنْ فَخَارٍ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ، فَأَظْهَرَهُ عَلَى بَقِيَّةِ مُلَكِ أَهْلَ فَارْسٍ، وَبَقِيَّةِ مُلَكِ ابْنَكَ وَمَلَكِكَ، فَدَمَرَهُ وَأَهْلَكَهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ، كَمَا جَاءَتِ الصَّخْرَةُ فَهَدَمَتِ الصَّنْمَ فَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ بَخْتَنَصَرَ فَأَحْبَبَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ الْمَجْوَسَ وَشَوَا بَدَانِيَالَ، فَقَالُوا: إِنَّ دَانِيَالَ إِذَا شَرَبَ الْخَمْرَ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ أَنْ يَبْولَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِيهِمْ عَارًا، فَجَعَلَ لَهُمْ بَخْتَنَصَرَ طَعَامًا، فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا، وَقَالَ لِلْبَوَّابِ: انْظُرْ أَوْلَى مِنْ يَخْرُجُ عَلَيْكَ يَبْولَ، فَاضْرِبْهُ بِالْطَّبَرَزِينَ، وَكَانَ أَوْلَى مِنْ قَوْمٍ مِنَ الْقَوْمِ يَرِيدُ الْبَوْلَ بَخْتَنَصَرَ، فَقَامَ مَدَلًا، وَكَانَ ذَلِكَ لِيَلًا، يَسْحَبُ ثِيَابَهُ فَلَمَّا رَأَاهُ الْبَوَّابُ شَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَنَا بَخْتَنَصَرُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ، بَخْتَنَصَرُ أَمْرَنِي أَنْ أُقْتَلَ أَوْلَى مِنْ يَخْرُجُ، فَضَرَبَهُ فَقَتْلَهُ.

16675. حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، عن أبي المعلى، قال: سمعت سعيد بن جبير، قال: بعث الله عليهم في المرة الأولى سنجاريب. قال: فرَّ اللَّهُ لَهُمُ الْكَرْرَةُ عَلَيْهِمْ، كما قال قال: ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه، فبعث عليهم في المرة الأخيرة بختنصر، فقتل المقاتلة، وسبى الذرية، وأخذ ما وجد من الأموال، ودخلوا بيت المقدس، كما قال الله عز وجل: **وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجَدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوْلَ مَرَّةً** **وَلَيُبَشِّرُوا مَا عَلَوْا تَبَيْرَا دَخْلُوهُ فَتَبَرُّوهُ وَخَرَبُوهُ وَأَلْقَوْا فِيهِ مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ** العذرة والحيض والجيف والقدار، فقال الله عَسَى رَبِّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا فَرَحِمُهُمْ فَرَّ إِلَيْهِمْ مَلَكُهُمْ وَخَلَصَ مِنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ ذَرَّيَةِ بْنِي إِسْرَائِيلَ، وقال لهم: إن عدتم عدنا. فقال أبو المعلى، ولا أعلم ذلك، إلا من هذا الحديث، ولم يعدهم الرجعة إلى ملكهم.

16676. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرت، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجح، عن مجاهد فإذا جاء وعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْوُءُوا وُجُوهَكُمْ قال: بعث الله ملك فارس ببابل جيشا، وأمر عليهم بختنصر، فأتوابني إسرائيل، فدمروهم، فكانت هذه الآخرة ووعدهما. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن حريج، عن مجاهد، نحوه.

16677 حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جرير، قال: ثني يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، قال: لما ضرب لختنصر الملك بجرانه، قال: ثلاثة فمن استآخر منكم بعدها فلي Mish إلـ خشـبـتهـ، فـغـزـاـ الشـامـ، فـذـكـرـ حـيـنـ قـتـلـ وـأـخـرـ بـيـتـ المـقـدـسـ، وـنـزـعـ حـلـيـتهـ، فـجـعـلـهـ آـنـيـةـ لـيـشـرـبـ فـيـهـ الـخـمـورـ، وـخـوـانـاـ يـأـكـلـ عـلـيـهـ الـخـنـزـيرـ، وـحـمـلـ التـورـاهـ مـعـهـ، ثـمـ أـلـقاـهـ فـيـ النـارـ، وـقـدـمـ فـيـمـاـ قـدـمـ بـهـ مـئـةـ وـصـيفـ مـنـهـمـ دـانـيـالـ وـعـزـرـيـاـ وـحـنـانـيـاـ وـمـشـائـيلـ، فـقـالـ لـإـنـسـانـ: أـصـلـحـ لـيـ أـجـسـامـ هـؤـلـاءـ لـعـلـيـ أـخـتـارـ مـنـهـمـ أـرـبـعـةـ يـخـدـمـونـنـيـ، فـقـالـ دـانـيـالـ لـأـصـحـابـهـ: إـنـماـ نـصـرـواـ عـلـيـكـمـ بـمـاـ غـيـرـتـمـ مـنـ دـيـنـ آـبـائـكـمـ، لـاتـأـكـلـواـ لـحـمـ الـخـنـزـيرـ، وـلـاـ تـشـرـبـواـ الـخـمـرـ، فـقـالـواـ لـلـذـيـ يـصـلـحـ أـجـسـامـهـ: هـلـ لـكـ آـنـ تـطـعـمـنـاـ طـعـامـاـ، هـوـ أـهـوـنـ عـلـيـكـ فـيـ الـمـؤـونـةـ مـاـ تـطـعـمـ أـصـحـابـنـاـ، فـإـنـ لـمـ نـسـمـنـ قـبـلـهـمـ رـأـيـتـ رـأـيـكـ، قـالـ: مـاـذـاـ؟ قـالـ: خـبـزـ الشـعـيرـ وـالـكـرـاثـ، فـفـعـلـ فـسـمـنـواـ قـبـلـ أـصـحـابـهـ، فـأـخـذـهـمـ بـخـتـنـصـرـ يـخـدـمـونـهـ فـبـيـنـمـاـ هـمـ كـذـكـ، إـذـ رـأـيـ بـخـتـنـصـرـ رـؤـيـاـ، فـجـلـسـ فـنـسـيـهـاـ فـعـادـ فـرـقـدـ فـرـآـهـاـ، فـخـرـجـ إـلـىـ الـحـجـرـةـ، فـنـسـيـهـاـ فـلـمـ أـصـبـحـ دـعـاـ الـعـلـمـاءـ وـالـكـهـانـ، فـقـالـ: أـخـبـرـونـيـ بـمـاـ رـأـيـتـ الـبـارـحةـ، وـأـوـلـواـ لـيـ رـؤـيـاـيـ، إـلـاـ فـلـيـMishـ كـلـ رـجـلـ مـنـكـ إـلـىـ خـشـبـتهـ، مـوـعـدـكـمـ ثـالـثـةـ، فـقـالـواـ: هـذـاـ لـوـ أـخـبـرـنـاـ بـرـؤـيـاـهـ وـذـكـرـ كـلـامـاـ لـمـ أـحـفـظـهـ، قـالـ: وـجـعـلـ دـانـيـالـ كـلـمـاـ مـرـّـ بـهـ أـحـدـ مـنـ قـرـابـتـهـ يـقـولـ: لـوـ دـعـانـيـ الـمـلـكـ لـأـخـبـرـتـهـ بـرـؤـيـاـهـ، وـلـأـوـلـتـهـ لـهـ، قـالـ: فـجـعـلـوـاـ يـقـولـونـ: مـاـ أـحـمـقـ هـذـاـ الغـلامـ الإـسـرـائـيـلـيـ إـلـىـ أـنـ مـرـّـ بـهـ كـهـلـ، فـقـالـ لـهـ ذـكـ، فـرـجـعـ إـلـيـهـ فـأـخـبـرـهـ، فـدـعـاهـ فـقـالـ: مـاـذـاـ رـأـيـتـ؟ قـالـ: رـأـيـتـ تـمـثـالـاـ، قـالـ: إـيـهـ، قـالـ: وـرـأـسـهـ مـنـ ذـهـبـ، قـالـ: إـيـهـ، قـالـ: وـعـنـقـهـ مـنـ فـضـةـ، قـالـ: إـيـهـ، قـالـ: وـصـدـرـهـ مـنـ حـدـيدـ، قـالـ: إـيـهـ، قـالـ: وـبـطـنـهـ مـنـ صـفـرـ، قـالـ: إـيـهـ، قـالـ: وـرـجـلـاهـ مـنـ آـنـكـ، قـالـ: إـيـهـ، قـالـ: وـقـدـمـاهـ مـنـ فـخـارـ، قـالـ: هـذـاـ الـذـيـ رـأـيـتـ؟ قـالـ: إـيـهـ، قـالـ: فـجـاءـتـ حـصـاـةـ فـوـقـعـتـ فـيـ رـأـسـهـ، ثـمـ فـيـ عـنـقـهـ، ثـمـ فـيـ صـدـرـهـ، ثـمـ فـيـ رـجـلـيهـ، ثـمـ فـيـ قـدـمـيهـ، قـالـ: فـأـهـلـكـتـهـ، قـالـ: فـمـاـ هـذـاـ؟ قـالـ: أـمـاـ الـذـهـبـ فـإـنـهـ مـلـكـ، وـأـمـاـ الفـضـةـ فـمـلـكـ اـبـنـكـ مـنـ بـعـدـكـ، ثـمـ مـلـكـ اـبـنـ اـبـنـكـ، قـالـ: وـأـمـاـ الـفـخـارـ فـمـلـكـ النـسـاءـ، فـكـسـاهـ جـبـةـ تـرـثـونـ، وـسـوـرـهـ وـطـافـ بـهـ فـيـ الـقـرـيـةـ، وـأـجـازـ خـانـ مـهـ فـلـمـ رـأـتـ ذـلـكـ فـارـسـ، قـالـواـ: مـاـ الـأـمـرـ إـلـاـ أـمـرـ هـذـاـ إـسـرـائـيـلـيـ، فـقـالـواـ: أـئـتـوـهـ مـنـ نـحـوـ الـفـتـيـةـ الـثـلـاثـةـ، وـلـاـ تـذـكـرـوـاـ لـهـ دـانـيـالـ، فـإـنـهـ لـاـ يـصـدـقـكـمـ عـلـيـهـ، فـأـتـوـهـ، فـقـالـواـ: إـنـ هـؤـلـاءـ الـفـتـيـةـ الـثـلـاثـةـ لـيـسـوـاـ عـلـىـ دـيـنـكـ، وـآـيـةـ ذـلـكـ أـنـكـ إـنـ قـرـبـ إـلـيـهـ لـحـمـ الـخـنـزـيرـ وـالـخـمـرـ لـمـ يـأـكـلـواـ وـلـمـ يـشـرـبـواـ فـأـمـرـ بـحـطـبـ كـثـيرـ فـوـضـعـ، ثـمـ أـرـقـاهـمـ عـلـيـهـ، ثـمـ أـوـقـدـ فـيـ نـارـاـ، ثـمـ خـرـجـ مـنـ أـخـرـ الـلـيـلـ بـيـوـلـ، فـإـذـاـ هـمـ يـتـحـدـثـوـنـ، وـإـذـاـ مـعـهـمـ رـابـعـ يـرـوحـ عـلـيـهـمـ يـصـلـيـ، قـالـ: مـنـ هـذـاـ يـاـ دـانـيـالـ؟ قـالـ: هـذـاـ جـبـرـيلـ، إـنـكـ طـلـمـتـهـمـ، قـالـ: ظـلـمـتـهـمـ مـرـّـ بـهـمـ يـنـزـلـوـاـ فـأـمـرـ بـهـمـ فـنـزـلـوـاـ، قـالـ: وـمـسـخـ اللـهـ تـعـالـىـ بـخـتـنـصـرـ مـنـ الدـوـاـبـ كـلـهاـ، فـجـعـلـ مـنـ كـلـ صـنـفـ مـنـ الدـوـاـبـ رـأـسـهـ سـعـيـعـ مـنـ السـبـاعـ الـأـسـدـ، وـمـنـ الـطـيـرـ النـسـرـ، وـمـلـكـ اـبـنـهـ فـرـأـيـ كـفـاـ خـرـجـتـ بـيـنـ لـوـحـيـنـ، ثـمـ كـتـبـتـ سـطـرـيـنـ، فـدـعـاهـ الـكـهـانـ، وـالـعـلـمـاءـ فـلـمـ يـجـدـواـ لـهـ فـيـ ذـلـكـ عـلـمـاـ، فـقـالـتـ لـهـ أـمـهـ: إـنـكـ لـوـ أـعـدـتـ إـلـىـ دـانـيـالـ مـنـزـلـتـهـ الـتـيـ كـانـتـ لـهـ مـنـ أـبـيـكـ أـخـبـرـكـ، وـكـانـ قـدـ جـفـاـهـ، فـدـعـاهـ، فـقـالـ: إـنـيـ مـعـيـدـ إـلـيـكـ مـنـزـلـتـكـ مـنـ أـبـيـيـ، فـأـخـبـرـنـيـ مـاـ هـذـاـ السـطـرـانـ؟ قـالـ: أـمـاـ أـنـ تـعـيـدـ إـلـيـيـ مـنـزـلـتـيـ مـنـ أـبـيـكـ، فـلـاـ حـاجـةـ لـيـ بـهـاـ، وـأـمـاـ هـذـاـ السـطـرـانـ

فإنك تقتل الليلة، فأخرج من في القصر أجمعين، وأمر بقفله، فأوقفلت الأبواب عليه، وأدخل معه آمنَ أهل القرية في نفسه معه سيف، فقال: من جاءك من خلق الله فاقتله، وإن قال أنا فلان وبعث الله عليه البطن، فجعل يمشي حتى كان شطر الليل، فرقد ورقد صاحبه ثم نبهه البطن، فذهب يمشي والآخر نائم، فرجع فاستيقظ به، فقال له: أنا فلان، فضربه بالسيف فقتله.

16678. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيمه قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إِنْ أَخْسَتُمْ أَخْسَتُمْ لَأَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا إِنَّا جَاءَ وَعَدُّ الْآخِرَةِ أَخْرَ العقوتين لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجَدَ كَمَا دَخَلُوا أُولَى مَرَّةٍ كَمَا دخله عَدُوُّهُمْ قبْلَ ذَلِكَ وَلَيُبَيِّنُوا مَا عَلَوْا شَيْرًا فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر المجوسي البابلي، أبغض خلق الله إليه، فسباً وقتل وخرب بيت المقدس، وسامهم سوء العذاب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: إِنَّا جَاءَ وَعَدُّ الْآخِرَةِ مِنَ الْمُرْتَيْنِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ قال: ليقيحوا وجهكم ولبيترو ما علوا شيرًا قال: يدمروا ما علوا تدميرا، قال: هو بختنصر، بعثه الله عليهم في المرة الآخرة.

16679. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرة الآخرة بختنصر، فخرّب المساجد وتبرّ ما علوا تبيرا.

16680. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال: فيما بلغني، استخلف الله علىبني إسرائيل بعد ذلك، يعني بعد قتلهم شعيباء رجلاً منهم يقال له: ناشة بن آموس، فبعث الله الخضر نبياً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قد بلغني يقول: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِرًا، لَأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةِ بَيْضَاءَ، فَقَامَ عَنْهَا وَهِيَ تَهَنَّئُ خَصْرَاءَ» قال: واسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عنبني إسرائيل: أرميا بن حلفيا، وكان من سبط هارون بن عمران.

16681. حدثني محمد بن سهل بن عسکر، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه، قالا: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريمة، قال: حدثنا عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه. وحدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق عمن لا يفهم، عن وهب بن منبه اليماني، واللطف لحديث ابن حميد أنه كان يقول: قال الله تبارك وتعالى لإرميا حين بعثه نبياً إلىبني إسرائيل: يا إرميا من قبل أن أخلقك اخترتكم، ومن قبل أن أصوّرك في بطن أمك قدستك، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك، ومن قبل أن تبلغ السعي نباتكم، ومن قبل أن تبلغ الأشدّ اخترتكم، ولأمر عظيم اختياركم فبعث الله إرميا إلى ذلك الملك من بنين إسرائيل يسدده ويرشده، وبأطيته بالخبر من الله فيما بينه وبين الله قال: ثم عظمت الأحداث فيبني إسرائيل، وركبوا المعاصي، واستحلوا المحارم، وتسوا ما كان الله تعالى صنع بهم، وما نجاهم من عدوهم سلحاري وجنوده. فأوحى الله تعالى إلى إرميا: أن أئت قومك من بنين إسرائيل، واقصص عليهم ما أمرك به، وذكرهم نعمتي عليهم، وعير لهم أحداشهم، فقال إرميا: إنني ضعيف إن لم تقوني، وعاجز إن لم تبلغني، ومخطيء إن لم تسددني، ومخذول إن لم تنصرني، وذليل إن لم تعزني. قال: الله تبارك وتعالى:

أَوْ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرُ كُلُّهَا تَصْدُرُ عَنِّي مُشَيْئِتِي، وَأَنَّ الْقُلُوبَ كُلُّهَا وَالْأَلْسُنَةَ
بِيَدِي، أَقْلِبُهَا كَيْفَ شَئْتَ، فَتَطْبِعُنِي، وَإِنِّي أَنَا اللَّهُ الَّذِي لَا شَيْءٌ مُثْلِي،
قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِنَّ بِكَلْمَتِي، وَأَنَا كَلَمَتُ الْبَحَارِ، فَفَهِمْتَ
قُولِي، وَأَمْرُهَا فَعَقَلْتُ أَمْرِي، وَحَدَّدْتُ عَلَيْهَا بِالْبَطْحَاءِ فَلَا تَعْدِي حَدًّي،
تَأْتِي بِأَمْوَاجِ كَالْجَبَالِ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ حَدًّي أَلْبِسْتُهَا مَذْلَةً طَاعْتِي خَوْفًا
وَاعْتَرَافًا لِأَمْرِي إِنِّي مَعُكَ، وَلَنْ يَصْلُ إِلَيْكَ شَيْءٌ مَعِيِّ، وَإِنْ بَعْثَتْكَ إِلَى
خَلْقٍ عَظِيمٍ مِنْ خَلْقِي، لِتَبْلُغُهُمْ رِسَالَاتِي، وَلِتَسْتَحِقَّ بِذَلِكَ مُثْلُ أَجْرٍ مِنْ
تَبْعَكَ مِنْهُمْ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئًا، وَإِنْ تَقْصِرَ عَنْهَا فَلَكَ مُثْلُ وَزْرٍ مِنْ
تَرْكِبِ فِي عَمَاهِ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا انْطَلَقَ إِلَى قَوْمَكَ فَقُلْ: إِنَّ
اللَّهَ ذَكْرُكُ لَكُمْ صَلَاحٌ أَبَائِكُمْ، فَحَمْلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَسْتَبِّبَكُمْ يَا مُعْشِرَ الْأَبْنَاءِ،
وَسَلَّهُمْ كَيْفَ وَجَدَ أَبَاؤُهُمْ مَغْبَبَةً طَاعْتِي، وَكَيْفَ وَجَدُوا هُمْ مَغْبَبَةً مَعْصِيتِي،
وَهُلْ عَلِمُوا أَنَّ أَحَدًا قَبْلَهُمْ أَطَاعَنِي فَشَقَقَ بِطَاعَتِي، أَوْ عَصَانِي فَسَعَدَ
بِمَعْصِيتِي، فَإِنَّ الدَّوَابَّ مَا تَذَكَّرُ أَوْطَانَهَا الصَّالِحةُ، فَتَنَتَّابُهَا، وَإِنْ هُؤُلَاءِ
الْقَوْمُ قَدْ رَتَعُوا فِي مَرْوِجِ الْهَلَكَةِ، أَمَّا أَحْبَارُهُمْ وَرَهْبَانُهُمْ فَاتَّخَذُوا عِبَادِي
خَوْلًا لِيَعْبُدُهُمْ دُونِي وَتَحْكُمُوا فِيهِمْ بِغَيْرِ كَتَابِي حَتَّى أَجْهَلُوهُمْ أَمْرِي،
وَأَنْسُوهُمْ ذَكْرِي، وَغَرَوْهُمْ مِنِّي، أَمَّا أَمْرَأُهُمْ وَقَادَاتُهُمْ فَبَطَرُوا نَعْمَتِي،
وَأَمْنَوْا مَكْرِي، وَنَبَذُوا كَتَابِي، وَنَسَوْا عَهْدِي، وَغَيْرُوا سَنْتِي، فَإِنَّهُمْ لَهُمْ
عِبَادِي بِالطَّاعَةِ الَّتِي لَا تَنْبَغِي إِلَيْيِ، فَهُمْ يَطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيتِي،
وَيَتَابُونَهُمْ عَلَى الْبَدْعِ الَّتِي يَتَعَدَّوْنَ فِي دِينِي جَرَاءَةً عَلَيْهِ وَغَرْرَةً وَفَرْيَةً
عَلَيْهِ وَعَلَى رَسْلِي، فَسَبَحَانَ جَلَالِي وَعَلَوْ مَكَانِي، وَعَظِيمُ شَأْنِي، فَهَلْ
يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيتِي، وَهَلْ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْلُقَ عِبَادَةَ أَجْعَلُهُمْ
أَرْبَابًا مِنْ دُونِي، وَأَمَّا قَرَاؤُهُمْ وَفَقَهَاؤُهُمْ فَيَتَعَبِّدوْنَ فِي الْمَسَاجِدِ،
وَيَتَرَبَّنُونَ بِعُمَارَتِهَا لِغَيْرِي، لِتَلْبِيَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، وَيَتَفَقَّهُونَ فِيهَا لِغَيْرِ الْعِلْمِ،
وَيَتَعَلَّمُونَ فِيهَا لِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَأَمَّا أَوْلَادُ الْأَبْنَاءِ، فَمَكْثُورُونَ مَقْهُورُونَ
مَغِيرُونَ، يَخُوضُونَ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَيَتَمَّنُونَ عَلَيْهِ مُثْلُ نُصْرَةِ أَبَائِهِمْ
وَالْكَرَامَةِ الَّتِي أَكْرَمْتُهُمْ بِهَا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ لَا أَحَدَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُمْ مِنِّي بِغَيْرِ
صَدْقٍ وَلَا تَفْكِرَ وَلَا تَدْبِرَ، وَلَا يَذْكُرُونَ كَيْفَ كَانَ صَبْرُ أَبَائِهِمْ لِي، وَكَيْفَ كَانَ
جِدْهُمْ فِي أَمْرِي حِينَ غَيْرُ الْمُغَيْرِهِنَّ، وَكَيْفَ يَذْلِلُوا أَنْفُسَهُمْ وَدَمَائِهِمْ،
فَصَبَرُوا وَصَدَقُوا حَتَّى عَزَّ أَمْرِي، وَظَهَرَ دِينِي، فَتَأَتَّتْ بِهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لِعِلْمِهِمْ
يَسْتَجِيُونَ، فَأَطْلَوْلَتْ لَهُمْ، وَصَفَحَتْ عَنْهُمْ، لِعِلْمِهِمْ يَرْجِعُونَ، فَأَكْثَرُتْ وَمَدَدَتْ
لَهُمْ فِي الْعُمَرِ لِعِلْمِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ، فَأَعْذَرْتُ فِي كُلِّ ذَلِكَ، أَمْطَرْتُ عَلَيْهِمْ
السَّمَاءَ، وَأَنْبَتُ لَهُمُ الْأَرْضَ، وَأَلْبَسْتُهُمُ الْعَافِيَةَ وَأَظْهَرْتُهُمْ عَلَى الْعَدُوِّ فَلَا
يَزْدَادُونَ إِلَّا طَغَيَا وَيُبَعِّدا مِنِّي، فَحَتَّى مَتَى هَذَا؟ أَبِي يَتَمَرَّسُونَ أَمْ إِيَّاِي
يَخَادِعُونَ؟ وَإِنِّي أَحْلَفُ بِعَزْتِي لِأَقْيَضَنَّ لَهُمْ فَتْنَةً يَتَحِيرُ فِيهَا الْحَلِيمُ،
وَيَضَلُّ فِيهَا رَأْيَ ذِي الرَّأْيِ، وَحِكْمَةَ الْحَكِيمِ، ثُمَّ لِأَسْلَطْنَّ عَلَيْهِمْ جَبَارَا
قَاسِيَا عَاتِيَا، أَلْبِسَهُ الْهَبَبَةَ، وَأَنْتَزَعَ مِنْ صَدْرِهِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْبَيَانَ، يَتَبعُهُ
عَدُدٌ وَسَوَادٌ مِثْلُ سَوَادِ الْلَّيلِ الْمَظْلَمِ، لَهُ عَسَاكِرٌ مِثْلُ قَطْعِ السَّحَابِ،
وَمَرَاكِبٌ أَمْثَالُ الْعَجَاجِ، كَأَنْ خَفِيقَ رَايَاتِهِ طِيرَانَ النَّسُورِ، وَأَنْ حَمْلَةُ فُرْسَانِهِ
كَوْبِرِ الْعَقَبَانِ، ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِرْمِيَا: إِنِّي مَهْلَكٌ بْنِي إِسْرَائِيلَ بِيَافِثَ،
وَيَافِثَ أَهْلَ بَابِلَ، وَهُمْ مِنْ وَلَدِيَافِثَ بْنِ نُوحٍ، ثُمَّ لَمَّا سَمِعَ إِرْمِيَا وَحْيَ رَبِّهِ
صَاحَ وَبَكَ وَشَقَّ ثِيَابَهُ، وَنَبَذَ الرَّمَادَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ: مَلَعُونٌ يَوْمٌ وَلِدَتْ
فِيهِ، وَبِيَوْمٍ لَقِيَتِ التُّورَةَ، وَمِنْ شَرِّ أَيَامِي يَوْمٌ وَلَدَتْ فِيهِ، فَمَا أَبْقَيْتَ أَخْرَى

الأنبياء إلا لما هو أشرّ علىٰ لو أراد بي خيراً ما جعلني آخر الأنبياء من بني إسرائيل، فمن أجلِي تصيبهم الشقاوة والهلاك فلما سمع الله تصرّع الخضر وبكاءه، وكيف يقول، ناداه: يا إرميا أشّق ذلك عليك فيما أوحيت لك؟ قال: نعم يا ربّ أهلكتني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أسرّ به فقال الله: وعزّتي العزيزة لا أهلك بيت المقدس وبني إسرائيل حتى يكون الأمر من قبلك في ذلك ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربّه، وطابت نفسه، وقال: لا، والذي بعث موسى وأنبياء بالحقّ لا أمر ربّي بهلاك بني إسرائيل أبداً ثم أتى ملك بني إسرائيل فأخبره ما أوحى الله إليه فاستبشر وفرح وقال: إن يعذّبنا ربنا فيذنوب كثيرة قدّمناها لأنفسنا، وإن عفا عنا فبقدرته. ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلات سنين لم يزدادوا إلا معصية وتمادي في الشرّ، وذلك حين اقترب هلاكهم فقلَّ الموسي حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة، وأمسك عنهم حين ألهمهم الدنيا و شأنها، فقال لهم ملكهم: يا بني إسرائيل، انتهوا مما أنتم عليه قبل أن يمسكم بأُس الله، وقبل أن يبعث عليكم قوم لا رحمة لهم بكم، وإن ربكم قريب التوبة، مبسوط اليدين بالخير، رحيم بمن تاب إليه. فأبوا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه وإن الله قد ألقى في قلب بختنصر بن نجور زادان بن ستحاريب بن دارياس بن نمرود بن فالخ بن عابر بن نمرود صاحب إبراهيم الذي حاجه في ربّه، أن يسير إلى بيت المقدس، ثم يفعل فيه ما كان جده ستحاريب أراد أن يفعل، فخرج في ستّ مئة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائراً أتى ملك بني إسرائيل الخبر أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم، فأرسل الملك إلى إرميا، فجاءه فقال: يا إرميا أين ما زعمت لنا أن ربك أوحى إليك أن لا يهلك أهل بيت المقدس، حتى يكون منك الأمر في ذلك؟ فقال إرميا للملك: إن ربّي لا يخلف الميعاد، وأنا به وائق. فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم وعزم الله على هلاكهم، بعث الله ملكاً من عنده، فقال له: اذهب إلى إرميا فاستفتيه، وأمره بالذي يستفتني فيه فأقبل الملك إلى إرميا، وكان قد تمّلّ له رجلاً من بني إسرائيل، فقال له إرميا: من أنت؟ قال: رجل من بني إسرائيل استفتوك في أهل رجمي، وصلت أرحامهم بما أمرني الله به، لم آت إليهم إلا حسناً، ولم أهُم كراماً، فلا تزيدتهم كراماتي إياهم إلا إسخطاً لي، فأفتنني فيهم يانبي الله فقال له: أحسن فيما بينك وبين الله، وصل ما أمرك الله أن تصل، وأبشر بخير وانصرف عنه. فمكث أياماً، ثم أقبل إليه في صورة ذلك الذي جاءه، فقعد بين يديه، فقال له إرميا: من أنت؟ قال: أنا الرجل الذي أتيتك استفتوك في شأن أهلي، فقال لهنبي الله: أَوْ ما ظهرت لك أخلاقهم بعد، ولم تر منهم الذي تحبّ؟ فقال: يانبي الله، والذي بعثك بالحقّ ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس لأهل رحمه إلا قد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك، فقال النبي: ارجع إلى أهلك فاحسن إليهم، أسأّ الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذاتكم، وأن يجعلكم على مرضاته، ويجنبكم سخطه فقال الملك من عنده، فلبث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس، ومعه خلائق من قومه كأمثال الجراد، ففرز منهم بنو إسرائيل فرعاً شديداً، وشق ذلك على ملك بني إسرائيل، فدعا إرميا، فقال: يانبي الله أين ما وعدك الله؟

فقال: إني بربِي واثق. ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده، فقعد بين يديه فقال له إرميا: من أنت؟ قال: أنا الذي كنت أتريك في شأن أهلي مرتين، فقال له النبيّ: أَوْ لَمْ يَأْنِ لَهُمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا مِنَ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ؟ فقال له الملك: يا نبِيُّ اللَّهِ، كُلُّ شَيْءٍ كَانَ يَصِيبُنِي مِنْهُمْ قَبْلَ الْيَوْمِ كُنْتُ أَصْبَرُ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُ أَنْ مَأْرِبَهُمْ فِي ذَلِكَ سُخْطَيِّ فَلِمَا أَتَيْتُهُمُ الْيَوْمَ رَأَيْتُهُمْ فِي عَمَلٍ لَا يَرْضِي اللَّهَ وَلَا يَحْبِبُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. فقال له النبيُّ اللَّهُ عَلَى أَيِّ عَمَلٍ رَأَيْتُهُمْ؟ قال: يا نبِيُّ اللَّهِ رَأَيْتُهُمْ عَلَى عَمَلٍ عَظِيمٍ مِنْ سُخْطَةِ اللَّهِ، فَلَوْ كَانُوا عَلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ الْيَوْمِ لَمْ يَشْتَدُّ عَلَيْهِمْ غَصْبِيُّ، وَصَبَرْتُ لَهُمْ وَرْجُوتُهُمْ، وَلَكِنْ غَضِبْتُ الْيَوْمَ لِلَّهِ وَلِكَ، فَأَتَيْتُكَ لِأَخْبُرُكَ خَبْرَهُمْ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ الَّذِي بَعْثَكَ بِالْحَقِّ إِلَّا مَا دَعَوْتُ عَلَيْهِمْ رِبِّكَ أَنْ يَهْلِكُهُمْ فَقَالَ إِرمِيا: يَا مَالِكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِنْ كَانُوا عَلَى حَقٍّ وَصَوَابٍ فَأَبْقِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى سُخْطَكَ وَعَمَلٍ لَا تَرْضَاهُ فَأَهْلِكُهُمْ. فَمَا خَرَجَتِ الْكَلْمَةُ مِنْ فِي إِرمِيا حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ صَاعِدَةً مِنَ السَّمَاءِ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، فَالْتَّهَبَ مَكَانُ الْقَرْبَانِ، وَخَسَفَ بِسَبْعَةِ أَبْوَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ إِرمِيا صَاحَ وَشَقَّ ثِيَابَهُ، وَنَبَذَ الرَّمَادَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ: يَا مَلِكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِيَدِكَ مُلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أَيْنَ مِيعَادُكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي؟ فَنَوَدَى إِرمِيا: إِنَّهُمْ لَمْ يَصِبُهُمُ الَّذِي أَصَابَهُمْ إِلَّا بِفَتْيَاكَ الَّتِي أَفْتَيْتُ بِهَا رَسُولَنَا فَاسْتَيْقَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا فَتِيَاهُ الَّتِي أَفْتَى بِهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّهِ. ثُمَّ إِنَّ إِرمِيا طَارَ حَتَّى خَالَطَ الْوَحْشَ، وَدَخَلَ بِخَتْنَاصَرِ وَجَنُودِهِ بَيْتَ المَقْدِسِ، فَوَطَّئَ الشَّامَ، وَقُتِلَ بْنَيُ إِسْرَائِيلَ حَتَّى أَفْنَاهُمْ، وَخَرَّبَ بَيْتَ المَقْدِسِ، أَمْرَ جَنُودِهِ أَنْ يَمْلأَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ تَرْسَهُ تَرَابًا ثُمَّ يَقْذِفُهُ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، فَقَذَفُوا فِيهِ التَّرَابَ حَتَّى مَلَأُوهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى أَرْضِ بَابِلِ، وَاحْتَمَلَ مَعَهُ سَبِّا يَا بْنَيُ إِسْرَائِيلَ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَجْمِعُوا مِنْ كَانَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ كُلَّهُمْ، فَاجْتَمَعَ عَنْهُ كُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِنْ بْنَيِ إِسْرَائِيلَ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ أَلْفَ صَبِّيًّا فَلَمَّا خَرَجَتِ غَنَائِمُ جَنُودِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يَقْسِمَهَا فِيهِمْ، قَالَتْ لِهِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ لَكَ غَنَائِمُنَا كُلُّهَا، وَاقْسِمْ بَيْنَنَا هُؤُلَاءِ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ مِنْ بْنَيِ إِسْرَائِيلَ، فَفَعَلَ، وَأَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ أَغْلَمَة، وَكَانَ مِنْ أُولَئِكَ الْغَلِمَانُ دَانِيَالُ وَحَنَانِيَا وَعَزَارِيَا وَمِيشَائِيلُ وَسَبْعَةَ آلَافَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ دَاؤِدَ، وَأَحَدَ عَشْرَ آلَافًا مِنْ سَبْطِ يُوسُفَ بْنَ يَعقوبَ، وَأَخِيهِ بَنِيَامِينَ، وَثَمَانِيَةَ آلَافَ مِنْ سَبْطِ أَشْرَبَنَ يَعقوبَ، وَأَرْبَعَةَ آلَافَ عَشْرَ آلَافًا مِنْ سَبْطِ زَيَالُونَ بْنَ يَعقوبَ وَنَفَّاثَلِي بْنَ يَعقوبَ، وَأَرْبَعَةَ آلَافَ مِنْ سَبْطِ يَهُوذَا بْنَ يَعقوبَ، وَأَرْبَعَةَ آلَافَ مِنْ سَبْطِ رُوبِيلَ وَلَاوِي ابْنِي يَعقوبَ. وَمَنْ بَقِيَ مِنْ بْنَيِ إِسْرَائِيلَ، وَجَعَلُوهُمْ بِخَتْنَاصَرِ ثَلَاثَ فَرَقٍ، فَتَلَّا أَقْرَبُهُ بِالشَّامِ، وَثَلَّا قُتْلَ، وَذَهَبَ بَانِيَةُ بَيْتِ المَقْدِسِ حَتَّى أَقْدَمَهَا بَابِلَ، وَذَهَبَ بِالصَّبِيَّانِ السَّبْعينِ الْأَلْفِ حَتَّى أَقْدَمَهُمْ بَابِلَ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ الْأُولَى الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ بَنِيِ إِسْرَائِيلَ بِاَحَدَاثِهِمْ وَظَلَمَهُمْ. فَلَمَّا وَلِيَ بِخَتْنَاصَرِ عَنْهُمْ رَاجَعًا إِلَى بَابِلِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ سَبِّا يَا بَنِيِ إِسْرَائِيلَ، أَقْبَلَ أَرْمِيا عَلَى حَمَارٍ لَهُ مَعَهُ عَصِيرٌ ثُمَّ ذَكَرَ قَصْتَهُ حِينَ أَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةً عَامًا، ثُمَّ بَعْثَهُ، ثُمَّ خَبَرَ رَؤَيَا بِخَتْنَاصَرِ وَأَمْرِ دَانِيَالَ، وَهَلَاكَ بِخَتْنَاصَرِ، وَرَجَوْعٌ مِنْ بَقِيَ مِنْ بْنَيِ

إسرائيل في أيدي أصحاب بختنصر بعد هلاكه إلى الشام، وعمارة بيت المقدس، وأمرَ عُزيرَ وكيف رَدَ الله عليه التوراة.

16682. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، قال: ثم عمدت بنو إسرائيل بعد ذلك يُخذلُون الأحداث، يعني بعد مهلك عُزير، وبعود الله عليهم، ويبعث فيهم الرسل، ففريقا يُكذبون، وفريقا يقتلون، حتى كان آخر من بعث الله فيهم من الأنبياء زكريا ويعيسي بن زكريا ويعيسي ابن مرريم، وكانوا من بيت آل داود.

16683. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عمر بن عبد الله بن عروة، عن عبد الله بن الزبير أنه قال، وهو يحدّث عن قتل يحيى بن زكريا قال: ما قُتل يحيى بن زكريا إلا بسبب امرأة بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل كان فيهم ملك، وكان يحيى بن زكريا تحت يدي ذلك الملك، فهمّت ابنة ذلك الملك بأبيها، فقالت: لو أني تزوجت بأبي فاجتمع لي سلطانه دون النساء، فقالت له: يا أبا تزوجني ودعْته إلى نفسها، فقال لها: يا بنتي إن يحيى بن زكريا لا يحل لنا هذا، فقالت: من لي بيحى بن زكريا؟ ضيق عليٌّ، وحال بيئي وبين أن أتزوج بأبي، فأغلى ب على ملكه ودنياه دون النساء قال: فأمرت اللعابين ومحلت بذلك لأجل قتل يحيى بن زكريا، فقالت: ادخلوا عليه فالعبوا، حتى إذا فرغتم فإنه سيحكمكم، فقولوا: دم يحيى بن زكريا، ولا تقبلوا غيره. وكان اسم الملك رواد، واسم ابنته البغيٍّ، وكان الملك فيهم إذا حدث فكذب، أو وعد فأخلف، خلع فاستبدل به غيره فلما أعلبوه وكثر عجبه منهم، قال: سلوني أعطكم، فقالوا له: نسألك دم يحيى بن زكريا أعطنا إيه قال: ويحكم سلوني غير هذا فقالوا: لا نسألك شيئاً غيره. فخاف على ملكه إن هو أخلفهم أن يستحلّ بذلك خلعاً، فبعث إلى يحيى بن زكريا وهو جالس في محرابه يصلي، فذبحوه في طست ثم حزروا رأسه، فاحتمله رجل في يده والدم يحمل في الطست معه. قال: فطلع برأسه يحمله حتى وقف به على الملك، ورأسه يقول في يدي الذي يحمله لا يحلّ لك ذلك فقال رجل من بني إسرائيل: أيها الملك لو أتيك وهبت لي هذا الدم؟ فقال: وما تصنع به؟ قال: أظهر منه الأرض، فإنه كان قد ضيقها علينا، فقال: أعطوه هذا الدم، فأخذه فجعله في قلة، ثم عمد به إلى بيت في المذبح، فوضع القلة فيه، ثم أغلق عليه، ففار في الفُلة حتى خرج منها من تحت الباب من البيت الذي هو فيه فلما رأى الرجل ذلك، فَطَعَ به، فأخرجه فجعله في فلقة من الأرض، فجعل يفور وعظمت فيهم الأحداث. ومنهم من يقول: أقرّ مكانه في القربان ولم يحوّل.

16684. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق: فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا (وبعض الناس يقول: وقتلوا زكريا)، أبتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوس، فسار إليه بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رؤوس جنده يدعى نبور زادان صاحب القتل، فقال له: إني قد كنت حلفت باليه لئن أظهرنا على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دمائهم في وسط عسكري، إلا أن لا أحد أهداً أقتلته فأمر أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم نبور زادان، فدخل بيت المقدس، فقال في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم، فوجد فيها دماً يغلق، فسألهم

فقال: يا بني إسرائيل، ما شأن هذا الدم الذي يغلبي، أخبروني خبره ولا تكتموني شيئاً من أمره؟ فقالوا: هذا دم قربان كان لنا كنا قربناه فلم يُتقبل منا، فلذلك هو يغلبي كما تراه وقد قربناه منذ ثمان مئة سنة القربان فتقيل منا إلا هذا القربان قال: ما صدقتونني الخبر قالوا له: لو كان بأول زماننا لقبل منا، ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوة والوحى، فلذلك لم يُتقبل منا فذبح منهم نبور زادان على ذلك الدم سبع مئة وسبعين رجلاً من رؤوسهم، فلم يهدأ فأمر بسبعين ألفاً من شيعتهم وأزواجهم، فذبحهم على الدم فلم يبرد ولم يهدأ فلما رأى نبور زادان أن الدم لا يهدأ قال لهم: ويلكم يا بني إسرائيل، أصدقوني وأصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا تترك منكم نافخ نار، لا أنشى ولا ذكرا إلا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوا الخبر، فقالوا له: إن هذا دمنبيٍّ منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله، فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا، وكان يخبرنا بأمركم، فلم نصدقه، فقتلناه، فهذا دمه فقال لهم نبور زادان: ما كان اسمه؟ قالوا: يحيى بن زكريا، فقال: الآن صدقتونني بمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما رأى نبور زادان أنهم صدقواه ساجداً وقال لمن حوله: غلقوا الأبواب، أبواب المدينة، وأخرجوها من كان هنالك من جيش خردوس. وخلافي ببني إسرائيل ثم قال: يا يحيى بن زكريا، قد علمت ربيك ما قد أصاب قومك من أجلك، وما قُتل منهم من أجلك، فاهداً بإذن الله قبل أن لا أبقي من قومك أحداً فهذا دم يحيى بن زكريا بإذن الله، ورفع نبور زادان عنهم القتل وقال: آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل، وصدقت وأيقنت أنه لا رب غيره، ولو كان معه آخر لم يصلح، ولو كان له شريك لم تستمسك السموات والأرض، ولو كان له ولد لم يصلح، فتبارك وتقديس، وتسبح وتكبر وتعظم، ملك الملوك الذي له ملك السموات السبع والأرض وما فيهن، وما بينهما، وهو على كل شيء قادر، فله الحلم والعلم والعزّة والجلال، وهو الذي يسط الأرض وألقى فيها رواسى لثلا تزول، فكذلك ينبغي لربى أن يكون ويكون ملكه. فأوحى الله إلى رأس من رؤوس بقية الأنبياء أن نبور زادان حبور صدوق والجبور بالعبرانية: حديث الإيمان. وإن نبور زادان قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل، إن عدو الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دمائكم وسط عسكره، وإنني لست أستطيع أن أعصيه. قالوا له: افعل ما أمرت به. فأمرهم فحفروا خندقاً وأمر بأموالهم من الخيول والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل، فذبحها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين كانوا قبل ذلك، فطرحوها على ما قُتل من مواشيهم حتى كانوا فوقهم، فلم يظن خردوس إلا أن ما كان في الخندق من بني إسرائيل. فلما بلغ الدم عسكره، أرسل إلى نبور زادان أن ارفع عنهم، فقد بلغتني دمائهم، وقد انتقمت منهم بما فعلوا. ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد، وهي الواقعة الآخرة التي أنزل الله ببني إسرائيل. يقول الله عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتَقْسِيدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ عُلُوًا كَيْرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلَى بَأْسَ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خَلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ

وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا
فَإِذَا جَاءَ وَغْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلَيَدُخُلُوا الْمَسْجَدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ
مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُّوا مَا عَلَوْا تَسْبِيرًا عَسَى رَبِّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا وَجَعَلَنَا
جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا وَعَسَى مِنَ اللَّهِ حَقٌّ، فَكَانَتِ الْوَقْعَةُ الْأُولَى: بَخْتَنَصَرَ
وَجَنُودُهُ، ثُمَّ رَدَ اللَّهُ لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ الْآخِرَةُ خَرْدُوسَ
وَجَنُودُهُ، وَهِيَ كَانَتْ أَعْظَمُ الْوَقْعَتَيْنِ، فِيهَا كَانَ خَرَابُ بَلَادِهِمْ، وَقُتُلَ
رَجَالُهُمْ، وَسُبِّيَ ذَرَارِيهِمْ وَنَسَائِهِمْ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَلِيُتَبَرُّوا مَا
عَلَوْا تَسْبِيرًا ثُمَّ عَادَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَأَكْثَرُ عَدُدِهِمْ، وَنَشَرُهُمْ فِي بَلَادِهِمْ، ثُمَّ بَدَّلُوا
وَأَحَدَثُوا الْأَحْدَاثَ، وَاسْتَبَدُلُوا بِكَتَابِهِمْ غَيْرَهُ، وَرَكِبُوا الْمُعَاصِي، وَاسْتَحْلَلُوا
الْمُحَارِمَ وَضَيَّعُوا الْحَدُودَ.

16685. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أبي عَثَابَ رجل من تغلب كان نصرانياً عمراً من دهره، ثم أسلم بعد، فقرأ القرآن، وفقه في الدين، وكان فيما ذكر أنه كان نصرانياً أربعين سنة، ثم عمر في الإسلام أربعين سنة. قال: كان آخر أبياء بنى إسرائيل نبياً بعثه الله إليهم، فقال لهم: يا بنى إسرائيل إن الله يقول لكم: إني قد سلبت أصواتكم، وأبغضتكم بكثرة أحداثكم فَهَمُّوا بِهِ لِيُقْتَلُوهُ، فقال الله تبارك وتعالى وتعالى له: ائتهم وأضرب لهم مثلًا، فقل لهم: إن الله تبارك وتعالى يقول لكم: أقضوا بيني وبين كرمي ألم أختار له البلاد، وطبيت له المدرة، وحضرته بالسياج، وعرشتة السوق والشوك والسياج والعوسمج، وأحطته بردائى، ومنعته من العالم وفضلته، فلقيتني بالشوك والجذوع، وكل شجرة لا تؤكل؟ ما لهذا اخترت البلدة، ولا طبّيت المدرة، ولا حضرتة بالسياج، ولا عَرَشْتَهُ السوق، ولا خُطّته بردائى، ولا منعته من العالم فضلتم واتممت عليكم نعمتي، ثم استقبلتمني بكل ما أكره من معصيتي وخلاف أمري لَمَّا إِنَّ الْحَمَارَ لِيُعْرَفَ مَذْوِدَهُ لَمَّا إِنَّ الْبَقَرَةَ لِتُعْرَفَ سِيدَهَا وَقَدْ حَلَفَتْ بِعَزْتِي الْعَزِيزَةِ، وَبِذِرَاعِي الشَّدِيدِ لِأَخْذِنَّ رَدَائِيِّ،
وَلِأَمْرِجَنَّ الْحَائِطَ، وَلِأَجْعَلَنَّكُمْ تَحْتَ أَرْجُلِ الْعَالَمِ. قال: فوثبوا على نبيهم فقتلوا، فضرب الله عليهم الذلّ، ونزع منهم الملك، فليسوا في أمة من الأمم إلا وعليهم ذلّ وصغار وجزية يؤدونها، والملك في غيرهم من الناس، فلن يزالوا كذلك أبداً، ما كانوا على ما هم عليه.

قال: وهذا ما انتهى إلينا من جماع أحاديث بنى إسرائيل.

16686. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فَإِذَا جَاءَ وَغْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلَيَدُخُلُوا الْمَسْجَدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُّوا مَا عَلَوْا تَسْبِيرًا قال: كانت الآخرة أشدّ من الأولى بكثير، قال: لأن الأولى كانت هزيمة فقط، والآخرة كان التدمير، وأحرق بختنصر التوراة حتى لم يبق منها حرف واحد، وخرب المسجد.

16687. حدثنا أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنھال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: بعث عيسى ابن مريم يحيى بن زكريا، في اثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس. قال: فكان فيما نهاهم عنه، نكاح ابنة الأخ. قال: وكانت لملکهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوجها، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها فلما بلغ ذلك أمها قالت لها: إذا دخلت على الملك فسألوك حاجتك، فقولي: حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سأله حاجتها، فقالت: حاجتي أن تذبح يحيى بن

ذكر يا، فقال: سلي غير هذا فقلت: ما أسائلك إلا هذا قال: فلما أبى عليه دعا يحيى ودعا بطبست فذبحه، فبدرت قطرة من دمه على الأرض، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم، فجاءته عجوز من بنى إسرائيل، فدلته على ذلك الدم. قال: فألقى الله في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل سبعين ألفاً منهم من سن واحد فسكن.

وقوله: **وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجَدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوْلَ مَرْرَةً** يقول: وليدخل عدوكم الذي أبعته عليكم مسجد بيت المقدس قهراً منهم لكم وغلبة، كما دخلوه **أَوْلَ مَرْرَةً** حين أفسدتكم الفساد الأول في الأرض.

وأما قوله: **وَلِيُبْرُوْرُوا مَا عَلَوْا تَبْيِرًا** فإنه يقول: وليدمرروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً. يقال منه: دمرت البلد: إذا خربته وأهلكت أهله. **وَتَبَرَّ تَبَرًا** وتباراً، **وَتَبَرُّتُهُ أَتَبَرًا** تبيراً. ومنه قول الله تعالى ذكره ولا تزد الطالمين إلا تبارة يعني: هلاكاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16688. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: **وَلِيُبْرُوْرُوا مَا عَلَوْا تَبْيِرًا** قال: تدميراً.

16689. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **وَلِيُبْرُوْرُوا مَا عَلَوْا تَبْيِرًا** قال: يدمروا ما علوا تدميراً.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا}.
يقول تعالى ذكره: لعل ربكم يا بني إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ليسوء مبعثه عليكم وحوهم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه **أَوْلَ مَرْرَةً**، فيستنقذكم من أيديهم، وينتشلكم من الذل الذي يحله بكم، ويرفعكم من الخمولة التي تصيرون إليها، فيعزّركم بعد ذلك. «عسى» من الله: واجب. و فعل الله ذلك بهم، فكثير عددهم بعد ذلك، ورفع حساستهم، وجعل منهم الملوك والأنبياء، فقال جل ثناؤه لهم: وإن عذتم يا معاشربني إسرائيل لمعصتي وخلاف أمري، وقتل رسلي، عدنا عليكم بالقتل والسباء، وإحلال الذل والصغار بكم، فعادوا، فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16690. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن عطية، عن عمر بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: **عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا** قال: عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد. قال: فسلط الله عليهم ثلاثة ملوك من ملوك فارس: سندبادان وشهربادان وآخر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال الله تبارك وتعالى بعد الأولى والأخرى: **عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا** قال: فعادوا فسلط الله عليهم المؤمنين.

16691. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال **عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ** فعاد الله عليهم بعائدته ورحمته **وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا**

قال: عاد القوم بشرّ ما يحضرهم، فبعث الله عليهم ما شاء أن يبعث من نقمته وعقوبته. ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيمة قال الله عزّ وجلّ في آية أخرى وإنْ تاذَ رِبَكَ لَيُعْنَى عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ... الآية، فبعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب.

16692. حديثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة، قال عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عَذْتُمْ عُذْنَا فعادوا، فبعث الله عليهم محمداً صلى الله عليه وسلم، فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون.

16693. حديثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله تعالى: عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ قال بعد هذا وإنْ عُذْتُمْ لما صنعتم لمثل هذا من قتل يحيى وغيره من الأنبياء عُذْنَا إليكم بمثل هذا. قوله: وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: وجعلنا جهنم للكافرين سجناً يسجنون فيها. ذكر من قال ذلك:

16694. حديثنا محمد بن مسعود، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن أبي عمران وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا قال: سجناً.

16695. حديثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا يقول: جعل الله مأواهم فيها.

16696. حديثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا قال: مَخْسَا حَضُورًا. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا يقول: سجناً.

16697. حديثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجح، عن مجاهد في قول الله تعالى: حَصِيرًا قال: يحصرون فيها.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا قال: يُحصرون فيها.

16698. حديثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا سجناً يسجنون فيها حصرها فيها. حدثنا عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا يقول: سجناً. وقال آخرون: معناه: وجعلنا جهنم للكافرين فراشاً ومهاداً. ذكر من قال ذلك:

16699. حديثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، قال: قال الحسن: الحصير: فِرَاشٌ وَمَهَادٌ.

وذهب الحسن بقوله هذا إلى أن الحصير في هذا الموضع يعني به الحصير الذي يُبسط ويُفترش، وذلك أن العرب تسمى البساط الصغير حصيراً، فوجّه الحسن معنى الكلام إلى أن الله تعالى جعل جهنم للكافرين به بساطاً ومهاداً، كما قال: لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ

غواش وهو وجه حسن وتأويل صحيح. وأما الآخرون، فوجهوه إلى أنه فعالٌ من الحصر الذي هو الحبس. وقد بيّنت ذلك بشواهد في سورة البقرة، وقد تسمى العرب الملك حصيراً بمعنى أنه محصور: أي محظوظ عن الناس، كما قال لبيد:

وَمَقَامَةٌ عَلَبِ الرِّقَابِ كَأَنْهُمْ حِنْ لَدَى بَابِ الْحَصِيرِ قِيَامٌ
يعني بالحصير: الملك، وبقال للبخيل: حصور وحصر: لمنعه مالديه من المال عن أهل الحاجة، وحبسه إياه عن النفقة، كما قال الأخطل:
وَشَارِبٌ مُرْبِحٌ بِالْكَاسِ نَادَمَنِيلَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا يَسْوَارِ
ويروى: بسّار. ومنه الحصر في المنطق لامتناع ذلك عليه، واحتباسه إذا أراده. ومنه أيضاً الحصور عن النساء لتعذر ذلك عليه، وامتناعه من الجماع، وكذلك الحصر في الغائط: احتباسه عن الخروج، وأصل ذلك كله واحد وإن اختفت ألفاظه. فاما الحصيران: فالجنبان، كما قال الترجمان:
قَلِيلًا شَتَّى حَاجَةً ثُمَّ عُولِيَّعَلَى كُلِّ مَقْرُوشِ الْحَصِيرَيْنِ بِادِينِ
يعني بالحصيرين: الجنبيين.

والصواب من القول في ذلك عندي أي يقال: معنى ذلك: وجعلنا جهنّم للكافرينَ حصيراً فراشاً ومهاداً لا يزايله من الحصير الذي بمعنى البساط، لأن ذلك إذا كان كذلك كان جاماً معنى الحبس والامتهاد، مع أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس، وأنها إذا أرادت أن تصف شيئاً بمعنى حبس شيء، فإنما تقول: هو له حاصر أو محضر فأما الحصير فغير موجود في كلامهم، إلا إذا وصفته بأنه مفعول به، فيكون في لفظ فعل، ومعناه مفعول به ألا ترى بيت لبيد: لدى باب الحصير؟ فقل: لدى باب الحصير، لأن أراد: لدى باب المحصور، فصرف مفعولاً إلى فعل. فأما فعل في الحصر بمعنى وصفه بأنه الحاصر. بذلك ما لا نجده في كلام العرب، فلذلك قلت: قول الحسن أولى بالصواب في ذلك. وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن ذلك جائز، ولا أعلم لما قال وجهاً يصحّ إلا بعيداً وهو أن يقال: جاء حصير بمعنى حاصر، كما قيل: عليم بمعنى عالم، وشهيد بمعنى شاهد، ولم يسمع ذلك مستعملًا في الحاصر كما سمعنا في عالم وشاهد.

الآية : 9 و 10

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَفْوَمُ وَبُيَّشِرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَيْرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْنَدُنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد ويسدد من اهتدى به للتي هي أقوم يقول: للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل، وذلك دين الله الذي بعث به أنبياءه وهو الإسلام. يقول جلّ ثناؤه: فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضلّ عنها سائر أهل الملل المكذبين به، كما:

16700 حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَفْوَمُ قال: للتي هي أقوم: هو الصواب وهو الحق قال: والمخالف هو الباطل. وقرأ قول الله تعالى:

فيها كُتبَ قِيمَةً قال: فيها الحقّ ليس فيها عوج. وقرأ ولم تجعل لَهُ عوجاً قَيِّماً يقول: قيماً مستقيماً.

وقوله: وَبِسْرُ الْمُؤْمِنِينَ يقول: ويشرأ أيضاً مع هدايته من اهتدى به للسبيل الأقصد الذين يؤمنون بالله ورسوله، ويعملون في دنياهم بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم عنه بأن لهم أجرًا من الله على إيمانهم وعملهم الصالحات كِبِيراً يعني ثواباً عظيماً، وجزاء جزيلاً، وذلك هو الجنة التي أعدّها الله تعالى لمن رضي عمله، كما:

16701. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريم أنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا قال: الجنَّة، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ أَجْرٌ كَبِيرٌ، أَجْرٌ كَرِيمٌ، وَرِزْقٌ كَرِيمٌ فَهُوَ الْجَنَّة، وَأَنَّ فِي قَوْلِهِ: أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا نَصَبَ مَهُ، كَمَا:

16702. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريم أنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا قال: الجنَّة، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ أَجْرٌ كَبِيرٌ، أَجْرٌ كَرِيمٌ، وَرِزْقٌ كَرِيمٌ فَهُوَ الْجَنَّة، وَأَنَّ فِي قَوْلِهِ: أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا نَصَبَ يَقُولُ: أَعْدَدْنَا لَهُمْ لَقَدْوَمَهُمْ عَلَى رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا أَلِيمًا يَعْنِي مَوْجَعًا، وَذَلِكَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءً بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا}.

يقول تعالى ذكره مذكراً عباده أياديه عندهم، ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماليه بالشرّ، فيقول: اللهم أهلكه والعنه عند ضجره وغضبه، كدعائه بالخير: يقول: كدعائه رباه بأن يهب له العافية، ويرزقه السلامة في نفسه وماليه وولده، يقول: فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماليه وولده بالشرّ كما يستجاب له في الخير هلك، ولكن الله بفضلته لا يستجيب له في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16703. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءً بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا يعني قول الإنسان: اللهم العنده وأغضب عليه، فلو يُعجل له ذلك كما يُعجل له الخير، هلك، قال: ويقال: هو وإنما مَسَ الْإِنْسَانَ الصَّرْدَعَانَ لِجَنِيَّةً أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا أَنْ يَكْشِفَ مَا بِهِ مِنْ ضَرًّ، يقول تبارك وتعالى: لو أنه ذكرني وأطاعني، واتبع أمري عند الخير، كما يدعوني عند البلاء، كان خيراً له.

16704. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءً بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا يَدْعُ عَلَى مَالِهِ، فَيَلْعَنُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَلَوْ أَسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ لِأَهْلِكَهُ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءً بِالْخَيْرِ قال: يَدْعُ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا لَوْ أَسْتَجَابَ لَهُ هَلْكَ، وَعَلَى خَادِمِهِ، أَوْ عَلَى مَالِهِ.

16705. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريم، عن مجاهد وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءً بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا

قال: ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته، فيجعل: فيدعوه عليه، ولا يجب أن يصيبه.

واختلف في تأويل قوله: وكان الإنسان عجولاً فقال مسح وذكرت قوله: معناه: وكان الإنسان عجولاً، بالدعاء على ما يكره، أن يستجاب له فيه.

وقال آخرون: عنى بذلك آدم أنه عجل حين نفح فيه الروح قبل أن تجري في جميع جسده، فرام النهوض، فوصف ولده بالاستعمال، لما كان من استعمال أبيهم آدم القيام، قبل أن يتم خلقه. ذكر من قال ذلك:

16706. حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن إبراهيم، أن سلمان الفارسي، قال: أول ما خلق الله من آدم رأسه، فجعل ينظر وهو يخلق، قال: وبقيت رجاله فلما كان بعد العصر قال: يا رب عجل قبل الليل، فذلك قوله: وكان الإنسان عجولاً.

16707. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الصحاك عن ابن عباس، قال: لما نفح الله في آدم من روحه أتت النفحة من قبل رأسه، فجعل لا يجري شيء منها في جسده، إلا صار لحمًا ودما فلما انتهت النفحة إلى سرتنه، نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول الله تبارك وتعالى: وكان الإنسان عجولاً قال: صبرا لا صبر له على سراء، ولا ضراء.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا قَضْلًا مِنْ زَيْكُمْ وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَنَاهُ تَفْصِيلًا}.

يقول تعالى ذكره: ومن نعمته عليكم أيها الناس، مخالفته بين عالمة الليل وعالمة النهار، بإطلاقه عالمة الليل، وإضاءته عالمة النهار، لتسكنوا في هذا، وتتصرّفوا في ابتعاد رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها، وابتداءدخولها، وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها وكل شيء فصلناه تفصيلاً يقول: وكل شيء بيناه بياناً شافياً لكم أيها الناس لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نعمه، وتخلصوا له العبادة، دون الآلهة والأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16708. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي الطفيل، قال: قال ابن الكواء لعلي: يا أمير المؤمنين، مَا هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك! أما تقرأ القرآن فمحونا آية الليل، فهذه محوه.

16709. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا طلق، عن زائدة، عن عاصم، عن علي بن ربيعة، قال: سأله ابن الكواء عليه فقال: ما هذا السواد في القمر؟ فقال علي: فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة هو المحو.

16710. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا إسحائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عمر، قال: كنت عند علي، فسألته ابن الكواء عن السواد الذي في القمر؟ فقال: ذاك آية الليل محيت.

16711. حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا عمران بن خديز، عن رفيع بن أبي كثير قال: قال عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: سلوا عما شئتم، فقام ابن الكوّاء فقال: ما السواد الذي في القمر، فقال: قاتلك الله، هلا سالت عن أمر دينك وأخرتك؟ قال: ذلك مَحْو الليل.
16712. حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: حدثنا ابن عُفَيْر، قال: حدثنا ابن لهيعة، عن حُيَيْيٍّ بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الجُبْلِي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رجلاً قال لعليّ: ما السواد الذي في القمر؟ قال: إن الله يقول: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبِصِّرَةً.
16713. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ قال: هو السواد بالليل.
- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تصير الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل: السواد الذي في القمر.
16714. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن أبي زائدة، قال: ذكر ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ قال: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل فمحونا آية الليل قال: السواد الذي في القمر، وكذلك خلقه الله.
- حدثنا القايس، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ قال: ليلاً ونهاراً، كذلك خلقهما الله.
16715. قال ابن جريج: وأخبرنا عبد الله بن كثير، قال: فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبِصِّرَةً قال: طلمة الليل وسُدْقة النهار.
16716. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبِصِّرَةً: أي منيرة، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم.
- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم وحدثني الحرت، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جمِيعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ قال: ليلاً ونهاراً، كذلك جعلهما الله.
- واختلف أهل العربية في معنى قوله: وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبِصِّرَةً فقال بعض نحوبي الكوفة معناها: مضيئة، وكذلك قوله: والنَّهَارَ مُبِصِّرَةً معناه: مضيئاً، بأنه ذهب إلى أنه قيل مبصراً، لإضاءته للناس البصر. وقال آخرون: بل هو من أبصر النهار: إذا صار الناس يبصرون فيه فهو مبصر، كقولهم: رجل مجبن: إذا كان أهله وأصحابه جبناء، ورجل مضعف: إذا كانت رواته ضعفاء، وكذلك النهار مبصراً: إذا كان أهله بصراء.
16717. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة لَتَبَعُّغُوا فَصُلَّاً مِنْ رَبِّكُمْ قال: جعل لكم سبحا طويلاً.
16718. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَّنَا تَفْصِيلًا: أي بيّناه تبيينا.

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْرَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنْقِهِ وَنُخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا}.

يقول تعالى ذكره: وكل إنسان ألمناه ما قضى له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا بفارقه. وإنما قوله ألمناه طائره مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم جل ثناؤه أن كل إنسان منهم قد ألمه ربه طائره في عنقه نحسا كان ذلك الذي ألمه من الطائر، وشقاء يورده سعيرا، أو كان سعدا يورده جنات عدن. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16719. حديثي محمد بن بشار، قال: حدثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة، عن جابر بن عبد الله أبا نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عَدْوَى وَلَا طِيرَةً وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْرَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنْقِهِ».

16720. حديثي محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس وكل إنسان ألمناه طائره في عنقه. قال: الطائر: عمله، قال: والطائر في أشياء كثيرة، فمنه التشاوم الذي يتشاءم به الناس بعضهم من بعض.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس، قوله: وكل إنسان ألمناه طائره في عنقه قال: عمله وما قدر عليه، فهو ملازم أينما كان، فزائل معه أينما زال. قال ابن جريج: وقال: طائره: عمله.

16721. قال: ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: عمله وما كتب الله له.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرس، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيج، عن مجاهد: طائره: عمله.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عمرو جميعا عن منصور، عن مجاهد وكل إنسان ألمناه طائره في عنقه قال: عمله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، مثله. 16722. حديثي واصل بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن فضيل، عن الحسن بن عمرو الفقيمي، عن الحكم، عن مجاهد، في قوله: وكل إنسان ألمناه طائره في عنقه قال: ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد. قال: وسمعته يقول: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، قال: هو ما سبق.

16723. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وكل إنسان ألمناه طائره في عنقه: أي والله بسعادته وشقاءه بعمله. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمرا، عن قتادة: طائره: عمله.

فإن قال قائل: وكيف قال: ألمناه طائره في عنقه إن كان الأمر على ما وصفت، ولم يقل: ألمناه في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطواق، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء الالزمةبني

آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم وكثير استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء الالازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنایات أعضاء الأبدان إلى اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يداه، وإن كان الذي جرّ عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله **أَلْرَمْنَاهُ طَائِرَةٌ فِي عُنْقِهِ**.

وأختلفت القراء في قراءة قوله: **وَتُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ** مَنْشُورًا فقرأه بعض أهل المدينة ومكة، وهو نافع وابن كثير وعامة قراء العراق ونُخْرِجُ بالنون لـ **يَوْمَ الْقِيَامَةِ** كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا بفتح الباء من يَلْقَاهُ وتحقيق القاف منه، بمعنى: ونخرج له نحن يوم القيامة ردًا على قوله **أَلْرَمْنَاهُ** ونحن نخرج له يوم القيامة كتاب عمله منشوراً. وكان بعض قراء أهل الشام يوافق هؤلاء على قراءة قوله **وَتُخْرِجُ** ويختالفهم في قوله **يَلْقَاهُ** فيقرؤه: «**يُلْقَاهُ**» بضم الباء وتشديد القاف، بمعنى: ونخرج له نحن يوم القيامة كتاباً يلقاه، ثم يرده إلى ما لم يسمّ فاعله، فيقول: يلقى الإنسان ذلك الكتاب منشوراً. وذكر عن مجاهد ما:

16724. حدثنا أحمد بن يوسف، قال: حدثنا يزيد، عن حرير بن حازم عن حميد، عن مجاهد أنه قرأها، **وَتُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا** قال: يزيد: يعني يخرج الطائر كتاباً، هكذا أحسبه قرأها بفتح الباء، وهي قراءة الحسن البصري وابن محيسن وكأن من قرأ هذه القراءة وجّه تأويل الكلام إلى: ويخرج له الطائر الذي ألمانا عنق الإنسان يوم القيامة، فيصير كتاباً يقرؤه منشوراً.

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة: **وَيُخْرُجُ لَهُ** بضم الباء على مذهب ما لم يسمّ فاعله، وكأنه وجّه معنى الكلام إلى ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً، يزيد: ويخرج الله ذلك الطائر قد صيره كتاباً، إلا أنه نحاه نحو ما لم يسمّ فاعله.

وأولى القراءات في ذلك بالصواب، قراءة من قرأها: **وَنُخْرِجُ** بالنون وضمها لـ **يَوْمَ الْقِيَامَةِ** كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا بفتح الباء وتحقيق القاف، لأن الخبر جري قبل ذلك عن الله تعالى أنه الذي ألزم خلقه ما ألزم من ذلك فالصواب أن يكون الذي يليه خبراً عنه، أنه هو الذي يخرجه لهم يوم القيامة، أن يكون بالنون كما كان الخبر الذي قبله بالنون. وأما قوله: **يَلْقَاهُ** فإنّ في إجماع الحجة من القراء على تصويب ما اخترنا من القراءة في ذلك، وشذوذ ما خالفة الحجة الكافية لنا على تقارب معنى القراءتين: يعني ضمّ الباء وفتحها في ذلك، وتشديد القاف وتحقيقها فيه فإذا كان الصواب في القراءة هو ما اخترنا بالذي عليه دلانا، فتأويل الكلام: وكلّ إنسان منكم يا معاشربني آدم، ألمانا نحسه وسعده، وشقائه وسعادته، بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه، وعامل من الخير والشرّ في عنقه، فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نخرج له إذا وفانا كتاباً يصادفه منشوراً بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائره الذي كتبنا له، وألمانا إياه في عنقه، قد أحصي عليه ربه فيه كلّ ما سلف في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16725. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، **وَتُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ**

مَنْشُوراً قَالَ: هُوَ عَمَلُهُ الَّذِي أَحْصَى عَلَيْهِ، فَأَخْرَجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كَتَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ يَلْقَاهُ مَنْشُوراً.

16726- حَدَثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: حَدَثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةِ وُتْخِرْجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا: أَيْ عَمَلِهِ.

16727- حَدَثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَثَنَا أَبُو سَفِيَانَ، عَنْ مُعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةِ الرَّمَنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنْقِهِ قَالَ: عَمَلُهُ وُتْخِرْجُ لَهُ قَالَ: نَخْرُجُ ذَلِكَ الْعَمَلَ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا قَالَ مُعْمَرٌ: وَتْلَا الرَّحْمَنَ: عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدًا يَا ابْنَ آدَمَ بِسْطَتْ لَكَ صَحِيفَتَكَ، وَوَكَلَ بِكَ مَلْكَانَ كَرِيمَانَ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ، وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ. فَأَعْمَلَ مِنْ يَمِينِكَ فَيَحْفَظُ حَسَنَاتَكَ، وَأَمَا الَّذِي عَنْ شَمَالِكَ فَيَحْفَظُ سَيَّئَاتَكَ، فَإِنْ شَاءَتْ، أَقْلَلَ أَوْ أَكْثَرَ، حَتَّى إِذَا مَتَ طَوَّبَتْ صَحِيفَتَكَ، فَجَعَلَتْ فِي عَنْقِكَ مَعْكَ فِي قَبْرِكَ، حَتَّى تَخْرُجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا قَدْ عَدَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ جَعْلِكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ.

حَدَثَنَا أَبْنَاءُ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثُورٍ، عَنْ مُعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةِ طَائِرَهُ: عَمَلُهُ، وَنَخْرُجُ لَهُ بِذَلِكَ الْعَمَلِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا.

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ وَكُلُّ إِنْسَانٍ الرَّمَنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنْقِهِ: أَيْ حَظَهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: طَارَ سَهْمٌ فَلَمْ يَكُنْ كَذَا: إِذَا خَرَجَ سَهْمٌ عَلَى نَصِيبِ مِنَ الْأَنْصَابِ وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ قَوْلًا لِهِ وَجْهٌ، فَإِنْ تَأْوِيلَ أَهْلَ التَّأْوِيلِ عَلَى مَا قَدْ بَيَّنْتُ، وَغَيْرُ جَائزٍ أَنْ يَتَجاوزَ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ مَا قَالُوهُ إِلَى غَيْرِهِ، عَلَى أَنْ مَا قَالَهُ هَذَا الْقَائلُ، إِنْ كَانَ عَنِّي بِقَوْلِهِ حَظَهُ مِنَ الْعَمَلِ وَالشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ، فَلَمْ يَبْعَدْ مَعْنَى قَوْلِهِ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ.

الآلية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}.

يَقُولُ تَعَالَى ذَكْرُهُ: وُتْخِرْجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا فَيَقُولُ لَهُ: اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا فَتَرَكَ ذَكْرَ فَوْلَهُ: فَنَقُولُ لَهُ، اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ. وَعَنِّي بِقَوْلِهِ: اقْرَأْ كِتَابَكَ: اقْرَأْ كِتَابَ عَمْلِكَ الَّذِي عَمِلْتَهُ فِي الدُّنْيَا، الَّذِي كَانَ كَاتِبَانَا يَكْتَبَانِهِ، وَنَحْصِيهِ عَلَيْكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا يَقُولُ: حَسِيبُ الْيَوْمِ نَفْسُكَ عَلَيْكَ حَاسِبًا يَحْسَبُ عَلَيْكَ أَعْمَالَكَ، فَيَحْصِيهَا عَلَيْكَ، لَا يَنْتَفِعُ عَلَيْكَ شَاهِدًا غَيْرَهَا، وَلَا يَنْتَلِبُ عَلَيْكَ مَحْصِيَا سَوَاهَا.

16728- حَدَثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: حَدَثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةِ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا سِيقَرًا يَوْمَئِذٍ مِنْ لَمْ يَكُنْ قَارِئًا فِي الدُّنْيَا.

الآلية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {مَنْ اهْتَدَ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَهُ وَرَأَ آخَرَهُ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبَعَّثَ رَسُولًا}.

يقول تعالى ذكره: من استقام على طريق الحق فاتبعه، وذلك دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فإنما يهتدي لنفسه يقول: فليس ينفع بلزومه الاستقامة، وإيمانه بالله ورسوله غير نفسه ومن صَلَّ يقول: ومن جار عن قصد السبيل، فأخذ على غير هدى، وكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله من الحق، فليس يضر بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه، لأنَّه يوجب لها بذلك غضب الله وأليم عذابه.. وإنما عنى قوله فإنما يَصِلُّ عَلَيْهَا فإنما يكسب إثم ضلاله عليها لا على غيرها. قوله: **وَلَا تَزِرُّ وَازْرَةٌ وَزْرَ أَخْرَى** يعني تعالى ذكره: ولا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام. وقال: **وَازْرَةٌ وَزْرَ أَخْرَى لَأَنَّ مَعْنَاهَا:** ولا تزر نفس وزارة وزر نفس أخرى. يقال منه: وزرت كذا أزره وزرا، والوزر هو الإنم، يجمع أوزارا، كما قال تعالى: **وَلَكُنَا حُمِّلْنَا أَوْرَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ** وكأن معنى الكلام: ولا تأتهم آثمة إثم أخرى، ولكن على كل نفس إثمتها دون غيرها من الأنفس، كما: 16729 حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة **وَازْرَةٌ وَزْرَ أَخْرَى:** والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره، ولا يؤاخذ إلا بعمله.

وقوله: **وَمَا كُنَّا مَعَذِّبِينَ حَتَّى تَبَعَّثَ رَسُولًا** يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالأيات التي تقطع عذرهم. كما:

16730 حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **وَمَا كُنَّا مَعَذِّبِينَ حَتَّى تَبَعَّثَ رَسُولًا:** إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق إليه من الله خبرا، أو يأتيه من الله بينة، وليس معدوبا أحدا إلا بذنبه.

16731 حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمرا، عن قتادة، عن أبي هريرة، قال: إذا كان يوم القيمة، جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفترة والمعتوه والأصم والأبكم، والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفا، ثم أرسل رسوله أندخلوا النار، فيقولون: كيف ولم يأتي رجل، وآتى الله لو دخلوها لكانوا عليهم بردا وسلاما، ثم يرسل إليهم، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل قال أبو هريرة: أقرءوا إن شئتم **وَمَا كُنَّا مَعَذِّبِينَ حَتَّى تَبَعَّثَ رَسُولًا**. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو سفيان، عن معمرا، عن همام، عن أبي هريرة نحوه.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا أَرَدْتَ أَن تُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرَنَا مُتَرْفِيهَا فَقَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا}. اختلف القراء في قراءة قوله أمرنا مترفيها فقرأات ذلك عامه قراء الحجاز والعراق أمرنا بقصر الألف وغير مدتها وتحقيق الميم وفتحها. وإذا قرئ ذلك كذلك، فإن الأغلب من تأويله: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا فيها بمعصيتهم الله، وخلافهم أمره، كذلك تأوله كثير ممن قرأ ذلك. ذكر من قال ذلك:

16732. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: قال ابن عباس **أَمْرَنَا مُتَرْفِيهَا** قال: بطاعة الله، فعصوا.
16733. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا شريك، عن سلمة أو غيره، عن سعيد بن جبير، قال: أمرنا بالطاعة فعصوا.
- وقد يحتمل أيضاً إذا قرئ كذلك أن يكون معناه: جعلناهم أمراء ففسقوا فيها، لأن العرب يقولون: هو أمير غير مأمور. وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقولون: قد يتوجه معناه إذا قرئ كذلك إلى معنى أكثرنا مترفيها، ويحتاج لتصححه ذلك بالخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**خَيْرُ الْمَالِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ أَوْ سِكْنَةٌ مَأْبُوَرَةٌ**» ويقول: إن معنى قوله: مأمورة: كثيرة النسل. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين ينكر ذلك من قوله، ولا يجيزنا أمرنا، بمعنى أكثرنا إلا بمد الألف من أمرنا. ويقول في قوله «مهرة مأمورة»: إنما قيل ذلك علمي الاتباع لمجيء مأبورة بعدها، كما قيل: «**إِرْجَعْنَ مَأْرُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ**» فهمز مأزورات لهمز مأحورات، وهي من ورثت إتباعاً لبعض الكلام بعضاً. وقرأ ذلك أبو عثمان «**أَمْرَنَا**» بتشديد الميم، بمعنى الإمارة.
16734. حدثنا أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا هشيم عن عوف، عن أبي عثمان النهدي أنه قرأ: «**أَمْرَنَا**» مشددة من الإمارة.
- وقد تأول هذا الكلام على هذا التأويل، جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16735. حدثنا عليّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: «**أَمْرَنَا مُتَرْفِيهَا**» يقول: سلطاناً أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب، وهو قوله: وكذلك جعلنا في كل قرية أكباد مجرميها ليتمكنوا فيها.
16736. حدثني الحرف، قال: حدثنا القاسم، قال: سمعت الكسائي يحدّث عن أبي جعفر الرازبي، عن الربيع بن أنس، أنه قرأها: «**أَمْرَنَا**» وقال: سلطاناً.
16737. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي حفص، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: «**أَمْرَنَا**» مثقلة: جعلنا عليها مترفيها: مستكبريها.
16738. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، وحدثني الحرف قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى: «**أَمْرَنَا مُتَرْفِيهَا**» قال: بعثنا.
- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، مثله.
- وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك: «**أَمْرَنَا**» بمد الألف من أمرنا، بمعنى: أكثرنا فسقتها. وقد وجّه تأويل هذا الحرف إلى هذا التأويل جماعة من أهل التأويل، إلا أن الذين حدّثونا لم يميزوا لنا اختلاف القراءات في ذلك، وكيف قرأ ذلك المتأولون، إلا القليل منهم. ذكر من تأول ذلك كذلك:

16739. حديثي محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: «وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مُترفيها فَسَقُوا فِيهَا» يقول: أكثرنا عدهم.
16740. حدثنا هناد، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة قوله: «أمرنا مُترفيها» قال: أكثرناهم.
16741. حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله أمرنا مُترفيها قال: أكثرناهم.
16742. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبي معاذ يقول: أخبرنا عبد بن سليمان، قال: سمعت الصحاك يقول في قوله أمرنا مُترفيها يقول: أكثرنا مترفيها: أي كبراءها.
16743. حدثنا بشر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مُترفيها فَسَقُوا فِيهَا، فَحَقٌّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ» يقول: أكثرنا مترفيها: أي جبارتها، فسقوا فيها وعملوا بمعصية الله قدّرناها تدميراً. وكان يقول: إذا أراد الله بقوم صلاحاً، بعث عليهم مصلحاً. وإذا أراد بهم فساداً بعث عليهم مفسداً، وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيها.
- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة أمرنا مُترفيها قال: أكثرناهم.
16744. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على زينب وهو يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ افْتَرَبَ فُتَحَ الْيَوْمَ مِنْ رَذْمٍ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ مِثْلُ هَذَا» وحلق بين إبهامه والتي تليها، قالت: يا رسول الله أنهلك وفيينا الصالحون؟ قال: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْجَبَثُ».
16745. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: «إذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مُترفيها فَسَقُوا فِيهَا» قال: ذكر بعض أهل العلم أن أمرنا: أكثرنا. قال: والعرب تقول للشيء الكثير أمر لكثرته. فأما إذا وصف القوم بأنهم كثروا، فإنه يقال: أمر بنو فلان، وأمر القوم يأمرون أمراً، وذلك إذا كثروا وعظم أمرهم، كما قال لبيد.
- إِنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإِنْ أَمْرُوا يَوْمًا يَصِيرُوا لِلْقُلُّ وَالنَّقْدُ
والامر المصدر، والاسم الإمر، كما قال الله جل ثناؤه لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا
قال: عظيماً، وحكي في مثل شر إمر: أي كثير.
- وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ أمرنا مُترفيها بقصر الألف من أمرنا وتحريف الميم منها، لإجماع الحجة من القراء على تصويبها دون غيرها. وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة، فأولى التأويلات به تأويل من تأوله: أمرنا أهله بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، فحق عليهم القول: لأن الأغلب من معنى أمرنا: الأمر، الذي هو خلاف النهي دون غيره، وتوجيه معاني كلام الله جل ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه، أولى ما وجد إليه سبيل من غيره.
- ومعنى قوله: فَسَقُوا فِيهَا: فالخلفوا أمر الله فيها، وخرجوا عن طاعته فَحَقٌّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ يقول: فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسقهم فيها، وعهد لله الذي أ وعد من كفر به، وخالف رسleه، من الهلاك بعد الإعذار

والإنذار بالرسل والحجج قدّمْناها تدْميرًا يقول: فخرّبناها عند ذلك تحربيا، وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكا، كما قال الفرزدق:
وكانَ لَهُمْ كَبُرٌ ثَمُودَ لَمَّا رَغَا طُهْرَا قَدَّمْرَهُمْ دَمَارا

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ حَيْرَانًا بَصِيرًا}.

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره مكذبٍ رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من مشركي قريش، وتهديدهم لهم بالعقاب، وإعلام منه لهم، أنهم إن لم ينتهوا عما هم عليه مقيمون من تكذيبهم رسوله عليه الصلاة والسلام أنه محلٌ لهم سخطه، ومنزل بهم من عقابه ما أنزل بمن قبلهم من الأمم الذين سلكوا في الكفر بالله، وتکذیب رسّله سبیلهم. يقول الله تعالى ذكره: وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قرروا كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به، وتکذیب رسّله، على مثل الذي أنتم عليه، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم، لأنّه لا مناسبة بين أحد وبين الله جل جل شرائعه، فيعذّب قوما بما لا يعذّب به آخرين، أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين يقول جل جل شرائعه: فأنبينا إلى طاعة الله ربكم، فقد بعثنا إليكم رسولاً ينبهكم على حجتنا عليكم، ويوقظكم من غفلتكم، ولم نكن لنعذّب قوما حتى نبعث إليهم رسولاً منها لهم على حجج الله، وأنتم على فسوقكم مقيمون، وكفى بربك يا محمد بذنوب عباده خيرا يقول: وحسبك يا محمد بالله خابرا بذنوب خلقه عالما، فإنه لا يخفى عليه شيء من أفعال مشركي قومك هؤلاء، ولا أفعال غيرهم من خلقه، هو بجميع ذلك عالم خابر بصير، يقول: يبصر ذلك كله فلا يغيب عنه منه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. وقد اختلف في مبلغ مدة القرن:

16746ـ فحدثنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي محمد بن عبد الله بن أبي أوفى، قال: القرن: عشرون ومئة سنة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول القرن كان، وأخرهم يزيد بن معاوية.

وقال آخرون: بل هو مئة سنة. ذكر من قال ذلك:

16747ـ حدثنا حسان بن محمد بن عبد الرحمن الحمصي أبو الصلت الطائي، قال: حدثنا سلامة بن حواس، عن محمد بن القاسم، عن عبد الله بن بسر المازني، قال: وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على رأسه وقال: «سيعيش هذا الغلام قرنا» قلت: كم القرن؟ قال: «مئة سنة».

16748ـ حدثنا حسان بن محمد، قال: حدثنا سلامة بن حواس، عن محمد بن القاسم، قال: ما زلنا نعذّله حتى تمت مئة سنة ثم مات، قال أبو الصلت: أخبرني سلامة أن محمد بن القاسم هذا كان ختن عبد الله بن بسر. وقال آخرون في ذلك بما:

16749ـ حدثنا إسماعيل بن موسى الفزارى، قال: أخبرنا عمر بن شاكر، عن ابن سيرين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القرنُ أربعون سنة».

وقوله: وَكَفَى بِرَبِّكَ أَدْخَلَتِ الْبَاءَ فِي قَوْلِهِ: بِرَبِّكَ وَهُوَ فِي مَحْلٍ رَفِعٍ، لأن معنى الكلام: وكفاك ربك، وحسبك ربك بذنوب عباده خبيرا، دلالة على المدح وكذلك تفعل العرب في كل كلام كان بمعنى المدح أو الذم، تدخل في الاسم الباء والاسم المدخلة عليه الباء في موضع رفع لتدل بدخولها على المدح أو الذم كقولهم: أكرم به رجلاً، وناهيك به رجلاً، وجاد بشريك ثوبا، وطاب بطعمكم طعاما، وما أشبه ذلك من الكلام، ولو أسقطت الباء مما دخلت فيه من هذه الأسماء رفعت، لأنها في محل رفع، كما قال الشاعر:

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ الْمَرْءِ هَذِهِ كَفَى الْهَذِي عَمَّا عَيْبَ الْمَرْءُ مُخْبِرًا
فَإِنَّمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْكَلَامِ مَدْحُومًا فَلَا يَدْخُلُونَ فِي الْأَسْمَاءِ الْبَاءِ لَا
يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: قَامَ بِأَخِيكَ، وَأَنْتَ تَرِيدُ: قَامَ أَخُوكَ، إِلَّا أَنْ تَرِيدَ: قَامَ رَجُلٌ أَخْرَى
بِهِ، وَذَلِكَ مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا
نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا}.
يقول تعالى ذكره: من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى، وإياها يتغى، لا يومن بمعاد، ولا يرجو ثوابا ولا عقابا من ربه على عمله عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد يقول: يجعل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته. ثم جعلنا له جهنّم يصلاحها يقول: ثم أصلينا له عند مقدمه علينا في الآخرة جهنّم، مذموما على قلة شكره إيانا، وسوء صنيعه فيما سلف من أياديها عنده في الدنيا مذحورا يقول: مبعدا: مقصى في النار.
وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16750. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ يَقُولُ: مَنْ كَانَتِ
الْدُنْيَا هُمَّهُ وَسَدَمَهُ وَطَلَبَتِهِ وَنِيَّتِهِ، عَجَلَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ، ثُمَّ اضطَرَهُ
إِلَى جَهَنَّمَ. قَالَ: ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا مَذْمُومًا فِي
نِعْمَةِ اللَّهِ مَذْحُورًا فِي نِقْمَةِ اللَّهِ.

16751. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني أبو طيبة شيخ من
أهل المتصيصة، أنه سمع أبا إسحاق الفزارى يقول: عجلنا له فيها ما نشاء
لِمَنْ نُرِيدُ قَالَ: لِمَنْ نَرِيدُ هَلْكَتَهُ.

16752. حدثني علي بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية،
عن علي، عن ابن عباس، قوله مذموما يقول: ملوما.

16753. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في
قوله: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ قَالَ: الْعَاجِلَةُ
الْدُنْيَا.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَأَوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مُشْكُورًا}.

يقول تعالى ذكره: من أراد الآخرة وإياها طلب، ولها عمل عملها، الذي هو طاعة الله وما يرضيه عنه. وأضاف السعي إلى الهاء والألف، وهي كناية عن الآخرة، فقال: وسعى للآخرة سعى الآخرة، ومعناه: وعمل لها عملها

لمعرفة السامعين بمعنى ذلك، وأن معناه: وسعي لها سعيه لها وهو مؤمن، يقول: هو مؤمن مصدق بثواب الله، وعظيم جزائه على سعيه لها، غير مكذب به تكذيب من أراد العاجلة، يقول الله جل شوأه: فَأَوْلَئِكَ يعني: فمن فعل ذلك كان سعيهم يعني عملهم بطاعة الله مشكوراً وشكر الله إياهم على سعيهم ذلك حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة، وتجاوزه لهم عن سيئها برحمته. كما:

16754- حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا شكر الله لهم حسناتهم، وتجاوز عن سيئاتهم.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى {انظُرْ كَيْفَ فَصَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلآخرةِ أَكْبُرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبُرُ تَفْضِيلًا} .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر يا محمد بعين قلبك إلى هذين الفريقين اللذين هم أحدهما الدار العاجلة، وإياها يطلب، ولها يعمل والآخر الذي يريد الدار الآخرة، ولها يسعى موقناً بثواب الله على سعيه، كيف فصلنا أحد الفريقين على الآخر، بأن بصرنا هذا رشده، وهديناه للسبيل التي هي أقوم، ويسرناه للذي هو أهدي وأرشد، وخذلنا هذا الآخر، فأضللناه عن طريق الحق، وأغشينا بصره عن سبيل الرشد وللآخرةِ أَكْبُرُ دَرَجَاتٍ يقول: وفريق مرید الآخرة أكبر في الدار الآخرة درجات بعضهم على بعض لتفاوت منازلهم بأعمالهم في الجنة وأكبر تفضيلاً بتفضيل الله بعضهم على بعض من هؤلاء الفريق الآخرين في الدنيا فيما بسطنا لهم فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16759- حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله انظُرْ كَيْفَ فَصَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ: أي في الدنيا وللآخرةِ أَكْبُرُ دَرَجَاتٍ وأَكْبُرُ تَفْضِيلًا وإن للمؤمنين في الجنة منازل، وإن لهم فضائل بأعمالهم. وذكر لنا أن نبئي الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ بَيْنَ أَغْلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْفَلِهِمْ دَرَجَةً كَالْتَّجْمِ يُرَى فِي مَسَارِقِ الْأَرْضِ وَمَعَارِبِهَا».

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى {انظُرْ كَيْفَ فَصَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلآخرةِ أَكْبُرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبُرُ تَفْضِيلًا} .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر يا محمد بعين قلبك إلى هذين الفريقين اللذين هم أحدهما الدار العاجلة، وإياها يطلب، ولها يعمل والآخر الذي يريد الدار الآخرة، ولها يسعى موقناً بثواب الله على سعيه، كيف فصلنا أحد الفريقين على الآخر، بأن بصرنا هذا رشده، وهديناه للسبيل التي هي أقوم، ويسرناه للذي هو أهدي وأرشد، وخذلنا هذا الآخر، فأضللناه عن طريق الحق، وأغشينا بصره عن سبيل الرشد وللآخرةِ أَكْبُرُ دَرَجَاتٍ يقول: وفريق مرید الآخرة أكبر في الدار الآخرة درجات بعضهم على بعض لتفاوت منازلهم بأعمالهم في الجنة وأكبر تفضيلاً بتفضيل الله بعضهم على بعض من هؤلاء الفريق الآخرين في الدنيا فيما بسطنا لهم فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16759. حديثنا بشر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله أَنْطَرْ كَيْفَ فَصَلَّنَا بِعَصَمْ عَلَى بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ: أَيْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَقْصِيْلًا وَإِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ مَنَازِلَ، وَإِنَّ لَهُمْ فَضَائِلَ بِأَعْمَالِهِمْ. وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ بَيْنَ أَغْلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْفَلِهِمْ دَرَجَةً كَالْتَّجْمِ يُرَى فِي مَسَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا».

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَّهًا آخَرَ فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا مَحْذُولًا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تجعل يا محمد مع الله شريكا في ألوحته وعبادته، ولكن أخلص له العبادة، وأفرد له الألوهة، فإنه لا إله غيره، فإنك إن تجعل معه إله غيره، وتعبد معه سواه، تقع مذموما يقول: تصير ملوكا على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه، وتصير لك الشكر لغير من أولئك المعروف، وفي إشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره، مخذولا قد أسلما ربك لمن بغاك سوءا، وإذا أسلما ربك الذي هو ناصر أوليائه لم يكن لك من دونه ولدي ينصرك ويدفع عنك. كما:

16760. حديثنا بشر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَّهًا آخَرَ فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا مَحْذُولًا يقول: مذموما في نعمة الله. وهذا الكلام وإن كان خرج على وجه الخطاب النبوي لله صلى الله عليه وسلم، فهو يعني به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جل وعز.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى {وَقَضَيْ رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَخْدُهُمَا أَوْ كِلَّاهُمَا فَلَا تَنْهِ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهِهِمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}.

يعني بذلك تعلق ذكره حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره.

وقد اختلفت الفاظ أهل التأويل في تأويل قوله وَقَضَيْ رَبِّكَ وإن كان معنى جميعهم في ذلك واحدا. ذكر ما قالوا في ذلك:

16761. حدثني علي بن داود، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن ابن عباس وَقَضَيْ رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ يقول: أمر.

16762. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا زكريا بن سلام، قال: جاء رجل إلى الحسن، فقال: إنه طلق امرأته ثلاثة، فقال: إنك عصيتك ربك، وبانت منك امرأتك، فقال الرجل: قضى الله ذلك علىي، قال الحسن، وكان فصيحا: ما قضى الله: أى ما أمر الله، وقرأ هذه الآية وَقَضَيْ رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ فقال الناس: تكلم الحسن في القدر.

16763. حديثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله وَقَضَيْ رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ: أى أمر ربك في ألا تعبدوا إلا إيه، فهذا قضاء الله العاجل، وكان يقال في بعض الحكمة: من أرضي والديه: أرض خالقه، ومن أسطوط والديه، فقد أسطوط ربه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معاشر، عن قتادة وَوَقَضَيْ رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ قال: أمر ألا تعبدوا إلا إيه، وفي حرف ابن مسعود: «وَقَضَيْ رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ».

16764. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن عيسى، قال: حدثنا نصير بن أبي الأشعث، قال: ثني ابن حبيب بن أبي ثابت، عن أبيه، قال: أعطاني ابن عباس مصحفاً، فقال: هذا على قراءة أبي بن كعب، قال أبو كريب: قال يحيى: رأيت المصحف عند نصير فيه: «وَوَصَّى رَبِّكَ» يعني: وقضى ربك.

16765. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد وقضى ربك ألا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ قال: وأوصى ربك.

16766. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله وقضى ربك ألا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ قال: أمر ألا تعبدوا إلا إيه.

16767. حدثني الحرنث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا هشيم، عن أبي إسحاق الكوفي، عن الصحاك بن مزاحم، أنه قرأها: «وَوَصَّى رَبِّكَ» وقال: إنهم أصفقوا الواو بالصاد فصارت قافاً.

وقوله: وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا يقول: وأمركم بالوالدين إحساناً أن تحسنوا إليهما وتبرّوهما. ومعنى الكلام: وأمركم أن تحسنوا إلى الوالدين فلما حذفت «أن» تعلق القضاء بالإحسان، كما يقال في الكلام: أمرك به خيراً، وأوصيك به خيراً، بمعنى: آمرك أن تفعل به خيراً، ثم تحذف «أن» فيتعلق الأمر والوصية بالخير، كما قال الشاعر:
عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ إِذْ تَسْكُونَا وَمِنْ أَبِي دَهْمَاءَ إِذْ يُوصِّينَا حَيْرَا بِهَا كَأَنَّا جَافُونَا
وَعَمِلْ يُوصِّينَا فِي الْخَيْرِ.

واختلفت القراء في قراءة قوله إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فقرأ ذلك عامّة قراء أهل المدينة والبصرة، وبعض قراء الكوفيين: إِمَّا يَبْلُغُنَّ على التوحيد على توجيه ذلك إلى أحدهما لأن أحدهما واحد، فوحوذا يَبْلُغُنَّ لتوحيد، وجعلوا قوله أَوْ كِلَاهُمَا معطوفاً على الأحد. وقرأ ذلك عامّة قراء الكوفيين: «إِمَّا يَبْلُغُنَّ» على الثناء وكسر النون وتشديدها، وقالوا: قد ذكر الوالدان قبل، وقوله: «يَبْلُغُانَ» خبر عنهما بعد ما قدّم أسماءهما. قالوا: والفعل إذا جاء بعد الاسم كان الكلام أن يكون فيه دليل على أنه خبر عن اثنين أو جماعة. قالوا: والدليل على أنه خبر عن اثنين في الفعل المستقبل الألف والنون. قالوا: وقوله أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا كلام مستأنف، كما قيل: فَعَمِلُوا وَصَمِّمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ثم عَمِلُوا وَصَمِّمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وكقوله وأسَرُّوا النَّجْوَى ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ الَّذِينَ ظَلَمُوا.

وأولى القراءتين بالصواب عندي في ذلك، قراءة من قرأه إِمَّا يَبْلُغُنَّ على التوحيد على أنه خبر عن أحدهما، لأن الخبر عن الأمر بالإحسان في الوالدين، قد تناهى عند قوله وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ثم ابْتَدَأَ قوله إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا.

وقوله: قَلَّا تَقُلُّ لَهُمَا أَفَ يَقُولُ: فلا تؤسف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأنّى به الناس، ولكن اصبر على ذلك منهما، واحتسب في الأجر صبرك عليه منهما، كما صبرا عليك في صغرك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16768. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن محب، قال: حدثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: قَلَّا تَقُلُّ لَهُمَا أَفَ وَلَا تَنْهَرْهُمَا قال: إن بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويخرآن، فلا تقل لهما أَفَ تقدّرْهُمَا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد: إما يبلغان عِنْدكُ الْكَبَرُ فَلَا تَقُولُ لَهُمَا أَفْ حِينَ تَرَى الْأَذَى، وَتَمْيِطُ عَنْهُمَا الْخَلَاءَ وَالْبَوْلَ، كَمَا كَانَا يَمْيِطُهُمَا عَنْكَ صَغِيرًا، وَلَا تُؤْذِهُمَا.

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى «أَفْ»، فقال بعضهم: معناه: كُلٌّ ما غلط من الكلام وقبح. وقال آخرون: الأَفْ: وسخ الأظفار والتف كُلٌّ ما رفعت بيده من الأرض من شيء حقير. وللعرب في «أَفْ» لغات سُتُّ رفعها بالتنوين وغير التنوين وخفضها كذلك ونصبها فمن خفض ذلك بالتنوين، وهي قراءة عاممة أهل المدينة. شبهها بالأصوات التي لا معنى لها، كقولهم في حكاية الصوت غاق غاق، فخفضوا القاف ونونها، وكان حكمها السكون، فإنه لا شيء يعرّبها من أجل مجئها بعد حرف ساكن وهو الألف، فكرهوا أن يجمعوا بين ساكنين، فحرّكوا إلى أقرب الحركات من السكون، وذلك الكسر، لأن المجزوم إذا حرّك، فإنما يحرّك إلى الكسر. وأما الذين خفضوا بغير تنوين، وهي قراءة عاممة قراءة الكوفيين والبصربيين، فإنهم قالوا: إنما يدخلون التنوين فيما جاء من الأصوات ناقصاً، كالذي يأتي على حرفين مثل: مَهْ وَصَهْ وَبَخْ، فيتمم بالتنوين لنقصانه عن أبنية الأسماء. قالوا: أَفْ تَامْ لَا حاجة بِنَا إِلَى تَقْمِيمِهِ بِغَيْرِهِ، لأنه قد جاء على ثلاثة أحرف. قالوا: وإنما كسرنا الفاء الثانية لثلاثة نجم بيمن ساكنين. وأما من ضمّ ونون، فإنه قال: هو اسم كسائر الأسماء التي تُعرب وليس بصوت، وعدل به عن الأصوات. وأما من ضمّ ذلك بغير تنوين، فإنه قال: ليس هو باسم متيمكن فيُعرب بإعراب الأسماء المتمكنة، وقالوا: نضممه كما نضمّ قوله لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، وكما نضمّ الاسم في النداء المفرد، فنقول: يا زيد. ومن نصبه بغير تنوين، وهو قراءة بعض المكيين وأهل الشام فإنه شبهه بقولهم: مَدْ يَا هَذَا وَرَدْ. ومن نصب بالتنوين، فإنه أعمل الفعل فيه، وجعله اسمًا صحيحاً، فيقول: ما قلت له: أَفَا وَلَا تَفَا. وكان بعض نحوبي البصرة يقول: فُرِئْتَ: أَفْ، وَأَفَ لَغَة جعلوها مثل نعتها. وقرأ بعضهم «أَفْ»، وذلك لأن بعض العرب يقول: «أَفْ لَكَ» على الحكاية: أي لا تقل لهما هذا القول. قال: والرفع قبيح، لأنه لم يجيء بعده بلام، والذين قالوا: «أَفْ» فكسرروا كثيراً، وهو أجود. وكسر بعضهم ونون. وقال بعضهم: «أَفِي»، بأنه أضاف هذا القول إلى نفسه، فقال: أَفِي هَذَا لَكُمَا، والمكسور من هذا منون وغير منون على أنه اسم غير متمكن، نحو أمس وما أشبهه، والمفتوح بغير تنوين كذلك. وقال بعض أهل العربية: كل هذه الحركات السُّتُّ تدخل في «أَفْ» حكاية تشبه بالاسم مَرَّة وبالصوت أخرى. قال: وأكثر ما تُكسر الأصوات بالتنوين إذا كانت على حرفين مثل صه ووه وبخ. وإذا كانت على ثلاثة أحرف شبهت بالأدوات «أَفْ» مثل: ليت وَمَدْ، وَأَفْ مثل مَدْ يُشبه بالأدوات. وإذا قال أَفْ مثل صَه. وقالوا سمعت مضـ يا هذا ومضـ. وحُكِي عَنِ الْكَسَائِيِّ أَنَّه قيل: سمعت «ما علْمَكَ أَهْلُكَ إِلَّا مَضـ وَمَضـ»، وهذا كافـ وأَفـ. ومن قال: «أَفـ» جعله مثل سُحْقاً وَبَعْدَا.

والذى هو أولى بالصحة عندي في قراءة ذلك، قراءة من قرأه: «فَلَا تَقُولْ لَهُمَا أَفْ» بكسر الفاء بغير تنوين لعلتين إحداهما: أنها أشهر اللغات فيها وأفصحها عند العرب والثانية: أن حظ كل ما لم يكن له معرّب من الكلام السكون فلما كان ذلك كذلك. وكانت الفاء في أَفْ حظها الوقوف، ثم لم

يُكَلِّ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلُ لِاجْتِمَاعِ السَاكِنِينَ فِيهِ، وَكَانَ حُكْمُ السَاكِنِ إِذَا حَرَّكَ أَنْ يَحْرُّكَ إِلَى الْكِسْرِ حَرَّكَتْ إِلَى الْكِسْرِ، كَمَا قِيلَ: مُدْ وَشُدْ وَرُدْ الْبَابِ.

وَقُولُهُ: وَلَا تَنْهَرْهُمَا يَقُولُ جَلٌ شَنَاؤهُ: وَلَا تَزْجُرْهُمَا. كَمَا:

16769. حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَحْمَسِيُّ، قَالَ: حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبِيدٍ، قَالَ: حَدَثَنَا وَاصِلُ الرِّقَاشِيُّ، عَنْ عَطَاءِ ابْنِ أَبِي رَبَاحٍ، فِي قُولِهِ: وَلَا تَقْلُ لَهُمَا أَفَ وَلَا تَنْهَرْهُمَا قَالَ: لَا تَنْفَضْ يَدُكَ عَلَى الْدِيْكِ. يَقُولُ مِنْهُ: نَهَرَهُ يَنْهَرُهُ تَهْرَأ، وَانْتَهَرُهُ يَنْتَهِرُهُ اِنْتَهَارًا.

وَأَمَّا قُولُهُ: وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا فَإِنَّهُ يَقُولُ جَلٌ شَنَاؤهُ: وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا جَمِيلًا حَسَنًا. كَمَا:

16770. حَدَثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَثَنَا الْحَسِينُ، قَالَ: ثَنِي حَجَاجُ، عَنْ ابْنِ جَرِيجٍ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا قَالَ: أَحْسَنَ مَا تَجَدَّدُ مِنَ الْقَوْلِ.

16771. حَدَثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَثَنَا الْحَسِينُ، قَالَ: حَدَثَنَا الْمُتَعَمِّرُ بْنُ سَلِيمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ هَشَامِ بْنِ عَرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرِ بْنِ الْخَطَابِ قَوْلًا كَرِيمًا قَالَا: لَا تَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ يَرِيدَنَاهُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهَذَا الْحَدِيثُ خَطَأً، أَعْنِي حَدِيثَ هَشَامِ بْنِ عَرْوَةَ، إِنَّمَا هُوَ عَنْ هَشَامِ بْنِ عَرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، لَيْسَ فِيهِ عُمُرٌ، حَدَّثَ عَنْ أَبِيهِ عُلَيْهِ وَغَيْرِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُخْتَارِ.

16772. حَدَثَنَا بَشَرُ بْنُ مَعَاذٍ، قَالَ: حَدَثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةِ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا: أَيْ قَوْلًا لَيْنَا سَهْلًا.

حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثُورٍ، عَنْ مُعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، مِثْلِهِ.

16773. حَدَثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: ثَنِي حَزْمَلَةُ بْنُ عُمَرَانَ، عَنْ أَبِي الْهَدَّاجِ التَّجِيْبِيِّ، قَالَ: قَلَتْ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسِّبِ: كُلُّ مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَرِّ الْوَالَدِينِ، فَقَدْ عَرَفْتَهُ، إِلَّا قُولُهُ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا مَا هَذَا الْقَوْلُ الْكَرِيمُ؟ فَقَالَ ابْنُ الْمُسِّبِ: قَوْلُ الْعَبْدِ الْمَذْنُوبِ لِلْسَّيِّدِ الْفَطَّاطِ.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاحْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلْلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنَاي صَفِيرًا}.

يقول تعالى ذكره: وَكُنْ لَهُمَا ذَلِيلًا رَحْمَةً مِنْكَ بِهِمَا تطِيعُهُمَا فِيمَا أَمْرَاكَ بِهِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مُعْصِيَةً، وَلَا تَخْلُفُهُمَا فِيمَا أَحْبَبْتَهُمَا. وَبِنَحْوِ الذِّي قَلَنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

16774. حَدَثَنَا ابْنُ بَشَارٍ، قَالَ: حَدَثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَثَنَا سَفِيَّانَ، عَنْ هَشَامِ بْنِ عَرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، فِي قُولِهِ وَاحْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلْلِ مِنَ الرَّحْمَةِ قَالَ: لَا تَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ يُحِبَّانِهِ.

حدَثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَثَنَا الْأَشْجَعِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ هَشَامَ بْنَ عَرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، فِي قُولِهِ وَاحْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلْلِ مِنَ الرَّحْمَةِ قَالَ: هُوَ أَنْ تَلِينَ لَهُمَا حَتَّى لَا تَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ أَحْبَبَاهُ.

حدَثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكْمَ، قَالَ: حَدَثَنَا أَيُوبُ بْنُ سَوِيدٍ، قَالَ: حَدَثَنَا الثُّوْرِيُّ، عَنْ هَشَامِ بْنِ عَرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، فِي قُولِهِ وَاحْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلْلِ مِنَ الرَّحْمَةِ قَالَ: لَا تَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ أَحْبَبَاهُ.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن عبد الله بن المختار، عن هشام بن عمروة، عن أبيه، في قوله **وَاحْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلْ مِنَ الرَّحْمَةِ** قال: هو أن لا تمنع من شيء يريدانه.

16775. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا المقرئ أبو عبد الرحمن، عن حرملة بن عمران، عن أبي الهداج، قال: قلت لسعيد بن المسيب: ما قوله **وَاحْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلْ مِنَ الرَّحْمَةِ** قال: ألم تر إلى قول العبد المذنب للسيد الفطّال الغليظ.

والدَّلْ بضم الذال والدَّلْ مصدران من الذليل، وذلك أن يتذلل، وليس بذليل في الخلقة من قول القائل: قد ذللت لك أذل ذلة وذلاً، وذلك نظير القل والقلة، إذا أسقطت الهاء ضمت الذال من الدَّلْ، والكاف من القُلْ، وإذا أثبتت الهاء كسرت الذال من الدَّلْ، والكاف من القِلْة، لما قال الأعشى:

(وَمَا كُنْتُ قُلًا قَبْلَ ذَلَكَ أَزَيَّا)

يريد: القلة. وأما الدَّلْ بكسر الذال وإسقاط الهاء فإنه مصدر من الذلول من قولهم: دابة دلول: بينة الذل، وذلك إذا كانت لينة غير صعبة. ومنه قول الله جل شوأه: **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ دَلُولًا يُجْمِعُ ذَلَكُمْ دُلُلًا**، كما قال جل شوأه: فاسلكي سُبُلَ رَبِّكَ دُلُلًا. وكان مجاهد يتأول ذلك أنه لا يتوعّر عليها مكان سلكته.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قراء الحجاز والعراق والشام **وَاحْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلْ** بضم الذال على أنه مصدر من الذليل. وقرأ ذلك سعيد بن جبير وعاصم الجحدري: «**جَنَاحَ الدَّلْ**» بكسر الذال.

16776. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا بهز بن أسد، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير أنه قرأ: **وَاحْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلْ مِنَ الرَّحْمَةِ** قال: كن لهما ذليلاً، ولا تكون لهما ذلولاً.

16777. حدثنا نصر بن علي، قال: أخبرني عمر بن شقيق، قال: سمعت عاصما الجحدري يقرأ: «**وَاحْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلْ مِنَ الرَّحْمَةِ**» قال: كن لهما ذليلاً، ولا تكون لهما ذلولاً.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عمر بن شقيق، عن عاصم، مثله. قال أبو جعفر: وعلى هذا التأويل الذي تأوله عاصم كان ينبغي أن تكون قراءته بضم الذال لا بكسرها.

حدثنا نصر وابن بشار وحُدثت عن الفراء، قال: ثني هشيم، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، أنه قرأ: «**وَاحْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلْ**». قال الفراء: وأخبرني الحكيم بن ظهير، عن عاصم بن أبي التجود، أنه قرأها الدَّلْ أيضاً، فسألت أبا بكر فقال: الدَّلْ قرأها عاصم.

وأما قوله: **وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** فإنه يقول: ادع الله لوالديك بالرحمة، وقل رب ارحمهما، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك، كما تعطفا على في صغرى، فرحماني ورباني صغيرا، حتى استقللت بنفسي، واستغنت عنهما. كما:

16778. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة **وَاحْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلْ مِنَ الرَّحْمَةِ** **وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** هكذا **عُلِّمْتُمْ**، وبهذا أمرتم، خذوا تعليم الله وأدبه.

ذكر لنا أن نبی اللہ صلی اللہ علیہ وسلم خرج ذات يوم وهو مادّ پدیه رافع صوته يقول: «مَنْ أَذْرَكَ وَالدِّيْهِ أَوْ أَحَدُهُمَا ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ». ولكن كانوا يرون أنه من بَرّ والديه، وكان فيه أدنى ثقی، فإن ذلك مُلْیٰعه جسیم الخیر. وقال جماعة من أهل العلم: إن قول اللہ جلّ شناوہ: وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبِّيَانِي صَغِيرًا مَنْسُوخ بقوله: مَا كَانَ لِلَّتِيْ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِيْنَ وَلَوْ كَانُوا أُولَيْ قُرْبَى من بَعْدَ ما

بَيْنَ لَهُمْ أَنْهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ. ذکر من قال ذلك:

16779. حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبِّيَانِي صَغِيرًا ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ هَذَا: مَا كَانَ لِلَّتِيْ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِيْنَ وَلَوْ كَانُوا أُولَيْ قُرْبَى.

16780. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، قال في سورةبني إسرائيل إِمَّا يَلْفَغُانَ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كَلَاهُمَا... إِلَى قَوْلِهِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبِّيَانِي صَغِيرًا فَنَسْخَتْهَا الْآيَةُ فِي بِرَاءَةِ مَا كَانَ لِلَّتِيْ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِيْنَ وَلَوْ كَانُوا أُولَيْ قُرْبَى... الآية.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال ابن عباس وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا... الآية، قال: نسختها الآية التي في براءة ما كان للنبيّ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِيْنَ... الآية. وقد تحتمل هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عاماً في كل الأباء بغير معنى النسخ، بأن يكون تأويلها على الخصوص، فيكون معنى الكلام: وقل ربّ ارحمهما إذا كانا مؤمنين، كما ربياني صغيرا، فتكون مرادا بها الخصوص على ما قلنا غير منسوخ منها شيء. وعَنْي بقول ربياني: تَمَيَّانِي.

الآية : 25

القول في تأویل قوله تعالى {رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِيْنَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِيْنَ عَفُورًا}.

يقول تعالى ذكره رَبِّكُمْ أيها الناس أَعْلَمُ منكم بما في نُفُوسِكُمْ من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم وتركتهم، والبَرُّ بهم، وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بحقوقهم، والعقوق لهم، وغير ذلك من ضمائر صدوركم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم على حَسَنِ ذلك وسيئه، فاحذروا أن تُنصرموا لهم سوءا، وتعقدوا لهم عقوقا. وقوله إن تَكُونُوا صَالِحِيْنَ يقول: إن أنتم أصلحتم نياتكم فيهم، وأطعتم الله فيما أمركم به من البرّ بهم، والقيام بحقوقهم عليكم، بعد هفوة كانت منكم، أو زلة في واجب لهم عليكم مع القيام بما الزمكم في غير ذلك من فرائضه، فإنه كان للأوابين بعد الرّلة، والتابعين بعد الهفوة غفورا لهم. وبنحو الذي قلنا في تأویل ذلك، قال أهل التأویل. ذکر من قال ذلك:

16781. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي وعمي عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ قال: البدارة تكون من الرجل إلى أبيوه لا يريد بذلك إِلَّا الخير، فقال: رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ.

- حدثنا أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرني أبي، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، بمثله.
- 16782 حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو، عن حبيب بن أبي ثابت، في قوله **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفُورًا** قال: هو الرجل تكون منه البدارة إلى أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤاخذ به.
- واختلف أهل التأويل، في تأويل قوله: **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفُورًا** فـ قال بعضهم: هم المسبحون. ذكر من قال ذلك:
- 16783 حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: حدثنا محمد بن الصلت، قال: حدثنا أبو كدينة وحدثني ابن سنان القرزار، قال: حدثنا الحسين بن الحسن الأشقر، قال: حدثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفُورًا** قال: المسبحين.
- 16784 حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا أبو خيثمة زهير، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن أبي ميسرة، عن عمرو بن شرحبيل، قال: **الْأَوَابُ**: المسيح.
- وقال آخرون: هم المطيعون المحسنون. ذكر من قال ذلك:
- 16785 حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفُورًا** يقول: للمطيعين المحسنين.
- 16786 حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفُورًا** قال: هم المطيعون، وأهل الصلاة.
- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمرا، عن قتادة فإنه كان **لِلأَوَابِينَ عَفُورًا** قال: للمطيعين المصليين.
- وقال آخرون: بل هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء. ذكر من قال ذلك:
- 16787 حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، عن أبي صخر حميد بن زياد، عن ابن المنكدر يرفعه **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفُورًا** قال: الصلاة بين المغرب والعشاء.
- وقال آخرون: هم الذين يصلّون الصّحى. ذكر من قال ذلك:
- 16788 حدثنا عمرو بن عليّ، قال: حدثنا رياح أبو سليمان الرقاء، قال: سمعت عونا العقيلي يقول في هذه الآية **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفُورًا** قال: الذين يصلون صلاة الصحي.
- وقال آخرون: بل هو الراجع من ذنبه، التائب منه. ذكر من قال ذلك:
- 16789 حدثنا أحمد بن الوليد القرشي، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب أنه قال في هذه الآية **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفُورًا** قال: الذي يصيب الذنب ثم يتوب ثم يصيب الذنب ثم يتوب.
- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا سليمان بن داود، عن شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب في هذا الآية **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفُورًا**.
- حدثنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا يزيد، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، أنه سمع سعيد بن المسيب يسأل عن هذه الآية **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفُورًا** قال: هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني جرير بن حازم، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، بنحوه.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن سعيد بن المسيب، بنحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفْوًا** قال: هو العبد يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: فذكر مثله.
حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري ومعمر، عن يحيى بن سعيد، عن ابن المسيب، قال: **الْأَوَابُ**: الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

16790. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفْوًا** قال: **الراجعين إلى الخير**.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الصمد وأبو داود وهشام، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، بنحوه.

16791. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عمرو، جميعاً عن منصور، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفْوًا** قال: الذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر الله منها.

16792. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن منصور، عن مجاهد، قال: **الْأَوَابُ**: الذي يذكر ذنبه في الخلاء فيستغفر الله منها.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، أنه قال في هذه الآية **إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفْوًا** قال: الذي يذكر ذنبه ثم يتوب.

حدثي محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله **جَلَّ ثَناؤه لِلأَوَابِينَ عَفْوًا** قال: **الْأَوَابُونَ**: **الراجعون التائبون**.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

قال ابن جريج، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: الرجل يذنب ثم يتوب ثلاثة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، قوله **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفْوًا** قال: الذي يتذكر ذنبه، فيستغفر الله لها.

16793. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن شريح، عن عقبة بن مسلم، عن عطاء بن يسار، أنه قال في قوله **فإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ عَفْوًا** يذنب العبد ثم يتوب، فيتوب الله عليه ثم يذنب فيتوب، فيتوب الله عليه ثم يذنب الثالثة، فإن تاب، تاب الله عليه توبة لا تُمحى.

وقد رُوي عن عبيد بن عمير، غير القول الذي ذكرنا عن مجاهد، وهو ما: 16794 حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا محمد بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير، في قوله فَإِنَّمَا كَانَ لِلأَوَّابِينَ عَفْوًا قال: كَانَ تَعْذِيْلُ الْأَوَّابِ: الْحَفِيْظُ، أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَصْبَتْ فِي مَجْلِسِي هَذَا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الْأَوَّابُ: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه، لأن الْأَوَّابَ إِنَّمَا هُوَ فَعَالٌ، من قول القائل: آبٌ فلان من كذا إِمَّا من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال، كما قال عَبْدُ بْنُ الْأَبْرَصَ:

وَكُلُّ ذِي عَيْنَةٍ يَتُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَتُوبُ فَهُوَ يَتُوبُ أَوْبًا، وَهُوَ رَجُلٌ شَاءَ مِنْ سَفَرِهِ، وَأَوْبًا مِنْ ذَنْبِهِ.

الآية : 26 و 27

القول في تأويل قوله تعالى { وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمُسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرًا * إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا } .

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله وآتِ ذَا الْقُرْبَى فقال بعضهم: عَنِّي به: قرابة الميت من قِبَلِ أبيه وأمه، أمراً لله جَلَّ شَاءَهُ عباده بصلتها. ذكر من قال ذلك:

16795 حدثنا عمرانُ بن موسى، قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: حدثنا حبيب المعلم، قال: سأله رجل الحسن، قال: أَعْطِي قرابتي زكاة مالي، فقال: إن لهم في ذلك لحقاً سوى الزكاة، ثم تلا هذه الآية وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ.

16796 حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ قال: صلته التي تريد أن تصله بها ما كنت تريد أن تفعله إِلَيْهِ.

16797 حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمِّي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمُسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ قال: هو أن تصل ذا القرابة والمسكين وتحسن إلى ابن السبيل.

وقال آخرون: بل عنى به قرابه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

16798 حدثني محمد بن عمارة الأستدي، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان، قال: حدثنا الصباح بن يحيى المزنبي، عن السدي، عن أبي الديلم، قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أَفَمَا قرأت فيبني إسرائيل وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ قال: وإنكم للقرابة التي أمر الله جَلَّ شَاءَهُ أن يُؤْتِي حقه؟ قال: نعم.

وأولى التأويلين عندي بالصواب، تأويل من تأول ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قِبَلِ آبائهم وأمهاتهم، وذلك أن الله عز وجل عَقَبَ ذلك عَقِيبَ حَضْهَ عباده على بر الآباء والأمهات، فالواجب أن يكون ذلك حَصَا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلتكم إياه، وبِرْكَ به، والعطف عليه. وخرج ذلك

مُخْرِجُ الخطاب لنبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمَرَادُ بِحُكْمِهِ جَمِيعُ مَنْ لَزَمَتْهُ فِرَائِصُ اللَّهِ، يَدْلِلُ عَلَى ذَلِكَ ابْتِداَوَهُ الْوَصِيَّةُ بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَناؤُهُ: وَقَضَى رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَخْدُهُمَا فَوْجَهُ الخطاب بِقَوْلِهِ وَقَضَى رَبِّكَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ فَرَجَعَ بِالخطاب بِهِ إِلَى الْجَمِيعِ، ثُمَّ صَرَفَ الخطاب بِقَوْلِهِ إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ إِلَى إِفْرَادِهِ بِهِ. وَالْمَعْنَى بِكُلِّ ذَلِكَ جَمِيعٌ مِّنْ لَزَمَتْهُ فِرَائِصُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَفْرَدٌ بِالخطاب رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ، أَوْ عَمَّ بِهِ هُوَ وَجَمِيعُ أَمْتَهُ.

وَقَوْلُهُ: وَالْمِسْكِينَ وَهُوَ الدَّلَةُ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ. وَقَدْ دَلَّنَا فِيمَا مَضِيَ عَلَى مَعْنَى الْمِسْكِينِ بِمَا أَغْنَى عَنِ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. وَقَوْلُهُ وَأَبْنَ السَّبِيلِ يَعْنِي: الْمَسَافِرُ الْمُنْقَطَعُ بِهِ، يَقُولُ تَعَالَى: وَصِلْ قَرَابَتِكَ، فَاعْطِهِ حَقَّهُ مِنْ صَلَتِكَ إِيَّاهُ، وَالْمِسْكِينُ ذَا الْحَاجَةِ، وَالْمُجْتَازُ بِكَ الْمُنْقَطَعُ بِهِ، فَأَعْنَهُ، وَقَوْهُ عَلَى قَطْعِ سَفَرِهِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا عَنِي بِالْأَمْرِ بِإِتْيَانِ أَبْنَ السَّبِيلِ حَقَّهُ أَنْ يَضَافَ ثَلَاثَةً أَيَّامًا.

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ عِنْدِي أَوْلَى بِالصَّوَابِ، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْصُّ مِنْ حَقْوَهِ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ فِي كِتَابِهِ، وَلَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، فَذَلِكَ عَامٌ فِي كُلِّ حَقٍّ لَهُ أَنْ يُعْطَاهُ مِنْ ضِيَافَةٍ أَوْ حَمْوَلَةٍ أَوْ مَعْوِنَةٍ عَلَى سَفَرِهِ.

وَقَوْلُهُ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَذِيرًا يَقُولُ: وَلَا تَفَرَّقْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنْ مَالٍ فِي مَعْصِيَتِهِ تَفَرِيقًا. وَأَصْلُ التَّبَذِيرِ: التَّفَرِيقُ فِي السَّرَّافِ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَنَّاسُ أَجَارُونَا فَكَانَ جِوَارُهُمْ أَعْاصِيرَ مِنْ فِسْقِ الْعِرَاقِ الْمُبَدِّرِ

وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلَّنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

16799. حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمُحَارِبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْعَبَدَيْنِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَذِيرًا قَالَ: التَّبَذِيرُ فِي غَيْرِ الْحَقِّ، وَهُوَ الْإِسْرَافُ.

حَدَّثَنَا أَبْنُ بَشَّارَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَّانَ، عَنْ سَلْمَةَ، عَنْ مُسْلِمَ الْبَطِّينِ، عَنْ أَبِي الْعَبَدَيْنِ، قَالَ: سُئِّلَ عَبْدُ اللَّهِ عَنِ الْمُبَدِّرِ فَقَالَ: إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمَتَنِّيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَعْبَةَ، عَنِ الْحَكْمِ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ الْجَزارِ يَحْدُثُ عَنْ أَبِي الْعَبَدَيْنِ، ضَرِيرَ الْبَصَرِ، أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَذِيرًا قَالَ: إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ.

حَدَّثَنِي زَكْرِيَاً بْنَ يَحْيَى بْنَ أَبِي زَائِدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبْنُ إِدْرِيسَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْحَكْمِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزارِ، عَنْ أَبِي الْعَبَدَيْنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، مِثْلِهِ.

حَدَّثَنِي يَعْقُوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبْنُ عَلِيَّةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شَعْبَةَ، عَنِ الْحَكْمِ بْنِ عَتَيْبَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزارِ أَنَّ أَبَا الْعَبَدَيْنِ، كَانَ ضَرِيرَ الْبَصَرِ، سَأَلَ أَبْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ: مَا التَّبَذِيرُ؟ فَقَالَ: إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ.

حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ أَسْلَمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْمَسْعُودِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَلْمَةَ بْنَ كَهْيَلَ، عَنْ أَبِي الْعَبَدَيْنِ، وَكَانَتْ بِهِ رَمَانَةٌ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْرُفُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا التَّبَذِيرُ؟ فَذَكَرَ مِثْلَهُ.

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: حدثنا أبو الحوءب، عن عمار بن زريق، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مُضرب، عن أبي العبيدين، عن عبد الله بن مسعود، قال: كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدّث أن التبذير: النفقة في غير حقه.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا يحيى بن كثير العنبرى، قال: حدثنا شعبة، قال: كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة، فأتى على دار ثنى بجصّ واجر، فقال: هذا التبذير في قول عبد الله: إنفاق المال في غير حقه.

16800. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، ثني عمِّي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ولا تبذّرْ تبذّرا قال: المبذّر: المنافق في غير حقه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عباد، عن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: المبذّر: المنافق في غير حقه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قال: لا تنفق في الباطل، فإن المبذّر: هو المسرف في غير حقّ.

قال ابن جريج وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحقّ ما كان تبذيراً، ولو أنفق ممّا في باطل كان تبذيراً.

16801. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله ولا تبذّرْ تبذّرا قال: التبذير: النفقة في معصية الله، وفي غير الحقّ وفي الفساد.

16802. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ قال: بدأ بالوالدين قبل هذا، فلما فرغ من الوالدين وحقهما، ذكر هؤلاء وقال لا تبذّرْ تبذّرا: لا تعط في معاصي الله.

وأما قوله إنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ فإنه يعني: إنَّ المفترقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته أولياء الشياطين وكذلك تقول العرب لكل ملازم سنة قوم وتابع أثرهم: هو أخوهم وكان الشيطان لربّه كفورا يقول: وكان الشيطان لنعمة ربه التي أنعمها عليه جحودا لا يشكرون عليه، ولكنهم يكفرها بتترك طاعة الله، وركوبه معصيته، وكذلك إخوانه منبني آدم المبذرون أموالهم في معاصي الله، لا يشكون الله على نعمة عليهم، ولكنهم يخالفون أمره ويغضّونه، ويستنون فيما أنعم الله عليهم به من الأموال التي خولهموها وجل عزّ سنته من ترك الشكر عليها، وتلقيها بالكفران. كالذي:

16803. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله إنَّ الْمُبَذِّرِينَ: إن المنفقين في معاصي الله كانوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وكان الشيطان لربّه كفورا.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى {وَإِمَّا تُغْرِصَنَّ عَنْهُمْ ابْتِيَاعَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا}.

يقول تعالى ذكره: وإن تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم إذا وجدت إليها السبيل بوجهك عند مسألتهم إليك، ما لا تجد إليه سبيلاً، حياء منهم ورحمة لهم ابْتِغَاءَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ يقول: انتظار رزق تنتظره من عند ربك، وترجو تيسير الله إياه لك، فلا تؤيسيهم، ولكن قل لهم قولًا ميسوراً. يقول: ولكن عدهم وعدا جميلاً، بأن تقول: سيرزق الله فأعطيكم، وما أشبه ذلك من القول اللين غير الغليظ، كما قال جل شناوه وأمّا السّائلَ فَلَا تَنْهَرْ. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16804. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم وإمّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا قال: انتظار الرزق فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا قال: لينا تَعْدُهُمْ.

16805. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، عن ابن حجاج، عن ابن حريج، عن عطاء الْخُراساني، عن ابن عباس ابْتِغَاءَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ قال: رزق أهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ تَحْنُّ قَسْمَنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ.

16806. حدثنا عمران بن موسى، قال: حدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا عمارة، عن عكرمة، في قوله وإمّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا قال: انتظار رزق من الله يأتيك.

16807. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، عن ابن حجاج، عن ابن حريج، عن عكرمة، قوله وإمّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها قال: إن سالوك فلم يجدوا عندك ما تعطيهم ابْتِغَاءَ رَحْمَةً، قال: رزق تنتظره ترجوه فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا قال: عِدْهُمْ عِدَّةً حسنة: إذا كان ذلك، إذا جاءنا ذلك فعلنا، أعطيناكم، فهو القول الميسور.

قال ابن حريج، قال مجاهد: إن سالوك فلم يكن عندك ما تعطيهم، فأعرضت عنهم ابْتِغَاءَ رَحْمَةً، قال: رزق تنتظره فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا.

16808. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجح، عن مجاهد، في قول الله عز وجل ابْتِغَاءَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ قال: انتظار رزق الله.

16809. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الصّحّى، عن عبيدة في قوله ابْتِغَاءَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها قال: ابْتِغَاءَ الرزق.

16810. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكاماً، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد وإمّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها قال: أي رزق تنتظره فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا أي معروفاً.

16811. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معاذ، عن قتادة فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا قال: عدم خيراً. وقال الحسن: قل لهم قولًا لينا وسهلاً.

16812. حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الصحاح يقول، في قوله وإمّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ يقول: لا نجد شيئاً تعطيهم ابْتِغَاءَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ يقول: انتظار الرزق من ربك، نزلت فيمن كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم من المساكين.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثني حرمي بن عمارة، قال: حدثنا شعبية، قال: ثني عمارة، عن عكرمة في قول الله **فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا** قال: الرفق.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

16813. حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **إِنَّمَا تُعِرِضُنَّ عَنْهُمْ** عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم ابتغاء رحمة من ربكم ترجوها إذا خشيت إن أعطيتهم، أن يتقووا بها على معاصي الله عز وجل، ويستعينوا بها عليها، فرأيت أن تمنعهم خيرا، فإذا سألكم **فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا** قولًا جميلاً: رزقك الله، بارك الله فيك.

وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن زيد مع خلافه أقوال أهل التأويل في تأويل هذه الآية، بعيد المعنى، مما يدل عليه ظاهرها، وذلك أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم **إِنَّمَا تُعِرِضُنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ** من ربكم ترجوها فأمره أن يقول إذا كان إعراضه عن القوم الذين ذكرهم انتظار رحمة منه يرجوها من ربه **قَوْلًا مَيْسُورًا** وذلك الإعراض ابتغاء الرحمة، لمن يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون إعراضه منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها لنفسه، فيكون معنى الكلام كما قلناه، وقاله أهل التأويل الذين ذكرنا قولهم، وخلاف قوله أو يكون إعراضه منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها للسائلين الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بزرعه أن يمنعهم ما سأله خشية عليهم من أن ينفعوه في معاصي الله، فمعلوم أن سخط الله على من كان غير مأمون منه صرف ما أغطي من نفقة ليتقوى بها على طاعة الله في معاصيه، أخوف من رجاء رحمته له، وذلك أن رحمة الله إنما ترجى لأهل طاعته، لا لأهل معاصيه، إلا أن يكون أراد توجيه ذلك إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بمنعهم ما سأله، لينبئوا من معاصي الله، ويتوبيوا بمنعه إياهم ما سأله، فيكون ذلك وجها يحمله تأويل الآية، وإن كان لقول أهل التأويل مخالفًا.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى **{وَلَا تَحْكُلْ يَدَكَ مَعْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطَهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا}**.

وهذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوي الأموال، فجعله كالمشدودة يده إلى عنقه، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء.

إنما معنى الكلام: ولا تمسك يا محمد يدك بخلاً عن النفقة في حقوق الله، فلا تنفق فيها شيئاً إمساك المغلولة يده إلى عنقه، الذي لا يستطيع بسطها ولا تبسطها كُلَّ البسط يقول: ولا تبسطها بالعطية كُلَّ البسط، فتبقي لا شيء عندك، ولا تجد إذا سئلت شيئاً تعطيه سائلوك **فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا** يقول: فتقعد يلومك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألكم، وتلومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه، محسوراً يقول: معيماً، قد انقطع بك، لا شيء عندك تنفقه. وأصله من قوله للدابة التي قد سير عليها حتى انقطع سيرها، وكلت وزرحت من السير، بأنه حسير. يقال منه: حسّرت الدابة فإنما أحسّرها، وأحسّرها حسّراً، وذلك إذا أنسنته بالسير وحسّرته بالمسألة إذا سأله فالحفت وحسّرت البصر فهو يحسّر، وذلك إذا بلغ أقصى

المنظر فَكَلٌّ. ومنه قوله عَزٌّ وَجٌّ: يَنْقِلِتْ إِلَيْكَ الْبَصْرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (الملك: 4) وكذلك ذلك في كل شيء كُلًّا وأزحف حتى يَضْنَى. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16814. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا هودة، قال: حدثنا عوف، عن الحسن، في قوله وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ قال: لا تجعلها مغلولة عن النفقة ولا تُبْسِطُها: تبذر بسرف.

16815. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يوسف بن بهز، قال: حدثنا حوشب، قال: كَانَ الْحَسَنُ إِذَا تَلَاهُتِ الْأَيْةِ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تُبْسِطُهَا كُلًّا الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا يقول: لا تطّاف برزقي عن غير رضاي، ولا تضعه في سُخْطِي فأسلِبَكَ مَا فِي يَدِكَ، فتكون حسيرا ليس في يديك منه شيء.

16816. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تُبْسِطُهَا كُلًّا الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا يقول: هذا في النفقة، يقول لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ يقول: لا تبسطها بالخير ولا تُبْسِطُها كُلًّا الْبَسْطِ يعني التبذير فَتَقْعُدَ مَلُومًا يقول: يلوم نفسه على ما فات من ماله مَحْسُورًا يعني: ذهب ماله كله فهو محسور.

حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ يعني بذلك البخل.

16817. حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ أي لا تمسكها عن طاعة الله، ولا عن حقه ولا تُبْسِطُهَا كُلًّا الْبَسْطِ يقول: لا تتفقها في معصية الله، ولا فيما يصلح لك، ولا ينبغي لك، وهو الإسراف. قوله فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا قال: ملوما في عباد الله، محسورا على ما سلف من دهره وفِرَطِه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمرا، عن قتادة وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ قال: في النفقة، يقول: لا تمسك عن النفقة ولا تُبْسِطُهَا كُلًّا الْبَسْطِ يقول: لا تبذر تبذيرا فَتَقْعُدَ مَلُومًا في عباد الله مَحْسُورًا يقول: نادما على ما فرط منك.

16818. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريج، قال: لا تمسك عن النفقة فيما أمرتك به من الحق ولا تُبْسِطُهَا كُلًّا الْبَسْطِ فيما نهايتك فَتَقْعُدَ مَلُومًا قال: مذنبًا مَحْسُورًا قال: منقطعا بك.

16819. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ قال: مغلولة لا تبسطها بخير ولا بعطيه ولا تُبْسِطُهَا كُلًّا الْبَسْطِ في الحق والباطل، فينقذ ما معك، وما في يديك، ف يأتيك من يريد أن تعطيه فيحرسر بك، فيلومك حين أعطيت هؤلاء، ولم تعطهم.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِلَهٌ كَانَ يَعْبَادِهِ حَيْرًا بَصِيرًا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن ربك يا محمد يبسط رزقه لمن يشاء من عباده، فيوسع عليه، ويقدر على من يشاء،

يقول: وَيُقَتَّرُ عَلَىٰ مِن يَشَاءُ مِنْهُمْ، فَيَضِيقُ عَلَيْهِ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ حَبِيرًا: يقول: إن ربك ذو خبرة بعباده، ومن الذي تصلحه السعة في الرزق وتفسده ومن الذي يصلحه الإقتار والضيق وبهلكه. بصيرا: يقول: هو ذو بصر بتدبيرهم وسياستهم، يقول: فانته يا محمد إلى أمرنا فيما أمرناك ونهيناك من بسط يدك فيما تبسطها فيه، وفيمن تبسطها له، ومن كفها عن تكفيها عنه، وتكتفها فيه، فنحن أعلم بمصالح العباد منك، ومن جميع الخلق وأبصر بتدبيرهم، كالذي:

16820. حديث يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، ثم أخبرنا تبارك وتعالى كيف يصنع، فقال: إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ قَال: يقدر: يقل، وكل شيء في القرآن يقدر كذلك ثم أخبر عباده أنه لا يرى رؤه ولا يئوده أن لو بسط عليهم، ولكن نظرا لهم منه، فقال: وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزَلُ بَقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ حَبِيرٌ بَصِيرٌ قال: والعرب إذا كان الخصب وبسط عليهم أشروا، وقتل بعضهم بعضا، وجاء الفساد، فإذا كان السنة سُغلوا عن ذلك.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى { وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ حَشْيَةً إِمْلَاقٍ تَحْنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكم إِنْ قَتَلْهُمْ كَانَ خِطْنًا كَبِيرًا }.
يقول تعالى ذكره: وَقَضَى رَبُّكَ يَا مُحَمَّدَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالَّدِينِ إِحْسَانًا، وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ حَشْيَةً إِمْلَاقٍ فموضع تقتلوا نصب عطفا على ألا تعبدوا.

ويعني بقوله: حشية إملاق خوف إقتار وفقير. وقد بيّنا ذلك بشواهده فيما مضى، وذكرنا الرواية فيه. وإنما قال جل ثناؤه ذلك للعرب، لأنهم كانوا يقتلون الإناث من أولادهم خوف العيلة على أنفسهم بالإنفاق عليهن، كما:

16821. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله ولا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ حَشْيَةً إِمْلَاق: أي حشية الفاقة، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة، فوعظهم الله في ذلك، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله، فقال: تَحْنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكم إِنْ قَتَلْهُمْ كَانَ خِطْنًا كَبِيرًا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة حشية إملاق قال: كانوا يقتلون البنات.

16822. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجج، عن ابن حريج، قال: قال مجاهد وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ حَشْيَةً إِمْلَاقٍ قال: الفاقة والفقير.

16823. حديث علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله حشية إملاق يقول: الفقر.
وأما قوله: إِنْ قَتَلْهُمْ كَانَ خِطْنًا كَبِيرًا فإن القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامة أهل المدينة وال العراق إِنْ قَتَلْهُمْ كَانَ خِطْنًا كَبِيرًا بكسر الخاء من الخطأ وسكون الطاء. وإذا قرئ ذلك كذلك، كان له وجهان من التأويل: أحدهما أن يكون أسماء من قول القائل: خطئت فأنا أخطأ، بمعنى: أذنبت وأثمت. ويحكي عن العرب: خطئت: إذا أذنبت عمدا، وأخطأت: إذا

وَقَعَ مِنْكَ الذَّنْبُ حَطَّاً عَلَى غَيْرِ عَمْدِكَ لَهُ . وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى حَطَّاً بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالْطَّاءِ، ثُمَّ كَسْرِ الْخَاءِ وَسَكْرِ الْطَّاءِ، كَمَا قِيلَ: قِتْبٌ وَقِتْبٌ وَحَذَرْ وَحِذْر، وَنَجِسْ وَنَجْسٌ. وَالْخِطَاءُ بِالْكِسْرِ اسْمٌ، وَالْحَطَّاً بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالْطَّاءِ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: حَطِّيَ الرَّجُلُ وَقَدْ يَكُونُ اسْمًا مِنْ قَوْلِهِمْ أَخْطَأً. فَأَمَّا الْمَصْدَرُ مِنْهُ فَالْأَخْطَاءُ. وَقَدْ قِيلَ: حَطِّيَ، بِمَعْنَى أَخْطَأً، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ حَطِّيْنَ كَاهِهِلاً

بِمَعْنَى: أَخْطَأْنَ . وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قَرَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: «إِنْ قَتْلَهُمْ كَانَ حَطَّاً» بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالْطَّاءِ مَقْصُورًا عَلَى تَوْجِيهِ إِلَى أَنَّهُ اسْمٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَخْطَأْ فَلَانَ حَطَّاً. وَقَرَأَهُ بَعْضُ قَرَاءِ أَهْلِ الْمَكَّةِ: «إِنْ قَتْلَهُمْ كَانَ حَطَّاً» بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالْطَّاءِ، وَمَدَّ الْخِطَاءَ بِنَحْوِ مَعْنَى مِنْ قَرَأَهُ حَطَّاً بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالْطَّاءِ، غَيْرُ أَنَّهُ يَخْالِفُهُ فِي مَدِ الْحَرْفِ.

وَكَانَ عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَبَعْضِ الْبَصَرِيِّينَ مِنْهُمْ يَبْرُونَ أَنَّ الْخِطَاءَ وَالْحَطَّاً بِمَعْنَى وَاحِدٍ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ زَعَمُوا أَنَّ الْخِطَاءَ بِكَسْرِ الْخَاءِ وَسَكْونِ الْطَّاءِ فِي الْقِرَاءَةِ أَكْثَرًا، وَأَنَّ الْحَطَّاً بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالْطَّاءِ فِي كَلَامِ النَّاسِ أَفْسَى، وَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ الْخِطَاءَ بِكَسْرِ الْخَاءِ وَسَكْونِ الْطَّاءِ، فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ، إِلَّا فِي بَيْتٍ أَنْشَدَهُ لِبَعْضِ الْشِّعْرَاءِ:

الْخِطَاءُ فَاجِسَةُ وَالبِّرِّ نَافِلَةٌ كَعْجُوَةٌ عُرِسَتْ فِي الْأَرْضِ تُؤْتَبِرُ

وَقَدْ ذَكَرَتِ الْفَرَقُ بَيْنِ الْخِطَاءِ بِكَسْرِ الْخَاءِ وَسَكْونِ الْطَّاءِ وَفَتْحِهِمَا . وَأَوْلَى الْقِرَاءَاتِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ، الْقِرَاءَةُ الَّتِي عَلَيْهَا قِرَاءَ أَهْلِ الْعَرَاقِ، وَعَامَّةُ أَهْلِ الْحِجَارِ، لِإِجْمَاعِ الْحَجَةِ مِنْ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهَا، وَشَذُوذُ مَا عَدَاهَا. وَإِنْ مَعْنَى ذَلِكَ كَانَ إِثْمًا وَخَطِيئَةً، لَا حَطَّاً مِنَ الْفَعْلِ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يَقْتَلُونَهُمْ عَمَدًا لَا حَطَّاً، وَعَلَى عَمَدِهِمْ ذَلِكَ عَاتِبُهُمْ رِبُّهُمْ، وَتَقْدِيمُ إِلَيْهِمْ بِالنَّهِيِّ عَنِهِ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلَّنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

16824- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ حَطَّاً كَبِيرًا قَالَ: أَيْ خَطِيئَةٌ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: ثَنَى حَجَاجُ، عَنْ أَبِي جَرِيجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ إِنْ قَتْلَهُمْ كَانَ حَطَّاً كَبِيرًا قَالَ: خَطِيئَةٌ . قَالَ أَبُو جَرِيجٍ، وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ: حَطَّاً: أَيْ خَطِيئَةٌ .

الآية : 32

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى {وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْنَى إِلَّهٌ كَانَ فَاجِسَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} .

يَقُولُ تَعَالَى ذَكْرُهُ: وَقَضَى أَيْضًا أَنْ لَا تَقْرَبُوا أَيْمَانَ النَّاسِ الَّتِي كَانَ فَاجِسَةً يَقُولُ: إِنَّ الَّرِّزْنَى كَانَ فَاجِسَةً وَسَاءَ سَبِيلًا يَقُولُ: وَسَاءَ طَرِيقُ الزِّنَى طَرِيقًا، لِأَنَّ طَرِيقَ أَهْلِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَالْمُخَالِفِينَ أَمْرِهِ، فَأَسْوَى بِهِ طَرِيقًا يُورِدُ صَاحِبَهُ نَارَ جَهَنَّمِ .

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لِوْلَيْهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا}.

يقول جل ثناؤه: وقضى أيضاً أن لا تقتلوا أيها الناس النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق وحقها أن لا تقتل إلا بکفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحسان، أو قود نفس، وإن كانت كافرة لم يتقدم کفرها إسلام، فإن لا يكون تقدم قتلها لها عهد وأمان، كما:

16825. حدثنا بشير، قال: حديثنا يزيد، عن قتادة، قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق وإنما والله ما نعلم بحل دم امرء مسلم إلا بإحدى ثلاث، إلا رجلاً قتل متعمداً، فعليه القود، أو رنى بعد إحسانه فعليه الرجم أو کفر بعد إسلامه فعليه القتل.

16826. حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن عيينة، عن الزهرى، عن غروة أو غيره، قال: قيل لأبي بكر: أتقتل من يرى أن لا يؤدى الزكاة، قال: لو منعوني شيئاً مما أقرروا به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم. فقيل لأبي بكر: أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموها متي دماءهم وأموالهم إلا يحقها، وحسابهم على الله» فقال أبو بكر: هذا من حقها.

16827. حدثني موسى بن سهل، قال: حدثنا عمرو بن هاشم، قال: حدثنا سليمان بن حيان، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموها متي دماءهم وأموالهم إلا يحقها، وحسابهم على الله» قيل: وما حقها؟ قال: «زنا بعد إحسان، وكفر بعد إيمان، وقتل نفسٍ فيقتل بها».

وقوله: ومن قُتِلَ مَظْلُومًا يقول: ومن قتل بغير المعاني التي ذكرنا أنه إذا قتل بها كان قتلاً بحقٍ فَقَدْ جَعَلَنَا لِوْلَيْهِ سُلْطَانًا يقول: فقد جعلنا لولي المقتول ظلماً سلطاناً على قاتل ولية، فإن شاء استقاد منه فقتله بوليه، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الديمة.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى السلطان الذي جعل لولي المقتول، فقال بعضهم في ذلك، نحو الذي قلنا. ذكر من قال ذلك:

16828. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لِوْلَيْهِ سُلْطَانًا قال: بينة من الله عز وجل أنزلها يطلبها ولية المقتول، العقل، أو القود، وذلك السلطان.

16829. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن جوبير، عن الصحاك بن مزاحم، في قوله: فَقَدْ جَعَلَنَا لِوْلَيْهِ سُلْطَانًا قال: إن شاء عفا، وإن شاء أخذ الديمة.

وقال آخرون: بل ذلك السلطان: هو القتل. ذكر من قال ذلك:

16830. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لِوْلَيْهِ سُلْطَانًا وهو القود الذي جعله الله تعالى.

وأولى التأowيلين بالصواب في ذلك تأويل من تأول ذلك: أن السلطان الذي ذكر الله تعالى في هذا الموضع ما قاله ابن عباس، من أن لولي

القتيل القتل إن شاء وإن شاء أخذ الديمة، وإن شاء العفو، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم فتح مكة: «ألا وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بَحْيٌ النَّظَرِينَ بَيْنَ أَنْ يَقْتَلَ أَوْ يَأْخُذَ الدِّيَةَ» وقد بيّنت الحكم في ذلك في كتابنا: كتاب الجراح.

وقوله: **فَلَا تُسْرِفْ** في القتيل اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قراء الكوفة: **فَلَا تُسْرِفْ** بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد به هو والأئمة من بعده، يقول: فلا تقتل بالمقتول ظُلْماً غير قاتله، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك إذا قتل رجل رجلاً عمد وللي القتيل إلى الشريف من قبيلة القاتل، فقتله بولييه، وترك القاتل، فنهى الله عزّ وجلّ عن ذلك عباده، وقال لرسوله عليه الصلاة والسلام: قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف، فلا تقتل به غير قاتله، وإن قتلت القاتل بالمقتول فلا تمثّل به. وقرأ ذلك عامّة قراء أهل المدينة والبصرة: **فَلَا تُسْرِفْ** بالبياء، بمعنى فلا يسرف وللي المقتول، فيقتل غير قاتل وليه. وقد قيل: عنى به: فلا يسرف القاتل الأول لأولي المقتول.

والصواب من

القول في ذلك عندي، أن يقال: إنهم قراءاتان متقاربتا المعنى، وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأمر أو نهى في أحكام الدين، قضاء منه بذلك على جميع عباده، وكذلك أمره ونهيه بعضهم، أمر منه ونهى جميعهم، إلا فيما دلّ فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض، فإذا كان ذلك كذلك بما قد بيّنا في كتابنا (كتاب البيان، عن أصول الأحكام) فمعلوم أن خطابه تعالى بقوله **فَلَا تُسْرِفْ** في القتيل نبيه صلى الله عليه وسلم، وإن كان موجّهاً إليه أنه معنّى به جميع عباده، وكذلك نهي وللي المقتول أو القاتل عن الإسراف في القتل، والتعدّي فيه نهي لجميعهم، فبائي ذلك قرأ القاريء فمصيب صواب القراءة في ذلك.

وقد اختلف أهل التأویل في تأویلهم ذلك نحو اختلاف القراء في قراءتهم إياه. ذكر من تأوّل ذلك بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

16831. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن طلق بن حبيب، في قوله: **فَلَا تُسْرِفْ** في القتيل قال: لا تقتل غير قاتله، ولا تمثّل به.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير. عن منصور، عن طلق بن حبيب، بنحوه.

16832. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، في قوله: **فَلَا تُسْرِفْ** في القتيل قال: لا تقتل اثنين بواحد.

16833. حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبياً معاذ، يقول: أخبرنا عبد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **فَلَا تُسْرِفْ** في القتيل إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا كَانَ هَذَا بِمَكَةَ، وَنَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا، وَهُوَ أَوْلَ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي شَأْنِ الْقَتْلِ، كَانَ الْمُشَرِّكُونَ يَقْتَلُونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ قَتَلَكُمْ مِنَ الْمُشَرِّكِينَ، فَلَا يَحْمِلُنَّكُمْ قَتْلَهُ إِيَّاكُمْ عَنْ أَنْ تَقْتِلُوهُ لَهُ أَبَا أَوْ أَخَا أَوْ أَحَدًا مِنْ عَشِيرَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا مُشَرِّكِينَ، فَلَا تَقْتِلُوهُ إِلَّا قَاتَلُوكُمْ وَهَذَا قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ

براءة، وقبل أن يُؤمرُوا بقتال المشركين، فذلك قوله: **فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ** يقول: لا تقتل غير قاتلك، وهي اليوم على ذلك الموضع من المسلمين، لا يحل لهم أن يقتلو إلا قاتلهم. ذكر من قال: **عُنِي وَلِيَ الْمَقْتُولَ**:

16834. حديثي يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله: **وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً** قال: كان الرجل يُقتل فيقول وليه: لا أرضي حتى أقتل به فلاناً وفلاناً من أشراف قبيلته.

16835. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ** قال: لا تقتل غير قاتلك، ولا تمثل به. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة **فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ** قال: لا يقتل غير قاتله من قتل بحديدة ومن قتل بخشبة قُتِلَ بخشبة ومن قتل بحجر قُتِلَ بحجر. ذُكر لنا أن نبِيَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «إِنَّ مَنْ أَعْتَى النَّاسَ عَلَى اللَّهِ جَلَّ شَنَاؤُهُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ قَتَلَ بَدْخَنَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ قَتَلَ فِي حَرَمِ اللَّهِ».

16836. حديثي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: سمعته، يعني ابن زيد، يقول في قول الله جل شناؤه ومن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً قال: إن العرب كانت إذا قُتِلَ منهم قتيل، لم يرضوا أن يقتلوه قاتل صاحبهم، حتى يقتلوه أشرف من الذي قتله، فقال الله جل شناؤه **فَقَدْ جَعَلَنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً** ينصره وينتصف من حقه فلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ يقتل بريئاً. ذكر من قال يعني به القائل:

16837. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير عن مجاهد **فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ** قال: لا يسرف القاتل في القتل.

وقد ذكرنا الصواب من القراءة في ذلك عندنا، وإذا كان كلا وجهي القراءة عندنا صواباً، فكذلك جميع أوجه تأويله التي ذكرناها غير خارج وجه منها من الصواب، لاحتمال الكلام ذلك وإن في نهي الله جل شناؤه بعض خلقه عن الإسراف في القتل، نهى منه جميعهم عنه.

وأما قوله: **إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِيمَنْ عُنِي بِالْهَاءِ** التي في قوله **إِنَّهُ** وعلى ما هي عائدة، فقال بعضهم: هي عائدة على ولِيَ المقتول، وهو المعنى بها، وهو المنصور على القاتل. ذكر من قال ذلك:

16838. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا** قال: هو دفع الإمام إليه، يعني إلى الولي، فإن شاء قتل، وإن شاء عفا.

وقال آخرون: بل يعني بها الْمَقْتُولُ، فعلى هذا القول هي عائدة على **«مَنْ»** في قوله: **وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا**. ذكر من قال ذلك:

16839. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد **إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا** إن المقتول كان منصوراً.

وقال آخرون: يعني بها دم المقتول، وقالوا: معنى الكلام: إن دم القتيل كان منصوراً على القاتل.

وأشبه ذلك بالصواب عندي. قول من قال عني بها الولي، وعليه عادت، لأنّه هو المظلوم، ووليه المقتول، وهي إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول، وهو المنصور أيضاً، لأنّ الله جلّ ثناؤه قضى في كتابه المنزل، أن سلطه على قاتل ولديه، وحكمه فيه، بأن جعل إليه قتلها إن شاء، واستبقاءه على الدية إن أحبّ، والعفو عنه إن رأى، وكفى بذلك نصرة له من الله جلّ ثناؤه، فلذلك قلنا: هو المعنى بالهاء التي في قوله: إله كأنَّ مُنصوراً.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِالِّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشْدَدَهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدَ كَمَا نَزَّلْتُهُ}. يقول تعالى ذكره: وقضى أيضاً أن لا تقربوا مال اليتيم بأكل، إسراها ويداراً أن يكثروا، ولكن اقرابوه بالفعلة التي هي أحسن، والحلة التي هي أجمل، وذلك أن تصرّفوا فيه له بالتمير والإصلاح والحيطة. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

16840. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِالِّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِمَا نَزَّلْتُهُ هذه الآية، اشتَدَّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا لا يخالطونهم في طعام أو أكل ولا غيره، فأنزل الله تبارك وتعالى وإنْ تُخالطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ فـكانت هذه لهم فيها رخصة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معاذ، عن قتادة وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِالِّتِي هِيَ أَحْسَنُ قال: كانوا لا يخالطونهم في مال ولا مأكل ولا مركب، حتى نزلت وإنْ تُخالطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ. وقال ابن زيد في ذلك ما:

16841. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِالِّتِي هِيَ أَحْسَنُ قال: الأكل بالمعروف، أن تأكل معه إذا احتجت إليه، كان أبي يقول ذلك.

وقوله: حتى يبلغ أشدّه يقول: حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل، وتدبر ماله، وصلاح حاله في دينه وأوفوا بالعهد يقول: وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام، وفيما بينكم أيضاً، والبيوع والأشربة والإجرارات، وغير ذلك من العقود إنّ العهد كان مسئولاً يقول: إن الله جلّ ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه إياها، يقول: فلا تنقصوا العهود الجائزة بينكم، وبين من عاهدتمنوه إليها الناس فتخرفوه، وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك. وإنما عنى بذلك أن العهد كان مطلوباً يقال في الكلام: ليسئل فلان عهد فلان.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}. يقول تعالى ذكره: وقضى أن أوفوا الكيل للناس إذا كيلتم لهم حقوقهم قبلكم، ولا تبخسونهم وزنوا بالقسطاس المستقيم يقول: وقضى أو زنوا أيضاً إذا وزنتم لهم بالميزان المستقيم، وهو العدل الذي لا اعوجاج فيه، ولا دغل، ولا خديعة. وقد اختلف أهل التأويل في معنى القسطاس، فقال بعضهم: هو القبان. ذكر من قال ذلك:

16842. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا صفوان بن عيسى، قال: حدثنا الحسن بن ذكوان، عن الحسن: وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ قال: القَبْانِ.

وقال آخرون: هو العدل بالروميه. ذكر من قال ذلك:

16843. حدثنا عليّ بن سهل، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: القسطاس: العدل بالروميه. وقال آخرون: هو الميزان صغر أو كبير وفيه لغتان: القسطاس بكسر القاف، والقسطاس بضمها، مثل القرطاس والقرطاس وبالكسر يقرأ عامّة قرّاء أهل الكوفة، وبالضم يقرأ عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة، وقد قرأ به أيضاً بعض قرّاء الكوفيّين، وبأيّتهما قرأ القاريء فمصيب، لأنّهما لغتان مشهورتان، وقراءتان مستفيضتان في قرّاء الأمصار.

وقوله: ذلك حَيْرٌ يقول: إِيْفَاوْكُمْ أَيْهَا النَّاسُ مِنْ تَكِيلُونَ لَهُ الْكَيْلُ، وَوَزْنُكُمْ بِالْعَدْلِ لَمْنَ تَوْفُونَ لَهُ حَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَخْسُكُمْ إِيَاهُمْ ذَلِكُ، وَظَلْمُكُمْ وَهُمْ فِيهِ. وقوله: وأَحْسَنُ تَأْوِيلًا يقول: وأحسن مردواداً عليكم وأولى إليه فيه فعلكم ذلك، لأن الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم، فيحسن لكم عليه الجزاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16844. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ كُلُّنُّمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ حَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا أي خير ثواباً وعاقبة.

وأخبرنا أن ابن عباس كان يقول: يا معاشر الموالى، إنكم وليتكم أمرین بهما هلك الناس قبلكم: هذا المكيال، وهذا الميزان. قال: وذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا يَقْدِرُ رَجُلٌ عَلَى حَرَامٍ ثُمَّ يَدْعُهُ، لَيْسَ بِهِ إِلَّا مَخَافَةُ اللَّهِ، إِلَّا أَبْدَلَهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ مَا هُوَ حَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وأحسن تأویلاً قال: عاقبة وثوابا.

الآلية : 36

القول في تأویل قوله تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}.

اختلاف أهل التأویل في تأویل قوله: ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فقال بعضهم: معناه: ولا تقل ما ليس لك به علم. ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ يقول: لا تقل.

16846. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، عن قتادة و لا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، فإن الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة و لا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ قال: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم.

16847. حُدِثَتْ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ الْأَزْرَقَ، عَنْ أَبِي عَمْرِ الْبَزَارِ، عَنْ أَبْنَى الْحَنْفِيَّةِ قَالَ: شَهادَةُ الزُّورِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: وَلَا تَرْمِ مَذْكُورَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

16848. حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنِي أَبِي، قَالَ ثَنِي عَمِي، قَالَ: ثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبْنَى عَبَاسَ، قَوْلُهُ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ يَقُولُ: لَا تَرْمِ أَحَدًا بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.

16849. حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعاً، عَنْ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ وَلَا تَقْفُ وَلَا تَرْمِ.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنَ، قَالَ: ثَنِي حَجَاجُ، عَنْ أَبِي جَرِيجٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، مُثْلِهِ.

وَهَذَا التَّأْوِيلُ مُتَقَارِبٌ إِلَيْهِ الْمَعْنَى، لَأَنَّ الْقَوْلَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ الْقَائِلُ يَدْخُلُ فِيهِ شَهادَةُ الزُّورِ، وَرْمَى النَّاسَ بِالْبَاطِلِ، وَإِذْعَاءُ سَمَاعِ مَا لَمْ يَسْمَعْهُ، وَرَؤْيَا مَا لَمْ يَرَهُ. وَأَصْلُ الْقَفْوَى: الْعَضْهُ وَالْبَهْتُ. وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَحْنُّ بْنُو النَّصْرِ بْنَ كَنَّاتَةَ لَا تَقْفُوا أَمْنَانَا وَلَا تَسْتَفِي مِنْ أَبِينَا»، وَكَانَ بَعْضُ الْبَصَرِيِّينَ يَنْشَدُ فِي ذَلِكَ بَيْتَهُ:

وَمِثْلُ الدَّمَى شَمَّ الْعَرَابِينَ سَاكِنِهِنَّ الْحَيَاةُ لَا يُشَعِّنَ النِّقَافِيَا

يَعْنِي بِالْتَّقَادِفِ: التَّقَادِفُ. وَبِزَعْمِ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ لَا تَقْفُ لَا تَتَبَعُ مَا لَا تَعْلَمُ، وَلَا يَعْنِيكُ. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكَوْفَةِ، يَزْعُمُ أَنَّ أَصْلَهُ الْقِيَافَةُ، وَهِيَ اتِّبَاعُ الْأَثْرِ وَإِذَا كَانَ كَمَا ذَكَرُوا وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ: «وَلَا تَقْفُ» بِضمِ الْقَافِ وَسَكُونِ الْفَاءِ، مُثْلِهِ: وَلَا تَقْلُ. قَالَ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ: قَفَوْتُ أَثْرَهُ، وَقُفتُ أَثْرَهُ، فَتَقَدَّمَ أَحِيَانًا الْوَاوُ عَلَى الْفَاءِ وَتَؤْخِرُهَا أَحِيَانًا بَعْدَهَا، كَمَا قِيلَ: قَاعُ الْجَمْلِ النَّاقَةُ: إِذَا رَكَبَهَا وَقَعَهَا وَعَاثَ وَعَثَّى وَأَنْشَدَ سَمَاعًا مِنَ الْعَرَبِ.

وَلَوْ أَتَيْ رَمِيَّكَ مِنْ قَرِيبِ لِعَاقَكَ مِنْ دُعَاءِ الدَّنْبِ عَاقِ

يَعْنِي عَائِقٍ، وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: لَا تَقْلُ لِلنَّاسِ وَفِيهِمْ مَا لَا عَلِمَ لَكَ بِهِ، فَتَرْمِيَهُمْ بِالْبَاطِلِ، وَتَشَهِّدُ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَذَلِكُهُ الْقَفْوُ.

إِنَّمَا قَلَنَا ذَلِكَ أَوْلَى الْأَقْوَالِ فِيهِ بِالصَّوَابِ، لَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْغَالِبُ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ الْقَفْوِ فِيهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْقُوَّادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُوْلًا فَإِنَّ مَعْنَاهُ: إِنَّ اللَّهَ سَائِلُ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ عَمَّا قَالَ صَاحِبُهَا، مِنْ أَنَّهُ سَمِعَ أَوْ أَبْصَرَ أَوْ عَلِمَ، تَشَهِّدُ عَلَيْهِ جَوَارِحُهُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْحَقِّ، وَقَالَ «أُولَئِكَ»، وَلَمْ يَقُلْ «تَلِكَ»، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

ذُمُّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزَلَةِ اللَّوْبِيِّ الْعَيْشَ بَعْدُ أُولَئِكَ الْأَيَّامِ

إِنَّمَا قِيلَ: أُولَئِكَ، لَأَنَّ أُولَئِكَ وَهُؤُلَاءِ لِلْجَمْعِ الْقَلِيلِ الَّذِي يَقُولُ لِلتَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيَّةِ، وَهَذِهِ وَتَلِكَ لِلْجَمْعِ الْكَثِيرِ فِي التَّذْكِيرِ لِلْقَلِيلِ مِنْ بَابِ أَنَّ كَانَ التَّذْكِيرُ فِي الْأَسْمَاءِ قَبْلَ التَّأْنِيَّةِ. لَكَ التَّذْكِيرُ لِلْجَمْعِ الْأَوَّلِ، وَالتَّأْنِيَّةُ لِلْجَمْعِ الثَّانِي، وَهُوَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ، لَأَنَّ الْعَرَبَ تَجْعَلُ الْجَمْعَ عَلَى مَثَالِ الْأَسْمَاءِ.

القول في تأويله قوله تعالى: {وَلَا تَمْسِحُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * كُلَّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا}. يقول تعالى ذكره: ولا تمش في الأرض مختالاً مستكبراً إنك لن تخرب الأرض يقول: إنك لن تقطع الأرض باختيالك، كما قال روبية:

وقاتِمِ الأعماقِ خاويَ المُخْتَرِقِ
يعني بالمخترق: المقطع ولن تبلغ الجبال طولاً بفخرك وكبرك، وإنما هذا نهي من الله عباده عن الكبر والفخر والخيلاء، وتقديم منه إليهم فيه معرفتهم بذلك أنهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيئاً يضر عندهم غيرهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 16850 حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله {وَلَا تَمْسِحُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} يعني بكبرك ومرحك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ولا تمش في الأرض مرحًا قال: لا تمش في الأرض فخرا وكبرا، فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال، ولا تخرب الأرض بكبرك وفخرك. 16851 حدثنا الحسين، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج ولا تمش في الأرض قال: لا تفخر.

وقيل: لا تمش مرحًا، وكُم يقل مرحًا، لأنَّه لم يرد بالكلام: لا تكن مرحًا، فيجعله من نعت الماشي، وإنما أريد لا تمش في الأرض مرحًا، ففسر المعنى المراد من قوله: لا تمش، كما قال الراجز:
يُعْجِبُهُ السُّخُونُ وَالعَصِيدُ وَالْتَّمْرُ حَبَّا مَا لَهُ مَزِيدٌ

فقال: حبا، لأنَّ في قوله: يعجبه، معنى يحبّ، فأخرج قوله: حبا، من معناه دون لفظه.

وقوله: كُلَّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا فَإِنَّ الْقُرَاءَ اخْتَلَفُتْ فِيهِ، فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة كُلَّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا على الإضافة بمعنى: كلَّ هذا الذي ذكرنا من هذه الأمور التي عدتنا من مبتدا قولنا وقضى ربِّكَ ألا تبعذوا إلَّا إِيَاهُ... إِلَى قولنا ولا تمش في الأرض مرحًا كانَ سَيِّئَةً يقول: سيء ما عدنا عليك عند ربِّك مكروهًا. وقال قارئه هذه القراءة: إنما قيل كُلَّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً بالإضافة، لأنَّ فيما عدنا من قوله وقضى ربِّكَ ألا تبعذوا إلَّا إِيَاهُ أمورًا، هي أمر بالجميل، كقوله وَبِالْوَالَّدِينِ إِحْسَانًا، قوله وَاتِّ دَالِ الْقُرْبَى حَقَّهُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، قالوا: فليس كُلَّ ما فيه نهيا عن سيئة، بل فيه نهى عن سيئة، وأمر بحسنات، فلذلك قرأنا سَيِّئَةً. وقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة: «كُلَّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً» وقالوا: إنما عنى بذلك: كلَّ ما عدنا من قولنا ولا تقتلوا أَوْلَادَكُمْ حَسْنَيَةً إِمْلَاقًا ولم يدخل فيه ما قبل ذلك. قالوا: وكلَّ ما عدنا من ذلك الموضع إلَى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه، فالصواب قراءته بالتنوين. ومن قرأ هذه القراءة، فإنه ينبغي أن يكون من نيته أن يكون المكره مقدما على السيئة، وأن يكون معنى الكلام عنده: كلَّ ذلك كان مكرهها سيئة لأنَّه إن جعل قوله: مكرهها بعد السيئة من نعت السيئة، لزمَه أن تكون القراءة: كلَّ ذلك كان سيئة عند ربِّك مكرهها، وذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين.

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأ كُلّ ذلك كان سيئه على إضافة السيء إلى الهاء، بمعنى: كُلّ ذلك الذي عدنا من وَقَضَى رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ... كان سيئه لأن في ذلك أموراً منها عنها، وأموراً مأمورة بها، وابتداء الوصية والوعد من ذلك الموضع دون قوله ولا يُقتلوا أَوْلَادَكُمْ إنما هو عطف على ما تقدّم من قوله وَقَضَى رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ فإذا كان ذلك كذلك، فقراءته بإضافة السيء إلى الهاء أولى وأحق من قراءته سيئة بالتنوين، بمعنى السيئة الواحدة.

فتؤول الكلام إذن: كُلّ هذا الذي ذكرنا لك من الأمور التي عدناها عليك كان سيئه مكروها عند ربك يا محمد، يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه، فاتق مواقعته والعمل به.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى {ذَلِكَ مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْكَ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْحُورًا}. يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيننا لك يا محمد من الأخلاق الجميلة التي أمرناك بجميلها، ونهيناك عن قبيحها مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْكَ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ يقول: من الحكمة التي أوحيناها إليك في كتابنا هذا، كما: 16852 حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ذلك مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْكَ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ قال: القرآن. وقد بينا معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا، بما أعني عن إعادته في هذا الموضع.

وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْحُورًا يقول: ولا تجعل مع الله شريكا في عبادتك، فتلقي في جهنم ملوماً مذحوراً نفسك وعارضوك من الناس مذحورا يقول: مُبْعَدًا مقصيا في النار، ولكن أخلص العبادة لله الواحد القهار، فتنجو من عذابه. وبحو الذي قلنا في قوله مَلُومًا مَذْحُورًا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16853 حدثني علي بن داود، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: مَلُومًا مَذْحُورًا يقول: مطرودا.

16854 حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة مَلُومًا مَذْحُورًا قال: ملوما في عبادة الله، مدحورا في النار.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَأَضْفَاقَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْتَّيْنِ وَاتْحَدَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا}. يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركي العرب: الملائكة بنات الله أضافاكم أيها الناس رَبِّكُمْ بالتبين يقول: أفضحكم ربكم بالذكر من الأولاد واتحد من الملائكة إناثاً وأنتم لا ترضونهن لأنفسكم، بل تؤدونهن، وتقتونهن، فجعلتم لله ما لا ترضونه لأنفسكم إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين قالوا من الفريدة على الله ما ذكرنا: إنكم أيها الناس لتقولون بقىلكم: الملائكة بنات الله، قوْلًا عظيمًا، وتفتررون على الله فريدة منكم. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

16855. حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة واتَّحدَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّا قَالَ: قَالَتِ الْيَهُودُ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا}.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ صَرَّفْتَا لِهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْعَيْرَ وَالآيَاتِ وَالْحَجَجِ، وَضَرَبَنَا لَهُمْ فِيهِ الْأَمْثَالَ، وَحَذَّرْنَاهُمْ فِيهِ وَأَنذَرْنَاهُمْ لِيَذَّكُرُوا يَقُولُ: لَيَتَذَكَّرُوا تِلْكَ الْحَجَجَ عَلَيْهِمْ، فَيَعْقِلُوا خَطَايَاهُمْ عَلَيْهِ مُقَيْمُونَ، وَيَعْتَبِرُوا بِالْعِبْرِ، فَيَتَعْطَسُوا بِهَا، وَيَنْبِيُّوْا مِنْ جَهَالَتِهِمْ، فَمَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ بِمَا يَرَدُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْتَّذْرِ، وَمَا يَزِيدُهُمْ تَذْكِيرَنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا نُفُورًا يَقُولُ: إِلَّا ذَهَابًا عَنِ الْحَقِّ، وَبُعْدًا مِنْهُ وَهَرْبًا. وَالنُّفُورُ فِي هَذَا الْمَوْضِعُ مُصْدَرٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَفَرَ فَلَانَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ يَنْفِرُ مِنْهُ تَفْرِراً وَنُفُورًا.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: {فُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبَّيَعْقُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلها آخر: لو كان الأمر كما تقولون: من أن معه آلة، وليس ذلك كما تقولون، إذن لا يبتعدون تلك الآلة القربة من الله ذي العرش العظيم، والتمسك بالزلفة إليه، والمرتبة منه. كما:

16856. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبَّيَعْقُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا يَقُولُ: لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهَةٌ إِذْنَ لَعْرَفُوا فَضْلَهُ وَمَرْتَبَتِهِ وَمَنْزَلَتِهِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَأْتِيُّونَ مَاقِرِبُهُمْ إِلَيْهِ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة إِذَا لَبَّيَعْقُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا قال: لَابْتَغُوا الْقُرْبَ إِلَيْهِ، مع أنه ليس كما يقولون.

الآية : 43 و 44

القول في تأويل قوله تعالى: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * شُبَّحَ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مَنْ شَيْءَ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا عَفُورًا}.

وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه بما وصفه به المشركون، الجاعلون معه آلة غيره، المصيرون إليه البنات، فقال: تنزيهها لله وعلوها له بما تقولون أيها القوم، من الفريدة والكذب، فإن ما تصيرون إليه من هذه الأمور ليس من صفتة، ولا ينبغي أن يكون له صفة. كما:

16857. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان. وقال تعالى: عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا وَلَمْ يَقُلْ: تَعَالَى، كما قال: وَبَتِّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا كما قال الشاعر:

أَنْتَ الْفِداءُ لِكَعْبَةِ هَدْمَتْهَا وَنَقَرَّتْهَا بِيَدِيَكَ كُلُّ مَنَّقِرٍ

مُنْعَ الْحَمَامُ مَقِيلَهُ مِنْ سَقْفِهَا وَمِنَ الْحَاطِيمِ قَطَارٌ كُلُّ مُطَبِّرٍ
وقوله: **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنْ** يقول: تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعطاءكم له وإجلالا، السموات السبع والأرض، ومن فيهن من المؤمنين به من الملائكة والإنس والجن، وأنتم مع إنعامه عليكم، وجميل أياديه عندكم، تفترون عليه بما تفترون.
وقوله: **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** يقول جل ثناؤه: وما من شيء من خلقه إلا يسبح بحمده، كما:

16858. حدثني به نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: حدثنا محمد بن يعلى، عن موسى بن عبيدة، عن زيد بن أسلم، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمْرَبِهِ تُؤْخُذُ أَبْنَاهُ؟ إِنَّ تُوحَا قَالَ لِابْنِهِ يَا بْنَنِي أَمْرُكَ أَنْ تَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْخَلْقِ، وَتَسْبِيحُ الْخَلْقِ، وَبِهَا تُرْزَقُ الْخَلْقُ، قَالَ اللَّهُ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ».

16859. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا عيسى بن عبيد، قال: سمعت عكرمة يقول: لا يعيين أحدكم دابته ولا ثوبه، فإن كل شيء يسبح بحمده.

16860. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** قال: الشجرة تسing، والأسطوانة تسing.

16861. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب، قال: حدثنا جرير أبو الخطاب، قال: كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام، فقدموا الخوان، فقال يزيد الرقاشي: يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان: فقال: كان يسبح مرّة.

16862. حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا جوير، عن الصحاك، ويونس، عن الحسن أنهما قالا في قوله: **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** قال: كل شيء فيه الروح.

16863. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الكبير بن عبد المجيد، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، قال: الطعام يسبح.

16864. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن عمر عن قتادة **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** قال: كل شيء فيه الروح يسبح، من شجر أو شيء فيه الروح.

16865. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن عبد الله بن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، أن الرجل إذا قال: لا إله إلا الله، فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملاً حتى يقولها، فإذا قال الحمد لله، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها: فإذا قال الله أكبر، فهي تملأ ما بين السماء والأرض، فإذا قال سبحان الله، فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحد من خلقه إلا نوره بالصلاحة والتسبيح، فإذا قال لا حول ولا قوّة إلا بالله، قال: أسلم عبدي واستسلم.

وقوله: **وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** يقول تعالى ذكره: ولكن لا تفهون تسبيح ما عدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم إله كأن حليما يقول: إن الله كان حليما لا يعجل على خلقه، الذين يخالفون أمره، ويكررون به، ولو لا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين يدعون معه الآلهة والأنداد

بالعقوبة عَفُوراً يقول: ساترا عليهم ذنوبهم، إذا هم تابوا منها بالعفو منه لهم، كما:

16866ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة إِنَّه كَانَ حَلِيمًا عَنْ خَلْقِهِ، فَلَا يَعْجِلُ كَعْجَلَةٍ بِعَصْبِهِمْ عَلَى بَعْضِ عَفْوِرَا لَهُمْ إِذَا تَابُوا.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا}.

يقول تعالى ذكره: وإذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لا يصدقون بالبعث، ولا يقررون بالثواب والعقاب، جعلنا بينك وبينهم حجابا، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرؤه عليهم، فينتفعوا به، عقوبة منا لهم على كفرهم. والحجاب هنا: هو الساتر، كما:

16867ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} الحجاب المستور أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وأن يتتفعوا به، أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم.

حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة حِجَابًا مَسْتُورًا قال: هي الأكنة.

16868ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} قال: قال أبي: لا يفقهونه، وقرأ قُلُوبُهُمْ فِي أَكِنَّةٍ وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْ لَا يخلص ذلك إليهم.

وكان بعض نحوبي أهل البصرة يقول: معنى قوله حِجَابًا مَسْتُورًا حِجَابًا ساترا، ولكنه أخرج وهو فاعل في لفظ المفعول، كما يقال: إنك مشئوم علينا وميمون، وإنما هو شائم ويامن، لأنه من شائمهم وإيمونهم. قال: والحجاب هنا: هو الساتر. وقال: مستورا. وكان غيره من أهل العربية يقول: معنى ذلك: حِجَابًا مستورا عن العباد فلا يرونها.

وهذا القول الثاني أظهر بمعنى الكلام أن يكون المستور هو الحجاب، فيكون معناه: أن لله سترا عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم، وإن كان للقول الأول وجه مفهوم.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى أَذْبَارِهِمْ نُفُورًا}.

يقول تعالى ذكره: وجعلنا على قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة عند قراءتك عليهم القرآن أكنة وهي جمع كِنان، وذلك ما يتغشّها من خذلان الله إياهم عن فهم ما يُتلّى عليهم وفي آذانِهِمْ وَقُرْ يقول: وجعلنا في آذانِهِمْ وَقُرْ عن سماعه، وصمما. والوَقْر بالفتح في الأذن: الثقل. والوَقْر بالكسر: الحمل. وقوله: {وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ} يقول: وإذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه وَلَوْا على أَذْبَارِهِمْ نُفُورًا يقول: انقضوا، فذهبوا عنك نفورة من قولك استكبارا له واستعظاما من أن يوجد الله تعالى. وبما قلنا في ذلك، قال بعض أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16869. حدثنا بشر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْا إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَنْكَرَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ وَكَبَرُتْ عَلَيْهِمْ فَصَافَهَا إِلَيْهِمْ وَجَنُودُهُ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمْضِيَهَا وَيَنْصُرَهَا وَيَفْلُجَهَا وَيَظْهُرُهَا عَلَى مَنْ نَاوَاهَا، إِنَّهَا كَلْمَةٌ مِنْ خَاصِّهَا فَلْجٌ، وَمَنْ قَاتَلَهَا نُصْرٌ، إِنَّمَا يَعْرِفُهَا أَهْلُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، الَّتِي يَقْطَعُهَا الرَّاكِبُ فِي لَيَالٍ قَلَّا لِيَوْمٍ وَسِيرَ الدَّهْرِ فِي فَيَّامٍ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَهَا وَلَا يَقْرَرُونَ بِهَا.**

16870. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى أَذْبَارِهِمْ تُفُورُهَا** قال: يغضا لما تكلم به لئلا يسمعوه، كما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا ما يأمرهم به من الاستغفار والتوبة، ويستغشون ثيابهم، قال: يلتلفون بثيابهم، ويجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا ولا ينتظرون إليهم.

وقال آخرون: إنما يعني بقوله **وَلَوْا عَلَى أَذْبَارِهِمْ تُفُورُهَا الشَّيَاطِينَ**، وإنها تهرب من قراءة القرآن، وذكر الله. ذكر من قال ذلك:

16871. حدثني الحسين بن محمد الدارع، قال: حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي، قال: حدثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، في قوله: **وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى أَذْبَارِهِمْ تُفُورُهَا هُمُ الشَّيَاطِينَ**.

والقول الذي قلنا في ذلك أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى أتبع ذلك قوله **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** بالآخرة حجابا مستورا فإن يكون ذلك خبرا عنهم أولى إذ كان بخبرهم متصلة من أن يكون خبرا عنمن لم يجز له ذكر. وأما النفور، فإنها جمع نافر، كما القعود جمع قاعد، والجلوس جمع جالس وجائز أن يكون مصدراً آخر من غير لفظه، إذ كان قوله **وَلَوْا** بمعنى: نفروا، فيكون معنى الكلام: **نَفَرُوا نَفُورًا**، كما قال أمرو القيسي:

رُضِّتْ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلَالٌ
إذا كان رُضِّتْ بمعنى: أذلت، فأخرج الإذلال من معناه، لا من لفظه.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: **{تَحْنُنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ تَجْوَى إِذْ يَقُولُ الطَّالِمُونَ إِنْ تَسْتَعِنَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا}.**

يقول تعالى ذكره: نحن أعلم يا محمد بما يستمع به هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قومك، إذ يستمعون إليك وأنت تقرأ كتاب الله **وَإِذْ هُمْ تَجْوَى**. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: النجوى: فعلهم، يجعلهم هم النجوى، كما يقول: هم قوم رضا، وإنما رضا: فعلهم. وقوله **إِذْ يَقُولُ الطَّالِمُونَ إِنْ تَسْتَعِنَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا** يقول: حين يقول المشركون بالله ما تستعون إلا رجلا مسحورا. وعني فيما ذكر بالنجوى: الذين تشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16872. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن

ابن أبي نجح، عن مجاهد إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ قال: هي مثل قيل الوليد بن المغيرة ومن معه في دار الندوة. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جرير، عن مجاهد، نحوه.

16873. حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة. قوله: إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ تَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ... الْآيَة، ونجواهم أن زعموا أنه مجنون. وأنه ساحر، وقالوا: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. وكان بعض أهل البصرة يذهب بقوله إن تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا إلى معنى: ما تتبعون إلا رجلاً له سحر: أي له رئة، والعرب تسمى الرئة سحراً، والمسحر من قولهم للرجل إذا جبن: قد انتفع سحره، وكذلك يقال لكل ما أكل أو شرب من أدميٍّ وغيره: مسحور ومسحر، كما قال

لبيد:

فَإِنْ تَسْأَلُنَا فِيمَ تَحْنُّ فَإِنَّا عَصَافِيرٌ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ
وقال آخرون:

(وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ)

أي نغدي بهما. فكان معناه عنده كان: إن تتبعون إلا رجلاً له رئة، يأكل الطعام، ويشرب الشراب، لا ملكاً لا حاجة به إلى الطعام والشراب، والذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: {انظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَصَلَّوْ فَلَا يَسْتَطِيْعُونَ سَيِّلًا}.

يقول تعالى ذكره: انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثّلوا لك الأمثال، وشبهوا لك الأشياء، بقولهم: هو مسحور، وهو شاعر، وهو مجنون فصلوا يقول: فجروا عن قصد السبيل بقييلهم ما قالوا فلَا يَسْتَطِيْعُونَ سَيِّلًا يقول: فلا يهتدون لطريق الحق لضلالهم عنه وبعدهم منه، وأن الله قد خذلهم عن إصابته، فهم لا يقدرون على المخرج مما هم فيه من كفرهم بتوفيقهم إلى الإيمان به، كما:

16874. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجح، عن مجاهد وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجح، عن مجاهد فلَا يَسْتَطِيْعُونَ سَيِّلًا قال: مخرجاً، الوليد بن المغيرة وأصحابه أيضاً.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جرير، عن مجاهد انظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَصَلَّوْ فَلَا يَسْتَطِيْعُونَ سَيِّلًا مخرجاً الوليد بن المغيرة وأصحابه.

الآية : 49

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُوا أَإِنَّا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً}.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش، وقالوا بعنتهم: أَإِنَّا كُنَّا عِظَاماً لم نتحطم ولم نتكسر بعد مماتنا وبلانا ورُفاتاً يعني تراباً في قبورنا، كما:

16875. حديثي محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجح، عن مجاهد، يقول الله: رُفَاتَا قَالَ: تراباً.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

16876. حديثي المثنى، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عَظَاماً وَرُفَاتَا يَقُولُ: عُبَارَا، وَلَا وَاحِدٌ لِرُفَاتٍ، وَهُوَ بِمِنْزَلَةِ الدَّقَاقِ وَالْخُطَامِ، يَقُولُ مِنْهُ: رُفِتَ يُرْفَتَ رَفْتَا فَهُوَ مَرْفُوتٌ: إِذَا صُبِّرَ كَالْخُطَامِ وَالرَّضَاضِ.
وقوله: أَئِنَا لَمَبْعُوثُونَ حَلْقاً جَدِيداً قَالُوا، إِنَّكُمْ مِنْهُمْ لَلَّبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ: إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ بَعْدَ مَصِيرَنَا فِي الْقِبورِ عَظَاماً غَيْرَ مُنْحَطَمَةَ، وَرُفَاتَا مُنْحَطَمَةَ، وَقَدْ بَلَّيْنَا فَصَرَنَا فِيهَا تِرَاباً، خَلْقاً مُنْشَأَ كَمَا كَانَا قَبْلَ الْمَمَاتِ جَدِيداً، نَعَادُ كَمَا بَدَئْنَا؟ فَأَجَابُهُمْ جَلَّ جَلَالَهُ يَعْرِفُهُمْ قُدْرَتَهُ عَلَى بَعْثَةِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ مَمَاتَهُمْ، وَإِنْشَائِهِ لَهُمْ كَمَا كَانُوا قَبْلَ بِلَاهُمْ خَلْقاً جَدِيداً، عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانُوا مِنَ الْأَحْوَالِ، عَظَاماً أَوْ رُفَاتَا، أَوْ حِجَارَةً أَوْ جَدِيداً، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مَا يَعْظُمُ عَنْهُمْ أَنْ يَحْدُثَ مُثْلَهُ خَلْقاً أَمْثَالَهُمْ أَحْيَاءً، قَلْ يَا مُحَمَّدُ: كَوْنُوا حِجَارَةً أَوْ جَدِيداً، أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُورَكُمْ.

الآية : 50 و 51

القول في تأويل قوله تعالى: {فُلْ كُوئُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ حَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوْلَ مَرَّةً فَسَيُنْغَصُونَ إِلَيْكُمْ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَّ هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا}.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قَلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمَكَّدِّينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنْ قَوْمِ الْقَائِلِينَ أَئِذَا كُنَّا عَظَاماً وَرُفَاتَا أَئِنَا لَمَبْعُوثُونَ حَلْقاً جَدِيداً: كَوْنُوا إِنْ عَجِبْتُمْ مِنْ إِنْشَاءِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ، وَإِعْادَتِهِ أَجْسَامَكُمْ، خَلْقاً جَدِيداً بَعْدَ بِلَاهِكُمْ فِي التَّرَابِ، وَمَصِيرَكُمْ رُفَاتَا، وَأَنْكَرْتُمْ ذَلِكَ مِنْ قُدْرَتِهِ حِجَارَةً أَوْ جَدِيداً، أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُورَكُمْ إِنْ قَدْرَتُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنِّي أَحِيُّكُمْ وَأَبْعَثُكُمْ خَلْقاً جَدِيداً بَعْدَ مَصِيرَكُمْ كَذَلِكَ كَمَا بَدَأْتُكُمْ أَوْلَ مَرَّةً.

واختلف أهل التأويل في المعنى يقوله أَوْ حَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فقال بعضهم: عُنِيَّ بِهِ الْمَوْتُ، وَأَرِيدُ بِهِ: أَوْ كَوْنُوا الْمَوْتُ، فَإِنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ ثُمَّ بَعْثَتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ الْبَعْثِ، ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 16877. حديثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: حدثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية، عن ابن عمر أَوْ حَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ قال: الموت، قال: لو كُنْتُمْ مُوتَى لَأَحِيُّكُمْ.

16878. حديثي محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله أَوْ حَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ يعني الموت. يقول: إن كُنْتُمْ مُوتَى لَأَحِيُّكُمْ.

16879. حديثي محمد بن عبد المحاري، قال: حدثنا أبو مالك الجنبي، قال: حدثنا ابن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله أَوْ حَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ قال: الموت.

16880. حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا سليمان أبو داود، قال: حدثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: أَوْ حَلْقًا مِمَّا يَكُبُرُ فِي صُدُورِكُمْ قال: الموت.

16881. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، قال: قال سعيد بن جبير، في قوله: أَوْ حَلْقًا مِمَّا يَكُبُرُ فِي صُدُورِكُمْ كونوا الموت إن استطعتم، فإن الموت سيموت قال: وليس شيء أكبر في نفس ابن آدم من الموت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: بلغني، عن سعيد بن جبير، قال: هو الموت.

16882. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، أنه كان يقول: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبس أملح حتى يجعل بين الجنة والنار، فينادي مناد يُسمِّع أهلَ الجنة وأهل النار، فيقول: هذا الموت قد جئنا به ونحن مهلكوه، فأيقنوا يا أهل الجنة وأهل النار أن الموت قد هلك».

16883. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الصحاك يقول في قوله: أَوْ حَلْقًا مِمَّا يَكُبُرُ فِي صُدُورِكُمْ يعني الموت، يقول: لو كنتم الموت لأمتكم.

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن الله يجيء بالموت يوم القيامة، وقد صار أهل الجنة وأهل النار إلى منازلهم، كأنه كبس أملح، فيقف بين الجنة والنار، فينادي أهل الجنة وأهل النار هذا الموت، ونحن ذابحوه، فأيقنوا بالخلود.

وقال آخرون: عنى بذلك السماء والأرض والجبال. ذكر من قال ذلك:

16884. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة أَوْ حَلْقًا مِمَّا يَكُبُرُ فِي صُدُورِكُمْ قال: السماء والأرض والجبال.

وقال آخرون: بل أريد بذلك: كونوا ما شئتم. ذكر من قال ذلك:

16885. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نحیح، عن مجاهد كُوئُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدَا أَوْ حَلْقًا مِمَّا يَكُبُرُ فِي صُدُورِكُمْ قال: ما شئتم فكونوا، فسيعيدهم الله كما كنتم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، عن مجاهد، مثله.

16886. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قُلْ كُوئُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدَا أَوْ حَلْقًا مِمَّا يَكُبُرُ فِي صُدُورِكُمْ قال: من خلق الله، فإن الله يميّتكم ثم يبعثكم يوم القيمة خلقاً جديداً.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره قال: أَوْ حَلْقًا مِمَّا يَكُبُرُ فِي صُدُورِكُمْ، وجائز أن يكون عنى به الموت، لأنَّه عظيم في صدور بني آدم وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض وجائز أن يكون أراد به غير ذلك، ولا بيان في ذلك أبين مما بين جل شناؤه، وهو كل ما كبر في صدور بني آدم من خلقه، لأنَّه لم يخص منه شيئاً دون شيء.

وأما قوله: فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا فَإِنَّهُ يَقُولُ: فسيقول لك يا محمد هؤلاء الذين لا يؤمنون بالأخرة منْ يُعِيدُنَا خلقاً جديداً، إنَّكُنا حجارةً أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدورنا، فقل لهم: يعيدهم الذي قطركم أول مرّةٍ

يقول: يعیدکم كما کنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديدا إنساً أحياء، الذي خلقكم إنساً من غير شيء أول مرة، كما:

16887. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة فُلِ الَّذِي قَطَرَكُمْ أَوْلَ مَرَّةً أَيْ خلَقَكُمْ فَسَيِّغُصُونَ إِلَيْكُمْ رُءُوسَهُمْ يَقُولُ: فَإِنَّكَ إِذَا قَلْتَ لَهُمْ ذَلِكَ، فَسَيَهْزِزُونَ إِلَيْكُمْ رُءُوسَهُمْ بِرُفعٍ وَخُفْضٍ وَكَذَلِكَ التَّعْصِيمُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، إِنَّمَا هُوَ حَرْكَةٌ بِأَرْتِفَاعٍ ثُمَّ انْخِفَاضٍ، أَوْ انْخِفَاضٍ ثُمَّ ارْتِفَاعٍ، وَلَذِكَ سَمِّيَ الظَّلِيلُمْ تَعْصِيمًا، لَأَنَّهُ إِذَا عَجَلَ الْمَشِيَ ارْتَفَعَ وَانْخَفَضَ، وَحَرَّكَ رَأْسَهُ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَسْكَ تَعْصِيمًا لَا يَنْبَغِي مُسْتَهْدِجاً

ويقال: تَعَصَّبَتْ سَنَهُ: إِذَا تَحَرَّكَ وَارْتَفَعَتْ مِنْ أَصْلِهَا وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

تَعَصَّبَتْ مِنْ هَرَمٍ أَسْنَانُهَا

وَقَوْلُ الْآخِرِ:

مَمْ رَأَتِنِي أَنْعَصَتْ لِي الرَّأْسَا

وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلَّنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

16888. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فَسَيِّغُصُونَ إِلَيْكُمْ رُءُوسَهُمْ أَيْ يَحْرُكُونَ رُءُوسَهُمْ تَكْذِيبًا وَاسْتِهْزَاءً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة فَسَيِّغُصُونَ إِلَيْكُمْ رُءُوسَهُمْ قَالَ: يَحْرُكُونَ رُءُوسَهُمْ.

16889. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله فَسَيِّغُصُونَ إِلَيْكُمْ رُءُوسَهُمْ يقول: سيحركونها إليك استهزاء.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس فَسَيِّغُصُونَ إِلَيْكُمْ رُءُوسَهُمْ قَالَ: يَحْرُكُونَ رُءُوسَهُمْ يَسْتَهْزَئُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ.

حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله فَسَيِّغُصُونَ إِلَيْكُمْ رُءُوسَهُمْ يقول: يَهْزُؤُونَ.

وقوله: وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ يَقُولُ جَلَّ شَاءَهُ: وَيَقُولُونَ مَتَى الْبَعْثَ، وَفِي أَيِّ حَالٍ وَوَقْتٍ يَعِدُنَا خَلْقًا جَدِيدًا، كَمَا كَنَا أَوْلَ مَرَّةً؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ: قَلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالُوا لَكَ: مَتَى هُوَ، مَتَى هَذَا الْبَعْثُ الَّذِي تَعْدُنَا؟ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: هُوَ قَرِيبٌ، لَأَنَّ عَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ، وَلَذِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعْثَتْ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَائِنْ، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى»، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ قَدْ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

الآية : 52 و 53

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَطْمُئِنُّ إِنْ لَيْسُمْ إِلَّا قَلِيلًا * وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا التِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ السَّيْطَانَ يَنْرَعِيْهِمْ إِنَّ السَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا}.

يقول تعالى ذكره: قل عسى أن يكون بعثكم أيها المشركون قريباً، ذلك يوم يدعوكم ربكم بالخروج من قبوركم إلى موقف القيامة، فتسألون بحمده.

اختلاف أهل التأويل في معنى قوله: فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ فقال بعضهم: فتسألون بأمره. ذكر من قال ذلك:

16890. حدثني عليّ، قال: ثني عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ يقول: بأمره.

16891. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن حريج فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ قال: بأمره.

وقال آخرون: معنى ذلك: فتسجيبون بمعرفته وطاعته. ذكر من قال ذلك:

16892. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ أي بمعرفته وطاعته. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معناه: فتسجيبون لله من قبوركم بقدرته، ودعائكم. ولله الحمد في كل حال، كما يقول القائل: فعلت ذلك الفعل بحمد الله، يعني: لله الحمد عن كل ما فعلته، وكما قال الشاعر:

فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تَرْوَبَ فَاجْرِلِسْتُ وَلَا مِنْ عَدْرَةٍ أَتَقْنَعُ
بِمَعْنَى: فَإِنِّي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا تَرْوَبَ فَاجْرِلِسْتُ.

وقوله: وَتَطَنَّبُونَ إِنْ لَيْشْمَ إِلَّا قَلِيلًا يقول: وتحسرون عند موافاتكم القيامة من هول ما تعاينون فيها ما لبئس في الأرض إلا قليلاً، كما قال جل شناوه قال كم لَيْشْم في الأرض عَدَدَ سِنِينَ فَالْأَوْلَى لَيْشَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فاسأل العاديين. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16893. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَتَطَنَّبُونَ إِنْ لَيْشْم إِلَّا قَلِيلًا: أي في الدنيا، تحقرت الدنيا في أنفسهم وقلت، حين عاينوا يوم القيمة.

وقوله: وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا التَّيْ هِيَ أَحْسَنُ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد لعادي يقل بعضهم البعض التي هي أحسن من المحاورة والمحاطبة. كما:

16894. حدثنا خلاد بن أسلم، قال: حدثنا النصر، قال: أخبرنا المبارك، عن الحسن في هذه الآية وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا التَّيْ هِيَ أَحْسَنُ قال: التي هي أحسن، لا يقول له مثل قوله يقول له: يرحمك الله يغفر الله لك.

وقوله: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ بَيْتَهُمْ يقول: إن الشيطان يسوء محاورة بعضهم البعض ينزغ بينهم، يقول: يفسد بينهم، يهيج بينهم الشر إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلنَّاسَ عَدُوًّا مُّبِينًا يقول: إن الشيطان كان لأدم وذراته عدوًا، قد أبان لهم عداوته بما أظهر لأدم من الحسد، وغروره وإياه حتى أخرجه من الجنة.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَسَّأْ يَرْحَمُكُمْ أَوْ إِنْ يَسَّأْ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا}.
يَسَّأْ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الهمشرين من قريش الذين قالوا أيدًا كُنْتَا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيًّا لَمْ يَعُوْذُونَ حَلْقًا جَدِيدًا: رَبِّكُمْ أَيَّهَا الْقَوْمُ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَسَّأْ يَرْحَمُكُمْ فَيَتَوَلَّ عَلَيْكُمْ يَرْحَمْتُه، حتى تنبوا بما أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر وإن يَسَّأْ يُعَذِّبُكُمْ بأن يخذلكم عن الإيمان، فتموتوا على شرككم، فيعذبكم يوم القيمة بكفركم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16895. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن عبد الملك بن جريح قوله: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَا يَرْحَمُكُمْ قَالَ: فَتَوْمَنُوا أَوْ إِنْ يَشَا يُعَذِّبُكُمْ فَتَمُوتُوا عَلَى الشَّرِكِ كَمَا أَنْتُمْ.
وقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدًا عَلَىٰ مِنْ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِ لِتَدْعُوهُ إِلَىٰ طَاعَتِنَا رِبًّا وَلَا رَقِيبًا، إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ لِتَبْلُغُهُمْ رِسَالَاتِنَا، وَبِأَيْدِينَا صَرْفَهُمْ وَتَدْبِيرَهُمْ، فَإِنْ شَئْنَا رَحْمَنَا هُمْ، وَإِنْ شَئْنَا عَذَّبَنَا هُمْ.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ قَصَّلَنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَأَتَيْنَا دَاءً وَرَبُورًا}.
يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: وربك يا محمد أعلم بمن في السموات والأرض وما يصلحهم فإنه هو خالقهم ورازقهم ومديرهم، وهو أعلم بمن هو أهل للتوبه والرحمة، وأضل من سبق له مني الشقاء والخذلان، يقول: فلا يكبرن ذلك عليك، فإن ذلك من فعلهم لتفضيلي بعض النبيين على بعض، بإرسال بعضهم إلى بعض الخلق، وبعضهم إلى الجميع، ورفعي بعضهم على بعض درجات. كما:

16896. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ قَصَّلَنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَمُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، وَجَعَلَ اللَّهُ عِيسَىٰ كَمِثْلَ آدَمَ خَلْقَهُ مِنْ تَرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كَنْ فِي كُوْنَ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مِنْ كَلْمَةِ اللَّهِ وَرُوحُهُ، وَأَتَىٰ سُلَيْمَانَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لَأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ، وَأَتَىٰ دَاؤِدَ زَبُورًا، كَنَا نَحْدَثُ دُعَاءَ عُلَمَاءِ دَاؤِدَ، تَحْمِيدٌ وَتَمْجِيدٌ، لَيْسَ فِيهِ حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ، وَلَا فَرَائِصٌ وَلَا حَدُودٌ، وَغَفَرَ لِمُحَمَّدٍ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ.

16897. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريح وَلَقَدْ قَصَّلَنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ قَالَ: كَلْمَةُ اللَّهِ مُوسَىٰ، وَأَرْسَلَ مُحَمَّدًا إِلَى النَّاسِ كَافَةً.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ اذْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الصَّرْعَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا}.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه: ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب والله من دونه عند صرّينزل بكم، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم، أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعواهم آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك، ولا يملكونه، وإنما يملكونه ويقدر عليهم خالقكم وخلقهم. وقيل: إن الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا القول، كانوا يعبدون الملائكة وغُزيرًا والمسيح، وبعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجن. ذكر من قال ذلك:

16898. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: قُلْ اذْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِّنْ

دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الصَّرْعَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا قَالَ: كَانَ أَهْلُ الشَّرِكَ يَقُولُونَ: نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ وَغَرِيرًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ، يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ وَالْمَسِيحَ وَغَرِيرًا.

الآية : 57

القول في تأويل قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْعُونَ يَتَّسِعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَبَرْجُونَ رَحْمَةً وَيَخَافُونَ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا} .

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يدعوهם هؤلاء المشركون أرباباً يتَّسِعُونَ إلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةِ يقول: ينتهي المدعون إلى ربهم القربة والزلفة، لأنهم أهل إيمان به، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله أَيُّهُمْ أَقْرَبُ أَيْهُمْ بصالح عمله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة وَبَرْجُونَ بأفعالهم تلك رَحْمَةً وَيَخَافُونَ بخلافهم أمره عَذَابَ رَبِّكَ يا محمد كان مَحْذُوراً متقياً. وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، غير أنهم اختلفوا في المدعون، فقال بعضهم: هم نفر من الجنّ. ذكر من قال ذلك:

16899- حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله، في قوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْعُونَ يَتَّسِعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ قال: كان ناس من الإنس يعبدون قوماً من الجنّ، فأسلم الجنّ وبقي الإنس على كفرهم، فأنزل الله تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْعُونَ يَتَّسِعُونَ إلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ يعني الجنّ.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلبي، قال: حدثنا شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن أبي معمراً، قال: عبد الله في هذه الآية أُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْعُونَ يَتَّسِعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ قال: قَبِيلٌ من الجنّ كانوا يعبدون فأسلموا.

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثني أبي، قال: ثني الحسين، عن قتادة، عن معبد بن عبد الله الرّمانِي، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن مسعود، في قوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْعُونَ يَتَّسِعُونَ إلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجنّ، فأسلم الجنّ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فأنزلت الَّذِينَ يَذْعُونَ يَتَّسِعُونَ إلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ.

حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عميه عبد الله بن مسعود، قال: نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجنّ، فأسلم الجنّ، والنفر من العرب لا يشعرون بذلك.

16900- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة الَّذِينَ يَذْعُونَ يَتَّسِعُونَ إلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ قوم عبدوا الجنّ، فأسلم أُولَئِكَ الجنّ، فقال الله تعالى ذكره: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْعُونَ يَتَّسِعُونَ إلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ.

حدثنا محمد بن بشير، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمراً، عن عبد الله أُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْعُونَ يَتَّسِعُونَ إلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجنّ،

فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجَنِّ، وَاسْتَمْسَكَ الإِنْسَ بِعِبَادَتِهِمْ، فَقَالَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن الأعمش، عن إبراهيم عن أبي معمر، قال: قال عبد الله: كان ناس يبعدون نفرا من الجن، فأسلم أولئك الجنيون، وثبتت الإنس على عبادتهم، فقال الله تبارك وتعالى: **أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ.**

16901. حدثنا الحسن، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيْهُمْ أَقْرَبُ** قال كان أناس من أهل الجاهلية يبعدون نفرا من الجن فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا جميعا، فكانوا يتبعون أيهم أقرب. وقال آخرون: بل هم الملائكة.

16902. حدثني الحسين بن علي الصدائي، قال: حدثنا يحيى بن السكن، قال: أخبرنا أبو العوام، قال: أخبرنا قتادة، عن عبد الله بن معبد الرّمانى، عن عبد الله بن مسعود، قال: كان قبائل من العرب يبعدون صنفلا من الملائكة يقال لهم الجن، ويقولون: هم بنات الله، فأنزل الله عزوجل **أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ**.

16903. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد **أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ** قال: الذين يدعون الملائكة يتبعون إلى ربها الوسيلة **أَيْهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَةً** حتى بلغ إن عذاب ربك كان مخذورا قال: وهو لاء الذين عبدوا الملائكة من المشركين.

وقال آخرون: بل هم عزيز وعيسى، وأمه. ذكر من قال ذلك:

16904. حدثني يحيى بن جعفر، قال: أخبرنا يحيى بن السكن، قال: أخبرنا بشعبة، عن إسماعيل السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله: **أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ** قال: عيسى وأمه وعذير.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلبي، قال: حدثنا شعبة، عن إسماعيل السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: عيسى ابن مرريم وأمه وعذير في هذه الآية **أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ**.

16905. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرش، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **يَتَّغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ** قال: عيسى ابن مرريم وعذير والملائكة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

16906. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: كان ابن عباس يقول في قوله: **أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ** قال: هو عذير والمسيح والشمس والقمر.

وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية قول عبد الله بن مسعود الذي روينا، عن أبي عمر عنده، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن الذين يدعوهם المشركون آلهة أنهم يتبعون إلى ربهم الوسيلة في عهد النبي صلى الله

عليه وسلم ومعلوم أن عزيرا لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه الصلاة والسلام، فيبتيغي إلى ربه الوسيلة وأن عيسى قد كان رفع، وإنما يبتغي إلى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا يعمل بطاعة الله، ويقترب إليه بالصالح من الأعمال. فاما من كان لا سبيل له إلى العمل، فبم يبتغي إلى ربه الوسيلة. فإذا كان لا معنى لهذا القول، فلا قول في ذلك إلا قول من قال ما اخترنا فيه من التأويل، أو قول من قال: هم الملائكة، وهما قولهن يحتملها ظاهر التنزيل. وأما الوسيلة، فقد بيّنا أنها القرابة والزلفة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16907. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: الوسيلة: القرابة.

16908. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمرا، عن قتادة: الوسيلة، قال: القرابة والزلفة.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنْ مَنْ قَرْيَةٌ إِلَّا تَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذَّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}. يقول تعالى ذكره: وما من قرية من القرى إلا نحن مهلكوا أهلها بالفنا، فمبينوهم استئصالاً قبل يوم القيمة، أو معذبواها، إما ببلاء من قتل بالسيف، أو غير ذلك من صنوف العذاب عذاباً شديداً. كما:

16909. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرج، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عز وجل: {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا تَحْنُ مُهْلِكُوهَا أَوْ مُعَذَّبُوهَا} قبل يوم القيمة فمبينوهم القرية في الأرض سيفتها بعض هذا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه، إلا أنه قال: سيفتها هذا أو بعضه.

16910. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا تَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذَّبُوهَا} قبل يوم القيمة كما تسمون ليس منه بد، إما أن يهلكها بموت وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل إذا تركوا أمره، وكذبوا رسليه.

حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد و{إِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا تَحْنُ مُهْلِكُوهَا} قال: مبينوها.

16911. حدثنا القاسم، قال: ثني الحسين، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك بن حرب، عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال: إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية أذن الله في هلاكها.

وقوله: كان ذلك في الكتاب مسطورا يعني في الكتاب الذي كتب فيه كل ما هو كائن، وذلك اللوح المحفوظ. كما:

16912. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: كان ذلك في الكتاب مسطورا قال: في أم الكتاب، وقرأ آرولا كتاب مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ويعني بقوله مسطورا مكتوبا مبينا ومنه قول العجاج: واغلِمْ بِأَنَّ ذَا الْجَلَالِ قَدْ قَدَرْ فِي الْكُتُبِ الْأُولَى الَّتِي كَانَ سَطَرْ أَمْرَكَ هَذَا فَاخْتِفَظْ فِيهِ التَّهْرِ

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ تُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا تَمْوَدَ النَّاقَةَ مُبِصِّرَةً فَظَلَّمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيفًا} .

يقول تعالى ذكره: وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألهما قومك، إلا أن كان من قبلهم من الأمم المكذبة، سألاوا ذلك مثل سؤالهم فلما أتاهم ما سألاوا منه كذبوا رسليهم، فلم يصدقوا مع مجيء الآيات، فعوجلوا فلم نرسل إلى قومك بالآيات، لأنّا لو أرسلنا بها إليها، فكذبوا بها، سلكنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها. وبالذى قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16913. حدثنا ابن حميد وابن وكيع، قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن أبياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سأله أهل مكة النبي صلّى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحي عنهم الجبال، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأنني بهم لعلنا نجتني منهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألاوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، قال: «بل تستأنني بهم»، فأنزل الله: وما منعنا أَنْ تُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا تَمْوَدَ النَّاقَةَ مُبِصِّرَةً.

16914. حدثني إسحاق بن وهب، قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا مسعود بن عباد، عن مالك بن دينار، عن الحسن في قول الله تعالى وما مَنَعَنَا أَنْ تُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ قال: رحمة لكم أيتها الأمة، إنا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها، أصابكم ما أصاب من قبلكم.

16915. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حماد بن زيد، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، قال: قال المشركون لمحمد صلّى الله عليه وسلم: يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء، فمنهم من سخرت له الريح، ومنهم من كان يحيي الموتى، فإن سررك أن نؤمن بك ونصدقك، فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهبا، فأوحى الله إليه: إني قد سمعت الذي قالوا، فإن شئت أن نفعل الذي قالوا، فإن لم يؤمنوا نزل العذاب، فإنه ليس بعد نزول الآية مناظرة، وإن شئت أن تستأنني قومك استأنيت بها، قال: «يا رب أستأنني».

16916. حدثنا بشير، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وما منعنا أَنْ تُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ قال: قال أهل مكة لنبي الله صلّى الله عليه وسلم: إن كان ما تقول حقا، ويسررك أن نؤمن، فحوّل لنا الصفا ذهبا، فأتاه جبرئيل عليه السلام، فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كاف ثم لم يؤمنوا لم يناظروا، وإن شئت استأنيت بقومك، قال: «بَلْ أَسْتَأْنِي بِقَوْمِي» فأنزل الله: وَآتَيْنَا تَمْوَدَ النَّاقَةَ مُبِصِّرَةً فَظَلَّمُوا بِهَا وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَمْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَا هَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ.

16917. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن حريج، أنهم سألاوا أن يحوّل الصفا ذهبا، قال الله: وما منعنا أَنْ تُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ قال ابن حريج: لم يأت قرية بأية فيكذبوا بها إلا عذبوا، ولو جعلت لهم الصفا ذهبا ثم لم يؤمنوا عذبوا. و«أن» الأولى التي مع مَنَعَنا، في موضع نصب بوقوع منعنا عليها، وأن الثانية

رفع، لأن معنى الكلام: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأوّلين من الأمم، فالفعل لأن الثانية.

يقول تعالى ذكره: وقد سأّل الآيات يا محمد من قبّل قومك ثمود، فأتيناها ما سأّلت، وجعلنا تلك الآية ناقة مبصرة. جعل الإبصار للناقة، كما تقول للشجرة: موضحة، وهذه حجة مبينة. وإنما عنى بالمبصرة: المضيئة البينة التي من يراها كانوا أهل بصر بها، أنها لله حجة، كما قيل: والنهايَ مُبصِراً كما:

16918. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وآتينا **تموّد الناقة مبصراً**: أي بّينَة.

16919. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرف، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجح، عن مجاهد، في قول الله عزّ ذكره **الناقة مبصراً** قال: آية. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقوله: **فَظَلَّمُوا بِهَا** يقول عزّ وجلّ: فكان بها ظلمهم، وذلك أنهم قتلوها وعقروها، فكان ظلمهم بعقرها وقتلها. وقد قيل: معنى ذلك: فكفروا بها، ولا وجه لذلك إلا أن يقول قائله أراد: فكفروا بالله بقتلها، فيكون ذلك وجهاً.

وأما قوله: **وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تُخَوِّفَا** فإنه يقول: وما نرسل بالعبر والذكر إلا تخويفاً للعباد، كما:

16920. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تُخَوِّفَا** وإن الله يخوّف الناس بما شاء من آية لعلمهم يعتبرون، أو يذكرون، أو يرجعون، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود، فقال: يأتيها الناس إن ربكم يستعيذكم فأعتبروه.

16921. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا نوح بن قيس، عن أبي رجاء، عن الحسن **وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تُخَوِّفَا** قال: الموت الذريع.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلَنَا الرَّؤْيَا التِّي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَتُحَوَّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا}.

وهذا حضّ من الله تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، على تبليغ رسالته، وإعلام منه أنه قد تقدّم منه إليه القول بأنه سيمنعه من كلّ من بغاه سوءاً وهلاكاً، يقول جلّ ثناؤه: واذكري ما محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته، ونحن مانعوك منهم، فلا تتهيّب منهم أحداً، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16922. حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا شعبة، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن يقول: أحاط الناس، عصمت من الناس.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا أبو بكر الهمذاني، عن الحسن **وإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبِّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ** قال: يقول: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلك، فعرف أنه لا يقتل.

16923. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرس، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجح، عن مجاهد **أحاطَ بِالنَّاسِ** قال: فهم في قبضته. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، مثله.

16924. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو سفيان، عن معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير قوله **أحاطَ بِالنَّاسِ** قال: منعك من الناس. قال معمر، قال قتادة، مثله.

16925. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله **وإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبِّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ** قال: منعك من الناس. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، عن قتادة **وإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبِّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ** أي منعك من الناس حتى تبلغ رسالة ربك.

وقوله: **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا** التي أَرَيْنَاكَ **إِلَّا فِتْنَةً** للناس اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: هو رؤيا عين، وهي ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم لما أسرى به من مكة إلى بيت المقدس. ذكر من قال ذلك:

16926. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا مالك بن إسماعيل، قال: حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا** التي أَرَيْنَاكَ **إِلَّا فِتْنَةً** للناس قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به، وليس برؤيا منام.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، سئل عن قوله **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا** التي أَرَيْنَاكَ **إِلَّا فِتْنَةً** للناس قال: هي رؤيا عين رأها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس، بنحوه.

16927. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، قال: حدثنا عمرو، عن فرات القزار، عن سعيد بن جبير **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا** التي أَرَيْنَاكَ **إِلَّا فِتْنَةً** للناس قال: كان ذلك ليلة أسرى به إلى بيت المقدس، فرأى ما رأى فكذبه المشركون حين أخبرهم.

16928. حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن، قوله **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا** التي أَرَيْنَاكَ **إِلَّا فِتْنَةً** للناس قال: أسرى به عشاء إلى بيت المقدس، فصلى فيه، وأراه الله ما أراه من الآيات، ثم أصبح بمكة، فأخبرهم أنه أسرى به إلى بيت المقدس، فـفقـوالـلهـ: يا محمد ما شأنك، أمسكت فيه، ثم أصبحت فيما تخبرنا أنك أتيت بـبيـتـالـمـقـدـسـ، فـعـجـبـواـ منـذـلـكـ حتـىـ اـرـتـدـ بـعـضـهـمـ عنـالـإـسـلـامـ.

16929. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا هودة، قال: حدثنا عوف، عن الحسن، في قوله **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا** التي أَرَيْنَاكَ **إِلَّا فِتْنَةً** للناس قال: قال كفار أهل مكة: أليس من كذب ابن أبي كعبه أنه يزعم أنه سار مسيرة شهرين في ليلة.

16930. حديثي أبو حصين، قال: حدثنا حصين، عن أبي مالك في هذه الآية وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس قال: مسirه إلى بيت المقدس.

16931. حديثي أبو السائب ويعقوب، قالا: حدثنا ابن إدريس، عن الحسن بن عبد الله، عن أبي الضحى، عن مسروق في قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس قال: حين أسرى به.

16932. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس قال: ليلة أسرى به.

16933. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس قال: الرؤيا التي أريناك في بيت المقدس حين أسرى به، فكانت تلك فتنة الكافر. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس يقول: الله أراه من الآيات والعبير في مسirه إلى بيت المقدس.

ذكر لنا أن ناسا ارتدوا بعد إسلامهم حين حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسirه، أنكروا ذلك وكذبوا له، وعجبوا منه، وقالوا: تحدثنا أنك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس قال: هو ما أري في بيت المقدس ليلة أسرى به.

16934. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريح وما جعلنا الرؤيا التي أريناك قال: أراه الله من الآيات في طريق بيت المقدس حين أسرى به، نزلت فريضة الصلاة ليلة أسرى به قبل أن يهاجر بسنة وتسع سنين من العشر التي مكثها بمكة، ثم رجع من ليلته، فقالت قريش: تعشى علينا وأصبح علينا، ثم زعم أنه جاء الشام في ليلة ثم رجع، وايم الله إن الحداة لتجئها شهرين: شهراً مقبلة، وشهراً مُدبرة.

16935. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس قال: هذا حين أسرى به إلى بيت المقدس، افتنن فيها ناس، فقالوا: يذهب إلى بيت المقدس ويرجع في ليلة وقال: «لَمَّا أتاني جِبْرائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبُرُاقِ لِيَحْمِلَنِي عَلَيْهَا صَرِّثْ بِأَذْيَهَا، وَأَنْقَبَضَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا جِبْرائِيلُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ مَا رَكِّتَ أَحَدًا مِنْ وَلِدِ آدَمَ خَيْرًا مِنْهُ»، قال: «فَصَرِّثْ بِأَذْيَهَا وَأَرْفَضَتْ عَرْقاً حَتَّى سَالَ مَا تَحْتَهَا، وَكَانَ مُنْتَهَى حَطْوَهَا إِنَّدَ مُنْتَهَى طَرْفَهَا» فلما أتاهم بذلك، قالوا: ما كان محمد لينتهاء حتى يأتي بكذبة تخرج من أقطارها، فأتوا أبا بكر رضي الله عنه، فقالوا: هذا صاحبك يقول كذا وكذا، فقال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، فقال: إن كان قد قال ذلك فقد صدق، فقالوا: تصدقه إن قال ذهب إلى بيت المقدس ورجع في ليلة؟ فقال أبو بكر: إِي، نزع الله عقولكم، أصدقه بخبر السماء، والسماء أبعد من بيت المقدس، ولا أصدقه بخبر بيت المقدس؟ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّا قد جئنا بيت المقدس فصفه لنا، فلما قالوا ذلك، رفعه الله تبارك وتعالى ومثله بين عينيه،

فجعل يقول: «هو كذا، وفيه كذا»، فقال بعضهم: وأبيكم إن أخطأ منه حرفا، فقالوا: هذا رجل ساحر.

16936. حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الصحاح يقول في قوله وما جعلنا الرّؤيا التي أرِيناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ يعني ليلة أسرى به إلى بيت المقدس، ثم رجع من ليلته، فكانت فتنة لهم.

16937. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرس، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء، جمِيعاً عن ابن أبي نجح، عن مجاهد في قوله الرّؤيا التي أرِيناكَ قال: حين أُسرى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه.

وقال آخرون: هي رؤياه التي رأى أنه يدخل مكة. ذكر من قال ذلك:

16938. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَمَا جَعَلْنَا الرّؤيا التي أرِيناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أنه دخل مكة هو وأصحابه، وهو يومئذ بالمدينة، فعجل رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة قبل الأجل، فرده المشركون، فقالت أناس: قد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان حدثنا أنه سيدخلها، فكانت رجعته فتنتهم.

وقال آخرون ممن قال: هي رؤيا منام: إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في منامه قوماً يعلون منبره. ذكر من قال ذلك:

16939. حدثت عن محمد بن سعد، قال: ثني أبي، عن جدي، قال: المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، قال: ثني أبي، عن جدي، قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلمبني فلان ينزلون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكا حتى مات. قال: وأنزل الله عزوجل في ذلك وما جعلنا الرّؤيا التي أرِيناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ... الآية.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الآيات وال عبر في طريقه إلى بيت المقدس، وبيت المقدس ليلة أسرى به، وقد ذكرنا بعض ذلك في أول هذه السورة.

إنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإيابه عنى الله عزوجل بها، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أرِيناكَ ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إِلَّا فتنة للناس: يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام، لمّا أخبروا بالرؤيا التي رأها عليه الصلاة والسلام، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تمادي في غيهم، وكفرا إلى كفرهم، كما:

16940. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ.

وأما قوله: وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ فإن أهل التأويل اختلفوا فيها، فقال بعضهم: هي شجرة الزّقوم. ذكر من قال ذلك:

16941. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا مالك بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو عبيدة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس **والشجرة الملعونة في القرآن** قال: شجرة الزقوم.

16942. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **والشجرة الملعونة في القرآن** قال: هي شجرة الزقوم. قال أبو جهل: أيخوّفني ابن أبي كبّشة بشجرة الْرَّقْوَمْ، ثم دعا بتمر ورُبَيد، فجعل يقول: زقمني، فأنْزِل اللَّه تَعَالَى طَلْعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينَ وَأَنْزَلَ وَتَحْوِفُهُمْ فَمَا يَرِيْدُهُمْ إِلَّا طَغْيَانًا كَبِيرًا.

16943. حدثني أبو السائب يعقوب، قال: حدثنا ابن إدريس، عن الحسن بن عبيد الله، عن أبي الصحن، عن مسروق **والشجرة الملعونة في القرآن** قال: شجرة الزقوم.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الحسن بن عبيد الله، عن أبي الصحن، عن مسروق، مثله.

16944. حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله **والشجرة الملعونة في القرآن** فإن قريشاً كانوا يأكلون التمر والزبد، ويقولون: تزقموا هذا الزقوم. قال أبو رجاء: فحدثني عبد القدوس، عن الحسن، قال: فوصفها الله لهم في الصافات.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا هودة، قال: حدثنا عوف، عن الحسن، قال: قال أبو جهل وكفار أهل مكة: أليس من كذب ابن أبي كبّشة أنه يوعدكم بنار تحترق فيها الحجارة، ويزعم أنه ينبت فيها شجرة؟ **والشجرة الملعونة في القرآن** قال: هي شجرة الزقوم.

16945. حدثني عن عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: حدثنا عبشر، قال: حدثنا حصين، عن أبي مالك في هذه الآية **والشجرة الملعونة في القرآن** قال: شجرة الزقوم.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك، قال في قوله **والشجرة الملعونة في القرآن** قال: هي شجرة الزقوم.

16946. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن رجل يقال له بدر، عن عكرمة، قال: شجرة الزقوم.

16947. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا إسرائيل، عن فرات القزار، قال: سُئل سعيد بن جبير عن الشجرة الملعونة، قال: شجرة الزقوم.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا هشيم، عن عبد الملك العزرمي، عن سعيد بن جبير **والشجرة الملعونة** قال: شجرة الزقوم.

16948. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، بمثله.

16949. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثني الحسين، قال: حدثنا ورقاء، جمیعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد **والشجرة الملعونة في القرآن** قال: الزقوم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جریح، عن مجاهد، بمثله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن أبي المحجل، عن أبي معاشر، عن إبراهيم، أنه كان يحلف ما يستحيي، أن الشجرة الملعونة: شجرة الزقوم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إسرائيل، عن قرات القرزار، قال: سألت سعيد بن جبير، عن الشجرة الملعونة في القرآن، قال: شجرة الزّقوم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: هي الزقوم.

16950 حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، عن قتادة، قوله والشجرة الملعونة في القرآن وتحوّفهم فما يزددهم إلا طغياناً كثيراً وهي شجرة الزقوم، خوف الله بها عباده، فافتتنوا بذلك، حتى قال قائلهم أبو جهل بن هشام: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وإنما والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد، فتزقموها، فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة: إنها شجرة تخُرج في أصل الجحيم طلعها كأئمه رؤوس الشياطين، إني خلقتها من النار، وعذبت بها من شئت من عبادي.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة والشجرة الملعونة في القرآن قال: الزقوم وذلك أن المشركين قالوا: يخبرنا هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر حتى لا تدع منه شيئاً، وذلك فتنة.

16951 حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الصحاك يقول في قوله والشجرة الملعونة في القرآن قال: شجرة الزقوم.

16952 حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله والشجرة الملعونة في القرآن الزقوم التي سألوا الله أن يملأ بيوتهم منها. وقال: هي الصرفان بالزبد تترقبه، والصرفان: صنف من التمر. قال: وقال أبو جهل: هي الصرفان بالزبد، وافتتنوا بها.

وقال آخرون: هي الكشوت. ذكر من قال ذلك:

16953 حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن مولىبني هاشم حدثه، أن عبد الله بن الحارث بن نوفل، أرسله إلى ابن عباس، يسأله عن الشجرة الملعونة في القرآن؟ قال: هي هذه الشجرة التي تلوي على الشجرة، وتجعل في الماء، يعني الكشوت.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال: عنى بها شجرة الزقوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. ونصبت الشجرة الملعونة عطفاً بها على الرؤيا. فتأويل الكلام إذن: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك، والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، فكانت فتنتهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتد، وتمادي أهل الشرك في شركهم، حين أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أسرى به. وكانت فتنتهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه: يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابية، والنار تأكل الشجر فكيف تنبت فيها؟

وقوله: وَنَحْوُفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْياناً كَبِيراً يقول: وَنَحْوُفُهُمْ هؤلاء المشركين بما نتوعدهم من العقوبات والنkal، فما يزيدهم تخويفنا إلا طغياناً كبيراً، يقول: إِلَّا تمادي وغياً كبيراً في كفرهم وذلك أنهم لما حُقِّفوا بالنار التي طعامهم فيها الرقوم دعوا بالتمر والزبد، وقالوا: ترقصوا من هذا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك وقد تقدّم ذكر بعض من قال ذلك، وذكر بعض من بقي:

16954. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، قال قال ابن جريح والشجرة الملعونة قال: طلعها كأنه رءوس الشياطين، والشياطين ملعونون. قال والشجرة الملعونة في القرآن لما ذكرها زادهم افتناناً وطغياناً، قال الله تبارك وتعالى، ونحوهم فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طغياناً كَبِيراً.

الآية : 61 و 62

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةَ اسْجُدُوا لَآدَمَ فَسَاجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَسْجُدُ لِمَنْ حَلَقَتْ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لِئَنْ أَخْرَتْنَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِنَكَنْ دُرْسِتَهُ إِلَّا قَلِيلًا}. .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وذكر يا محمد تمادي هؤلاء المشركين في غيهم وارتداهم عتوا على ربهم بتخويفه إياهم تحقيقهم قول عدوهم وعدو والدهم، حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له، حسدا واستكباراً لئن أخرتني إلى يوم القيمة لأختنك دُرسْتَهُ إِلَّا قَلِيلًا وكيف صدقوا ظنه فيهم، وخالفوا أمر ربهم وطاعته، واتبعوا أمر عدوهم وعدو والدهم.

ويعني بقوله وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَة: واذكر إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فساجدوا إلا إبليس فإنه استكبر وقال أَسْجُدُ لِمَنْ حَلَقَتْ طِينًا يقول: لمن خلقته من طين فلما حذفت «من» تعلق به قوله حَلَقَتْ فنصب، يفترخ عليه الجاهل بأنه حَلَقَ من نار، وخلق آدم من طين. كما:

16955. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: بعث رب العزة تبارك وتعالى إبليس، فأخذ من أديم الأرض، من عذبها وملحها، فخلق منه آدم، فكل شيء خلق من عذبها فهو صائر إلى السعادة وإن كان ابن كافرين، وكل شيء خلقه من ملحها فهو صائر إلى الشقاوة وإن كان ابن نبيين ومن ثم قال إبليس أَسْجُدُ لِمَنْ حَلَقَتْ طِينًا: أي هذه الطينة أنا جئت بها، ومن ثم سُمِّي آدم. لأنه خُلِقَ من أديم الأرض.

وقوله: أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ يقول تعالى ذكره: أرأيت هذا الذي كرمته علىي، فأمرتني بالسجود له، ويعني بذلك آدم لئن أخرتني أقسم عدو الله، فقال لربه: لئن أخرت إهلاكي إلى يوم القيمة لأختنك دُرسْتَهُ إِلَّا قَلِيلًا يقول: لاستولين عليهم، ولأستصلنهم، ولأستميلنهم. يقال منه: احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك، ومنه قول الشاعر: تَشْكُو إِلَيْكَ سَنَةً قَدْ أَجْحَقْتَهُمَا إِلَى جَهَنَّمَ بِنَا فَأَصْعَقْتَهُمَا حَتَّاكَ أَمْوَالَنَا وَجَلَقْتَ

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 16956. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جمبا عن

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى {وَاسْتَفِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلَكَ وَرَحْلَكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ وَعِذْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا}.

يقول تعالى ذكره بقوله وَاسْتَفِرْ واستخفف واستجهل، من قولهم: استفرز فلاناً كذا وكذا فهو يستفرزه مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ. اختلف أهل التأويل في الصوت الذي عنده جل شناوه بقوله وَاسْتَفِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ فقال بعضهم: عنى به: صوت الغناء واللعب. ذكر من قال ذلك:

16961. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، في قوله وَاسْتَفِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: بالله والغناء. حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر، عن مجاهد، في قوله: وَاسْتَفِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: اللعب والله. وقال آخرون: عنى به وَاسْتَفِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِدَعَائِكَ إِيَاهُ إِلَى طاعتك ومعصية الله. ذكر من قال ذلك:

16962. حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس وَاسْتَفِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: صوته كل داع دعا إلى معصية الله.

16963. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَاسْتَفِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: بدعائك. وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفرز من ذريته آدم من استطعت أن تستفرزه بصوتك، ولم يخص من ذلك صوتا دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافا للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له وَاسْتَفِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ.

وقوله: وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلَكَ وَرَحْلَكَ يقول: وأجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يحلب عليها بالدعاء إلى طاعتك، والصرف عن طاعتي. يقال منه: أجلب فلان على فلان إجلابا: إذا صاح عليه. والحلبة: الصوت، وربما قيل: ما هذا الجلب، كما يقال: الغلبة والغلب، والشقة والشقيق. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، ذكر من قال ذلك:

16964. حدثني سلم بن جنادة، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد، في قوله **وأجلب عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَجِلَكَ** قال: كل راكب وماش في معاصي الله تعالى.
16965. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **وأجلب عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَجِلَكَ** قال: إن له خيلاً ورجالاً من الجن والإنس، وهم الذين يطعنونه.
- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة **وأجلب عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَجِلَكَ** قال الرجال المشاة.
16966. حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله **وأجلب عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَجِلَكَ** قال: خيله: كل راكب في معصية الله ورجله: كل راجل في معصية الله.
- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله **وأجلب عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَجِلَكَ** قال: ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس. والرجل: جمع راجل، كما التاجر، والصّحب: جمع صاحب.
- وأما قوله: **وَسَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ**، فإن أهل التأويل اختلفوا في المشاركة التي عنيت بقوله **وَسَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ** فقال بعضهم: هو أمره إياهم بإنفاق أموالهم في غير طاعة الله واكتسابها من غير حلها. ذكر من قال ذلك:
16967. حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد **وَسَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ** التي أصابوها من غير حلها.
- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارت، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **وَسَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ** قال: ما أكل من مال بغير طاعة الله.
- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، عن مجاهد، مثله.
16968. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء بن أبي رباح، قال: الشرك في أموال الربا.
16969. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله **وَسَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ** قال: قد والله شاركهم في أموالهم، وأعطائهم الله أموالاً فأنفقوها في طاعة الشيطان في غير حق الله تبارك اسمه، وهو قول قتادة.
- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد، عن معمر، قال: قال الحسن **وَسَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ** مرهم أن يكسوها من خبيث، وينفقوها في حرام.
16970. حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس **وَسَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ** قال: كل مال في معصية الله.

16971. حديثي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: مشاركته إياهم في الأموال والأولاد، ما زَرَّينَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ مَعاصِي اللَّهِ حَتَّى رَكِبُوهَا.
- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد وشارِكُهُمْ في الأموال كُلَّ مَا أَنفَقُوا فِي غَيْرِ حَقِّهِ.
- وقال آخرون: بل عُنِيَ بِذَلِكَ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ تَحْرِيمِ الْمُشْرِكِينَ مَا كَانُوا يَحْرِمُونَ مِنَ الْأَنْعَامِ كَالْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِقِ وَنَحْوَ ذَلِكَ.
- ذكر من قال ذلك: ثني أبي، عن ابن عباس، في قوله: وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: الأموال: ما كانوا يحرّمون من أنعامهم.
16973. حديثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عيسى، عن عمران بن سليمان. عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: مشاركته في الأموال أن جعلوا البحيرة والسائلة والوصيلة لغير الله.
16974. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ فَإِنَّهُ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ أَمَا فِي الْأَمْوَالِ فَأَمْرُهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا بَحِيرَةً وَسَائِلَةً وَوَصِيلَةً وَحَاماً.
- قال أبو جعفر: الصواب: حامياً.
- وقال آخرون: بل عُنِيَ بِهِ مَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَذْبَحُونَ لِآلهَتِهِمْ.
- ذكر من قال ذلك: ثني عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: حدثنا عبد، قال: سمعت الصحاك يقول: وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ يعني ما كانوا يذبحون لآلهتهم.
- وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِيَ بِذَلِكَ كُلَّ مَا عَصَى اللَّهَ فِيهِ بِإِنْفَاقٍ فِي حِرَامٍ أَوْ اِكْتَسَابٍ مِنْ حِرَامٍ، أَوْ ذِبْحٍ لِلَّهِ، أَوْ تَسْبِيبٍ، أَوْ بَحْرٍ لِلشَّيْطَانِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مَا كَانَ مَعْصِيَّاً بِهِ أَوْ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ فَكُلَّ مَا أَطْبَعَ الشَّيْطَانَ فِيهِ مِنْ مَالٍ وَعَصَى اللَّهَ فِيهِ، فَقَدْ شَارَكَ فَاعْلَمَ ذَلِكَ فِيهِ إِلَيْسَ، فَلَا وَجْهٌ لِخَصُوصِ بَعْضِ ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ.
- وقوله: وَالْأُولَادِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي صَفَةِ شَرِكَتِهِ بْنَيْ آدَمَ فِي أَوْلَادِهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: شَرِكَتِهِ إِيَّاهُمْ فِيهِمْ بِزَنَاهُمْ بِأَمْهَاتِهِمْ.
- ذكر من قال ذلك: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: أولاد الزنا.
16976. حديثي محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: أولاد الزنا.
16977. حديثي أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: أولاد الزنا.
- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرج، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: أولاد الزنا.
- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن حريج، عن مجاهد قال: أولاد الزنا.

16978. حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ قال: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الصحاك يقول وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: أولاد الزنا، يعني بذلك أهل الشرك.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: الأولاد: أولاد الزنا.

وقال آخرون: يعني بذلك: وأدُّهُمْ أولاًهُمْ وقتلهموهُمْ. ذكر من قال ذلك:

16979. حدثني عليٌّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: ما قتلوا من أولادهم، وأتوا فيهم الحرام.

وقال آخرون: بل يعني بذلك: صبغهم إياهم في الكفر. ذكر من قال ذلك: 16980. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: قد والله شاركهم في أموالهم وأولادهم، فمجسوّوا وهّدوا ونصرّوا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءاً للشيطان.

16981. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: قد فعل ذلك، أما في الأولاد فإنهم هُوّدوهم ونَصَّروهم ومجسوّوهم.

وقال آخرون: بل يعني بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحرت وعبد شمس. ذكر من قال ذلك:

16982. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني عيسى بن يونس، عن عمران بن سليمان، عن أبي صالح عن ابن عباس وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: مشاركته إياهم في الأولاد، سموا عبد الحرت وعبد شمس وعبد فلان.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: كلّ ولد ولدته أنتي عصى الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتلها ووالده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها بفعله به أو فيه، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه، لأن الله لم يخصص بقوله وشارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكلّ ما عصى الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به إبليس فيه.

وقوله: وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا يقول تعالى ذكره لإبليس: وعد أتباعك من ذرية Adam، النصرة على من أرادهم بسوء. يقول الله: وما يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا لأنّه لا يعني عنهم من عقاب الله إذا نزل بهم شيئاً، فهم من عذاته في ياطل وخديعة، كما قال لهم عدو الله حين حصحص الحق إن الله وعدهم وعَدَكُمْ وَعَدَكُمْ وَعَدَكُمْ فَأَخْلَقْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخَكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشَرَّكُنُمْ مِنْ قَبْلُ.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى {وَإِنْتَفِرْ زَ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَحْلَكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدْهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا}.

يقول تعالى ذكره بقوله وَاسْتَفِرْ وَاسْتَخْفُ وَاسْتَجْهَلْ، من قولهم: استفر فلاناً كذا وكذا فهو يستفر مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ. اختلف أهل التأويل في الصوت الذي عنده جل ثناؤه بقوله وَاسْتَفِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ فقال بعضهم: عني به: صوت الغناء واللعب. ذكر من قال ذلك:

16961. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، في قوله وَاسْتَفِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: بالله والغناء.

حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر، عن مجاهد، في قوله: وَاسْتَفِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: اللعب والله.

وقال آخرون: عني به وَاسْتَفِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِدَعَائِكَ إِيَاهُ إِلَى طاعتك ومعصية الله. ذكر من قال ذلك:

16962. حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس وَاسْتَفِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: صوته كل داع دعا إلى معصية الله.

16963. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة وَاسْتَفِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: بدعائك وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِإِبْلِيسِ: وَاسْتَفِرْ مِنْ ذَرِيَّةِ آدَمَ مِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَسْتَفِرْهُ بِصَوْتِكَ، وَلَمْ يَخْصُصْ مِنْ ذَلِكَ صَوْتًا دُونَ صَوْتٍ، فَكُلُّ صَوْتٍ كَانَ دُعَاءً إِلَيْهِ وَإِلَى عَمَلِهِ وَطَاعَتْهُ، وَخَلَافَا لِدُعَاءِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي مَعْنَى صَوْتِهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَسْمَهُ لَهُ وَاسْتَفِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ.

وقوله: وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَجْلَكَ يَقُولُ: وَاجْمَعْ عَلَيْهِمْ مِنْ رَكْبَانِ جَنْدَكَ وَمِشَاتِهِمْ مِنْ يَحْلِبْ عَلَيْهَا بِالدُّعَاءِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالصِّرْفُ عَنْ طَاعَتِي. يَقُولُ مِنْهُ: أَجْلِبْ فَلَانَ عَلَى فَلَانَ إِجْلَابًا: إِذَا صَاحَ عَلَيْهِ. وَالْجَلْبَةُ: الصَّوْتُ، وَرِبَّما قَيْلَ: مَا هَذَا الْجَلْبُ، كَمَا يَقُولُ: الْغَلْبَةُ وَالْغَلْبُ، وَالشَّفَقَةُ وَالشَّفَقُ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلَنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

16964. حدثني سلم بن جنادة، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد، في قوله وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَجْلَكَ قال: كُلُّ راكب وماش في معاصي الله تعالى.

16965. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَجْلَكَ قال: إِنَّ لَهُ خِيلًا وَرِجَالًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ، وَهُمُ الَّذِينَ يَطْبِعُونَهُ.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَجْلَكَ قال الرجال المشاة.

16966. حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَجْلَكَ قال: خيله: كل راكب في معاصي الله ورجله: كل راجل في معصية الله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَجْلَكَ قال: ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال

إبليس. والرجل: جمع راجل، كما التّجْرِي: جمع تاجر، والصّحْب: جمع صاحب.

وأما قوله: وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ، فإنَّ أهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي الْمُشارِكَةِ الَّتِي عَنِيتُ بِقُولِهِ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَمْرٌ إِيَّاهُمْ بِإِنْفَاقِ أَمْوَالِهِمْ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ وَاتِّسَابُهُمُوا هُوَ مِنْ غَيْرِ حَلَّهُمْ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

16967. حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي أَصَابُوهُمْ مِنْ غَيْرِ حَلَّهُمْ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وَحدَثَنِي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ قال: ما أَكَلَ مِنْ مَالٍ بِغَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

16968. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء بن أبي رباح، قال: الشرك في أموال الربا.

16969. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: قَدْ وَاللَّهُ شَارِكُهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَأَعْطَاهُمْ اللَّهُ أَمْوَالًا فَأَنْفَقُوهَا فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ فِي غَيْرِ حَقِّ اللَّهِ تَبارُكُ اسْمُهُ، وَهُوَ قُولُ قَتَادَةِ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد، عن معمراً، قال: قال الحسن وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ مِرْهُمْ أَنْ يَكْسِبُوهُمْ مِنْ خَبِيثٍ، وَيَنْفَقُوهُمْ فِي حِرَامٍ.

16970. حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: كُلُّ مَالٍ فِي مُعْصِيَةِ اللَّهِ.

16971. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: مشاركته إياهم في الأموال والأولاد، مَا زَرَّنَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ مَعاصِي اللَّهِ حَتَّى رَكِبُوهَا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ كُلُّ مَا أَنْفَقُوا فِي غَيْرِ حَقِّهِ.

وقال آخرون: بل عَنِي بِذَلِكَ كُلُّ مَا كَانَ مِنْ تَحْرِيمِ الْمُشْرِكِينَ مَا كَانُوا يَحْرِّمُونَ مِنَ الْأَنْعَامِ كَالْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِقِ وَنَحْوَ ذَلِكَ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

16972. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمّي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: الْأَمْوَالُ الْأُولَادُ قَالُوا: مَا كَانُوا يَحْرِّمُونَ مِنَ الْأَنْعَامِ.

16973. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عيسى، عن عمران بن سليمان. عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: مشاركته في الأموال أن جعلوا البحيرة والسائلة والوصيلة لغير الله.

16974. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ فَإِنَّهُ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ أَمَا فِي الْأَمْوَالِ فَأَمْرُهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا بَحِيرَةً وَسَائِلَةً وَوَصِيلَةً وَحَاماً.

قال أبو جعفر: الصواب: حاميا.

وقال آخرون: بل عُنِي به ما كان المشركون يذبحونه لآلهتهم. ذكر من قال ذلك:

16975. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: حدثنا عبد،
قال: سمعت الصحاك يقول: وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ يعني ما كانوا
يذبحون لآلهتهم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك كل مال
عصى الله فيه بإنفاق في حرام أو اكتساب من حرام، أو ذبح للآلهة، أو
تسبيب، أو بحر للشيطان، وغير ذلك مما كان معصيا به أو فيه، وذلك أن
الله قال وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى
الله فيه، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض ذلك
دون بعض.

وقوله: والأولاد اختلف أهل التأويل في صفة شركته ببني آدم في
أولادهم، فقال بعضهم: شركته إياهم فيهم بزناهم بأمهاتهم. ذكر من قال
ذلك:

16976. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال:
ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ
قال: أولاد الزنا.

16977. حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا
يذكر عن مجاهد وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: أولاد الزنا.
حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحرج، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، حمیعا عن ابن
أبي نجيح، عن مجاهد وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: أولاد الزنا.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريج، عن
مجاهد قال: أولاد الزنا.

16978. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ قال: حدثنا عبد بن
سليمان، قال: سمعت الصحاك يقول وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال:
أولاد الزنا، يعني بذلك أهل الشرك.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله:
وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: الأولاد: أولاد الزنا.

وقال آخرون: عُنِي بذلك: وأدُهم أولادهم وقتلهموهم. ذكر من قال ذلك:
16979. حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ،
عن ابن عباس وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: ما قتلوا من أولادهم،
وأتوا فيهم الحرام.

وقال آخرون: بل عني بذلك: صبغهم إياهم في الكفر. ذكر من قال ذلك:
16980. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن
الحسن وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: قد والله شاركهم في أموالهم
وأولادهم، فمجسوا وهّدوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من
أموالهم حزءا للشيطان.

16981. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن
معمر، عن قتادة وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ قال: قد فعل ذلك، أما في
الأولاد فإنهم هُودوهم ونصّروهم ومجسّوهم.

وقال آخرون: بل عنى بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحرش وعبد شمس.
ذكر من قال ذلك:

16982ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني عيسى بن يونس،
عن عمران بن سليمان، عن أبي صالح عن ابن عباس وشاركتهم في
الأموال والأولاد قال: مشاركته إياهم في الأولاد، سموا عبد الحرش وعبد
شمس وعبد فلان.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: كلّ ولد ولدته أنتي عصى الله
بتسميته ما يكرهه الله، أو بادحاته في غير الدين الذي ارتكباه الله، أو بالزنا
بأنه، أو قتله وواده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها بفعله به أو
فيه، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه،
لأن الله لم يخصص بقوله وشاركتهم في الأموال والأولاد معنى الشركة
فيه بمعنى دون معنى، فكلّ ما عصى الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو
فيه، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به إبليس فيه.

وقوله: وَعِذْهُمْ وَمَا يَعِذُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا يقول تعالى ذكره لإبليس:
 وعد أتباعك من ذريته أدم، النصرة على من أرادهم بسوء. يقول الله: وما
يَعِذْهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا لأنه لا يغرنى عنهم من عقاب الله إذا نزل بهم
شيئاً، فهم من عداته في باطل وخديعة، كما قال لهم عدو الله حين
حصل الحق إن الله وعدكم وعدهم الحق ووعدهم كفراً فأحلفتكم وما كان لي
عليكم من سلطان إلا أن دعوهكم فاستحببتم لي فلا تلوموني ولو مروا
أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخني إني كفرت بما أشركتمون
من قبل.

الآية : 65

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا}.

يقول تعالى ذكره لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني. فاتبعوا أمري
وعصوكم يا إبليس. ليس لك عليهم حجة.

وقوله: وَكَفَى بَرَبِّكَ وَكِيلًا يقول جل شأنه لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم: وكفاك يا محمد ربك حفيظاً، وقيماً بأمرك. فانقاد لأمره. وبلغ
رسالاته هؤلاء المشركين. ولا تحف أحداً، فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك،
كما:

16983ـ حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:
إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بَرَبِّكَ وَكِيلًا وَعِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ.
وقال الله في آية أخرى إنما سلطانته على الذين يتولونه والذين هم به
مُشركون.

الآية : 66

القول في تأويل قوله تعالى: {رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمُ الْفُلُكَ فِي الْبَحْرِ
لِتَبْتَغُوا مِنْ قَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}.

يقول تعالى ذكره للمشركين به: ربكم أيها القوم هو الذي يسير لكم
السفن في البحر. فيحملكم فيها لتبتغوا من قضلاته لتوصروا بالركوب فيها
إلى أماكن تجاراتكم ومطالباتكم ومعايشكم، وتلتزمون من رزقه إنه كان
بكم رحيمًا يقول: إن الله كان بكم رحيمًا حين أجرى لكم الفلك في البحر،
تسهيلًا منه بذلك عليكم التصرف في طلب فضله في البلاد النائية التي

لولا تسهيله ذلك لكم لصعب عليكم الوصول إليها. وبنحو ما قلنا في قوله: يُرْجِي لَكُمْ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 16984. حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ. عن ابن عباس. قوله: رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمُ الْفُلُكَ فِي الْبَحْرِ يقول: يجري الفلك.

16985. حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة رَبُّكُمُ الَّذِينَ يُرْجِي لَكُمُ الْفُلُكَ فِي الْبَحْرِ قال: يسيراها في البحر.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمُ الْفُلُكَ فِي الْبَحْرِ قال: يجري. 16986. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمُ الْفُلُكَ فِي الْبَحْرِ قال: يجريها.

الآية : 67

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنَّا مَسْكُمُ الْضَّرِّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ قَلَّمَا تَجَّاكمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا}. يقول تعالى ذكره: وإذا نالتم الشدة والجهد في البحر ضلل من تدعون: يقول: فقد تمّ من تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة، وجار عن طريقكم فلم يغشكم، ولم تجدوا غير الله مغيثاً يغشكم دعوتهموه، فلما دعوتهموه وأغاثكم، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر، أعرضتم عمداً عاكماً إليه ربكم من خلع الأنداد، والبراءة من الآلهة، وإفراده بالآلهة كفراً منكم بنعمته وكأنَّ الْإِنْسَانُ كَفُورًا يقول: وكأنَّ الإنسان إذا جد لنعم ربه.

الآية : 68

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا}. يقول تعالى ذكره: أَفَأَمِنْتُمْ أيها الناس من ربكم، وقد كفرتم نعمته أنسجتكم عليه من الهلاك، فلما نجاكم وصرتم إلى البرّ كفرتكم، وأشركتم في عبادته غيره أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانبَ البرّ يعني ناحية البرّ أو يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصباً يقول: أو يمطركم حجارة من السماء تقتلوكم، كما فعل بقوم لوط ثم لا تجدوا لكم ما يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه وما يمنعكم منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك: قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16987. حدثنا بشير، قال: حدثنا بزيـد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا يقول: حجارة من السماء ثم لا تجدوا لكم وكيلًا: أي منعة ولا ناصرا.

16988. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصباً قال: مطر الحجارة إذا خرجتم من البحر.

وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله أو يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصباً إلى: أو يرسل عليكم ريحًا عاصفاً تحصب، ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَصْرِبُنَا يَحْاصِبِ كَنْدِيفَ الْقُطْنَ مَنْتُورِ
وَأَصْلَ الْحَاصِبِ: الرِّيحُ تَحْصِبُ بِالْحَصَبَاءِ الْأَرْضَ فِيهَا الرَّمْلُ وَالْحَصَبَاءِ
الصَّغَارِ. يَقَالُ فِي الْكَلَامِ: حَصَبَ فَلَانَ فَلَانَا: إِذَا رَمَاهُ بِالْحَصَبَاءِ. إِنَّمَا
وُصْفُ الرِّيحِ بِأَنَّهَا تَحْصِبُ لِرَمِيهَا النَّاسَ بِذَلِكَ, كَمَا قَالَ الْأَخْطَلُ:
وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا العِشَارُ تَرَقَ حَتَّهُدَجَ الرَّئَالِ تَكَبَّهُنَّ شَمَالًا
تَرْمِيَ الْعَصَاهَ بِحَاصِبٍ مِّنْ تَلْجَاهَاتِنِي تَبَيَّنَتْ عَلَى الْعَصَاهَ حِفَالًا

الآية : 69

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ أَمْسِمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى
 فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغَرِّقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا
 بِهِ تَبَيَّعًا}.
 يقول تعالى ذكره: أَمْ أَمْسِمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى

إنعامه عليكم، النعمة التي قد علمتم أن يعيدكم في البحر تارة أخرى: يقول: مَرَّةً أخرى، والهاء التي في قوله «فيه» من ذكر البحر. كما: 16989 حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، عن قتادة أنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى: أي في البحر مَرَّةً أخرى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ وهي القاصف ما مَرَّتْ به فتحطمه وتتدفقه، من قولهم: قصف فلان ظهر فلان: إذا كسره فَيُغَرِّقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ يقول: فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف بما كفرتم، يقول: بكفركم به ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبَيَّعا يقول: ثم لا تجدوا لكم علينا تابعا يتبعنا بما فعلنا بكم، ولا ثائرا يثأرنا بإهلاكنا إياكم. وقيل: تباعا في موضع التابع، كما قيل: عليم فيموضع عالم. والعرب تقول لكل طالب بدم أو دين أو غيره: تبيع. ومنه قول الشاعر:

عَدَوْا وَعَدَتْ غِرْلَانُهُمْ فَكَأَنَّهَا حَصَوْا مِنْ عُزْمٍ لَّزْهُنْ تَبَيَّعُ
 وَيَنْحُوا الَّذِي قَلَنَا فِي الْقَاصِفِ وَالتَّبَيَّعِ, قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ
 ذَلِكَ:

16990 حدثني علي بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ يقول: عاصفا.

16991 حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: قاصفا التي تُغرق.

16992 حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبَيَّعا يقول نصيرا.

16993 حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرت، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال محمد: ثائرا، وقال الحرت: نصيرا ثائرا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبَيَّعا قال: ثائرا.

16994 حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبَيَّعا أي لا تخاف أن تتبع بشيء من ذلك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ثم لا تجذوا لكم علينا به تبيعا يقول: لا يتبعنا أحد بشيء من ذلك. والتارة: جمعه تارات وثير، وأفعت منه: أترت.

الآية : 70

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرِّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالبَّحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَقَصَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمْنَ حَلْقَنَا تَفْصِيلًا}. يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ كَرِّمْنَا بَنِي آدَمَ بِتِسْلِيْطَنَا إِيَاهُمْ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ مِّنَ الْخَلْقِ، وَتَسْخِيرَنَا سَائِرَ الْخَلْقِ لَهُمْ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ عَلَىٰ ظَهُورِ الدَّوَابِّ وَالْمَرَاكِبِ وَفِي الْبَحْرِ فِي الْفَلَكِ الَّتِي سَخْرَنَاهَا لَهُمْ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ يقول: من طَيِّبَاتِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَهِيَ حَلَالُهَا وَلَذِيْدَاتِهَا وَقَصَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمْنَ حَلْقَنَا تَفْصِيلًا ذَكَرَ لَنَا أَنَّ ذَلِكَ تَمْكِنَهُمْ مِّنَ الْعَمَلِ بِأَيْدِيهِمْ، وَأَخْذِ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ بِهَا وَرَفَعَهَا بِهَا إِلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ، وَذَلِكَ غَيْرُ مُتِيسِرٍ لِغَيْرِهِمْ مِّنَ الْخَلْقِ، كَمَا:

16995. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله وَلَقَدْ كَرِّمْنَا بَنِي آدَمَ... الآية، قال: وَقَصَّلْنَاهُمْ فِي الْيَدِينِ يَأْكُلُ بَهُمَا، وَيَعْمَلُ بَهُمَا، وَمَا سُوِيَ الإِنْسَانُ يَأْكُلُ بِغَيْرِ ذَلِكَ.

16996. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر عن زيد بن أسلم، في قوله: وَلَقَدْ كَرِّمْنَا بَنِي آدَمَ قال: قالت الملائكة: يا ربنا إنك أعطيتبني آدم الدنيا يأكلون منها، ويتعمرون، ولم تعطنا ذلك، فأعطناه في الآخرة فقال: وَعَزَّتِي لَا جَعَلْتَ ذَرَّيْةً مِّنْ خَلْقِي، كمن قلت له كن فكان.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُوْا كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأَوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا}. اختلفت أهل التأويل في معنى الإمام الذي ذكر الله جل شراؤه أنه يدعو كل أنس به، فقال بعضهم: هو نبيه، ومن كان يقتدي به في الدنيا ويأتِيه. ذكر من قال ذلك:

16997. حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: حدثنا فضيل، عن ليث، عن مجاهد يَوْمَ نَدْعُوْ كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ قال: نبيهم. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكَّام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بَرْرَةَ، عن مجاهد يَوْمَ نَدْعُوْ كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ قال: نبيهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: بِإِمَامِهِمْ قال: نبيهم. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

16998. حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ قال: نبيهم.

حدَّثَنَا يَشْرِيْرُ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، مثله. وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه يدعوهם بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا. ذكر من قال ذلك:

16999. حديثي محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمِّي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ** قال: الإمام: ما عمل وأمل، فكتب عليه، فمن بعث متقياً لله جعل كتابه بيديه، فقرأه واستبشر، ولم يظلم فتيلًا، وهو مثل قوله: **وَإِنَّهُمَا لِإِيمَامٍ مُّبِينٍ وَالإِمَامُ مَا أَمْلَى وَعَمِلَ.**
17000. حديثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ** قال: بأعمالهم.
- حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن: بكتابهم الذي فيه أعمالهم.
17001. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبي معاذ يقول: حدثنا عبد، قال: سمعت الصحاك يقول في قوله **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ** يقول: بكتابهم.
17002. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: بأعمالهم.
- وقال آخرون: بل معناه: يوم ندعوك كلّ أنس بكتابهم الذي أنزلت عليهم فيه أمري ونهي. ذكر من قال ذلك:
17003. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت يحيى بن زيد في قول الله عزّ وجلّ **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ** قال: بكتابهم الذي أنزل عليهم فيه أمر الله ونهيه وفرائضه، والذي عليه يحاسبون، وقرأ: **لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا** قال: الشريعة: الدين، والمنهج: السنة، وقرأ: **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ تُوحَا** قال: فنون أولئك، وأنت آخرهم.
17004. حدثني الحرت، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ** بكتابهم.
- وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قوله من قال: معنى ذلك: يوم ندعوك كلّ أنس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتّمون به في الدنيا، لأنّ الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما اتّم واقتدي به، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أولى ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسلّيم لها.
- وقوله: **فَمَنْ أَوْتَيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ** يقول: فمن أعطي كتاب عمله بيديه **فَأَوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ** ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه ولا يظلمون فتيلًا يقول تعالى ذكره: ولا يظلمهم الله من جراء أعمالهم فتيلًا، وهو المنفلت الذي في شقّ بطن النواة. وقد مضى البيان عن القتيل بما أغني عن إعادته في هذا الموضوع.
17005. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله **وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا** قال: الذي في شقّ النواة.

الآية : 72

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصَلَّ سَبِيلًا}.

اختلاف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بقوله «هذه»، فقا بعضهم: أشير بذلك إلى النعم التي عددها تعالى ذكره بقوله: **وَلَقَدْ كَرِّمنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَقَصَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ حَلَقْنَا تَعْصِيًّا** فقال: ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سبيلاً. ذكر من قال ذلك: 17006. حدثنا محمد بن المثنى،

قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن محمد بن أبي موسى، قال: سئل عن هذه الآية وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصَلٌ سَبِيلًا فقال: قال ولقد كرّمنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَفَصَلَنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا حَلَقْنَا تَفْصِيلًا قال: من عمي عن شكر هذه النعم في الدنيا، فهو في الآخرة أعمى وأصل سبيلاً.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحججه، فهو في الآخرة أعمى. ذكر من قال ذلك:

17007. حدثني علي بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى يَقُولُ: مِنْ عَمِي عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى.

17008. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرس، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجح، عن مجاهد في هذِهِ أَعْمَى قال: الدنيا.

17009. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى يقول: من كان في هذه الدنيا أعمى عما عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصَلٌ سَبِيلًا فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى.

حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معاشر، عن قتادة وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فِي الدُّنْيَا فِيمَا أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ وَالنَّجْوَمِ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ الْغَائِبَةِ الَّتِي لَمْ يَرَهَا أَعْمَى وَأَصَلٌ سَبِيلًا.

17010. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وسئل عن قول الله تعالى وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصَلٌ سَبِيلًا فقرأ: إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ وَقَرَأَ: وَمَنْ آتَاهُنَّ أَنْ حَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَسْتَشِرُونَ، وَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُ قَانِتُونَ قال: كُلُّهُ مطيعون، إلا ابن آدم. قال: فمن كانت في هذه الآيات التي يعرف أنها منها، ويشهد عليها وهو يرى قدرتنا ونعمتنا أعمى، فهو في الآخرة التي لم يرها أعمى وأصل سبيلاً.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأصل سبيلاً يقول: وأصل طريقة منه في أمر الدنيا قد عاينها ورأها.

إنما قلنا: ذلك أولى تأويلاته بالصواب، لأن الله تعالى ذكره لم يخصص في قوله وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَعْمَى عَمَى الْكَافِرِ بِهِ عَنْ بَعْضِ حَجَجِهِ عَلَيْهِ فَيَوْجِهُ ذَلِكَ إِلَى عَمَاهُ عَنْ نَعْمَهُ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ تَكْرِيمِهِ بَنِي آدَمَ، وَحَمَلَهُ إِيَّاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمَا عَدَّ فِي الْآيَةِ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا نَعْمَهُ عَلَيْهِمْ، بَلْ عَمَّ بِالْخَبْرِ عَنْ عَمَاهِ فِي الدُّنْيَا، فَهُمْ كَمَا عَمَّ تَعَالَى ذِكْرُهُ.

واختلفت القراء في قراءة قوله فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى فَكَسَرَتِ الْقَرْأَةُ جَمِيعًا أَعْنِي الْحَرْفِ الْأَوَّلِ قوله وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى. وأما قوله فَهُوَ

في الآخرة أعمى فإن عامة قراء الكوفيين أمالت أيضا قوله: فَهُوَ فِي الآخرة أعمى. وأما بعض قراء البصرة فإنه فتحه، وتأوله بمعنى: فهو في الآخرة أشدّ عمى. واستشهد لصحة قراءته بقوله: وأصل سبيلاً.

وهذه القراءة هي أولى القراءتين في ذلك بالصواب للشاهد الذي ذكرنا عن قارئه كذلك، وإنما كره من كره قراءته كذلك ظنا منه أن ذلك مقصود بهقصد عمى العينين الذي لا يوصف أحد بأنه أعمى من آخر أعمى، إذ كان عمى البصر لا يتفاوت، فيكون أحدهما أزيد عمى من الآخر، إلا بإدخال أشدّ أو أبین، فليس الأمر في ذلك كذلك.

وإنما قلنا: ذلك من عمى القلب الذي يقع فيه التفاوت، فإنما يعني به عمى قلوب الكفار، عن حجج الله التي قد عاينتها أصارهم، فلذلك جاز ذلك وحسن. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17011. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فَهُوَ فِي الآخرة أعمى قال: أعمى عن حجته في الآخرة.

الآية : 73

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَقْتُلُوكُمْ عَنِ الدِّيَارِ أَوْ حَيْثَا إِلَيْكُمْ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْكُمْ عَيْرَةً وَإِذَا لَانْتَدُوكَ حَلِيلًا}.

اختلاف أهل التأويل في الفتنة التي كاد المشركون أن يفتنتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عن الذي أوحى الله إليه إلى غيره فقال بعضهم: ذلك الإمام بالآلة، لأن المشركين دعوه إلى ذلك، فهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

17012. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القمي، من جعفر، عن سعيد، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود، فمنعته قريش، وقالوا: لا تدعه حتى يلم بالهتنا، فحدثت نفسه، وقال: «ما عَلَيِّ أَنَّ الَّمَّ بِهَا بَعْدَ أَنْ يَدْعُونِي أَسْتَلِمُ الْحَجَرَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَهَا كَارِهٌ»، فأبا الله، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَإِنْ كَادُوا لَيَقْتُلُوكُمْ عَنِ الدِّيَارِ أَوْ حَيْثَا إِلَيْكُمْ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْكُمْ غيرة الآية.

17013. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَلَوْلَا أَنْ تَبَشَّرَ لَقْدَ كِذْتَ تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفحموه ويسودونه ويقاربونه، وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، مما زالوا يكلمونه حتى كاد أن يقاربفهم ثم منعه الله وعصمه من ذلك، فقال: وَلَوْلَا أَنْ تَبَشَّرَ لَقْدَ كِذْتَ تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غيرة قال: أطافوا به ليلة، فقالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا، فأرادوه على بعض ما يريدون فهم أن يقاربهم في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله، فذلك قوله: لَقْدَ كِذْتَ تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا الذي أرادوا فهم أن يقاربهم فيه.

17014. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: قالوا له: أئن آلهتنا فاما مسأله، فذلك قوله: شَيْئاً قَلِيلًا.

وقال آخرون: إنما كان ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أن يُنظر قوماً بإسلامهم إلى مدة سأله الإنطمار إليها. ذكر من قال ذلك:

17015. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَإِنْ كَادُوا لِيَقْتُلُوكُمْ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ لِتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخْذُلُوكُمْ خَلِيلًا وَذَلِكَ أَنْ ثَقِيفًا كَانُوا قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجَّلْنَا سَنَةً حَتَّىٰ يُهْدِي لَآلَهَتِنَا، فَإِذَا قَبضَنَا الَّذِي يُهْدِي لَآلَهَتِنَا أَخْذَنَاهُ، ثُمَّ أَسْلَمْنَا وَكَسَرْنَا الْأَلَهَةَ، فَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعْطِيهِمْ، وَأَنْ يُؤْجِلْهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ: وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَكُمْ لَقَدْ كَدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم، أن المشركين كادوا أن يفتتوه عما أواه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله وجائز أن يكون ذلك كأن ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوا أن يمسّ ألهتهم، ويعلم بها، وجائز أن يكون كأن ذلك ما ذكر عن ابن عباس من أمر ثقيف، ومسألتهم إياه ما سألهوا مما ذكرنا وجائز أن يكون غير ذلك، ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أي ذلك كان، والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا، فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما يعني بذلك منه.

وقوله: وَإِذَا لَا تَخْذُلُوكُمْ خَلِيلًا يقول تعالى ذكره: ولو فعلت ما دعوك إليه من الفتنة عن الذي أوحينا إليك لا تخذلوك إذا لأنفسهم خليلًا، وكنت لهم وكانوا لك أولياء.

الآية : 74

القول في تأويل قوله تعالى { وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَكَ لَقَدْ كَدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا }.

يقول تعالى ذكره: ولو أن تبناك يا محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة لَقَدْ كَدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا يقول: لقد كدت تميل إليهم وتطمئن شيئاً قليلاً، وذلك ما كان صلى الله عليه وسلم هم به من أن يفعل بعض الذي كانوا سألهوا فعله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر حين نزلت هذه الآية، ما:

17016. حدثنا محمد بن بشير، قال: حدثنا سليمان، قال: حدثنا أبو هلال، عن قتادة، في قوله وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَكَ لَقَدْ كَدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَا تَكِلْنِي إِلَى تَقْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ».

الآية : 75

القول في تأويل قوله تعالى { إِذَا لَأَذْفَنَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا تَصِيرًا }.

يقول تعالى ذكره: لو ركت إلى هؤلاء المشركين يا محمد شيئاً قليلاً فيما سألك إذن لأذقناك ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17017. حديثي محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عبد اس، قوله: إِذَا لَأَدْفَنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ يعني: ضعف عذاب الدنيا والآخرة.
17018. حديثي محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ضِعْفَ الْحَيَاةِ قال: عذابها وَضِعْفَ الْمَمَاتِ قال: عذاب الآخرة.
- حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.
- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.
17019. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة إذا لَأَدْفَنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ: أي عذاب الدنيا والآخرة.
- حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة: ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ قال: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.
17020. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الصحاك يقول في قوله ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ يعني عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.
- وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في قوله: إِذَا لَأَدْفَنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ مختصر، كقولك: ضعف عذاب الحياة وَضِعْفَ الْمَمَاتِ فهما عذابان، عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة. وقوله ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا تَصِيرًا يقول: ثم لا تجد لك يا محمد إن نحن أذقناك لركونك إلى هؤلاء المشركين لو ركنت إليهم، عذاب الحياة وعذاب الممات علينا نصيراً ينصرك علينا، ويمنعك من عذابك، وينفذك مما نالك من عقوبة.

الآية : 76

القول في تأويل قوله تعالى {إِنَّ كَادُوا لَيَسْتَفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِسُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا}. يقول عز وجل: وإن كاد هؤلاء القوم ليستفرونك من الأرض: يقول: ليستخفونك من الأرض التي أنت بها ليخرجوك منها وَإِذَا لَا يَلْبِسُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا يقول: ولو أخرجوك منها لم يلبشو بعده فيها إِلَّا قليلاً حتى أهلكهم بعذاب عاجل.

واختلف أهل التأويل في الذين كادوا أن يستفروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوه من الأرض وفي الأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها فقال بعضهم: الذين كادوا أن يستفروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليهود، والأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها المدينة. ذكر من قال ذلك:

17021. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرمي أنه بلغه أن بعض اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أرض الأنبياء أرض الشام، وإن هذه ليست بأرض الأنبياء، فأنزل الله وَإِنَّ كَادُوا لَيَسْتَفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا.
- وقال آخرون: بل كان القوم الذين فعلوا ذلك قريشاً، والأرض مكة. ذكر من قال ذلك:

17022. حدثنا بشر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا وقد هم أهل مكة بإخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة، ولو فعلوا ذلك لما توطنوا، ولكن الله كفهم عن إخراجه حتى أمره، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة لَيَسْتَفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ قال: قد فعلوا بعد ذلك، فأهلکهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلَّا قَلِيلًا حتى أهلکهم الله يوم بدر. وكذلك كانت سُنة الله في الرسل إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك.

17023. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جمیعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا قال: لو أخرجت قريش محمداً لعذبوا بذلك.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جریح، عن مجاهد، مثله.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول قتادة ومجاهد، وذلك أن قوله: وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ في سياق خبر الله عز وجل عن قريش وذكره إياهم، ولم يحر لليهود قبل ذلك ذكر، فيوجه قوله وَإِنْ كَادُوا إلى أنه خبر عنهم، فهو بأن يكون خبراً عن جرى له ذكر أولى من غيره. وأما القليل الذي استثناه الله جل ذكره في قوله وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا فإنه فيما قيل، ما بين خروج رسول الله صلی الله عليه وسلم من مكة إلى أن قتل الله من قتل من مشركيهم بدر. ذكر من قال ذلك:

17024. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس قوله: وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا يعني بالقليل يوم أخذهم بدر، فكان ذلك هو القليل الذي لبثوا بعد.

17025. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبد، قال: سمعت الصحاك يقول في قوله: وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا كان القليل الذي لبثوا بعد خروج النبي صلی الله عليه وسلم من بين أظهرهم إلى بدر، فأخذهم بالعذاب يوم بدر، وعني بي قوله خلافك بعده، كما قال الشاعر:

عَقَبَ الرَّذَادُ خِلَافَهَا فَكَائِنًا بَاسَطَ الشَّوَاطِيبُ بَيْتَهُنَّ حَصِيرَا
يعني بي قوله: خلافها: بعدها. وقد حُكِي عن بعضهم أنه كان يقرؤها: خلفك. ومعنى ذلك، ومعنى الخلاف في هذا الموضع واحد.

الآية : 77

القول في تأويل قوله تعالى {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُلِنَا وَلَا تَحِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا}.

يقول تعالى ذكره: لو أخرجوك لم يلبثوا خلافك إلَّا قَلِيلًا، وأهلکناهم بعذاب من عندنا، سنتنا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلينا، فإننا كذلك كنا نفعل بالأمم إذا أخرجت رسيلها من بين أظهرهم ونصبت السنة على الخروج من معنى قوله لا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا لأن معنى ذلك: لعذبناهم

بعد قليل كستنا في أمم من أرسلنا قبلك من رسالنا، ولا تجد لستنا تحويلًا عما جرت به. كما:

17026 حديث بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلَنَا فِيْكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسْتِنَا تَحْوِيلًا**: أي سنة الأمم والرسل كانت قبلك كذلك إذا كذبوا رسالهم وأخرجوهم، لم يناظروا أن الله أنزل عليهم عذابه.

الآية : 78

القول في تأويل قوله تعالى {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: **أَقِمِ الصَّلَاةَ يَا مُحَمَّدٍ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**.

واختلف أهل التأویل في الوقت الذي عنده الله بدلوک الشمس، فقال بعضهم: هو وقت غروبها، والصلوة التي أمر بإقامتها حينئذ: صلاة المغرب. ذكر من قال ذلك:

17027 حدثني واصل بن عبد الأعلى الأسدي، قال: حدثنا ابن فضيل، عن أبي إسحاق، يعني الشيباني، عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه، أنه كان مع عبد الله بن مسعود، على سطح حين غربت الشمس، فقرأ: **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ**، حتى فرغ من الآية، ثم قال: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ إِنْ هَذَا لِحِينِ دَلْكَ الشَّمْسِ وَأَفْطَرَ الصَّائِمَ وَوقْتَ الصَّلَاةِ**.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن عقبة بن عبد الغافر، أن أبي عبد الله كتب إليه أن عبد الله بن مسعود كان إذا غربت الشمس صلى المغرب، ويغطر عندها إن كان صائمًا، ويقسم عليها يميناً ما يقسمه على شيء من الصلوات بالله الذي لا إله إلا هو، إن هذه الساعة لم يقيمات هذه الصلاة، ويقرأ فيها تفسيرها من كتاب الله **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ**.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: **هذا دلوك الشمس، وهذا غسق الليل، وأشار إلى المشرق والمغرب**.

17028 حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: قال ابن عباس: دلوك الشمس: غروبها، يقول: دلكت براح.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله، أنه قال: حين غربت الشمس دلكت، يعني براح مكانها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: دلوكها: غروبها.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: قد ذكر لنا أن ابن مسعود كان يصلحها إذا وجبت وعندها يغطر إذا كان صائمًا، ثم يقسم عليها قسمًا لا يقسمه على شيء من الصلوات بالله الذي لا إله إلا هو، إن هذه الساعة لم يقيمات هذه الصلاة، ثم يقرأ ويصلحها وتصديقها من كتاب الله: **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ**.

17029. حديثي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله أقم الصلاة لدلوكة الشمس إلى غسق الليل قال: كان أبي يقول: دلوكها: حين ترید الشمس تغرب إلى أن يغسل الليل، قال: هي المغرب حين يغسل الليل، وتدرك الشمس للغروب.
- حدثني سعيد بن الريبع، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، سمع عمرو بن دينار أبي عبيدة بن عبد الله بن مسدود يقول: كان عبد الله بن مسدود يصلى المغرب حين يغرب حاجب الشمس، ويحلف أنه الوقت الذي قال الله أقم الصلاة لدلوكة الشمس إلى غسق الليل.
- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: قال عبد الله حين غربت الشمس: هذا والله الذي لا إله غيره وقت هذه الصلاة. وقال: دلوكها: غروبها.
- وقال آخرون: دلوك الشمس: ميلها للزوال، والصلاحة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عند دلوكها: الظهر. ذكر من قال ذلك:
17030. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله، قال: دلوكها: ميلها، يعني الشمس.
17031. حديثي يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن الشعبي، عن ابن عباس، قال، في قوله أقم الصلاة لدلوكة الشمس قال: دلوكها: زوالها.
17032. حدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: حدثنا أبوأسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن نافع، عن ابن عمر، في قوله أقم الصلاة لدلوكة الشمس قال: دلوكها: ميلها.
17033. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين بن واقد، عن سيار بن سلامة، عن أبي برزة الأسلمي، قوله أقم الصلاة لدلوكة الشمس قال: إذا زالت.
- حدثنا ابن حميد مرة أخرى، قال: حدثنا أبو تميلة، قال: حدثنا الحسين بن واقد، قال: حدثنا سيار بن سلامة الرياحي، قال: أتيت أبي برزة فسألته والذي عن مواقيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر إذا زالت الشمس، ثم تلا: أقم الصلاة لدلوكة الشمس.
17034. حديثي الحسين بن علي الصدائي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا مبارك، عن الحسن، قال: قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أقم الصلاة لدلوكة الشمس إلى غسق الليل قال: الظهر دلوكها، إذا زالت عن بطن السماء، وكان لها في الأرض قيء.
- حدثنا يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن، في قوله أقم الصلاة لدلوكة الشمس قال: دلوكها: زوالها.
17035. حديثي يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن جوير، عن الصحاح، مثل ذلك.
17036. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن أبي جعفر في أقم الصلاة لدلوكة الشمس قال: لزوال الشمس.
- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معاذ، عن الزهري، عن ابن عباس، قال دلوك الشمس: زيفها بعد نصف النهار، يعني الطلّ.

17037. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: دلوك الشمس، قال: حين تزيع عن بطن السماء.

حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله أقم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ أي إذا زالت الشمس عن بطن السماء لصلاة الظهر.

17038. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نحیح، عن مجاهد لِدُلُوكِ الشَّمْسِ قال: حين تزيع.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جریح، عن مجاهد قال: دلوك الشمس: حين تزيع.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بقوله أقم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ: صلاة الظهر، وذلك أن الدلوك في كلام العرب: الميل، يقال منه: ذلك فلان إلى كذا: إذا مال إليه. ومنه الخبر الذي روی عن الحسن أن رجلاً قال له: أيدالك الرجل أمرأته؟ يعني بذلك: أيميل بها إلى المماطلة بحقها. ومنه قول الراجز:

هَذَا مَقَامُ قَدَمِيْ رِبَاحِعْدُوَةَ حَتَّى دَلَكَتْ بِرَاحَ

ويروى: براح بفتح الباء، فمن روی ذلك: براح، بكسر الباء، فإنه يعني: أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها، لينظر ما لقي من غيارها. وهذا تفسير أهل الغريب أبي عبيدة والأصممي وأبي عمرو الشيباني وغيرهم. وقد ذكرت في الخبر الذي روی عن عبد الله بن مسعود، أنه قال حين غربت الشمس: دلكت براح مكاناً، ولست أدری هذا التفسير، أعني قوله: براح مكاناً منْ كلام من هو ممن في الإسناد، أو من كلام عبد الله، فإن يكن من كلام عبد الله، فلا شك أنه كان أعلم بذلك من أهل الغريب الذين ذكرت قولهم، وأن الصواب في ذلك قوله، دون قولهم، وإن لم يكن من كلام عبد الله، فإن أهل العربية كانوا أعلم بذلك منه، ولما قال أهل الغريب في ذلك شاهد من قول العجاج، وهو قوله:

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَيْفَانَ دَفْعَهَا بِالرَّاحِ كَيْ تَرْخُلُفَا

فأخبر أنه يدفع شعاعها لينظر إلى مغيبها براحه. ومن روی ذلك بفتح الباء، فإنه جعله اسم للشمس وكسر الحاء لإخراجه إياه على تقدير قطام وحذام ورعاش، فإذا كان معنى الدلوك في كلام العرب هو الميل، فلا شك أن الشمس إذا زالت عن كبد السماء، فقد مالت للفروع، وذلك وقت صلاة الظهر، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان في إسناد بعضه بعض النظر.

17039. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا خالد بن مخلد، قال: ثني محمد بن جعفر، قال: ثني يحيى بن سعيد، قال: ثني أبو بكر بن عمرو بن حزم الأنباري، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَتَأْنِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ حِينَ رَأَتْ قَضَلَى بِيَ الظَّهَرَ». **فَقَضَلَى بِيَ الظَّهَرَ».**

17040. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا أبو تميلة، قال: حدثنا الحسين بن واقد، قال: ثني سيار بن سلامة الرياحي، قال: قال أبو بربعة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر إذا زالت الشمس، ثم تلا أقام الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ.

17041. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو بن قيس، عن أبي ليلي، عن رجل، عن جابر بن عبد الله، قال: دعوتنبي الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجن حين زالت الشمس، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اخرج يا أبا بكر قد ذلت الشمس». حدثني محمد بن عثمان الرازي، قال: حدثنا سهل بن بكار، قال: حدثنا أبو عوانة، عن الأسود بن قيس، عن تبيح العتزي، عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم، نحو حديث ابن حميد. فإذا كان صحيحاً ما قلنا بالذى به استشهدنا، فبین إذن أن معنى قوله جل ثناؤه: أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل أن صلاة الظهر والعصر بحدودهما مما أوجب الله عليك فيهما لأنهما الصلاتان اللتان فرضهما الله على نبيه من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل وغسق الليل: هو إقباله ودنوّه بظلامه، كما قال الشاعر:
(آبَ هَذَا اللَّيْلُ إِذْ غَسَقاً)

ونحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عنده، فقال بعضهم: الصلاة التي أمر بإقامتها عنده صلاة المغرب. ذكر من قال ذلك: 17042. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل قال: غسق الليل: بدء الليل.
17043. حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علي، عن أبي رجاء، قال: سمعت عكرمة سئل عن هذه الآية: أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل قال: بدء الليل.
17044. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجح، عن مجاهد، قال: غسق الليل: غروب الشمس.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، عن مجاهد، مثله.

17045. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة غسق الليل: صلاة المغرب.
حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة إلى غسق الليل بدء الليل لصلاة المغرب.

وقد ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا تزال طائفةٌ من أمتي على الفطرة ما صلوا صلاة المغارب قبل أن تبدأ النجوم».
17046. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبد، قال: سمعت الصحاح يقول في قوله إلى غسق الليل يعني ظلام الليل.

17047. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان أبي يقول: غسق الليل: ظلمة الليل.

وقال آخرون: هي صلاة العصر. ذكر من قال ذلك:
17048. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن أبي جعفر إلى غسق الليل قال: صلاة العصر.

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: الصلاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإقامتها عند غسق الليل، هي صلاة المغرب دون غيرها، لأن غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلماته، وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس. فاما صلاة العصر، فإنها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس إلى غسق الليل، لا عند غسق الليل. وأما قوله: وفِرَآن الفَجْرِ فإن معناه وأقم قرآن الفجر: أي ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن، والقرآن معطوف على الصلاة في قوله: أقم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ.

وكان بعض نحوبي البصرة يقول: نصب قوله وفِرَآن الفَجْرِ على الإغراء، فإنه قال: وعليك قرآن الفجر إنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا يقول: إن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهودا، يشهد له فيما ذكر ملائكة الليل وملائكة النهار. وبالذى قلنا في ذلك، قال أهل التأويل: وجاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

17049. حدثني عبيد بن أسباط بن محمد القرشي، قال: ثني أبي، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن ابن مسعود عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية وفِرَآن الفَجْرِ إنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا قال: «تَشَهُّدُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ».

17050. حدثنا محمد بن سهل، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا ليث بن سعد وحدثنا محمد بن سهل بن عسكر، قال حدثنا ابن أبي مريم، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلی الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ الدُّكْرَ فِي تِلَاثٍ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ: فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهُنْ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ فَيَمْحُوا مَا يَشَاءُ وَيُبْتَثِّ، ثُمَّ يَنْزَلُ فِي السَّاعَةِ التَّانِيَةِ إِلَى جَنَّةِ عَدْنَ، وَهِيَ دَارُهُ الَّتِي لَمْ تَرَهَا عَيْنُ، وَلَا تَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَهِيَ مَسْكُنُهُ، وَلَا يَسْكُنُ مَعْهُ مِنْ بَنِي آدَمَ غَيْرُ تَلَاثَةِ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقَيْنَ وَالشَّهِدَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: طُوبَى لِمَنْ دَخَلَكِ، ثُمَّ يَنْزَلُ فِي السَّاعَةِ التَّالِيَةِ إِلَى السَّمَاءِ الْذَّنِيَا بِرُوحِهِ وَمَلَائِكَتِهِ فَتَنَفِّصُ، فَيَقُولُ: قُومِي بَعْنَّنِي، ثُمَّ يَطْلُعُ إِلَى عِبَادِهِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرْ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي أَعْطِهِ، مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْحِبَ لَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ وفِرَآن الفَجْرِ إنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» قال موسى في حديثه: شهد الله وملائكة الليل وملائكة النهار. وقال ابن عسكر في حديثه: فيشهد الله وملائكة الليل وملائكة النهار.

17051. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن عقبة بن عبد الغافر، قال: قال أبو عبيدة بن عبد الله: كان عبد الله يحدث أن صلاة الفجر عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله، ويقرأ هذه الآية: وفِرَآن الفَجْرِ إنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا.

17052. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وفِرَآن الفَجْرِ إنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وفِرَآن الفجر: صلاة الصبح، كما نحدث أن عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله حراس: الليل وحراس النهار.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمرا، عن قتادة وفِرَآن الفَجْرِ صلاة الفجر. وأما قوله: كَانَ مَشْهُودًا فإنه يقول: ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة.

17053. حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مزّة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية: وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَسْهُودًا قال: تنزل ملائكة النهار وتتصعد ملائكة الليل.

17054. حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن فضيل، عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهذيل، عن أبي عبيدة، في قوله: وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَسْهُودًا قال: يشهده حرس الليل وحرس النهار من الملائكة في صلاة الفجر.

17054. حدثنا أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، في قوله: وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَسْهُودًا قال: كانوا يقولون تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر فتشهد فيها جميعاً، ثم يصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء.

17055. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَسْهُودًا يعني صلاة الصبح.

17056. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرج قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَقُرْآنَ الْفَجْرِ قال: صلاة الصبح.

17057. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريج، عن مجاهد وَقُرْآنَ الْفَجْرِ صلاة الصبح إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَسْهُودًا قال: تجتمع في صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار.

17058. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وَقُرْآنَ الْفَجْرِ يعني صلاة الغداة.

17059. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وَقُرْآنَ الْفَجْرِ قال: صلاة الفجر إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَسْهُودًا قال: مشهوداً من الملائكة فيما يذكرون. قال: وكان علىّ بن أبي طالب، وأبيّ بن كعب يقولان: الصلاة الوسطى التي حضّ الله عليها: صلاة الصبح. قال: وذلك لأن صلاة الظهر وصلاة العصر: صلاتا النهار، والمغرب والعشاء: صلاتا الليل، وهي بينها، وهي صلاة نوم، ما نعمل صلاة يُغفل عنها مثلها.

17060. حدثني بعقب، قال: حدثنا ابن عليّة، عن الجريبي، عن أبي الورد بن ثمامه، عن أبي محمد الحضرمي، قال: حدثنا كعب في هذا المسجد، قال: والذي نفس كعب بيده، إن هذه الآية وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَسْهُودًا إنها لصلاة الفجر إنها لمشهودة.

17061. حدثني الحسن بن عليّ بن عباس، قال: حدثنا بشير بن شعيب، قال: أخبرني أبي، عن الزهرى، قال: ثني سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ»، ثم يقول أبو هريرة: أقرءوا إن شئتم وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَسْهُودًا.

17062. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَسْهُودًا قال: صلاة الفجر تجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار.

الآية : 79

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لِكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن، نافلة لك خالصة دون أمتك. والتهجد: التيقظ والسهر بعد نومة من الليل. وأما الهجود نفسه: فالنوم، كما قال الشاعر:
أَلَا طَرَقْتَ هِنْدَ الْهُنْودِ وَصَحْبَيْحَوْرَانَ حَوْرَانَ الْجُنُودِ هُجُودُ
وقال الخطيئة:

أَلَا طَرَقْتَ هِنْدَ الْهُنْودِ وَصَحْبَيْحَوْرَانَ حَوْرَانَ الْجُنُودِ هُجُودُ
وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17061. حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا أبي وشعيـب بن الليـث، عنـ مجـاهـدـ بـنـ يـزـيدـ، عنـ أـبـيـ هـلـالـ، عنـ الأـعـرـجـ أـنـهـ قـالـ: أـخـبـرـنـيـ حـمـيدـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ عـوـفـ، عنـ رـجـلـ مـنـ الـأـنـصـارـ، أـنـهـ كـانـ مـعـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ سـفـرـ، فـقـالـ: لـأـنـظـرـنـ كـيـفـ يـصـلـيـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، قـالـ: فـنـاـمـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، ثـمـ اـسـتـيقـظـ، فـرـفـعـ رـأـسـهـ إـلـىـ السـمـاءـ، فـتـلـأـ أـرـبـعـ آـيـاتـ مـنـ آـخـرـ سـوـرـةـ أـلـ عـمـرـانـ إـنـ فـيـ حـلـقـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـأـخـتـلـافـ الـلـيـلـ وـالـهـارـ حتىـ مـرـ بـالـأـرـبـعـ، ثـمـ أـهـوـيـ إـلـىـ الـقـرـبـةـ، فـأـخـذـ سـوـاكـ فـاسـتـ بـهـ، ثـمـ تـوـضـأـ، ثـمـ صـلـىـ، ثـمـ نـامـ، ثـمـ اـسـتـيقـظـ فـصـنـعـ كـصـنـعـ أـوـلـ مـرـةـ، وـبـرـعـمـونـ أـنـهـ التـهـجـدـ الـذـيـ أـمـرـهـ اللـهـ.

17062. حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن، قال: حدثنا سعيد، عن أبي إسحاق، عن محمد بن عبد الرحمن، عن علقة والأسود أنهم قالوا: التهجد بعد نومة.

17063. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن الأسود، قال: التهجد: بعد نومة.
حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: ثني أبو إسحاق، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن علقة والأسود، بمثله.
حدثني الحارث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا هشيم، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقة، قال: التهجد: بعد النوم.

17064. حدثني الحارث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا يزيد، عن هشام، عن الحسن، قال: التهجد: ما كان بعد العشاء الآخرة.
17065. حدثت عن عبد الله بن صالح، عن الليث، عن جعفر بن ربيعة، عن الأعرج، عن كثير بن العباس، عن الحاج بن عمرو، قال: إنما التهجد بعد رقدة.

وأما قوله نافلة لك فإنه يقول: نفلاً لك عن فرائضك التي فرضتها عليك.
واختلف في المعنى الذي من أجله خص بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع كون صلاة كل مصلٍ بعد هجوده، إذا كان قبل هجوده قد كان أدى فرائضه نافلة، إذ كانت غير واجبة عليه، فقال بعضهم: معنى خصوصه بذلك: هو أنها كانت فريضة عليه، وهي لغيره تطوع، وقيل له: أقمها نافلة لك: أي فضلاً لك من الفرائض التي فرضتها عليك عما فرضت على غيرك. ذكر من قال ذلك:

17066. حديثي محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ يعني بالنافلة أنها للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، أمر بقيام الليل وكتب عليه.

وقال آخرون: بل قيل ذلك له عليه الصلاة والسلام لأنه لم يكن فعله ذلك يكفر عنه شيئاً من الذنب، لأن الله تعالى كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكان له نافلة فضل، فأما غيره فهو له كفارة، وليس هو له نافلة. ذكر من قال ذلك:

17067. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، مما عمل من عمل سوى المكتوبة، فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنب، فهي نوافل وزيادة، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنبهم في كفارتها، فليست للناس نوافل.

وأولى القولين بالصواب في ذلك، القول الذي ذكرنا عن ابن عباس، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل، دون سائر أمته. فأما ما ذكر عن مجاهد في ذلك، فقول لا معنى له، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكر عنه أكثر ما كان استغفاراً لذنبه بعد نزول قول الله عز وجل عليه ليغفر لك الله ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرَ وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد مُنصرفة من الحديثية، وأنزل عليه إذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْقَنْحُ عام قبض. وقيل له فيها قَسِيبٌ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرَةٌ إِلَهٌ كَانَ تَوَسَّاً إِلَيْهِ فَكَانَ يُعَذَّلُ لَهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ اسْتَغْفَارٌ مَرَّةٌ، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك، فبين إذن وجه فساد ما قاله مجاهد.

17068. حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن الأعمش، عن شمر، عن عطية، عن شهر، عن أبي أمامة، قال: إنما كانت النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة.

17069. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة نافلة لك قال: تطوعاً وفضيلة لك.

وقوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَا رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً وَعَسَى مِنَ اللَّهِ واجِبة، وإنما وجه قول أهل العلم: عسى من الله واجبة، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه ليس من صفتة الغرور، ولا شك أنه قد أطمع من قال ذلك له في نفعه، إذا هو تعاهده ولزمه، فإن لزم المقبول له ذلك وتعاهده ثم لم ينفعه، ولا سبب يحول بينه وبين نفعه إياه مع الأطماء الذي تقدم منه لصاحبها على تعاهده إياه ولزومه، فإنه لصاحبها غاراً بما كان من إخلافه إياه فيما كان أطمعه فيه بقوله الذي قال له. وإذا كان ذلك كذلك، وكان غير جائز أن يكون جل ثناؤه من صفتة الغرور لعباده صحيحاً ووجب أن كل ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته، أو على فعل من الأفعال، أو أمر أو نهى أمرهم به، أو نهاهم عنه، فإنه موف لهم به، وإنهم منه كالعدة التي لا يخلف الوفاء بها، قالوا: عسى ولعل من الله واجبة.

وتأويل الكلام: أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها، ومن الليل فتهجد فرضاً فرضته عليك، لعل ربك يبعثك يوم القيمة مقاماً تقوم فيه محموداً تحمهده، وتغبط فيه.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيمة للشفاعة للناس ليريحهم ربيهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم.

ذكر من قال ذلك:

17070. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن صلة بن رُفر، عن حذيفة، قال: يجمع الناس في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، حفاة عراة كما ُلْقِوا، قياماً لا تكلّم نفس إلا بإذنه، ينادي: يا محمد، فيقول: «لبيك وسعديك والخير في يديك، والبشر ليس إليك، والمهدى من هَدَيت، عبدك بين يديك، وبك وإليك، لا ملجاً ولا منجاً منك إلا إليك، تبارك وتعالىت، سبحانك رب هذا البيت» فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن صلة بن رُفر، عن حذيفة، قال: يُجمِع الناس في صعيد واحد. فلا تكلّم نفس، فأول ما يدعوه محمد النبي صلى الله عليه وسلم، فيقوم محمد النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: «لبيك»، ثم ذكر مثله.

17071. حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد الرقي، قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن رشدين بن كريب، عن أبيه عن ابن عبد الله، قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً قال: المقام المحمود: مقام الشفاعة.

17072. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال: حدثنا أبو الزعراء، عن عبد الله في قصة ذكرها، قال: ثم يؤمر بالصراط فيضرب على جسر جهنم، فَيُمْرَّ الناس بقدر أعمالهم يمْرُّ أولهم كالبرق، وكمرّ الريح، وكمرّ الطير، وكأسعر البهائم، ثم كذلك حتى يمْرُّ الرجل سعيًا، ثم مشياً، حتى يجيء آخرهم يتلّبّط على بطنه، فيقول: رب لما أبطأتك، في يقول: إني لم أبطأتك، إنما أبطأ بك عملك، قال: ثم يأذن الله في الشفاعة، فيكون أول شافع يوم القيمة جبرئيل عليه السلام، روح القدس، ثم إبراهيم خليل الرحمن، ثم موسى، أو عيسى، قال أبو الزعراء: لا أدرى أيهما قال قال: ثم يقوم بيكم عليه الصلاة والسلام رابعاً، فلا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه، وهو المقام المحمود الذي ذكر الله عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً.

17073. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن في قول الله تعالى وَمَنِ اللَّيْلَ فَتَهَجَّدِيهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً قال: المقام المحمود: مقام الشفاعة يوم القيمة.

17074. حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: مَقاماً مَحْمُوداً قال: شفاعة محمد يوم القيمة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17075 حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو معاوية، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان، عن سليمان، قال: هو الشفاعة، يشفعه الله في أمته، فهو المقام المحمود.

17076 حدثنا يشر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَا رَبِّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً، وقد ذُكر لنا أنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا، أَوْ مُلْكًا نَبِيًّا، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جَرَبِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامَ: أَنْ تَوَاضَعَ، فَاخْتَارَ نَبِيًّا اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا، فَأَغْطَيَ بِهِ نَبِيًّا اللَّهِ ثَنَتِينَ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقَّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ. وَكَانَ أَهْلُ الْعِلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَا رَبِّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة مَقَاماً مَحْمُوداً قال: هي الشفاعة، يشفعه الله في أمتة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمَرَ والثوريَّ، عن أبي إسحاق، عن صلة بن رُقَرَ، قال: سمعتْ حُذيفة يقول في قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَا رَبِّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً قال: يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي، فَيُقْدِّمُهُمُ الْبَصَرُ حُفَّةً عُرَاهَةً، كَمَا حُلِقُوا سُكُوتًا لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، قال: فِينَادِيَ مُحَمَّدًا، فَيَقُولُ: لَّبَّيْكَ وَسَعْدِيَكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدِكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمَهْدِيُّ مِنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدِكَ، وَلَكَ وَإِلَيْكَ، لَا مُلْجَأٌ وَلَا مُنْجَىٰ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، تَبَارَكَتْ وَتَعَالَيْتَ، سَبِّحْنَاكَ رَبَّ الْبَيْتِ، قال: فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَا رَبِّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن صلة بن رُقَرَ، قال حُذيفة: يجمع الله الناس في صعيد واحد، حيث ينْقُدُهُمُ الْبَصَرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الداعي، حُفَّةً عُرَاهَةً كَمَا حُلِقُوا أَوْلَ مَرَّةً، ثُمَّ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ: «لَبَّيْكَ وَسَعْدِيَكَ»، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ.

وقال آخرون: بل ذلك المقام المحمود الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبعثه إياه، هو أن يقاعدته معه على عرشه. ذكر من قال ذلك:

17077 حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي، قال: حدثنا ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَا رَبِّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً قال: يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى عَرْشِهِ.

وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك ما:

17078 حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن داود بن يزيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَا رَبِّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً سُئِلَ عَنْهَا، قال: «هِيَ الشَّفَاعَةُ».

17079 حدثنا علي بن حرب، قال: حدثنا مَكْيٌّ بن إبراهيم، قال: حدثنا داود بن يزيد الأؤدي، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه

وسلم في قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً قال: «هو المقام الذي أشفع فيه لأمتني».

17080. حدثنا أبو عتبة الحِمْصِيُّ أَحْمَدُ بْنُ الْفَرَجِ، قَالَ: حَدَثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الزَّبِيدِيِّ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُحِشَّرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأَمْتَنِي عَلَىٰ تَلَّ، فَيَكْسُوْنِي رَبِّي حُلَّةً حَصْرَاءً، ثُمَّ يُؤْذَنَ لِي، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ».

17081. حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا شعيب بن الليث، قال: ثني الليث، عن عبيد الله بن أبي جعفر، أنه قال: سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّمْسَ لَتَذْنُو حَتَّى يَنْلُغَ الْعَرْقُ نِصْفَ الْأَرْضِ، فَبَيْتُمَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ صَاحِبَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَمْوَسِي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ كَذَلِكَ ثُمَّ يَمْحُمِّدُ فَيَشْفَعُ بَيْنَ الْخَلْقِ فَيَمْكِشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْجَنَّةِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَاماً مَحْمُوداً».

17082. حدثني أبو زيد عمر بن شَبَّةَ، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا سعيد بن زيد، عن عليٍّ بن الحكيم، قال: ثني عثمان، عن إبراهيم، عن الأسود وعلقمة، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لِأَقْوَمِ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ» فقال رجل: يا رسول الله، وما ذلك المقام المحمود؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذَاكَ إِذَا حَيَءَ بِكُمْ حُفَّاً غُرَّاً غُرْلَاً فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكَسَّى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيُؤْتَى بِرِيَاطَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ، فَيَلْبَسُهُمَا، ثُمَّ يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ الْعَرْشِ، ثُمَّ أَوْتَيْ بِكِسْوَتِي فَالْبَسْنَهَا، فَأَقُولُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَاماً لَا يَقُومُهُ غَيْرِي يَعْبِطِنِي فِيهِ الْأَوْلَوْنَ وَالآخِرُوْنَ، ثُمَّ يُفْتَحُ تَهْرُّبُهُ مِنَ الْكَوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ».

17083. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهرى، عن عليٍّ بن الحسين، أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَدَ اللَّهُ الْأَرْضُ مَدَ الْأَدِيمَ حَتَّى لَا يَكُونَ لِيَشِيرَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعٌ قَدَمِيْهِ»، قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى وَجَبَرِئِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَاللَّهُ مَا رَأَهُ قَبْلَهَا، فَأَقُولُ: أَيْ رَبٌ إِنَّ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنِّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ، ثُمَّ أَشْفَعُ، قَالَ: فَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهرى، عن عليٍّ بن الحسين، قال: قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ»، فذكر نحوه، وزاد فيه: «ثُمَّ أَشْفَعَ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ عِبَادُكَ عَبَدُوكَ فِي أَطْرافِ الْأَرْضِ، وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ».

17084. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن آدم، عن عليٍّ، قال: سمعت ابن عمر يقول: إن الناس يخشون يوم القيامة، فيجيء مع كلّ نبيٍّ أمته، ثم يجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الأمم هو وأمته، فيرقى هو وأمته على كُوم فوق الناس، فيقول: يَا فلان أشفع، ويا فلان أشفع، ويا فلان أشفع، فما زال يرددُها بعضهم على بعض يرجع ذلك إليه، وهو المقام المحمود الذي وعده الله إياه.

حدثنا محمد بن عوف، قال: حدثنا حمزة وربيع، قال: حدثنا محمد بن حرب، عن الزبيدي، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن كعب بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُحَشِّرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأَمْتَي عَلَىٰ تَلٍّ، قَيْكِسُونِي رَبِّي عَزِّ وَجَلَّ خُلَّةً حَصْرَاءَ، ثُمَّ يُؤْدَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ».

وهذا وإن كان هو الصحيح من القول في تأويل قوله تعالى أن يَبْعَثَنَا رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين، فإن ما قاله مجاهد من أن الله يُقعد محمداً صلى الله عليه وسلم على عرشه، قول غير مدفوع صحته، لا من جهة خبر ولا نظر، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن التابعين بإحالته ذلك. فأما من جهة النظر، فإن جميع من ينتحل الإسلام إنما اختلفوا في معنى ذلك على أوجه ثلاثة: فقالت فرقه منهم: الله عز وجل بائن من خلقه كان قبل خلقه الأشياء، ثم خلق الأشياء فلم يماسها، وهو كما لم ينزل، غير أن الأشياء التي خلقها، إذ لم يكن هو لها مماساً، وجب أن يكون لها مباییناً، إذ لا فعال للأشياء إلا وهو مماس للأجسام أو مبایین لها. قالوا: فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله عز وجل فاعل الأشياء، ولم يجز في قولهم: إنه يوصف بأنه مماس للأشياء، وجب بزعمهم أنه لها مبایین، فعلى مذهب هؤلاء سواء أقعد محمداً صلى الله عليه وسلم على عرشه، أو على الأرض إذ كان من قولهم إن بينونته من عرشه، وبينونته من أرضه بمعنى واحد في أنه بائن منها كلها، غير مماس لواحد منها.

وقالت فرقه أخرى: كان الله تعالى ذكره قبل خلقه الأشياء، لا شيء يماسه، ولا شيء يبایينه، ثم خلق الأشياء فأقامها بقدرته، وهو كما لم ينزل قبل الأشياء خلقه لا شيء يماسه ولا شيء يبایينه، فعلى قول هؤلاء أيضاً سواء أقعد محمداً صلى الله عليه وسلم على عرشه، أو على أرضه، إذ كان سواء على قولهم عرشه وأرضه في أنه لا مماس ولا مبایین لهذا، كما أنه لا مماس ولا مبایین لهذه.

وقالت فرقه أخرى: كان الله عز ذكره قبل خلقه الأشياء لا شيء يماسه، ولا شيء يبایينه، ثم أحدث الأشياء وخلقها، فخلق لنفسه عرضاً استوى عليه جالساً، وصار له مماساً، كما أنه قد كان قبل خلقه الأشياء لا شيء يرزقه رزقاً، ولا شيء يحرمه ذلك، ثم خلق الأشياء فرزق هذا وحرم هذا، وأعطى هذا، ومنع هذا، قالوا: فكذلك كان قبل خلقه الأشياء يماسه ولا يبایينه، وخلق الأشياء فماس العرش بجلوسه عليه دون سائر خلقه، فهو مماس ما شاء من خلقه، ومبایين ما شاء منه، فعلى مذهب هؤلاء أيضاً سواء أقعد محمداً على عرشه، أو أقعده على منبر من نور، إذ كان من قولهم: إن جلوس الرَّبِّ على عرشه، ليس بجلوس يشغل جميع العرش، ولا في إقعاد محمد صلى الله عليه وسلم موجباً له صفة الربوبية، ولا مخرج له من صفة العبودية لربه، كما أن مبایينة محمد صلى الله عليه وسلم ما كان مبایينا له من الأشياء غير موجبة له صفة الربوبية، ولا مخرجته من صفة العبودية لربه من أجل أنه موصوف بأنه له مبایين، كما أن الله عز وجل موصوف على قول قائل هذه المقالة بأنه مبایين لها، هو مبایين له. قالوا:

فإذا كان معنى مباین ومباین لا يوجب لمحمد صلى الله عليه وسلم الخروج من صفة العبودة والدخول في معنى الربوبية، فكذلك لا يوجب له ذلك قعوده على عرش الرحمن، فقد تبين إذا بما قلنا أنه غير محال في قول أحد من ينتحل الإسلام ما قاله مجاهد من أن الله تبارك وتعالى يُعِيدَ محمداً على عرشه.

فإن قال قائل: فإننا لا ننكر إقعاد الله محمداً على عرشه، وإنما ننكر إقعاده.

17085 - حديث عباس بن عبد العظيم، قال: حدثنا يحيى بن كثير، عن الجَرِيرِيِّ، عن سيف السُّدُوسيِّ، عن عبد الله بن سلام، قال: إن محمدًا صلى الله عليه وسلم يوم القيمة على كرسيِّ الرَّبِّ بين يدي الرَّبِّ تبارك وتعالى، وإنما ينكر إقعاده إياه معه. قيل: أ Favorizer عندك أن يقعده عليه لا معه. فإن أجاز ذلك صار إلى الإقرار بأنه إما معه، أو إلى أنه يقعده، والله للعرش مباین، أو لا مماسٌ ولا مباین، وبأيِّ ذلك قال كان منه دخولاً في بعض ما كان ينكره وإن قال ذلك غير جائز كان منه خروجاً من قول جميع الفرق التي حكينا قولهم، وذلك فراق لقول جميع من ينتحل الإسلام، إذ كان لا قول في ذلك إلا الأقوال الثلاثة التي حكيناها، وغير محال في قول منها ما قال مجاهد في ذلك.

الآية : 80

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَذْخُلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا تَصِيرًا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه: وقل يا محمد يا ربِّ أدخلني مدخل صدق.
واختلف أهل التأويل في معنى مدخل الصدق الذي أمره الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرغب إليه في أن يدخله إياه، وفي مخرج الصدق الذي أمره أن يرغب إليه في أن يخرجه إياه، فقال بعضهم: عَنِ بِمُذْخَلِ الصَّدْقِ: مُذْخَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، حِينَ هَاجَرَ إِلَيْهَا، وَمُخْرَجُ الصَّدْقِ: مُخْرَجُهُ مِنْ مَكَّةَ، حِينَ خَرَجَ مِنْهَا مَهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ. ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ:

17086 - حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا: حدثنا جرير، عن قابوس بن أبي طبيان، عن أبيه، عن ابن عباس قال: كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ أَمْرَ بِالْهِجَرَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبارُكُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ اسْمَهُ وَقُلْ رَبِّ أَذْخُلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا تَصِيرًا.

17087 - حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: حدثنا بشير بن المفضل، عن عوف عن الحسن، في قول الله: أَذْخُلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ قال: كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيقتلوه، أو يطردوه، أو يُوثقوه، وأراد الله قتال أهل مكة، فأمره أن يخرج إلى المدينة، فهو الذي قال الله أَذْخُلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ.

17088 - حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن مَعْمَرَ، عن قتادة مُذْخَلَ صِدْقٍ قال: المدينة وَمُخْرَجَ صِدْقٍ قال: مكة. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَقُلْ رَبِّ أَذْخُلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْهِجَرَةِ بِالْمَدِينَةِ.

17089. حديثي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَقُلْ رَبِّ أَذْخِلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ قال: المدينة حين هاجر إليها، ومخرج صدق: مكة حين خرج منها مخرج صدق، قال ذلك حين خرج مهاجرا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقل رب أمنتني إماتة صدق، وأخرجنني بعد الممات من قبري يوم القيمة مخرج صدق. ذكر من قال ذلك:

17090. حديثي محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس وَقُلْ رَبِّ أَذْخِلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ... الآية، قال: يعني بالإدخال: الموت، والإخراج: الحياة بعد الممات.

وقال آخرون: بل عَنِّي بذلك: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني من النبوة مُذْخَل صدق، وأخرجنني منه مُخْرَج صدق. ذكر من قال ذلك:

17091. حديثي محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجح، عن مجاهد أَذْخِلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ قال: فيما أرسليتني به من أمرك وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ قال كذلك أيضاً.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، ينحوه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أدخلني مدخل صدق: الجنة، وأخرجنني مخرج صدق: من مكة إلى المدينة. ذكر من قال ذلك:

17092. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر، عن قتادة، قال: قال الحسن: أَذْخِلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ الجنة وَمُخْرَجَ صِدْقٍ من مكة إلى المدينة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أدخلني في الإسلام مُذْخَل صدق. ذكر من قال ذلك:

17093. حديثنا سهل بن موسى الرازي، قال: حدثنا ابن نمير، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله: رَبِّ أَذْخِلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ قال: أدخلني في الإسلام مدخل صدق وأَخْرِجْنِي منه مُخْرَجَ صِدْقٍ. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أدخلني مكة آمنا، وأخرجنني منها آمنا. ذكر من قال ذلك:

17094. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبي معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الصحاك قال في قوله: رَبِّ أَذْخِلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ يعني مكة، دخل فيها آمنا، وخرج منها آمنا. وأشاربه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: معنى ذلك: وأدخلني المدينة مُذْخَل صدق، وأخرجنني من مكة مُخْرَج صدق.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لأن ذلك عقيب قوله: وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِسُونَ خَلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا. وقد دللتنا فيما مضى، على أنه عَنِّي بذلك أهل مكة فإذا كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليخرجوه عن مكة، كان بيننا، إذ كان الله قد أخرجه منها، أن قوله: وَقُلْ رَبِّ أَذْخِلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ أمر منه له بالرغبة إليه في أن يخرجه من البلدة التي هم المشركون بإخراجه منها مخرج صدق، وأن يدخله البلدة التي نقله الله إليها مدخل صدق.

وقوله: وَاجْعُلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً تَصِيرَا اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلَ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَاجْعُلْ لِي مَلْكًا نَاصِراً يَنْصُرُنِي عَلَى مَنْ نَاؤْنِي، وَعِزْزًا أَقِيمَ بِهِ دِينِكَ، وَأَدْفِعَ بِهِ عَنِّي مِنْ أَرَادَهُ بَسْوَءَهُ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

17095. حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: حدثنا بشير بن المفضل، عن عوف، عن الحسن، في قول الله عز وجل: وَاجْعُلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً تَصِيرَا يُوعِدُهُ لَيْزِرْ عَنْ مُلْكٍ فَارِسٍ، وَعِزْزٍ فَارِسٍ، وَلِيَجْعَلَنِي لَهُ، وَعِزْزٍ لِلرُّومِ، وَمُلْكَ الرُّومِ، وَلِيَجْعَلَنِي لَهُ.

17096. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: وَاجْعُلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً تَصِيرَا إِنْ نَبِيٌّ اللَّهُ عَلِمَ أَنْ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا بِسُلْطَانٍ، فَسَأَلَ سُلْطاناً نَصِيرَا لِكِتَابِ اللَّهِ عز وجل، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، وإن السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لاغر بعضهم على بعض، فأكل شديدهم ضعيفهم.

وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك حجة بینة. ذكر من قال ذلك: 17097. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل سلطاناً تَصِيرَا قال: حجة بینة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك أمر من الله تعالى نبيه بالرغبة إليه في أن يؤتى به سلطاناً نصيراً له على من بغاه وكاده، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده.

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به من إخراجه من مكة، فأعلمهم عز وجل أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب، ثم أمره بالرغبة إليه في إخراجه من بين أظهرهم إخراج صدق يحاوله عليهم، ويدخله بلدة غيرها، بمدخل صدق يحاوله عليهم وأهلها في دخولها إليها، وأن يجعل له سلطاناً نصيراً على أهل البلدة التي أخرجه منها، وعلى كل من كان لهم شبهاً، وإذا أتي ذلك، فقد أتي لا شك حجة بینة.

وأما قوله: تَصِيرَا فَإِنْ أَبْنَ زَيْدَ كَانَ يَقُولُ فِيهِ، نَحْوَ قَوْلِنَا الَّذِي قَلَنَا فِيهِ. 17098. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَاجْعُلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً تَصِيرَا قال: ينصرني، وقد قال الله لموسى سَنَشِدْ عَصْدَكَ بِأَخْيَكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطاناً قَلَّا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا هَذَا مَقْدُمٌ وَمُؤْخَرٌ، إِنَّمَا هُوَ سُلْطَانٌ بِآيَاتِنَا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا.

الآية : 81 و 82

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهُوقًا * وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا حَسَارًا}.

يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين كادوا أن يستفرونه من الأرض ليخرجوك منها: جاء الحق ورافق الباطل.

واختلف أهل التأويل في معنى الحق الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم المشركين أنه قد جاء، والباطل الذي أمره أن يعلمهم أنه قد زَهق، فقال بعضهم: الحق هو القرآن في هذا الموضع، والباطل هو الشيطان. ذكر من قال ذلك:

17099. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ قَالَ: الْحَقُّ الْقُرْآنُ وَرَهْقَ الْبَاطِلِ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهُوقًا. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ قَالَ: الْقُرْآنُ وَرَهْقَ الْبَاطِلِ قَالَ: هَلْكَ الْبَاطِلُ وَهُوَ الشَّيْطَانُ.

وقال آخرون: بل عَنِي بِالْحَقِّ جَهَادُ الْمُشْرِكِينَ وَبِالْبَاطِلِ الشَّرِكِ. ذكر من قال ذلك:

17100. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، قوله: وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ قَالَ: دَنَا الْقَتْلُ وَرَهْقَ الْبَاطِلِ قَالَ: الشَّرِكُ وَمَا هُمْ فِيهِ.

17101. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجح، عن مجاهد، عن أبي معمراً، عن ابن مسعود، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وحول البيت ثلاثة مئة وستون صنماً، فجعل يطعنها ويقول: جَاءَ الْحَقُّ وَرَهْقَ الْبَاطِلِ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهُوقًا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يخبر المشركين أن الحق قد جاء، وهو كل ما كان لله فيه رضا وطاعة، وأن الباطل قد زَهق: يقول: وذهب كل ما كان لا رضا لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة، وذلك أن الحق هو كل ما خالف طاعة إبليس، وأن الباطل: هو كل ما وافق طاعته، ولم يخص الله عزّ ذكره بالخبر عن بعض طاعاته، ولا ذهاب بعض معاصيه، بل عمّ الخبر عن مجيء جميع الحق، وذهاب جميع الباطل، وبذلك جاء القرآن والتنزيل، وعلى ذلك قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشرك بالله، أعني على إقامة جميع الحق، وإبطال جميع الباطل.

وأما قوله عزّ وجلّ: وَرَهْقَ الْبَاطِلِ فَإِنْ مَعَنَا: ذهب الباطل، من قولهم: زَهَقت نفسي: إذا خرجت وأزهقتها أنا ومن قولهم: أزهق السهم: إذا جاوز الغرض فاستمرّ على جهته، يقال منه: زَهَقَ الْبَاطِلُ، يزَهَقُ رُهْوَقًا، وأزهقه الله: أي أذبه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17102. حدثنا عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهُوقًا يقول: ذاهباً.

وقوله عزّ وجلّ: وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يقول تعالى ذكره: وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الصلاة، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرّمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، وينجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمـة من الله، أنعم بها عليهم ولا يزيـدُ الطالـمـين إـلا خـسارـاً يقول: ولا يزيد هذا الذي ننزل عليك من القرآن الكافرين به إـلا خـسارـاً:

يقول: إهلاكا، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به، فلم يأتوا بأمره، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه، فزادهم ذلك خسارا إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار، ورجسا إلى رجسهم قبل، كما:

17103. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **وَتَنْرِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا سَمِعَهُ الْمُؤْمِنُ اتَّفَعَ بِهِ وَحْفَظَهُ وَوَعَاهُ وَلَا يَزِيدُ الطَّالِمِينَ بِهِ إِلَّا خَسَارًا أَنَّهُ لَا يَنْتَفَعُ بِهِ وَلَا يَحْفَظُهُ وَلَا يَعْيَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ هَذَا الْقُرْآنَ شَفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ.**

الآية : 83

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا آتَيْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرْ كَانَ يَئُوسًا}.

يقول تبارك وتعالى: وإذا أنعمنا على الإنسان، فنجّيناه من رب ما هو فيه في البحر، وهو ما قد أشرف فيه عليه من الهلاك بعصفوف الريح عليه إلى البر، وغير ذلك من نعمنا، أعرض عن ذكرنا، وقد كان بنا مستغيثا دون كل أحد سوانا في حال الشدة التي كان فيها ونأى بجانبه يقول: وبعد منا بجانبه، يعني بنفسه، لأن لم يدعنا إلى صرّ مسّه قبل ذلك، كما:

17104. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن مجاهد، في قوله: وَنَأَى بِجَانِبِهِ قال: تباعد منا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

والقراءة على تصير الهمزة في تأي قبل الألف، وهي اللغة الفصيحة، وبها نقرأ. وكان بعض أهل المدينة يقرأ ذلك «وناء» فيصير الهمزة بعد الألف، وذلك وإن كان لغة جائزة قد جاءت عن العرب بتقاديمهم في نظائر ذلك الهمز في موضع هو فيه مؤخر، وتأخيرهموه في موضع، هو مقدم، كما قال الشاعر:

أعلام يقلل راءً رُؤيا فهُوَ يَهْذِي بِمَا رَأَى فِي الْمَنَامِ
وكما قال أبار وهي أبار، فقدموا الهمزة، فليس ذلك هو اللغة الجودي، بل الأخرى هي الفصيحة.

وقوله عز وجل: **وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرْ كَانَ يَئُوسًا** يقول: إذا مسه الشر والشدة كان قنوطا من الفرج والرّوح.

وبنحو الذي قلنا في اليؤس، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17105. حدثنا عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرْ كَانَ يَئُوسًا** يقول: قنوطا.

17106. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة **وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرْ كَانَ يَئُوسًا** يقول: إذا مسه الشر أيس وقنط.

الآية : 84

القول في تأويل قوله تعالى: {فُلْ كُلْ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا}.

يقول عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للناس: كلكم يعمل على شاكته: على ناحيته وطريقته فربكم أعلم بمن هو منكم أهدى سبيلا يقول: ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقا إلى

الحقّ من غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17107. حدثنا عليٌّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: كُلَّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ يقول: على ناحيته.

17108. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نحیح، عن مجاهد، قوله: عَلَى شَاكِلَتِهِ قال: على ناحيته.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جریح، عن مجاهد فُلْ كُلَّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ قال: على طبیعته على حَدَّته.

17109. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزید، قال: حدثنا سعید، عن قتادة فُلْ كُلَّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ يقول: على ناحيته وعلى ما ينوي.

وقال آخرون: الشاكلة: الدين. ذكر من قال ذلك:

17110. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زید، في قوله: كُلَّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ قال: على دینه، الشاكلة: الدين.

الآية : 85

القول في تأویل قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ فُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ويسائلك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ما هي؟ قل لهم: الروح من أمر ربِّي، وما أُتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلاً. وذكر أن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح، فنزلت هذه الآية بمسائلهم إياهم عنها، كانوا قوماً من اليهود. ذكر الرواية بذلك:

17111. حدثنا أبو هشام، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: كنت مع النبيٍّ صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة، ومعه عَسَبٌ يتوكأً عليه، فمر بقوم من اليهود، فقال بعضهم: أسللوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، فقام متوكأً على عسيبه، فقامت خلفه، فطنبنت أنه يوحى إليه، فقال: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ فُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} فقال بعضهم: ألم نقل لكم لا تسألوه.

حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعوديٌّ، قال: حدثنا أبي، عن جده، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حَرَّةٍ بالمدينة، إذ مررتنا على يهود، فقال بعضهم: سَلُوهُ عن الروح، فقالوا: ما أرِيكُمْ إِلَى أَنْ تسمعوا ما تكرهون، فقاموا إِلَيْهِ، فسألوه، فقام فعرفت أنه يوحى إليه، فقامت مكانيٌّ ثم قرأت: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ فُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} فقالوا: ألم ننهكم أن تسألوه.

17112. حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن عكرمة، قال: سأله أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح، فأنزل الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ فُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} فقالوا: أتزعم أنا لِمَ نُؤْتَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قليلاً، وقد أتينا التوراة، وهي الحکمة، ومن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَيَ حَيْراً

كثيراً. قال: فنزلت: وَلَوْ أَنِّي مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَامُ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ
مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْخُرٍ مَا تَفَدَّثُ كَلِمَاتُ اللَّهِ قَالَ: مَا أَوْتَيْتُمْ عَلَى عِلْمٍ،
فَنَجَاكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَهُوَ كَثِيرٌ طَيْبٌ، وَهُوَ فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ.

حدثني إسماعيل بن أبي الم وكل، قال: حدثنا الأشعري أبو عاصم
الجمسي، قال: حدثنا إسحاق بن عيسى أبو يعقوب، قال: حدثنا القاسم بن
معن، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: إني لمع
النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة، إذ أتاه يهودي، قال: يا أبا
القاسم، ما الروح؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله عزّ
وجلّ: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ.

17113. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ لَقِيتُ الْيَهُودَ نَبِيًّا اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَعَشَّوْهُ
وَسَأَلُوهُ وَقَالُوا: إِنَّكَ أَنْتَ نَبِيُّنَا عِلْمٌ، فَسَيَعْلَمُ ذَلِكَ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، وَعَنِ
أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَعَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ذَلِكَ كَلْمَةً وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا يَعْنِي
الْيَهُودِ.

17114. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا
عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جمیعاً عن
ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قال: يهود تسأل
عنه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جریح، عن
مجاهد وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قال: يهود تسأله.
17115. حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال:
ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ... الآية:
وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْبِرْنَا مَا الرُّوحُ، وَكِيفُ
تَعْذِيبُ الرُّوحِ الَّتِي فِي الْجَسَدِ وَإِنَّمَا الرُّوحُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَكُنْ
نَّزَلَ عَلَيْهِ فِيهِ شَيْءٌ، فَلَمْ يُحِرِّرْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَقَالَ لَهُ: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا فَأَخْبَرْهُمْ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، وَالْوَالِهُ: مَنْ جَاءَكَ بِهَذَا؟ فَقَالَ لَهُمْ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جَاءَنِي بِهِ جَبْرِيلٌ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ»، فَقَالُوا:
وَاللَّهِ مَا قَالَهُ لَكَ إِلَّا عَدُوُّنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارُكَ اسْمَهُ: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا
لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ تَرَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ... الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جریر، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله،
قال: كنت أمشي مع النبي صلی الله عليه وسلم ذات يوم، فمررت بناس
من اليهود، فقالوا: يا أبا القاسم ما الرُّوح؟ فأَسْكَتَ، فرأيت أنه يوحى
إليه، قال: فتحت عنه إلى سبطاطة، فنزلت عليه: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
الرُّوحِ... الآية، فقالت اليهود: هكذا نجده عندنا.

واختلف أهل التأویل في الروح الذي ذُكر في هذا الموضوع ما هي؟ فقال
بعضهم: هي جبرئيل عليه السلام. ذكر من قال ذلك:
17116. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن
معمر، عن قتادة وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قال: هو جبرئيل، قال قتادة: وكان
ابن عباس يكتمه.
وقال آخرون: هي ملك الملائكة. ذكر من قال ذلك:

17117. حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قال: الروح: ملك.
17118. حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية، عن حديثه عن عليّ بن أبي طالب، أنه قال في قوله: وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قال: هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه منها سبعون ألف لسان، لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله عزّ وجلّ بتلك اللغات كلها، يخلق الله من كلّ تسبيبة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيمة.
- وقد بيّنا معنى الروح في غير هذا الموضوع من كتابنا، بما أغني عن إعادته.
- وأما قوله: مِنْ أَمْرِ رَبِّي فَإِنَّهُ يَعْنِي: أنه من الأمر الذي يعلمه الله عزّ وجّه دونكم، فلا تعلمونه ويعلم ما هو.
- وأما قوله: وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا فقال بعضهم: عنى بذلك: الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجميع الناس غيرهم، ولكن لما ضمّ غير المخاطب إلى المخاطب، خرج الكلام على المخاطبة، لأن العرب كذلك تفعل إذا اجتمع إذا تفعّل في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب، أخرجو الكلام خطاباً للجمع. ذكر من قال ذلك:
17119. حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت بمكة وما أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول وما أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا أَفَعْنِيتَنَا أَمْ قَوْمَكَ؟ قال: «كُلُّاً قَدْ عَنِيْتُ»، قالوا: فإنك تتلو علينا أورينا التوراة وفيها تبيان كلّ شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هِيَ فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ، وَقَدْ أَتَاكُمْ مَا إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ أَتْيَقْعُدُّتُمْ»، فأنزل الله ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أفلام... إلى قوله إن الله سمّي بصير.
17120. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجج، عن ابن جريح، قوله عزّ وجّه وما أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا قال: يا محمد والناس أجمعون.
- وقال آخرون: بل عنى بذلك الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح خاصة دون غيرهم. ذكر من قال ذلك:
17121. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وما أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا يعني: اليهود.
- وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: خرج الكلام خطاباً لمن خطّب به، والمراد به جميع الخلق، لأن علم كلّ أحد سوى الله، وإن كثر في علم الله قليل. وإنما معنى الكلام: وما أُتيتكم أيها الناس من العلم إلا قليلاً من كثير مما يعلم الله.

الآية : 86

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَئِنْ شِئْنَا لَتَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا}.

يقول ذكره: ولئن شئنا لنذهبن بالذى آتيناك من العلم الذى أوحينا إليك من هذا القرآن لنذهبن به، فلا تعلمه، ثم لا تجد لنفسك بما نفعل بك من ذلك وكيلًا، يعني: قيّما يقوم لك، فيمعننا من فعل ذلك بك، ولا ناصرأ ينصرك، فيحول بيننا وبين ما نريد بك، قال: وكان عبد الله بن مسعود يتأنّى معنى ذهاب الله عز وجل به رفعه من صدور قارئيه. ذكر الرواية بذلك:

17122 حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عبد العزيز بن رفيع، عن بُنْدار، عن معقل، قال: قلت لعبد الله، وذكر أنه يُسرى على القرآن: كيف وقد أثبتناه في صدورنا ومصاحفنا؟ قال: يُسرى عليه ليلاً، فلا يبقى منه في مصحف ولا في صدر رجل، ثم قرأ عبد الله: ولئن شِئنا لنذهبن بالذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثنا ابن إسحاق بن يحيى، عن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود، قال: تطرق الناس ريح حمراء من نحو الشام، فلا يبقى في مصحف رجل ولا قلبه آية. قال رجل: يا أبا عبد الرحمن، إني قد جمعت القرآن، قال: لا يبقى في صدرك منه شيء. ثم قرأ ابن مسعود: ولئن شِئنا لنذهبن بالذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ.

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ إِنْ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَيْرِيًّا}.

يقول عز وجل: ولئن شِئنا لنذهبن يا محمد بالذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ولكنه لا يشاء ذلك، رحمة من ربك وفضلًا منه عليك إن فضلُه كان عليك كبيراً باصطفائه إليك لرسالته، وإنزاله عليك كتابه، وسائر نعمه عليك التي لا تحصى.

الآية : 88

القول في تأويل قوله تعالى: {فُلِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونَ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلَ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَيَغْضِبُ طَهِيرًا}.
يقول جل ثناؤه: قل يا محمد للذين قالوا لك: أنا ناتي بمثل هذا القرآن: لئن اجتمعت الإنس والجِن على أن يأتوا بمثله، لا يأتون أبداً بمثله، ولو كان بعضهم لبعض عوناً وظهرها. وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن، وسألوه أن يأتیهم بأية غيره شاهدة له على نبوته، لأن مثل هذا القرآن بهم قدرة على أن يأتوا به. ذكر الرواية بذلك:

17123 حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس بن بکير، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سيحان وعمر بن أصان وبكري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز، وسلام بن مشكم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئنا به حقًّ من عند الله عز وجل، فإننا لا نراه متناسقاً كما تنساق التوراة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما والله أئُكُمْ لَتَعْرُفُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ تَحْدُوْنَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونَ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ مَا جَاءُوا بِهِ» فقال عند ذلك، وهم جميعاً: فِنْحَاصٌ، وعبد الله بن صوريما، وكناة

بن أبي الحُقيق، وأَشِيع، وكعب بن أسد، وسموئل بن زيد، وجبل بن عمرو: يا محمد ما يعلمك هذا إنس ولا جان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمَا وَاللَّهِ إِنْكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ تَحِدُّوْنَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ»، فقالوا: يا محمد، إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء، ويقدر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتابا نقرؤه ونعرفه، وإن جئناك بمثل ما يأتي به، فأنزل الله عز وجل فيهم وفيما قالوا: قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُنُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَغْضٍ ظَهِيرًا.

17124. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، قوله لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُنُ وَالْجِنُّ ... إِلَى قوله وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَغْضٍ ظَهِيرًا قال: معينا، قال: يقول: لو بربت الجرّة وأعانهم الإنس، فتطاھر وآلم يأتوا بمثل هذا القرآن. وقوله عز وجل لا يأْتُونَ بِمِثْلِهِ رفع، وهو جواب لقوله «لَئِنْ»، لأن العرب إذا أجابوا لَئِنْ بلا رفعوا ما بعدها، لأن «لَئِنْ» كاليمين وجواب اليمين بلا مرفوع، وربما جزم لأن التي يجاب بها زيدت عليه لام، كما قال الأعشى:

لَئِنْ مُنِيبَتِ بِنَا عَنْ غَبَّ مَغْرَكَةٍ لَا تُلْفَنَا عَنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ تَنْتَفِلُ

الآية : 89

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْتَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَتَّلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا}.
يقول ذكره: وقد بينا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل، احتجاجا بذلك كله عليهم، وتذكيرا لهم، وتنبيها على الحق ليتبعوه ويعملوا به فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا يقول: فأبى أكثر الناس إلّا جحودا للحق، وإنكارا للحجج الله وأدله.

الآية : 90

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتْبُوعًا}.
يقول ذكره: وقال يا محمد، المشركون بـالله من قومك لك: لن نصدقك، حتى تفجر لنا من أرضنا هذه عيناً تبيع لنا بالماء.
وقوله يَتْبُوعًا يفعل من قول القائل: نبع الماء: إذا ظهر وفار، يُنْبِعُ وَيَنْبَعُ، وهو ما نبع. كما:

17125. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله حتى تَفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتْبُوعًا: أي حتى تفجر لنا من الأرض عيوناً: أي ببلادنا هذا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، عن قتادة، قوله حتى تَفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتْبُوعًا قال: عيونا.
حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة، مثله.
17126. حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد يَتْبُوعًا قال: عيونا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

واختلفت القراء في قراءة قوله **تفجر** فروي عن إبراهيم النخعي أنه قرأ حتى **تفجر** لنا خفيقة و قوله **فتفجر الأنهر** خلالها **تفجير** بالتشديد، وكذلك كانت قراء الكوفيين يقرءونها، فكأنهم ذهبوا بتحفيفهم الأولى إلى معنى: حتى تفجر لنا من الأرض ماء مّرة واحدة. و بشددهم الثانية إلى أنها تفجر في أماكن شتى، مّرة بعد أخرى، إذا كان ذلك تفجر أنهار لا نهر واحد والتحفيف في الأولى والتشديد في الثانية على ما ذكرت من قراءة الكوفيين أعجب إلي لما ذكرت من افتراق معنييهما، وإن لم تكن الأولى مدفوعة صحتها.

الآية : 91

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا}.

يقول ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقال لك يا محمد مشركو قومك: لن نصدقك حتى تستبطط لنا عينا من أرضنا، تدقق بالماء أو تفور، أو يكون لك بستان، وهو الجنة، من نخيل و عنب، فتفجر الأنهر خلالها تفجيرًا بأرضنا هذه التي نحن بها خلالها، يعني: خلال النخيل والكرום يعني بقوله: خلالها **تفجيرًا** بينها في أصولها تفجيرًا بسبب أبنيتها.

الآية : 92

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا}.

اختلت القراء في قراءة قوله: **كيسفا** فقرأه عامّة قراء الكوفة والبصرة بسكون السين، بمعنى: أو تسقط السماء كما زعمت علينا **كيسفا**، وذلك أن **الكيسف** في كلام العرب: جمع **كيسفة**، وهو جمع الكثير من العدد للجنس، كما تجمع **السدرة** بـ**سدر**، والتمرة بـ**تمر**، فـ**حكي** عن العرب سماعاً: أعطني **كيسفة** من هذا الثوب: أي قطعة منه، يقال منه: جاءنا بـ**كيسف**: أي قطع خبز. وقد يحتمل إذا قرئ كذلك «**كيسفا**» بسكون السين أن يكون مرادا به المصدر من **كيسف**. فاما **الكيسف** بفتح السين، فإنه جمع ما بين الثلاث إلى العشر، يقال: **كيسفة** واحدة، وثلاث **كيسف**، وكذلك إلى العشر. وقرأ ذلك عامّة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين **كيسفا** بفتح السين بمعنى: جمع **الكيسفة** الواحدة من الثلاث إلى العشر، يعني بذلك **قطعا**: ما بين الثلاث إلى العشر.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بسكون السين، لأن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، لم يقصدوا في مسألتهم إيه ذلك أن يكون بـ**حد** معلوم من القطع، إنما سألهوا أن يُسقط عليهم من السماء **قطعا**، وبذلك جاء التأويل أيضاً عن أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17127- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجح، عن مجاهد، قوله **كيسفا** قال: السماء جميعاً.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جرير، عن مجاهد، مثله.

17128. قال ابن جرير: قال عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قوله كما رَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا قال: مَرَّةً واحِدةً، وَالَّتِي فِي الْرُّومِ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا قال: قطعاً، قال ابن جرير: كِسْفًا لِقولِ اللَّهِ: إِنْ تَسْأَلْ خَسْفَهُمْ أَرْضَنَ أَوْ سُقْطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ.

17129. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أو سُقْطَ السَّمَاءِ كَمَا رَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا قال: أي قطعاً.

17130. حدثنا عليٌّ، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: كِسْفًا يقول: قطعاً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمراً، عن قتادة كِسْفًا قال: قطعاً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله أو سُقْطَ السَّمَاءِ كَمَا رَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا يعني قطعاً.

القول في تأويل قوله: أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًاً يقول تعالى ذكره عن قيل المشركين لنبي الله صلى الله عليه وسلم: أو يأتي بالله يا محمد والملايك قبيلاً.

واختلف أهل التأويل في معنى القبيل في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: حتى يأتي الله والملايك كل قبيلة منا قبيلة قبيلة، فيعاينونهم. ذكر من قال ذلك:

17131. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًاً قال: على حدتنا، كل قبيلة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جرير، عن مجاهد، قوله أو تأتي بالله والملايك قبيلاً قال: قبائل على حدتها كل قبيلة.

وقال آخرون: معنى ذلك: أو تأتي بالله والملايك عياناً نقايلهم مقابلة، فنعاينهم معاينة. ذكر من قال ذلك:

17132. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أو تأتي بالله والملايك قبيلاً نعاينهم معاينة.

17133. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جرير أو تأتي بالله والملايك قبيلاً فنعاينهم. ووجهه بعض أهل العربية إلى أنه بمعنى الكفيل من قولهم: هو قبيل فلان بما لفلان عليه وزعيمه.

وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي قاله قتادة من أنه بمعنى المعاينة، من قولهم: قابلت فلاناً مقابلة، وفلان قبيل فلان، بمعنى قبالتة، كما قال الشاعر:

نصالحُكْمُ حَتَّى تُبُوءُوا بِمِثْلِهَا كصَرْحَةٍ خُبْلَى يَسْرَهُمْ كَبِيلُهَا يعني قابلتها. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: إذا وصفوا بتقدير فعيل من قولهم قابلت ونحوها، جعلوا لفظ صفة الاثنين

والجميع من المؤمن والمذكر على لفظ واحد، نحو قولهم: هذه قبيلي،
وهما قبيلي، وهم قبيلي، وهن قبيلي.

الآية : 93

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ رُّخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُقِيقَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَفَرَوْهُ فَلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً}.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن المشركين الذين ذكرنا أمرهم في هذه الآيات: أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب وهو الزخرف. كما:

17134- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ رُّخْرُفٍ يقول: بيت من ذهب.

17135- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جمیعا عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله مِنْ رُّخْرُفٍ قال: من ذهب.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جریح، عن مجاهد، مثله.

17136- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعید، عن قتادة أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ رُّخْرُفٍ والزخرف هنا: الذهب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ رُّخْرُفٍ قال: من ذهب.

17137- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن الحكم قال: قال مجاهد: كذا لا ندرى ما الزخرف حتى رأينا في قراءة ابن مسعود: «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذَهَبٍ».
حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، قال: لم أدر ما الزخرف، حتى سمعنا في قراءة عبد الله بن مسعود: «بَيْتٌ مِّنْ ذَهَبٍ».

وقوله أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ يعني: أو تتصعد في درج إلى السماء وإنما قيل في السماء، وإنما يرقى إليها لا فيها، لأن القوم قالوا: أو ترقى في سلم إلى السماء، فأدخلت «في» في الكلام ليدل على معنى الكلام، يقال: رَقِيت في السلم، فأنا أرَقَى رَقِيَا ورِقِيَا ورُقِيَا، كما قال الشاعر:

أنت الذي كلفتني رقي الدر جعلى الكلال والمشيب والغرج
وقوله: وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُقِيقَ يقول: ولن تصدق من أجل رُقِيقَ إلى السماء
حتى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا منشورا نَفَرَوْهُ فيه أمرنا باتباعك والإيمان بك،
كما:

17138- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جمیعا عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله كِتَابًا نَفَرَوْهُ قال: من رب العالمين إلى فلان، عند كلّ رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جریح، عن مجاهد بنحوه، إلّا أنه قال: كتابا نقرؤه من رب العالمين، وقال أيضا: تصبح عند رأسه موضوعة يقرؤها.

17139. حدثنا بشر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله حتى تنزل علينا كتابا تقرؤه: أي كتابا خاصا نؤمر فيه باتباعك.

وقوله: قلْ سُبْحَانَ رَبِّي يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين لك هذه الأقوال، تنزيها لله عما يصفونه به، وتعظيمها له من أن يؤتني به وملائكته، أو يكون لي سبيل إلى شيء مما تسألوني: هل كثيرون يسألونك: هل أنا إلا عبد من عبديه منبني آدم، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتمني من هذه الأمور، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والذي سألتمني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيد له، لا يقدر على ذلك غيره.

وهذا الكلام الذي أخبر الله أنه كلام به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر كان من ملايين قريش اجتمعوا لمناظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاجته، فكلموه بما أخبر الله عنهم في هذه الآيات.

ذكر تسمية الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك منهم والسبب الذي من أجله ناظروه به

17140. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلًا من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني أسد، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، وتبنيها ومتبنيها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا، أو من اجتمع منهم، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: أبتعوا إلى محمد فكلموه وخاصمهو حتى يغدروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا، وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدأه، وكان عليهم حريصا، يحب رشدتهم ويعز عليهم عنتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لغدر فيك، وإن الله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك قد شتمت الآباء، وعابت الدين، وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئت فيه بما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف فيما سودناك علينا، وإن كنت تريد به ملكا ملتناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رئيس تراه قد غالب عليك وكانت يسمون التابع من الجن: الرئيسي فربما كان ذلك، بذلك أموالنا في طلب الطلب لك حتى نبرئك منه، أو تعذر فيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يُبَيِّنُ مَا تَقُولُونَ، مَا جَنَاحُكُمْ بِمَا جَنَاحُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيهِمْ وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكُنَّ اللَّهَ بَعْثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْكِ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَغْتُكُمْ رَسَالَةَ رَبِّي، وَتَصَحَّثُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبِلُوا مِنِّي مَا جَنَاحُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بِنِي وَبَيْنَكُمْ» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، فإن كنت غير قادر منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من

الناس أضيق بلاداً، ولا أقلّ مالاً، ولا أشدّ عيشاً منا، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسّرْ عنا هذه الجبال التي قد ضيق علينا، ويسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهار الشام والعراق، ولبيعث لنا من مضى من آبائنا، ول يكن فيمن يبعث لنا منهم فصيّ بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسأله عمما تقول، حقٌّ هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألك، وصدقوك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك بالحقِّ رسولًا، كما تقول. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يهدًا بعثت، إِنَّمَا جِئْنُكُم مِّنَ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، فَقَدْ بَلَغْنَكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقْبِلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيْيَ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِنِي وَبَيْنَكُمْ» قالوا: فإن لم تفعل لنا هذا، فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، واسأله فليجعل لك جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، ويغنيك بها عما نراك تتغى، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما تلتمسه، حتى تعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بِفَاعِلٍ، مَا أَنَا بِالذِّي يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا، وَمَا بَعْثَتْ إِلَيْكُمْ يَهْدَا، وَلَكُنَّ اللَّهُ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَبَذِيرًا، فَإِنْ تَقْبِلُوا مَا جِئْنُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيْيَ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِنِي وَبَيْنَكُمْ» قالوا: فأسقط السماء علينا كسفناً، كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذلك إلى الله إن شاء فَعَلَ يَكُمْ ذلِكَ»، فقالوا: يا محمد، مما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك عمما سألك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك، ويعلمك ما ترجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإن الله ما نؤمن بالرحمن أبداً، أذرنا إليك يا محمد، أما والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهذا بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبلاً. فلما قالوا ذلك، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو ابن عمته هو لعاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألك لأنفسهم أموراً، ليعرفوا منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألك أن تعجل ما تخوّفهم به من العذاب، فوالله لا أؤمن لك أبداً، حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي معك بنسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك لطنبت ألاً أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزيناً أسيفاً لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو جهل: يا معاشر قريش، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتمن آبائنا، وتسبّه أحلامنا، وسبّ آلها، وإنني أعاهد الله لأجلسنّ له غداً بحجر قدر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت رأسه به.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا ابن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس، بنحوه، إلا أنه قال: وأبا سفيان بن حرب، والنصر بن الحرت أبناءبني عبد الدار، وأبا البختري بن هشام.

17141. حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد، قال: قلت له في قوله تعالى لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَوْمًا قَوْمًا قال: قلت له: نزلت في عبد الله بن أبي أمية، قال: قد زعموا ذلك.

الآية : 94

القول في تأويل قوله تعالى {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَغَتَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً}.

يقول تعالى ذكره: وما منع يا محمد مشركي قومك الإيمان بالله، وبما جئتهم به من الحق إذ جاءهم الهدا يقول: إذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوههم وصحة ما جئتهم به، إلا قولهم جهلاً منهم أبغث الله بشرا رسولاً فإن الأولى في موضع نصب بوقوع منع عليها، والثانية في موضع رفع، لأن الفعل لها.

الآية : 95

القول في تأويل قوله تعالى {قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً}.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أبوا الإيمان بك وتصديقك فيما جئتهم به من عندي، استنكرا لأن يبعث الله رسولاً من البشر: لو كان أيها الناس في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، لَنَزَّلْنَا عليهم من السماء ملكا رسولاً، لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصه الله منبني آدم برؤيتها، فأما غيرهم فلا يقدرون على رؤيتها فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل، وهم لا يقدرون على رؤيتهم وهو بهياتهم التي خلقهم الله بها، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم، كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، ثم أرسلنا إليهم رسولاً أرسلناه منهم ملكا مثلهم.

الآية : 96

القول في تأويل قوله تعالى {قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ حَبِيرًا بَصِيرًا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد للقائلين لك: أبغث الله بشيرا رسولاً كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فإنه نعم الكافي والحاكم إله كأن بعبياده حبيرا يقول: إن الله بعباده ذو خبرة وعلم بأمورهم وأفعالهم، والمتحقق منهم والمُبطل، والمهدى والضال تصيرا بتدبرهم وسياساتهم وتصريفهم فيما شاء، وكيف شاء وأحبب، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، وهو مجاز جميعهم بما قدم عند ورودهم عليه.

الآية : 97

القول في تأويل قوله تعالى {وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهَدِّدُ وَمَن يُضْلِلُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَتَحْسِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كَلَمَا حَبَثْ رِذْنَاهُمْ سَعِيرًا}.

يقول تعالى ذكره: ومن يهد الله يا محمد للإيمان به، ولتصديقك وتصديق ما جئت به من عند ربك، فوقفه لذلك، فهو المهتد الرشيد المصيب الحق، لا من هداه غيره، فإن الهدایة بيده. ومن يضللك يقول: ومن يضلله الله عن الحق، فيخذله عن إصابته، ولم يوقفه للإيمان بالله وتصديق رسوله، فلن تجد لهم يا محمد أولياء ينصرونهم من دون الله، إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم. وتحسرونهم يوم القيامة على وجوههم يقول: ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة على وجوههم عميما وبكما وهو جمع أبكم، ويعني بالبكم: الخرس، كما:

17142. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معاوية، عن قتادة، في قوله: وَبُكْمًا قال: الخرس وَصُمًّا وهو جمع أصم. فإن قال قائل: وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يخشرون عميا وبكما وصما، وقد قال ورأى المُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَلَّوْا أَنْهُمْ مُّوَاقِعُوهَا فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَرُونَ، وقال: إِذَا رَأَيْتُمْ مِّنْ مَكَانٍ يَعْدِي سَمِعُوا لَهَا تَغَيِّضاً وَرَفِيراً وَإِذَا أَلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا صَيِّقاً مُفَرِّزِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ تُبُورَا فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ وَيَنْطَقُونَ؟ قيل: جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العمى والبكم والصمم يكون صفتهم في حال حشرهم إلى موقف القيامة، ثم يجعل لهم أسماع وأبصار ومنطق في أحوال آخر غير حال الحشر، ويجوز أن يكون ذلك، كما روي عن ابن عباس في الخبر الذي:

17143. حدثني علي بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله وَتَحْسِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ثم قال: ورأى المُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَلَّوْا وَقَالَ: سَمِعُوا لَهَا تَغَيِّضاً وَرَفِيراً وَقَالَ دَعَوْا هُنَالِكَ تُبُورَا. أما قوله: عميلا فلا يرون شيئا يسرهم. وقوله: بكم لا ينتطرون بحجة. وقوله: صملا لا يسمعون شيئا يسرهم. وقوله: مأواههم جهنّم يقول جل ثناؤه: ومصيرهم إلى جهنم، وفيها مساكنهم، وهم وفودها، كما:

17144. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ يعني إنهم وقودها.

وقوله: كُلُّمَا حَبَثْ رِذْنَاهُمْ سَعِيرًا يعني بقوله خبت: لانت وسكت، كما قال عدي بن زيد العبادي في وصف مزنة: وَسْطَهُ كَالْيَرَاعِ أَوْ سُرْجِ الْمِجْدَلِ حِينَا يَخْبُو وَحِينَا يُنْيِرُ يعني بقوله: يخبو السرج: أنها تلين وتضعف أحيانا، وتقوى وتغير أخرى، ومنه قولقطامي:

فَيَخْبُو سَاعَةً وَتَهَبَّ سَاعَةً

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة عن تأويله. ذكر من قال ذلك:

17145. حدثني علي بن داود، قال: ثني عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: كُلُّمَا حَبَثْ قال: سكت.

17146. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، كلما حَبَثَ زُنْدَاهُمْ سَعِيرًا يقول: كلما أحرقتهم تسرع بهم حطبا، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئاً صارت جمراً تتوهّج، فذلك خُبُوها، فإذا بَذَلُوا خلقاً جديداً عاودتهم.

17147. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن مجاهد حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: قال ابن عباس كلما حَبَثَ قال: خبُوها أنها تَسْعَرُ بهم حطبا، فإذا أحرقتهم، فلم يبق منهم شيء صارت جمراً تتوهّج، فإذا بَذَلُوا خلقاً جديداً عاودتهم.

17148. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: كُلُّمَا حَبَثَ زُنْدَاهُمْ سَعِيرًا يقول: كلما احترقت جلودهم بَذَلُوا جلوداً غيرها، ليذوقوا العذاب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معاذ، عن قتادة، في قوله: كُلُّمَا حَبَثَ زُنْدَاهُمْ سَعِيرًا قال: كلما لان منها شيء.

17149. حدثت عن مروان، عن جوير، عن الصحاك كُلُّمَا حَبَثَ قال: سكنت. قوله: زُنْدَاهُمْ سَعِيرًا يقول: زدنا هؤلاء الكفار سعيراً، وذلك إسعار النار عليهم والتهابها فيهم وتاجها بعد خبُوها، في أجسامهم.

الآية : 98

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ جَرَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَاتَلُوا إِذَا كُنُّا عِظَاماً وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْغُوثُونَ خَلْقاً جَدِيدًا}.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصفنا من فعلنا يوم القيمة بهؤلاء المشركين، ما ذكرت أن نفعل بهم من حشرهم على وجوههم عمياً وبكما وصما، وإصلاحنا إياهم النار على ما بيننا من حالتهم فيها ثوابهم بكفرهم في الدنيا بآياتنا، يعني بأدله وحججه، وهم رسله الذين دعواهم إلى عبادته، وإنفرادهم إياه بالألوهة دون الأوثان والأصنام، ويقولهم إذا أمرروا بالإيمان بالميعاد، وثواب الله وعقابه في الآخرة أئذًا كُنُّا عِظَاماً وَرُفَاتًا قد صرنا تراباً إِنَّا لَمَبْغُوثُونَ خَلْقاً جَدِيدًا يقولون: بُعثت بعد ذلك خلقاً جديداً كما ابتدأناه أول مرّة في الدنيا استنكاراً منهم لذلك، واستعظاماً وتعجباً من أن يكون ذلك.

الآية : 99

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرْوَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَبِّ فِيهِ قَائِمٌ الطَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أو لم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين أئذًا كُنُّا عِظَاماً وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْغُوثُونَ خَلْقاً جَدِيدًا بعيون قلوبهم، فيعلمون أن الله الذي خلق السموات والأرض، فابتدعها من غير شيء، وأقامها بقدرته، قادر بتلك القدرة على أن يخلق مثلهم أشکالهم، وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم، وقبل ذلك، وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه إعادةهم خلقاً جديداً، بعد أن يصيروا عظاماً ورفاتاً. قوله وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَبِّ فِيهِ يقول تعالى ذكره: وجعل الله لهؤلاء

الْمُشْرِكِينَ أَجْلًا لِهُلاْكِهِمْ، وَوَقَّتَا لِعَذَابِهِمْ لَا رِيبٌ فِيهِ. يَقُولُ: لَا شَكٌ فِيهِ أَنَّهُ أَتَيْهِمْ ذَلِكَ الْأَجْلَ. قَاتَبَ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا يَقُولُ: فَأَبْيَ الْكَافِرُونَ إِلَّا حِجْوَدًا بِحَقِيقَةِ وَعِيْدِهِ الَّذِي أَوْعَدُهُمْ وَتَكْذِيبًا بِهِ.

الآية : 100

القول في تأويل قوله تعالى: {فُلْ لُؤْ أَتْتِمْ تَمْلِكُونَ خَرَائِنَ رَحْمَةَ رَبِّي إِذَا لَامْسَكْتُمْ حَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملك ربكم من الأموال، وعنى بالرحمة في هذا الموضع: المال إدراً لامْسَكْتُمْ حَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ يقول: إذن لَبَخْلَتُمْ بِهِ، فَلَمْ تجودوا بها على غيركم، خشية من الإنفاق والإقتار، كما:

17150. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: إدراً لامْسَكْتُمْ حَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ قال: الفقر.

17151. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة حشية الإنفاق أي خشية الفاقة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

وقوله: وكان الإنسان قنورا يقول: وكان الإنسان بخيلاً ممسكا، كما: 17152. حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: وكان الإنسان قنورا يقول: بخيلاً.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، في قوله: وكان الإنسان قنورا قال: بخيلاً.

17153. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وكان الإنسان قنورا قال: بخيلاً ممسكا.

وفي القتور في كلام العرب لغات أربع، يقال: قَتَرْ فلان يَقْتُرْ وَيَقْتِرْ، وَقَتَرْ يَقْتِرْ، ما قال أبو دُواد: فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِّيْتُهُ الْإِعْدَامُ لا أَعْدُ الْإِقْتَارَ عَدْمًا وَلَكِنْ

الآية : 101

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لِأَطْنَلَكَ يَمْوَسَى مَسْحُورًا}.

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بيّنات بين من رأها أنها حجج لموسى شاهدة على صدقه وحقيقة نبوته.

وقد اختلف أهل التأويل فيهنّ وما هنّ. فقال بعضهم في ذلك ما:

17154. حدثني به محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ قال: التسع الآيات البيّنات: يده، وعصاه، ولسانه، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والصفادع، والدم آيات مفصلات.

17155. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبي معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الصحاك يقول في قوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ إلقاء العصا مرتين عند فرعون، ونزع يده، والعقدة التي كانت بلسانه،

وخمس آيات في الأعراف: الطوفان، والجراد، والقمل، والصفادع، والدم.

وقال آخرون: نحو من هذا القول، غير أنهم جعلوا آيتين منهنّ: إحداهما الطمسة، والأخرى الحجر. ذكر من قال ذلك:

17156. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بريأة بن سفيان، عن محمد بن كعب القرظي، قال: سأله عمر بن عبد العزيز، عن قوله: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** فقلت له: هي الطوفان والجراد، والقمل، والصفادع، والدم، والبحر، وعصا، والطمسة، والحجر، فقال: وما الطمسة؟ فقلت: دعا موسى وأمّن هارون، فقال: قد أجبت دعوتكم، وقال عمر: كيف يكون الفقه إلا هكذا. دفعا عمر بن عبد العزيز بخربيطة كانت لعبد العزيز بن مروان أصيّبت بمصر، فإذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تذكر، مسخت حجارة كانت من أموال فرعون أصيّبت بمصر.

وقال آخرون: نحو من ذلك إلا أنهم جعلوا اثنتين منهنّ: إحداهما السنين، والأخرى النقص من الثمرات. ذكر من قال ذلك:

17157. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة ومطر الوراق، في قوله: **تِسْعَ آيَاتٍ قَالَا**: الطوفان، والجراد، والقمل، والصفادع، والدم، والعصا، واليد، والسنون، ونقص من الثمرات.

17158. حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن الشعبي، في قوله: **تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** قال: الطوفان، والجراد، والقمل، والصفادع، والدم، والسنين، ونقص من الثمرات، وعصا، ويده.

17159. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريح، قال: سُئل عطاء بن أبي رياح عن قوله: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** ما هي؟ قال: الطوفان، والجراد، والقمل، والصفادع، والدم، وعصى موسى، ويده.

17160. قال: ابن جريح: وقال مجاهد مثل قول عطاء، وزاد: **أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ** بالسنين ونقص من الثمرات قال: هما التاسعتان، ويقولون: التاسعتان: السنين، وذهب عجمة لسان موسى.

17161. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، عن قتادة، عن ابن عباس، في قوله: **تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** وهي متابعات، وهي في سورة الأعراف **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ** بالسنين ونقص من الثمرات قال: السنين في أهل البوادي، ونقص من الثمرات لأهل القرى، فهاتان آيتان، والطوفان، والجراد، والقمل، والصفادع، والدم، هذه خمس، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء: البرص، وعصا إذ ألقاها، فإذا هي ثعبان مبين.

حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن ابن عباس، قوله: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** قال: يد موسى، وعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والصفادع، والدم والسنين، ونقص من الثمرات.

وقال آخرون نحو من ذلك إلا أنهم جعلوا السنين، والنقص من الثمرات آية واحدة، وجعلوا التاسعة: تلقي العصا ما يأفكون. ذكر من قال ذلك:

17162. حديثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، قال: قال الحسن، في قوله: تسع آياتٍ بيناتٍ، ولقد أحذنا آل فرعون بالسنين ونقص من التمراتِ قال: هذه آية واحدة، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ويد موسى، وعصاهم إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبين، وإن ألقاها فإذا هي تلتف ما يألفون. وقال آخرون في ذلك ما:

17163. حديثي محمد بن المثنى، قال: ثني محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، قال: سمعت عبد الله بن سلمة يحدّث عن صفوان بن عسال، قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى النبيّ حتى نسألة عن هذه الآية. ولقد آتينا موسى تسع آياتٍ بيناتٍ قال: لا تقل لهنبيّ، فإنه إن سمعك صارت له أربعة أعين، قال: فسألاه، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لا تُشْرِكُوا بالله شَيْئاً، ولا تَسْرِفُوا، ولا تَرْبُوا، ولا تَقْتُلُوا النّفْسَ التي حَرَّمَ اللّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، ولا تَسْحَرُوا، ولا تَأْكُلُوا الرِّبَا، ولا تَمْسُوا بَرِيءً إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِفُوا مُحْصَنَةً، أو قال: لا تَفْرُوا مِنَ الرِّحْفِ» شعبة الشاك «وَأَنْتُمْ يَا يَهُودُ عَلَيْكُمْ خاصَّةً لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ» فقبلًا يده ورجله، وقال: نشهد أنكنبيّ، قال: «فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَسْلِمَا؟» قالا: إن داود دعا أن لا يزال من ذرّيتهنبيّ، وإننا نخشى أن تقتلنا يهود.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا سهل بن يوسف وأبو داود وعبد الرحمن بن مهدي، عن سعيد، عن عمرو، قال: سمعت عبد الله بن سلمة يحدّث عن صفوان بن عسال المرادي، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه، إلا أن ابن مهدي قال: «لا تمسّوا إلى ذي سلطان» وقال ابن مهدي: أراه قال: «بريء».

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبد الله بن إدريس وأبوأسامة بنحوه، عن شعبة بن الحجاج، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسال، قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبيّ، فقال صاحبه: لا تقلنبيّ، إنه لو سمعك كان له أربع أعين، قال: فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسألانه عن تسع آياتٍ بيناتٍ، فقال: «هُنَّ: وَلَا تُشْرِكُوا بِاللّهِ شَيْئاً، وَلَا تَسْرِفُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النّفْسَ التي حَرَّمَ اللّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَمْسُوا بَرِيءً إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلُهُ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَقْدِفُوا الْمُحْصَنَةَ، وَلَا تَوَلُوا يَوْمَ الرِّحْفِ وَعَلَيْكُمْ خاصَّةً يَهُودُ: أَنْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ» قال: فقبلوا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنكنبيّ، قال: «فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَسْعُونِي؟» قالوا: إن داود دعا أن لا يزال من ذرّيتهنبيّ، وإننا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا شعبة بن الحجاج، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسال، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه.

وأما قوله: فاسأّلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَإِنْ عَامَةً قَرَأَ الإِسْلَامَ عَلَى قرائته على وجه الأمر بمعنى: فاسأّل يا محمد بن النبي إسرائيل إذ جاءهم موسى وروي عن الحسن البصري في تأويله ما:

17164. حديثي به الحارث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن هارون، عن إسماعيل، عن الحسن فأسألْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قال: سؤالك إياهم: نظرك في القرآن.

وُرُوي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: «فَسَأَلَ» بمعنى: فسأل موسى فرعونبني إسرائيل أن يرسلهم معه على وجه الخبر. ذكر من قال ذلك: 17165 حدثنا أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن هارون، عن حنطلة السدوسي، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس، أنه قرأ: «فَسَأَلَ يَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ» يعني أن موسى سأل فرعونبني إسرائيل أن يرسلهم معه.

والقراءة التي لا أستجيز أن يقرأ بغيرها، هي القراءة التي عليها قراء الأنصار، لجماع الحجة من القراء على تصويبها، ورغبتهم عما خالفهم.

وقوله: فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنٌ إِنِّي لِأَظْنَكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا يقول: فقال لموسى فرعون: إني لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك وقد يجوز أن يكون مرادا به إني لأظنك يا موسى ساحرا، فوضع مفعول موضع فاعل، كما قيل: إنك مشغول علينا وميمون، وإنما هو شائم ويامن. وقد تأول بعضهم حجابا مستورا، بمعنى: حجابا ساترا، والعرب قد تخرج فاعلاً بلفظ مفعول كثيرا.

الآية : 102

القول في تأويل قوله تعالى: {فَالَّتِي لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لِأَظْنَكَ يَقْرَئُونَ مَتَّبُورًا}.

اختلت القراءة في قراءة قوله لَقَدْ عَلِمْتَ فقرأ عاممة قراء الأنصار ذلك لَقَدْ عَلِمْتَ بفتح التاء، على وجه الخطاب من موسى لفرعون. وُرُوي عن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك، أنه قرأ: «لَقَدْ عَلِمْتُ» بضم التاء، على وجه الخبر من موسى عن نفسه. ومن قرأ ذلك على هذه القراءة، فإنه ينبغي أن يكون على مذهبه تأويل قوله إِنِّي لِأَظْنَكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا إني لأظنك قد سحرت، فترى أنك تتكلم بصواب وليس بصواب. وهذا وجه من التأويل. غير أن القراءة التي عليها قراء الأنصار خلافها، وغير جائز عندنا خلاف الحجة فيما جاءت به من القراءة مجتمعة عليه.

وبعد، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر عن فرعون وقومه أنهم جحدوا ما جاءهم به موسى من الآيات التسع، مع علمهم بأنها من عند الله بقوله وأدْخِلْ بَدَلَكَ فِي حَيْنَكَ تَخْرُجْ بَيْصَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعَ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتِنَا مُبِصِّرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنْفُسُهُمْ طَلْمَا وَعُلُوًّا فَأَخْبَرَ جَلَّ ثناوهُ أَنَّهُمْ قَالُوا: هي سحر، مع علمهم واستيقان أنفسهم بأنها من عند الله، فكذلك قوله: لَقَدْ عَلِمْتَ إِنَّمَا هُوَ خُبُرٌ مِنْ مُوسَى لِفَرْعَوْنَ بِأَنَّهُ عَالَمٌ بِأَنَّهَا آيَاتٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وقد ذكر عن ابن عباس أنه احتج في ذلك بمثل الذي ذكرنا من الحجة. قال:

17166 حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن حمير، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ: لَقَدْ عَلِمْتَ يَا فَرْعَوْنَ بِالنَّصْبِ مَا أَنْزَلَهُ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ تَلَوَّهُ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنْفُسُهُمْ طَلْمَا وَعُلُوًّا. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: قال موسى لفرعون: لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع البينات التي أريتكها حجة لي على حقيقة ما أدعوك إليه، وشاهدتني على صدق وصحة قوله، إني لله رسول، ما بعثني إليك إلا رب السموات والأرض، لأن ذلك لا يقدر عليه، ولا على أمثاله أحد سواه. بصائر

يعني بالبصائر: الآيات، أنهن بصائر لمن استبصر بهن، وهدى لمن اهتدى بهن، يعرف بهن من رأهن أن من جاء بهن فمحق، وأنهن من عند الله لا من عند غيره، إذ كن معجزات لا يقدر عليهن، ولا على شيء منهن سوى رب السموات والأرض وهو جمع بصيرة.

وقوله: إِنِّي لَأَطْلُكَ يَا فِرْعَوْنَ مَتْبُوراً يقول: إني لأظنك يا فرعون ملعونا ممنوعا من الخير. والعرب تقول: ما ثبرك عن هذا الأمر: أي ما منعك منه، وما صدك عنه؟ وثبره الله فهو ثبره ويُثْبِر لغتان، ورجل مثبور: محبوس عن الخيرات هالك ومنه قول الشاعر:

إِذْ أَجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنْنِ الْعَيْوَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَتْبُورَهُ

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17167. حدثنا عبد الله بن عبد الله الكلابي، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر، قال: حدثنا عمر بن عبد الله، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: إِنِّي لَأَطْلُكَ يَا فِرْعَوْنَ مَتْبُوراً قال ملعونا.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا مروان بن معاوية، قال: أخبرنا عمر بن عبد الله الثقفي، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مثله.

حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: إِنِّي لَأَطْلُكَ يَا فِرْعَوْنَ مَتْبُوراً يقول: ملعونا.

وقال آخرون: بل معناه: إني لأظنك يا فرعون مغلوبا. ذكر من قال ذلك: 17168. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: إِنِّي لَأَطْلُكَ يَا فِرْعَوْنَ مَتْبُوراً يعني: مغلوبا.

17169. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبد، قال: سمعت الصحاك يقول في قوله إِنِّي لَأَطْلُكَ يَا فِرْعَوْنَ مَتْبُوراً يقول: مغلوبا.

وقال بعضهم: معنى ذلك: إني لأظنك يا فرعون هالكا. ذكر من قال ذلك: 17170. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرت، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجح، عن مجاهد: مثبورا: أي هالكا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، مثله.

17171. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وإِنِّي لَأَطْلُكَ يَا فِرْعَوْنَ مَتْبُوراً: أي هالكا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمرا، عن قتادة، بنحوه.

وقال آخرون: معناه: إني لأظنك مبدلاً مغيرا. ذكر من قال ذلك: 17172. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبد الله بن موسى، عن عيسى بن موسى، عن عطية إِنِّي لَأَطْلُكَ يَا فِرْعَوْنَ مَتْبُوراً قال: مبدلاً.

وقال آخرون: معناه: مخلولاً لا عقل له. ذكر من قال ذلك: 17173. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: إِنِّي لَأَطْلُكَ يَا فِرْعَوْنَ مَتْبُوراً قال: الإنسان إذا لم يكن له عقل فما

ينفعه؟ يعني: إذا لم يكن له عقل ينتفع به في دينه ومعاشه دعوه العرب
مثبورا. قال: أظلنك ليس لك عقل يا فرعون، قال: بينما هو يخافه ولا ينطق
لسانني أن أقول هذا لفرعون، فلما شرح الله صدره، اجترأ أن يقول له
فوق ما أمره الله.

وقد **بَيْنَا** الذي هو أولى بالصواب في ذلك قبل.

الآية : 103 و 104

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِرُهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مِّنْهُ جَمِيعاً * وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً}.

يقول تعالى ذكره: فأراد فرعون أن يستفزّ موسى وبني إسرائيل من الأرض، فأغرقناه في البحر، ومن معه من جنده جميعاً، ونجينا موسى وبني إسرائيل، وقلنا لهم من بعد هلاك فرعون اسكنوا الأرض أرض الشام فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً يقول: فإذا جاءت الساعة، وهي وعد الآخرة، جئنا بكم لفيفاً: يقول: حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيمة لفيفاً: أي مختلطين قد التفت بعضكم على بعض، لا تتعارفون، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحبيبه، من قوله: لفت الجيوش: إذا ضربت بعضها البعض، فاختلط الجميع، وكذلك كل شيء خلط بشيء فقد لف به.
وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

17174. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن ابن أبي زرين جئنا بكم لفيفاً قال: من كلّ قوم.
وقال آخرون: بل معناه: جئنا بكم جميعاً. ذكر من قال ذلك:

17175. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال:
ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: جئنا بكم لفيفاً قال: جميعاً.

17176. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارت، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجح، عن مجاهد جئنا بكم لفيفاً جميعاً.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17177. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً: أي جميعاً، أولكم وأخركم.
حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معاذ، عن قتادة، في قوله جئنا بكم لفيفاً قال: جميعاً.

17178. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبد الله،
قال: سمعت الصحاك يقول في قوله جئنا بكم لفيفاً يعني جميعاً. ووحده
اللفيف، وهو خبر عن الجميع، لأنّه بمعنى المصدر كقول القائل: لفقته
لها ولفيفاً.

الآية : 105 و 106

القول في تأويل قوله تعالى: {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآنًا قَرْفَنَا لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَتَرْلَنَا تَنْزِيلًا}.

يقول تعالى ذكره: وبالحق أنزلنا هذا القرآن: يقول: أنزلناه نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة، والأمور المستحسنة الحميدة، وننهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة، والأخلاق الرديمة، والأفعال الدّميمة وبالحق نَزَلَ يقول: وبذلك نُزِّلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أرسلناك يا محمد إلى من أرسلناك إليه من عبادنا، إلا مبشرًا بالجنة من أطاعنا، فانتهي إلى أمرنا وتهيننا، ومنذرا لمن عصانا وخالف أمرنا ونهينا. وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأُهُ اخْتَلَفَ الْقُرَاءُ فِي قراءة ذلك، فقرأته عامّة قراء الأمصار فَرَقْنَاهُ بِتَحْفِيفِ الرَّاءِ مِنْ فَرْقَنَا، بمعنى: أحکمناه وفصلناه وبيناه. وذكر عن ابن عباس، أنه كان يقرؤه بشدّيد الراء «فَرَقْنَاهُ» بمعنى: نَزَلَنَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، آية بعد آية، وقصة بعد قصة.

وأولى القراءتين بالصواب عندنا، القراءة الأولى، لأنها القراءة التي عليها الحجة مجمعة، ولا يجوز خلافها فيما كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن. فإذا كان ذلك أولى القراءتين بالصواب، فتاویل الكلام: وما أرسلناك إلا مبشرًا ونذيرًا، وفصلناه قرآنًا، وبيناه وأحکمناه، لتقرأه على الناس على مكت. وبينوا الذي قلنا في ذلك من التأویل، قال جماعة من أهل التأویل. ذكر من قال ذلك:

17179. حديث علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ يقول: فصلناه.

17180. حديث القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن أبي الربيع عن أبي العالية، عن أبي بن كعب أنه قرأ: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ مخففاً يعني بيناه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ قال: فصلناه.

17181. حديث ابن المثنى، قال: حدثنا بدل بن المحبير، قال: حدثنا عباد، يعني ابن راشد، عن داود، عن الحسن أنه قرأ: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ خفّها: فرق الله بين الحق والباطل.

وأما الذين قرأوا القراءة الأخرى، فإنهم تأولوا ما قد ذكرت من التأویل. ذكر من قال ما حكيت من التأویل عن قارئ ذلك كذلك:

17182. حديث القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: كان ابن عباس يقرؤها: «وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ» مثقلة، يقول: أنزل آية آية.

17183. حديث ابن المثنى، قال: حدثنا بزيـد بن هارون، قال: أخبرنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال: أَنْزَلَ الْقُرْآنَ جَمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى السَّمَاوَاتِ الْدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ثُمَّ أَنْزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عَشْرِينَ سَنَةً، قَالَ: وَلَا يَأْتُوكَ يَمْثُلُ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَخْسَنَ تَفْسِيرِهِ، «وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا».

17184. حديث الحسن بن يحيـيـ، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: «وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ» لم ينزل جميعا، وكان بين أَوْلَهُ وآخره نحو من عشرين سنة.

17185. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «وَقُرْآنًا قَرِّفْنَاهُ» قال: فَرَّقَهُ: لم ينزله جميعه. وقرأ: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا تُنزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً حَتَّى يَأْتُوا بِأَحْسَنَ تَفْسِيرًا يَنْفُضُ عَلَيْهِمْ مَا يَأْتُونَ بِهِ.

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول: نصب قوله وَقُرْآنًا بمعنى: ورحمة، ويتناول ذلك: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَتَذِيرًا ورحمة، ويقول: جاز ذلك، لأن القرآن رحمة، ونصبه على الوجه الذي قلناه أولى، وذلك كما قال جل شناوه: وَالْقَمَرَ قَدْرُنَاهُ مَنَازِلَ وقوله: لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ يقول: لتقرأه على الناس على تؤدة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17186. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن عبيد المكتب، قال: قلت لمجاهد: رجل قرأ البقرة وأآل عمران، وأخر قرأ البقرة، وركوعهما وسجودهما واحد، أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ البقرة، وقرأ: وَقُرْآنًا قَرِّفْنَاهُ لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ.

17187. حدثني عليٌّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ يقول: على تأييد.

17188. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء، جميا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: عَلَى مُكْثٍ قال: على ترتيل.

17189. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، قوله: لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ قال: في ترتيل.

17190. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ قال: التفسير الذي قال الله ورثيل القرآن ترتيلًا: تفسيره.

17191. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن عبيد، عن مجاهد، قوله: لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ عَلَى تؤدة. وفي المُكْث للعرب لغات: مُكْث، ومِكْث، ومِكْث وِمِكْثي مقصور، ومِكْثانا، والقراءة بضم الميم.

وقوله: وَتَرَّلَنَا تَنْزِيلًا يقول تعالى ذكره: فرقنا تنزيله، وأنزلناه شيئاً بعد شيء، كما:

17192. حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليٍّ، قال: حدثنا، عن أبي رجاء، قال: تلا الحسن: «وَقُرْآنًا قَرِّفْنَاهُ لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَتَرَّلَنَا تَنْزِيلًا» قال: كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض لما علم أنه سيكون ويحدث في الناس، لقد ذكر لنا أنه كان بين أوله وأخره ثمانية عشرة سنة، قال: فسألته يوماً على سخطه، فقلت: يا أبا سعيد «وَقُرْآنًا قَرِّفْنَاهُ» فتقلها أبو رجاء، فقال الحسن: ليس فرقناه، ولكن فرقناه، فقرأ الحسن مخففة. قلت: من يُحدثك هذا يا أبا سعيد أصحاب محمد؟ قال: فمن يحدّثنيه قال: أنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ثماني سنين، وبالمدينة عشر سنين.

17193. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَقُرْآنًا قَرِّفْنَاهُ لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَتَرَّلَنَا تَنْزِيلًا لم ينزل في

ليلة ولا ليلتين، ولا شهر ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، ولكن كان بين أُولَئِكَ وأخره عشرون سنة، وما شاء الله من ذلك.
حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: كان يقول: أنزل على نبِيِّ الله القرآن ثمانين سنين، وعشراً بعد ما هاجر. وكان قتادة يقول: عشراً بمكة، وعشراً بالمدينة.

الآية : 107 و 108

القول في تأويل قوله تعالى: {فُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمْفَعُولاً}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك لَئِنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تُفْجَرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتَبَوَّعُكَ: آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعـت الإنس والجـنـ علىـ أنـ يـاتـوا بـمـثـلهـ، لمـ يـأتـوا بـهـ ولوـ كانـ بعضـهـمـ لـبعـضـ طـهـيرـاـ، أوـ لاـ تـؤـمـنـواـ بـهـ، فـإـنـ إـيمـانـكـ بـهـ لـنـ يـزـيدـ فـيـ خـرـائـنـ رـحـمـةـ اللـهـ وـلـاـ تـرـكـمـ الإـيمـانـ بـهـ يـنـقصـ ذـلـكـ. وإنـ تـكـفـرـواـ بـهـ، فـإـنـ الـذـينـ أـوـتـواـ الـعـلـمـ بـالـلـهـ وـأـيـاتـهـ مـنـ قـبـلـ نـزـولـهـ مـنـ مـؤـمـنـيـ أـهـلـ الـكـتـابـينـ، إـذـاـ يـتـلـىـ عـلـيـهـمـ هـذـاـ الـقـرـآنـ يـخـرـونـ تـعـظـيمـاـ لـهـ وـتـكـريـماـ، وـعـلـمـاـ مـنـهـمـ بـأـنـهـ مـنـ عـنـ اللـهـ، لـأـذـقـانـهـمـ سـجـداـ بـالـأـرـضـ.

واختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله يخرون للأذقان فقال بعضهم: عني به: الوجوه. ذكر من قال ذلك:

17194- حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: يخرون للأذقان سجدا يقول: للوجوه.
17195- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة يخرون للأذقان سجدا قال للوجوه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: بل عني بذلك اللـهـىـ. ذـكـرـ مـنـ قـالـ ذـلـكـ:
17196- حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال الحسن في قوله: يخرون للأذقان قال: اللـهـىـ.

وقوله: سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمْفَعُولاً يقول جل شناوه: ويقول هؤلاء الذين أتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن، إذ خرروا للأذقان سجودا عند سماعهم القرآن يُتلى عليهم: تنزيهاً لربنا وتبريعه له مما يضيف إليه المشركون به، ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب، إلا مفعولاً حقاً يقيناً، إيمان بالقرآن وتصديق به. والأذقان في كلام العرب: جمع ذَقَنْ وهو مجمع اللـهـيـنـ، وإـذـ كـانـ ذـلـكـ كـذـلـكـ، فـالـذـيـ قـالـ الحـسـنـ فـيـ ذـلـكـ أـشـبـهـ بـظـاهـرـ التـنـزـيلـ. وـبـنـحـوـ الـذـيـ قـلـنـاـ فـيـ ذـلـكـ، قـالـ أـهـلـ الـتـأـوـيلـ عـلـىـ اـخـتـلـافـ مـنـهـمـ فـيـ الـذـينـ عـنـواـ بـقـوـلـهـ أـوـتـواـ الـعـلـمـ وـفـيـ يـتـلـىـ عـلـيـهـمـ. ذـكـرـ مـنـ قـالـ ذـلـكـ:

17197- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريح، قال: قال مجاهد: الـذـينـ أـوـتـواـ الـعـلـمـ مـنـ قـبـلـهـ... إـلـىـ قـوـلـهـ حـشـوـعـاـ قال: هـمـ نـاسـ مـنـ أـهـلـ الـكـتـابـ حـيـنـ سـمـعـواـ مـاـ أـنـزـلـ اللـهـ عـلـىـ مـحـمـدـ قـالـواـ سـبـحـانـ رـبـنـاـ إـنـ كـانـ وـعـدـ رـبـنـاـ لـمـفـعـولاـ.

17198. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ قَبْلِهِ من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إذا يُتَلَى عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهَ يَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمْفَعُولاً.

وقال آخرون: عَنِّي بقوله: الذين أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ (القرآن الذي أنزل على) محمد صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

17199. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، في قوله: إِذَا يُتَلَى عَلَيْهِمْ كِتَابَهُمْ.

17200. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله إذا يُتَلَى عَلَيْهِمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ من عند الله. وإنما قلنا: عَنِّي بقوله: إِذَا يُتَلَى عَلَيْهِمْ القرآن، لأنَّه في سياق ذكر القرآن لم يجر لغيره من الكتب ذكر، فيصرف الكلام إليه، ولذلك جعلت الهاء التي في قوله: مِنْ قَبْلِهِ من ذكر القرآن، لأنَّ الكلام بذلك جرى قبله، وذلك قوله: وَقُرْآنًا فَرَقْنَا وَمَا بَعْدَهُ فِي سِيَاقِ الْخَبَرِ عَنْهُ، فَذَلِكَ وَجَبَ صحة ما قلنا إذا لم يأت بخلاف ما قلنا فيه حجة يجب التسليم لها.

الآية : 109

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ حُشُوعًا} .

يقول تعالى ذكره: ويخرُّ هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان، إذا يُتَلَى عليهم القرآن للأذقانهم بيكون، ويزيدهم ما في القرآن من الموعظ والعبر خشوعاً، يعني خضوعاً لأمر الله وطاعته، وأستكانة له. 17201. حدثنا أحمد بن منيع، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا مسعود، عن عبد الأعلى التيمي، أنَّ من أُوتِيَ من العلم ما لم يُبَكِّهِ لِخَلْقِهِ أَنَّ لَا يَكُونُ أَوْتِيَ عِلْمًا يَنْفَعُهُ، لَأَنَّ اللَّهَ نَعَتَ الْعُلَمَاءَ فَقَالَ إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتَلَى عَلَيْهِمْ يَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ... الآيتين.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن مسعود بن كدام، عن عبد الأعلى التيمي ينحوه، إِلَّا أنه قال: إِذَا يُتَلَى عَلَيْهِمْ يَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ ثُمَّ قال: وَيَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ... الآية.

17202. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد وَيَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ حُشُوعًا. قال: هذا جواب وتفسير للآية التي في كهيعص إِذَا يُتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنَ حَرَّوا سُجَّدًا وَبُكِّيًّا.

الآية : 110

القول في تأويل قوله تعالى: {فُلْ اذْعُوا اللَّهَ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيْمَانًا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُحَافِثْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} .

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لمشركي قومك المنكريين دعاء الرحمن: اذْعُوا اللَّهَ أَيْهَا الْقَوْمُ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيْمَانًا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى بِأَيِّ أَسْمَائِهِ جَلَّ جَلَالَهُ تَدْعُونَ رَبِّكُمْ، فإنما تدعون واحداً، ولم

الأسماء الحُسْنَى. وإنما قيل ذلك له صلى الله عليه وسلم، لأن المشركين فيما ذكر سمعوا النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعُونَ رَبَّهُ: يا ربنا الله، ويا ربنا الرحمن، فظنوا أنه يدعُو إلهين، فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية احتجاجاً لنبيه عليهم. ذكر الرواية بما ذكرنا:

17203. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس. قال: كان النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجداً يدعُو: «يا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ»، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعُو واحداً، وهو يدعُو مثنى، فأنزل الله تعالى: قُلِ اذْعُوا اللَّهَ أَوِ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيْمَانًا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْخُسْنَى... الآية.

17204. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني عيسى، عن الأوزاعي، عن مكحول، أن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتهجد بمكة ذات ليلة، يقول في سجوده: «يا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ»، فسمعه رجل من المشركين، فلما أصبح قال لاصحابه: انظروا ما قال ابن أبي كبيشة، يدعُو الليلة الرحمن الذي باليماماة، وكان باليماماة رجل يقال له الرحمن: فنزلت: قُلِ اذْعُوا اللَّهَ أَوِ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيْمَانًا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْخُسْنَى».

17205. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: قُلِ اذْعُوا اللَّهَ أَوِ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيْمَانًا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْخُسْنَى.

17206. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرج، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: أَيْمَانًا مَا تَدْعُوا بشيءٍ من أسمائه.

17207. حدثني موسى بن سهل، قال: حدثنا محمد بن بكار البصري، قال: ثني حماد بن عيسى، عن عبيد بن الطفيلي الجهنمي، قال: حدثنا ابن جريح، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، عن مكحول، عن عَرَّاكَ بن مالك، عن أبي هريرة، عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعَينَ اسْمًا كُلُّهُنَّ فِي الْقُرْآنِ، مَنْ أَخْصَاهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ». قال أبو جعفر: ولدخول «ما» في قوله أَيْمَانًا مَا تَدْعُوا وجهان: أحدهما أن تكون صلة، كما قيل: عَمَّا قَلِيلٌ لَيُضْبِحُنَّ تَادِمِينَ. والآخر أن تكون في معنى إن: كررت لما اختلف لفظاً هما، كما قيل: ما إن رأيت كالليلة ليلة.

وقوله: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًاً اختلاف أهل التأويل في الصلاة، فقال بعضهم: عنى بذلك: ولا تجهر بدعائك، ولا تخافت بها، ولكن بين ذلك. وقالوا: عنى بالصلاحة في هذا الموضوع: الدعاء. ذكر من قال ذلك:

17208. حدثني يحيى بن عيسى الدامغاني، قال: حدثنا ابن المبارك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، في قوله: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا قالت: في الدعاء.

حدثنا بشار، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: نزلت في الدعاء.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مثله.

17209. حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا عباد بن العوّام، عن أشعث بن سوار، عن عكرمة، عن ابن عباس في قول الله تعالى: **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا** قال: كانوا يجحرون بالدّعاء، فلما نزلت هذه الآية أمروا أن لا يجحروا، ولا يخافتو.

17210. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا حماد، عن عمرو بن مالك البكري، عن أبي الجوزاء عن عائشة، قالت: نزلت في الدّعاء.

17211. حدثني مطر بن محمد الصبي، قال: حدثنا عبد الله بن داود، قال: حدثنا شريك، عن زياد بن فياض، عن أبي عياض، في قوله: **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا** قال: الدّعاء.

17212. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن إبراهيم الهرمي، عن أبي عياض **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا** قال: نزلت في الدّعاء.

17213. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا شريك، عن زياد بن فياض، عن أبي عياض مثله.

17214. حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد في الآية: **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا** قال: في الدّعاء.

17215. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، قال: نزلت في الدّعاء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرف، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا** في الدّعاء والمسألة.

17216. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، عن مجاهد، مثله.

17217. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، قال: نزلت في الدّعاء والمسألة.

17218. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، قال: ثني سفيان، قال: ثني قيس بن مسلم، عن سعيد بن جبير في قوله **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا** قال: في الدّعاء.

17219. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا سفيان، عن ابن عياش العامري، عن عبد الله بن شداد قال: كان أعراب إذا سلم النبي صلّى الله عليه وسلم قالوا: اللهم ارزقنا إبلًا ولدوا، قال: فنزلت هذه الآية: **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا**.

17220. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا** قال: في الدّعاء.

حدثني ابن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: في الدعاء والمسألة.

17216. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني عيسى، عن الأوزاعي، عن مكحول **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ... الْآيَة**، قال: ذلك في الدعاء.

وقال آخرون: عنى بذلك الصلاة. واختلف قائلو هذه المقالة في المعنى الذي عنى بالنهي عن الجهر به، فقال بعضهم: الذي نهى عن الجهر به منها القراءة. ذكر من قال ذلك:

17217. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متواز **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا** قال: كان إذا صلى أصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به، قال: فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا** عن أصحابك، فلا يسمعهم القرآن حتى يأخذوا عنك.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشير بن عمار، عن أبي روق، عن الصحاك، عن ابن عباس، في قوله: **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا** قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالصلاه بال المسلمين بالقرآن، شق ذلك على المشركين إذا سمعوه، ف يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشتم والعيب به، وذلك بمكة، فأنزل الله: يا محمد لا تجهر بصلاتك يقول: لا تعلن بالقراءة بالقرآن إعلانا شديدا يسمعه المشركون فيؤذونك، ولا تخافت بالقراءة بالقرآن: يقول: لا تخفض صوتك حتى لا تسمع أذنيك وابتغ بين ذلك سبيلا يقول: اطلب بين الإعلان والجهر وبين التخافت والخفاض طريقا لا جهرا شديدا، ولا خفضا لا تسمع أذنيك، فذلك القدر فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سقط هذا كلها، يفعل الآن أي ذلك شاء.

17218. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبد، قال: سمعت الصحاك يقول في قوله **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا**... الآية، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة كان إذا صلى بأصحابه، فرفع صوته بالقراءة أسمع المشركين، فأذوه، فأمره الله أو لا يرفع صوته، فيسمع عدوه، ولا يخافت فلا يسمع من خلفه من المسلمين، فأمره الله أن يتغير بين ذلك سبيلا.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن، فكان المشركون إذا سمعوا صوته سبوا القرآن، ومن جاء به فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخفى القرآن فما يسمعه أصحابه، فأنزل الله **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**.

حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت أبي، يقول: أخبرنا أبو حمزة عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا** قال: كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذا رفع صوته وسمع المشركون، سبوا القرآن، ومن جاء به، وإذا خفظ لم يسمع أصحابه، قال الله: وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا.
حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني داود بن الحُصين، من عكرمة، عن ابن عباس، قال: كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلٰي تفرقوا، وأتوا أن يستمعوا منه، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو، وهو يصلٰي، استرق السمع دونهم فرقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع، ذهب خشية أذاهم، فلم يستمع، فإن خفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته، لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً، فأنزل الله عليه: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ فَيَتَفَرَّقُوا عَنْكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا فَلَا تُسْمِعْ مِنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَهَا، مَمْنُونَ يَسْتَرِقُ ذَلِكَ دُونَهُمْ، لَعْلَهُ يَرْعَوْيَ إِلَى بَعْضِ مَا يَسْمَعُ، فَيَنْتَفِعُ بِهِ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا.

17219. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهز بقراءة القرآن في المسجد الحرام، فقالت قريش: لا تجهز بالقراءة فتؤذن أهنتنا، فنهجو ربك، فأنزل الله: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا... الآية.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا قال: نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مختلف بمكة، فكان إذا صلى بأصحابه رفع الصوت بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله لنبيه: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ أي بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبوا القرآن وَلَا تُخَافِثْ بِهَا عن أصحابك، فلا تسمعهم وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن جعفر بن إيساس، عن سعيد بن جبير، في قوله وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا قال: في القراءة.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا سعيد، عن أبي بشير، عن سعيد بن جبير، في هذه الآية وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته أعجب ذلك أصحابه، وإذا سمع ذلك المشركون سبوا، فنزلت هذه الآية.

17220. حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن سلمة، عن علامة، عن محمد بن سيرين، قال: نبئت أن أبي بكر كان إذا صلى فقرأ خفظ صوته، وأن عمر كان يرفع صوته قال: فقيل لأبي بكر: لم تصنع هذا؟ فقال: أناجي ربِّي، وقد علم حاجتي، قيل: أحسنت وقيل لعمر: لم تصنع هذا؟ قال: أطرد الشيطان، وأوقظ الوسنان، قيل: أحسنت فلما نزلت وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا قيل لأبي بكر: ارفع شيئاً، وقيل لعمر: اخفض شيئاً.

17221. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا حسان بن إبراهيم، عن إبراهيم الصائغ، عن عطاء، في قوله: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا قال: يقول ناس إنها في الصلاة، ويقول آخرون إنها في الدعاء.

17222. حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ولامجهر بصلاتك ولا تخاف بها وابتغ بين ذلك سبيلاً وكان النبيّ الله وهو بمكة، إذا سمع المشركون صوته رموه بكل خبث، فأمره الله أن يغضّ من صوته، وأن يجعل صلاته بينه وبين ربه، وكان يقال: ما سمعته أذنك فليس بمخافته.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، عن قتادة، في قوله ولا تمجهر بصلاتك ولا تخاف بها قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالصلاحة، فيرميه بالخبث، فقال: لا ترتفع صوتك فتؤذى ولا تخاف بها، وابتغ بين ذلك سبيلاً.

وقال آخرون: إنما عني بذلك: ولا تمجهر بالتشهد في صلاتك، ولا تخافت بها. ذكر من قال ذلك:

17223. حدثني أبو السائب، قال: حدثنا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: نزلت هذه الآية في التشهد ولا تمجهر بصلاتك ولا تخاف بها.

17224. حدثني أبو السائب، قال: حدثنا حفص، عن أشعث، عن ابن سيرين مثله. وزاد فيه: وكان الأعرابيّ يجهر فيقول: التحيات لله، والصلوات لله، يرفع فيها صوته، فنزلت ولا تمجهر بصلاتك.

وقال آخرون: بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي بمكة جهاراً، فأمر بإخفائه. ذكر من قال ذلك:

17225. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصري قالاً: قال فيبني إسرائيل ولا تمجهر بصلاتك ولا تخاف بها وابتغ بين ذلك سبيلاً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى يجهر بصلاته، فإذا ذاك المشركين بمكة، حتى أخفى صلاته هو وأصحابه، فلذلك قال ولا تمجهر بصلاتك ولا تخاف بها وابتغ بين ذلك سبيلاً وقال في الأعراف: وادرك ربك في نفسك تصرعاً وخيفةً ودون الجهر من القول بالغدو والاصدال ولا تكون من الغافلين.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تجهّر بصلاتك تحسنها من إتيانها في العلانية، ولا تخافت بها: تسيئها في السريرة. ذكر من قال ذلك:

17226. حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن أنه كان يقول: ولا تمجهر بصلاتك ولا تخاف بها: أي لا تراء بها علانية، ولا تخفها سراً وابتغ بين ذلك سبيلاً.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، قال: كان الحسن يقول في قوله: ولا تمجهر بصلاتك ولا تخاف بها قال: لا تحسن علانيتها، وتسيء سريرتها.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن عوف، عن الحسن، في قوله: ولا تمجهر بصلاتك ولا تخاف بها قال: لا تراء بها في العلانية، ولا تخفها في السريرة.

حدثني عليّ بن الحسن الأزرقي، قال: حدثنا الأشجعي، عن سفيان، عن منصور، عن الحسن ولا تمجهر بصلاتك ولا تخاف بها قال: تحسن علانيتها، وتسيء سريرتها.

17227. حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا قال: لا تصلّ مراءة الناس ولا تدعها مخافة. وقال آخرون في ذلك ما:

17228. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا قال: السبيل بين ذلك الذي سنّ له جبرائيل من الصلاة التي عليها المسلمون. قال: وكان أهل الكتاب يُخافتون، ثم يجهرون أحدهم بالحرف، فيصيح به، ويصيرون هم به وراءه، فنهى أن يصيح كما يصيح هؤلاء، وأن يُخافت كما يُخافت القوم، ثم كان السبيل الذي بين ذلك، الذي سنّ له جبرائيل من الصلاة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، ما ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي رواه أبو جعفر، عن سعيد، عن ابن عباس، لأن ذلك أصحّ الأسانيد التي رُوي عن صحابيٍّ فيه قولٌ محرّجاً، وأشبه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن قوله: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا عقيب قوله قُلْ اذْعُوا اللَّهَ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وعقيب تقرير الكفار بـكفرهم بالقرآن، وذلك بعدهم منه ومن الإيمان. فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى وأشبه بقوله وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا أن يكون من سبب ما هو في سياقه من الكلام، مالم يأت بمعنى يوجب صرفه عنه، أو يكون على انصرافه عنه دليل يعلم به الانصراف عما هو في سياقه.

إذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: قل ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنة، ولا تجهري يا محمد بقراءتك في صلاتك ودعائك فيها ربك ومسألتك إياه، وذكرك فيها، فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون، ولا تخافت بها فلا يسمعها أصحابك وابتغ بين ذلك سيلًا ولكن التمس بين الجهر والمخافته طريقة إلى أن تسمع أصحابك، ولا يسمعه المشركون فيؤذوك. ولو لا أن أقوال أهل التأويل مضت بما ذكرت عنهم من التأويل، وأنا لا نستجير خلافهم فيما جاء عنهم، لكان وجها يحتمله التأويل أن يقال: ولا تجهر بصلاتك التي أمرناك بالمخافته بها، وهي صلاة النهار لأنها عجماء، لا يجهر بها، ولا تخافت بصلاتك التي أمرناك بالجهر بها، وهي صلاة الليل، فإنها يجهر بها وابتغ بين ذلك سيلًا بأن تجهر بالتي أمرناك بالجهر بها، وتخافت بالتي أمرناك بالمخافته بها، لا تجهر بجميعها، ولا تخافت بكلها، فكان ذلك وجها غير بعيد من الصحة، ولكن لا نرى ذلك صحيحاً لإجماع الحجة من أهل التأويل على خلافه. فإن

قال قائل: فأية قراءة هذه التي بين الجهر والمخاففة؟ قيل:

17229. حدثني مطر بن محمد، قال: حدثنا قتيبة، ووهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن الأشعث بن سليم، عن الأسود بن هلال، قال: قال عبد الله: لم يخافت من أسمع أذنيه.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا شعبة، عن الأشعث، عن الأسود بن هلال، عن عبد الله، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقُلْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرٌ} . يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَقُلْ يَا مُحَمَّدَ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا فَيَكُونُ مُرْبُوبًا لَرْبًا، لَأَنَّ رَبَّ الْأَرْبَابَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ فَيَكُونُ عَاجِزًا ذَا حَاجَةٍ إِلَى مَعْوِنَةِ غَيْرِهِ ضَعِيفًا، وَلَا يَكُونُ إِلَيْهَا مِنْ يَكُونُ مَحْتَاجًا إِلَى مَعِينٍ عَلَى مَا حَاوَلَ، وَلَمْ يَكُنْ مَنْفَرًا بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ يَقُولُ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيفٌ حَالَفُهُ مِنَ الذَّلِّ الَّذِي بِهِ، لَأَنَّ مَنْ كَانَ ذَا حَاجَةٍ إِلَى نَصْرَةِ غَيْرِهِ، فَذَلِيلٌ مَهِينٌ، وَلَا يَكُونُ مِنْ كَانَ ذَلِيلًا مَهِينًا يَحْتَاجُ إِلَى نَاصِرٍ إِلَيْهَا يَطْاعُ وَكَبِيرٌ تَكَبِّيرًا يَقُولُ: وَعَظِيمٌ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدَ بِمَا أَمْرَنَاكَ أَنْ تَعْظِمَهُ بِهِ مِنْ قَوْلٍ وَفَعْلٍ، وَأَطْعِهِ فِيمَا أَمْرَكَ وَنَهَاكَ.

وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلَّا فِي قَوْلِهِ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ ذَكْرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

17230. حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدشي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ قَالَ: لَمْ يَحَالْفُ أَحَدًا، وَلَا يَبْتَغِي نَصْرًا أَحَدًا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17231. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْلَمُ أَهْلَهُ هَذِهِ الْآيَةِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرٌ تَكَبِّيرًا الصَّغِيرُ مِنْ أَهْلِهِ وَالْكَبِيرُ.

17232. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، قال: حدثنا أبو الجنيد، عن جعفر، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: إِنَّ التُّورَاةَ كُلُّهَا فِي خَمْسَ عَشَرَ آيَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ تَلَّا لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا آخَرَ.

17233. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنِ الْقُرَاطِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا... الْآيَةِ. قَالَ: إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالُوا: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. وَقَالَتِ الْعَرَبُ: لَبِيكَ، لَبِيكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ. وَقَالَ الصَّابِئُونَ وَالْمَجُوسُ: لَوْلَا أُولَيَاءِ اللَّهِ لَذَلِّ اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرٌ أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ عَلَى مَا يَقُولُونَ تَكَبِّيرًا.

آخر تفسير سورة بنى إسرائيل، والحمد لله رب العالمين.

سورة الكهف

سورة الكهف مكية وآياتها عشر ومائة
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى:

{الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوْجَا} .

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الحمد لله الذي خص رسالته محمدا وانتخبه لبلاغها عنه، فابتاعته إلى خلقه نبيا مرسلا، وأنزل عليه كتابه قيما، ولم يجعل له عوجا.

وعني بقوله عز ذكره: قيماً معتدلاً مستقيماً. وقيل: عني به: أنه قيم على سائر الكتب يصدقها ويحفظها. ذكر من قال: عني به معتدلاً مستقيماً:

17234. حديث علي بن داود، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ولم يجعل له عوجاً قيماً يقول: أنزل الكتاب عدلاً قيماً، ولم يجعل له عوجاً، فأخبر ابن عباس بقوله هذا مع بيانه معنى القيم أن القيم مؤخر بعد قوله، ولم يجعل له عوجاً، ومعناه التقديم بمعنى: أنزل الكتاب على عبده قيماً.

17235. حدثت عن محمد بن زيد، عن جوير، عن الصحاح، في قوله قيماً قال: مستقيماً.

17236. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق ولم يجعل له عوجاً قيماً: أي معتدلاً لا اختلاف فيه.

17237. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، عن قتادة، في قوله: ولم يجعل له عوجاً قيماً قال: أنزل الله الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً.

حدثنا بشير، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله الحمد لله الذي أنزل على عبدِهِ الكتابَ ولم يجعل له عوجاً قيماً. قال: وفي بعض القراءات: «ولكن جعله قيماً».

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله ابن عباس، ومن قال بقوله في ذلك، لدلالة قوله: ولم يجعل له عوجاً فأخبر جل ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذي أنزله إلى محمد صلى الله عليه وسلم قيماً مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تفاوت، بل بعضه يصدق ببعض، وبعضه يشهد لبعض، لا عوج فيه، ولا ميل عن الحق، وكسرت العين من قوله عوجا لأن العرب كذلك تقول في كل اعوجاج كان في دين، أو فيما لا يرى شخصه قائماً، فيذرك عياناً منتصباً كالعاج في الدين، ولذلك كسرت العين في هذا الموضوع، وكذلك العوج في الطريق، لأنه ليس بالشخص المنتصب. فأما ما كان من عوج في الأشخاص المنتصبة قياماً، فإن عينها تفتح كالعوج في القناة، والخشبة، ونحوها. وكان ابن عباس يقول في معنى قوله ولم يجعل له عوجاً: ولم يجعل له ملتبساً. ذكر من قال ذلك:

17238. حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس ولم يجعل له عوجاً قيماً ولم يجعل له ملتبساً.

ولا خلاف أيضاً بين أهل العربية في أن معنى قوله قيماً وإن كان مؤخراً، التقديم إلى جنب الكتاب. وقيل: إنما افتتح جل ثناؤه هذه السورة بذكر نفسه بما هو له أهل، وبالخبر عن إنزال كتابه على رسوله إخباراً منه للمشركين من أهل مكة، بأن محمداً رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن المشركين كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنأشياء علمهموها اليهود من قريظة والنضير، وأمروهـ بـ مـسـأـلـتـهـمـوهـ

عنها، وقالوا: إن أخبركم بها فهونبيٌّ، وإن لم يخبركم بها فهو منقولٌ، فوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للجواب عنها موعداً، فأبضا الوحي عنه بعض الإبطاء، وتأخر مجيء جبرائيل عليه السلام عنه عن ميعاده القوم، فتحدث المشركون بأنه أخلفهم موعدَه، وأنه متقولٌ، فأنزل الله هذه السورة جواباً عن مسائلهم، وافتتح أولها بذكره، وتذكير المشركين في أحدوثتهم التي تحدّثوها بينهم. ذكر من قال ذلك:

17239. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس فيما يروي أبو جعفر الطبرى قال: بعثت قريش النصر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أخبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلواهم عن محمد، وصفوا لهم صفتة، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرج حتى قدما المدينة، فسألوا أخبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقلالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتبخروننا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أخبار يهود: سلوه عن ثلاثة تأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ فهونبيٌّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقولٌ، فرقوا فيه رأيكם: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب. سلوه عن رجل طواف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبوء؟ سلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فإنهنبيٌّ فاتّبعوه، وإن هو لم يخبركم، فهو رجل متقولٌ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النصر وعقبة حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معاشر قريش: قد جئناكم بفضل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أخبار يهود أن تسأله، عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروه به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَخْبِرُكُمْ عَدَا بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ»، ولم يستشن فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة، لا يتحدث الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة وقوالوا: وعَذَنَا مُحَمَّداً غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سأله عنده عنه. وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة. ثم جاءه جبرائيل عليه السلام، من الله عز وجل، بسورة أصحاب الكهف، فيها معاقبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقول الله عز وجل وبسالوة عَنِ الرَّوْحِ قِلِّ الرَّوْحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًاً قال ابن إسحاق: فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح السورة فقال الحمد لله الذي أنزل على عبدِه الكتابَ يعني محمداً إنك رسولِي في تحقيق ما سأله عنده ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجًا قَيْمًا: أي معتدلاً، لا اختلاف فيه.

الآية : 3 و 2

القول في تأويل قوله تعالى: {قَيْمًا لَّيْذَرَ يَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَدُنْهُ وَبُشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَّا كَيْثَيْنَ فِيهِ أَبَدًا}.

يقول تعالى ذكره: أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْقُرْآنَ مَعْتَدِلًا مُسْتَقِيمًا لَا عَوْجَ فِيهِ
لِيَنْذِرَكُمْ أَيْهَا النَّاسُ بِأَسَا مِنَ اللَّهِ شَدِيدًا. وَعَنِي بِالْبَأْسِ الْعَذَابِ الْعَاجِلِ،
وَالنَّكَالِ الْحَاضِرِ وَالسُّطْرُونَةِ. وَقَوْلُهُ: مِنْ لَدُنْهُ يَعْنِي: مِنْ عَنْدِ اللَّهِ. وَبِنَحْوِ
الَّذِي قَلَنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلَ. ذَكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

17240 حَدَثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَثَنَا يَوْنِسَ بْنُ بَكِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
إِسْحَاقِ لِيَنْذِرَ بِأَسَا شَدِيدًا عَاجِلًا عَقْوَةً فِي الدُّنْيَا وَعَذَابًا فِي الْآخِرَةِ. مِنْ
لَدُنْهُ: أَيْ مِنْ عَنْدِ رَبِّكَ الَّذِي بَعَثَكَ رَسُولًا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، بنحوه.
17241 حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:
مِنْ لَدُنْهُ: أَيْ مِنْ عَنْهُ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيْنَ مَفْعُولُ قَوْلِهِ لِيَنْذِرَ فَإِنْ مَفْعُولُهُ مَحْذُوفٌ اكْتَفَى
بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذَكْرِهِ، وَهُوَ مَضْمُرٌ مُتَصَلٌ بِيَنْذِرُ قَبْلَ
الْبَأْسِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لِيَنْذِرَكُمْ بِأَسَا، كَمَا قِيلَ: يُحَوِّفُ أُولَيَاءَهُ إِنَّمَا هُوَ:
يُخَوِّفُكُمْ أُولَيَاءَهُ.

وقوله: وَبُشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: وَبُشِّرَ الْمُصَدِّقِينَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ الْعَمَلُ بِمَا أَمْرَ اللَّهُ بِالْعَمَلِ بِهِ، وَالْإِنْتِهَاءُ عَمَّا نَهَى
اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنَا يَقُولُ: ثَوَابًا جَزِيلًا لِمَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَى إِيمَانِهِمْ
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَذَلِكَ التَّوَابُ
هُوَ الْجَنَّةُ الَّتِي وَعَدَهَا الْمُتَقْوُنُونَ. وَقَوْلُهُ: مَا كَتَبْتُ لِي فِيهِ أَبَدًا خَالِدِينَ، لَا
يَنْتَقِلُونَ عَنْهُ، وَلَا يُنَقْلُونَ وَنَصِبُ مَا كَتَبْتُ عَلَى الْحَالِ مِنْ قَوْلِهِ: أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ فِي حَالِ مَكْثَتِهِمْ فِي ذَلِكَ الْأَجْرِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلَنَا
فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلَ. ذَكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

17242 حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق وَبُشِّرَ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنَا مَا كَتَبْتُ لِي فِيهِ أَبَدًا:
أَيْ فِي دَارِ خَلْدٍ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، الَّذِينَ صَدَقُوكُمْ بِمَا جَئَتْ بِهِ عَنِ اللَّهِ،
وَعَمَلُوكُمْ بِمَا أَمْرَتُهُمْ.

الآلية : 4 و 5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُمْ اللَّهُ وَلَدٌ * مَا
لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لَبَائِهِمْ كَبُرُّ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا
كَذِبًا}.
يقول تعالى ذكره: وبحدِر أيضاً محمد القوم الذين قالوا إِنَّهُمْ اللَّهُ وَلَدٌ

من مشركي قومه وغيرهم، بِأَسَانِ اللَّهِ وَعَاجِلَ نَقْمَتِهِ، وَأَجَلَ عَذَابِهِ، عَلَى
قَيْلِهِمْ ذَلِكَ، كَمَا:

17243 حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق وَبُشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ
قَالُوا إِنَّهُمْ اللَّهُ وَلَدٌ يَعْنِي قَرِيشَا فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّمَا نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَهُنَّ
بَنَاتُ اللَّهِ.

وقوله: مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ يَقُولُ: مَا لِقَائِلِي هَذَا الْقَوْلُ، يَعْنِي قَوْلِهِمْ
إِنَّهُمْ اللَّهُ وَلَدٌ بِهِ: يَعْنِي بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ بِهِ مِنْ ذَكْرِ اللَّهِ.
وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ: مَا لَهُؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ هَذَا الْقَوْلُ بِاللَّهِ، إِنَّمَا لَا يَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ مِنْ عِلْمٍ، فَلَجَهُمْ بِاللَّهِ وَعَظَمَتْهُ قَالُوا ذَلِكَ، وَقَوْلُهُ: وَلَا
لَبَائِهِمْ يَقُولُ: وَلَا لِأَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُمْ عَلَى مَثَلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ

اليوم، كان لهم بالله وبعظمته علم. وقوله: كَبَرْتُ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قراء المدّينين والكوفيّين والبصرىّين: كَبَرْتُ كَلِمَةً بِنَصْبِ الْكَلْمَةِ بِمَعْنَى: كَبَرْتُ كَلْمَتَهُمُ الَّتِي قَالُوهَا كَلِمَةً عَلَى التَّفْسِيرِ، كَمَا يَقُولُ: نَعَمْ رَجُلًا عَمْرُو، وَنَعَمْ الرَّجُل رَجُلًا قَامَ، وَنَعَمْ رَجُلًا قَامَ. وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّي أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ: ثُبِّتَ كَلِمَةً لَأَنَّهَا فِي مَعْنَى: أَكْبَرَ بِهَا كَلِمَةً، كَمَا قَالَ جَلَّ شَنَاؤهُ وَسَاءُتْ مُرْتَفَقَا

وَقَالَ: هِيَ فِي النِّصْبِ مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا اللَّقَاحُ تَرَوْ حَنْدَاجَ الرَّئَالَ تَكُبَّهُنْ شَمَالاً
أَيْ تَكُبَّهُنْ الرِّياحَ شَمَالاً. فَكَانَهُ قَالَ: كَبَرْتُ تِلْكَ الْكَلِمَةِ. وَذُكِرَ عِنْ بَعْضِ الْمَكَيْيَنِ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ: «كَبَرْتُ كَلِمَةً» رَفِعاً، كَمَا يَقُولُ: عَظِيمَ قَوْلُكَ وَكَبَرْ شَائِكَ. وَإِذَا قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ كَبَرْتُ كَلِمَةً مُضْمَرَ، وَكَانَ صَفَةً لِلْكَلِمَةِ.

والصواب من القراءة في ذلك عندي، قراءة من قرأ: كَبَرْتُ كَلِمَةً نصبا لِإِجْمَاعِ الْحَجَةِ مِنَ الْقَرَاءَ عَلَيْهَا، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: عَطَّمَتِ الْكَلِمَةُ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَالْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، كَمَا:

17244- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق كَبَرْتُ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ قَوْلِهِمْ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ.
وقوله: إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبَا يَقُولُ عَزِيزُ ذَكْرِهِ: مَا يَقُولُ هُؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ اتَّخَذُ اللَّهَ وَلَدًا بَقِيلُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا كَذِبَا وَفَرِيَةٌ افْتَرُوهَا عَلَى اللَّهِ.

الآية : 8 - 6

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَعْلَكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثَ أَسْفَاً * إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِتَبْلُوْهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً * وَإِنَّا لَجَاءَ عَلَوْنَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُزُراً}. يعني تعالى ذكره بذلك: فلعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكتها على آثار قومك الذين قالوا لك لَمْ يُؤْمِنْ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ زِينَةً يَبْيُوعَا تَمَرِّداً منهم على ربهم، إنهم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك فيصدقونه بأنه من عند الله حزناً وتلهفاً ووجداً، بإدبارهم عنك، وإن راضهم عما أتيتهم به وتركهم الإيمان بك. يقال منه: بَخْ فَلَانْ نَفْسَهُ يَبْخُّهَا بَخْعَا وَبَخْوَعَا وَمِنْهُ قَوْلُ ذِي الرِّمَةِ:

أَلَا أَيَّهُدَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لِشَيْءٍ نَحْنُ عَنْ يَدِيهِ الْمَقَادِيرِ
يريد: نَحْتَهُ فَخَفَ.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: باخِعُ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17245- حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة فَلَعْلَكَ باخِعُ نَفْسَكَ يَقُولُ: قاتل نفسك.
حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمَر، عن قتادة، مثله.

وأما قوله: أَسْفَا فِإِنْ أَهْلَ التَّأْوِيلَ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: فَلَعْلَكَ بَاخُ نَفْسِكَ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثَ غَصْبًا. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

17246. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثَ أَسْفَا قَالَ: غَصْبًا.
وقال آخرون: جَرَعا.

17247. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله أَسْفَا قال: جَرَعا.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: معناه: حزناً عليهم. ذكر من قال ذلك:
17248. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، عن قتادة، في قوله: أَسْفَا قَالَ: حزناً عليهم.
وقد بيَّنا معنى الأسف فيما مضى من كتابنا هذا، بما أغني عن إعادته في هذا الموضوع.

وهذه معاقبة من الله عَزَّ ذُكْرُهُ عَلَى وَجْهِهِ بِمِبَاوِدَةِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْبِرَاءَةِ مِنَ الْأَلَهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَكَانَ بِهِمْ رَحِيمًا.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
17249. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قَلَعَلَّكَ بَاخُ تَفْسِيْكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثَ أَسْفَا يَعَاوِيْهُ عَلَى حَزْنِهِ عَلَيْهِمْ حِينَ فَاتَّهُ مَا كَانَ يَرْجُو مِنْهُمْ: أَيْ لَا تَفْعُلْ.
وقوله: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا يَقُولُ عَزَّ ذُكْرُهُ: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِلأَرْضِ لِتَبْلُوْهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً يَقُولُ: لَنَخْتَبِرْ عَبَادَنَا أَيُّهُمْ أَتَرَكْ لَهَا وَأَتَيْعُ لَأْمَرْنَا وَنَهِيَّنَا وَأَعْمَلْ فِيهَا بِطَاعَتِنَا. وَبِنَحْوِ الْذِي قَلَّنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلَ.

17250. حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا قَالَ: مَا عَلَيْهَا مِنْ شَيْءٍ.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17251. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ذَكَرْ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الدُّنْيَا حَضِيرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَحْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَإِنْفَقُوا الدُّنْيَا، وَإِنْفَقُوا النِّسَاءَ».

وأما قوله: لِتَبْلُوْهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً إِنْ أَهْلُ التَّأْوِيلَ قَالُوا فِي تَأْوِيلِهِ نَحْوُ قَوْلَنَا فِيهِ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

17252. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو عاصم العسقلاني، قال: لِتَبْلُوْهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً قَالَ: أَتَرَكْ لَهَا.

17253. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِتَبْلُوُهُمْ أَيْمَنْ أَخْسَنْ عَمَلاً اختبارا لهم أيهم أتبع لأمرى وأعمل بطاعتي.

وقوله: **إِنَّا لَجَاءْلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدَا جُرْزا يَقُولُ عَزْ ذَكْرِهِ**: وإنما لمخرّبواها بعد عمارتها بما جعلنا عليها من الزينة، فمصيروها صعيدا جرزا لا نبات عليها ولا زرع ولا غرس. وقد قيل: إنه أريد بالصعيد في هذا الموضع: المستوى بوجه الأرض، وذلك هو شبيه بمعنى قولنا في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، وبمعنى الجرز، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17254. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **إِنَّا لَجَاءْلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدَا جُرْزا يَقُولُ يَهْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهَا وَبِيَدِهِ**.

17255. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرج، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد صعيدا جرزا قال: بلقعا. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، مثله.

17256. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **إِنَّا لَجَاءْلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدَا جُرْزا وَالصَّعِيدَ الْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَجَرٌ وَلَا نَبَاتٌ**.

17257. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سَلَمَة، عن ابن إسحاق **إِنَّا لَجَاءْلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدَا جُرْزا يَعْنِي: الْأَرْضُ إِنَّمَا عَلَيْهَا لَفَانٌ وَبَائِدٌ، وَإِنَّ الْمَرْجَعَ إِلَيْيِّ، فَلَا تَأْسِ، وَلَا يَحْزُنْكَ مَا تَسْمَعُ وَتَرِي فِيهَا.**

17258. حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: صعيدا جرزا قال: الجزر: الأرض التي ليس فيها شيء، ألا ترى أنه يقول: **أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فُتْخَرُجُ بِهِ رَزْعًا** قال: والجز: لا شيء فيها، لا نبات ولا منفعة. والصعيد: المستوى. وقرأ: **لَرَّى** في لها **عِوْجًا** و**لَا أَمْتَأْ** قال: مستوية: يقال: جررت الأرض فهي مجروزة، وجرزها الجراد والنعيم، وأرصنون أجراز: إذا كانت لا شيء فيها. ويقال للسنة المجدبة: جرزا وسنون أجراز لجدوبها وبيسها وقلة أمطارها قال الراجز:

قَدْ جَرَقْنَاهُنَّ السَّنُونُ الْأَجْرَازُ
يقال: أجرز القوم: إذا صارت أرضهم جرزا، وجروا هم أرضهم: إذا أكلوا نباتها كلها.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرّقِيمِ كَانُوا مِنْ أَيَّاتِنَا عَجَبًا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا، فإن ما خلقت من السموات والأرض، وما فيهن من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف، وحيثي بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك، وغيرهم

من سائر عبادي. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17259. حديثي محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجح، عن مجاهد أَمْ حَسِيبٌ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرِّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً قال: مَحْمَدُ بْنُ عَمْرُو فِي حَدِيثِهِ، قَالَ: لَيْسُوا عَجَباً يَأْعِجِبُ آيَاتِنَا. وَقَالَ الْحَارِثُ فِي حَدِيثِهِ بِقَوْلِهِمْ: أَعْجَبُ آيَاتِنَا لَيْسُوا أَعْجَبُ آيَاتِنَا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، قوله: أَمْ حَسِيبٌ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرِّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً كَانُوا يَقُولُونَ هُمْ عَجَبٌ.

17260. حديثنا بشر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: أَمْ حَسِيبٌ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرِّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً يقول: قد كان من آياتنا ما هو أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ.

17261. حديثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق أَمْ حَسِيبٌ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرِّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً. أي وما قدروا من قَدْرٍ فيما صنعت من أمر الخلق، وما وضع على العباد من حججي ما هو أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أَمْ حَسِيبَتْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرِّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً، فَإِنَّ الَّذِينَ أَتَيْتُكُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ أَفْضَلُ مِنْهُمْ. ذكر من قال ذلك:

17262. حديثي محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: أَمْ حَسِيبٌ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرِّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً يقول: الَّذِي أَتَيْتُكُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالسُّنْنَةِ وَالْكِتَابِ أَفْضَلُ مِنْ شَأنِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَالرِّقِيمِ.

وإنما قلنا: إن القول الأول أولى بتأويل الآية، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه احتجاجاً بها على المشركين من قومه على ما ذكرنا في الرواية عن ابن عباس، إذ سأله عندهم ما هو أوكد عليهم في الحجة مما سألوا عنهم، وزعموا أنهم يؤمنون عند الإجابة عنه أشبهه من الخبر عما أنعم الله على رسوله من النعم.

وأما الكهف، فإنه كهف الجبل الذي أوى إليه القوم الذين قصَّ الله شأنهم في هذه السورة.

وأما الرقيم، فإنَّ أهل التأويل اختلفوا في المعنى به، فقال بعضهم: هو اسم قرية، أو واد على اختلاف بينهم في ذلك. ذكر من قال ذلك:

17263. حديثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى بن عبد الأعلى وعبد الرحمن، قالا: حدثنا سفيان، عن الشيبانيِّ، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: يزعم كعب أن الرقيم: القرية.

17264. حديثي محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس أَمْ حَسِيبٌ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرِّقِيمِ قال: الرقيم: واد بين غُسْفَانَ وَأَيْلَةَ دون فلسطين، وهو قريب من أَيْلَةَ.

17265. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي، عن عطية، قال: الرقيم: واد.
17266. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: أُم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَلَّا نَحْدَثُ أَنَّ الرَّقِيمَ: الْوَادِي الَّذِي فِيهِ أَصْحَابُ الْكَهْفِ.
- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله الرّقيم قال: يزعم كعب: أنها القرية.
17267. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معاذ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، في قوله: الرّقيم قال: يقول بعضهم: الرقيم: كتاب تبانهم. ويقول بعضهم: هو الوادي الذي فيه كهفهم.
17268. حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الصحاك يقول: أما الكهف: فهو غار الوادي، والرقيم: اسم الوادي.
- وقال آخرون: الرقيم: الكتاب. ذكر من قال ذلك:
17269. حدثنا عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: أُم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ يقول: الكتاب.
17270. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: حدثنا أبي، عن ابن قيس، عن سعيد بن جبير، قال: الرقيم: لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف.
17271. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الرقيم: كتاب، ولذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب وعما فيه، وقرأ: وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلَيْوَنَ كِتَابٌ مَرْفُومٌ يَشْهُدُهُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سِجِّينَ كِتَابٌ مَرْفُومٌ.
- وقال آخرون: بل هو اسم جبل أصحاب الكهف. ذكر من قال ذلك:
17272. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجاج، عن ابن جريح، قال: قال ابن عباس: الرقيم: الجبل الذي فيه الكهف.
- قال أبو جعفر: وقد قيل إن اسم ذلك الجبل: بنجلوس.
17273. حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: وقد قيل: إن اسمه بنجلوس.
17274. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجاج، عن ابن جريح، قال: أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبئي أن اسم جبل الكهف: بنجلوس. واسم الكهف: حيزم. والكلب: حمران. وقد روي عن ابن عباس في الرقيم ما:
17275. حدثنا به الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إسرائيل عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كل القرآن أعلم، إلا حنانا، والأواب، والرقيم.

17276. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: أخبرني عمرو بن دينار، أنه سمع عكرمة يقول: قال ابن عباس: ما أدرى ما الرقيم، أكتاب، أم بنيان؟
وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنيا به: لوح، أو حجر، أو شيء كتب فيه كتاب. وقد قال أهل الأخبار: إن ذلك لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أتوا إلى الكهف. ثم قال بعضهم: رفع ذلك اللوح في خزانة الملك. وقال بعضهم: بل جعل على باب كهفهم. وقال بعضهم: بل كان ذلك محفوظا عند بعض أهل بلدتهم. وإنما الرقم: فعيل. أصله: مرقوم، ثم صرف إلى فعيل، كما قيل للمجروح: جريح، وللمقتول: قتيل، يقال منه: رقمت كذا وكذا: إذا كتبته، ومنه قيل للرقم في التوب رقم، لأن الخط الذي يعرف به ثمنه. ومن ذلك قيل للحية: أرق، لما فيه من الآثار والعرب تقول: عليك بالرقة، ودع الصفة: بمعنى عليك برقة الوادي حيث الماء، ودع الصفة الجانبية. والضفتان: جانبا الوادي. وأحسب أن الذي قال الرقيم: الوادي، ذهب به إلى هذا، أعني به إلى رقمة الوادي.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبُّنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيْئَةً لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً}.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم حسنت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا حين أوى الفتية أصحاب الكهف إلى كهف الجبل، هربا بدينهم إلى الله، فقالوا إذ أتوا: ربنا آتنا من لدنك رحمة رغبة منهم إلى ربهم، في أن يرزقهم من عنده رحمة. وقوله: وهىء لنا من أمرنا رشدا يقول: وقالوا: يسر لنا بما نبتغي وما نلتمنس من رضاك والهرب من الكفر بك، ومن عبادة الأوثان التي يدعونا إليها قومنا، رشدا يقول: سدادا إلى العمل بالذي تحب.

وقد اختلف أهل العلم في سبب مصرير هؤلاء الفتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه، فقال بعضهم: كان سبب ذلك، أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى، وكان لهم ملك عابد وتن، دعاهم إلى عبادة الأصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم، أو يقتلهم، فاستخفوا منه في الكهف. ذكر من قال ذلك:

17277. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو في قوله: أصحاب الكهف والرقيم كانت الفتية على دين عيسى على الإسلام، وكان ملوكهم كافرا، وقد أخرج لهم صنما، فأبوا، وقالوا: رب السموات والأرض لمن ندعوه من دونه إله لقدر قلنا إذا سلطانا قال: فاعتزلوا عن قومهم لعبادة الله، فقال أحدهم: إنه كان لأبي كهف يأوي فيه غنمه، فانطلقوا بنا نكن فيه، فدخلوه، وفقدوا في ذلك الزمان فطلبوها، فقيل: دخلوا هذا الكهف، فقال قومهم: لا نريد لهم عقوبة ولا عذابا أشد من أن نردم عليهم هذا الكهف، فبنوه عليهم ثم ردموه. ثم إن الله بعث عليهم ملكا على دين عيسى، ورفع ذلك البناء الذي كان ردم عليهم، فقال بعضهم لبعض: كم لستم؟ ف قالوا لشيا يوما أو بعضا يوما... حتى بلغ فابتعثوا أحدكم بورقة هذه إلى المدينة وكان ورق ذلك الزمان كبارا، فارسلوا أحدهم يأتיהם ب الطعام وشراب فلما ذهب ليخرج، رأى

على باب الكهف شيئاً أنكره فأراد أن يرجع، ثم مضى حتى دخل المدينة، فأنكر ما رأى، ثم أخرج درهما، فنظروا إليه فأنكروه، وأنكروا الدرهم، وقالوا: من أين لك هذا؟ هذا من ورق غير هذا الزمان، واجتمعوا عليه يسألونه، فلم يزالوا به حتى انطلقوا به إلى ملتهم، وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون، فنظروا في ذلك اللوح، وسائله الملك، فأخبره بأمره، ونظروا في الكتاب متى فقد، فاستبشروا به وب أصحابه، وقيل له: انطلق بنا فأرنا أصحابك، فانطلق وانطلقوا معه، ليريهم، فدخل قبل القوم، فضرب على آذانهم، فقال الذين غلبو على أمرهم: **لَسْخِدَنْ عَلَيْهِمْ مَسْجِدٌ**.

17278. حديثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: مَرِجْ أمر أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطفت فيهم الملوك، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم على ذلك بقايا على أمر عيسى ابن مريم، متمسكون بعبادة الله وتوحيده، فكان من فعل ذلك من ملوكهم، ملك من الروم يقال له: **دقينوس**، كان قد عبد الأصنام، وذبح للطواغيت، وقتل من خالقه في ذلك من أقام على دين عيسى ابن مريم. كان ينزل في قرى الروم، فلا يترك في قرية ينزلها أحداً من يدين بدين عيسى ابن مريم إلا قتلها، حتى يعبد الأصنام، ويدبح للطواغيت، حتى نزل دقينوس مدينة الفتية أصحاب الكهف فلما نزلها **دقينوس** كبر ذلك على أهل الإيمان، فاستحقوا منه وهردوا في كل وجه. وكان دقينوس قد أمر حين قدمها أن يتبع أهل الإيمان **فيُجْمِعُوا** له، واتخذ سرطاً من الكفار من أهلها، فجعلوا يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم التي يستخفون فيها، فيستخرجونهم إلى دقينوس، فقدتهم إلى المجامع التي يذبح فيها للطواغيت فيخيرهم بين القتل، وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة **وَيُقْطَعُ** بالقتل **فَيَقْتَلُنَّ**، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الصلاة من أهل الإيمان بالله، جعلوا **يُسْلِمُونَ** أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون، ثم يربط ما قطع من أحسادهم، فيعلق على سور المدينة من نواحيها كلها، وعلى كل باب من أبوابها، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان، فمنهم من كفر **فُتُرَكَ**، ومنهم من صلب على دينه **فُقْتَلَ** فلما رأى ذلك الفتية أصحاب الكهف، حزنوا حزناً شديداً، حتى تغيرت ألوانهم، ونحلت أجسامهم، واستعانا بالصلوة والصيام والصدقة، والتحميد، والتسبيح، والتهليل، والتكبير، والبكاء، والتضرع إلى الله، وكانوا فتية أحداها أحراراً من أبناء أشراف الروم.

17279. فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجح، عن مجاهد، قال: لقد **حُذِّثْتُ** أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانه وضيق الورق. قال ابن عباس: كانوا كذلك في عبادة الله **لِيَلَهُمْ وَنَهَارَهُمْ**، يبكون إلى الله، ويستغثونه، وكأنوا ثمانية نفر مُكَسِّلِمينا، وكان أكبرهم، وهو الذي **كَلَمَ الْمَلَكَ** عنهم، ومُخْسِمِلينا، ويَمْلِيْخَا، وَمَرْطَوْس، وكشوطوش، وبيرونس، ودينموس، وبطروس قالوس فلما أجمع دقينوس أن يجمع أهل القرية لعبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، يكوا إلى الله وتضرعوا إليه، وجعلوا يقولون: **اللَّهُمَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**، لن ندعو من دونك إليها **لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا اكْشَفْنَا** عن

عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع عنهم البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك، ومنعوا عبادتك إلا سرّا، مستخفين بذلك، حتى يعبدوك علانية. في بينما هم على ذلك، عرفهم عرفاً لهم من الكفار، ممن كان يجمع أهل المدينة لعبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، وذكروا أمرهم، وكانوا قد حَلُوا في مصلّى لهم يعبدون الله فيه، ويتصرّعون إليه، ويتوّقعون أن يُذكروا لدى دقينوس، فانطلق أولئك الكفراة حتى دخلوا عليهم مصلّاهم، فوجدوهم سجودا على وجوههم يتصرّعون، ويبكون، ويرغبون إلى الله أن ينجيهم من دقينوس وفتنته فلما رأهم أولئك الكفراة من عرفاً لهم قالوا لهم: ما حَلْفك عن أمر الملك؟ انطلقوا إليه ثم خرجوا من عندهم، فرفعوا أمرهم إلى دقينوس، وقالوا: تجمع الناس للذبح لآلهتك، وهؤلاء فتية من أهل بيتك، يسخرون منك، ويستهزئون بك، وبعضون أمرك، ويتركون آلهتك، يعمدون إلى مصلّى لهم ولأصحاب عيسى ابن مریم يصلون فيه، ويتصرّعون إلى إلههم وإله عيسى وأصحاب عيسى، فلم تتركهم يصنعون هذا وهم بين ظهراني سلطانك ومُلْكك، وهم ثمانية نفر: رئيسهم مسلمينا، وهم أبناء عظام المدينة؟ فلما قالوا ذلك لدى دقينوس، بعث إليهم، فأتى بهم من المصلّى الذي كانوا فيه تفيض أعينهم من الدموع مُغفرة وجوههم في التراب، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تُعبد في الأرض، وأن تجعلوا أنفسكم أسوة لسراة أهل مدینتكم، ولمن حضر مِن الناس؟ اختاروا مني: إما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح الناس، وإنما أن أقتلكم فقال مسلمينا: إن لنا إليها بعده ملا السموات والأرض عظمه، لن ندعو من دونه إليها أبدا، ولن نقر بهذا الذي تدعونا إليه أبدا، ولكننا نعبد الله ربنا له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبدا، إياه نعبد، وإياه نسأل النجاة والخير، فاما الطواغيت وعبادتها، فلن نقر بها أبدا، ولسنا بكافئين عبادا للشياطين، ولا جاعلي أنفسنا وأجسادنا عبادا لها، بعد إذ هدانا الله له رهبتك، أو فرقا من عبودتك، اصنع بنا ما بدا لك ثم قال أصحاب مسلمينا لدى دقينوس مثل ما قال. قال: فلما قالوا ذلك له، أمر بهم فنزع عنهم لبوسٍ كان عليهم من لبوس عظامائهم، ثم قال: أما إذ فعلتم ما فعلتم فإني سأؤحرركم أن تكونوا من أهل مملكتي وبطانتي، وأهل بلادي، وسأفرغ لكم، فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة، وما يمنعني أن أجعل ذلك لكم إلا أنني أراكם فتیانا حديثة أسنانكم، ولا أحبّ أن أهلككم حتى أستأني بكم، وأنا جاعل لكم أجلاً تذكرون فيه، وتراجعون عقولكم. ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة، فُنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده. وانطلق دقينوس مكانه إلى مدينة سوی مدینتهم التي هم بها قربا منها لبعض ما يريد من أمره.

فلما رأى الفتية دقينوس قد خرج من مدینتهم بادروا قدومه، وحافظوا إذا قدم مدینتهم أن يذكر بهم، فأتمروا بينهم أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه، فيتصدقوا منها، ويتنزّدوا بما بقي، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له: بنجلوس فيمكثوا فيه، ويعبدوا الله حتى إذا رجع دقينوس أتواه فقاموا بين يديه، فيصنع بهم ما شاء. فلما قال ذلك بعضهم لبعض، عمد كلّ فتى منهم، فأخذ من بيت أبيه نفقة، فتصدق منها، وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم، واتبعهم كلّ لهم، حتى أتوا ذلك الكهف الذي في ذلك الجبل، فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا

الصلوة والصيام والتسبیح والتكبیر والتحمید، ابتغاء وجه الله تعالى، والحياة التي لا تنقطع، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يُقال له يملیخا، فكان على طعامهم، يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرّاً من أهلها وذلك أنه كان من أجملهم وأجلدهم، فكان يملیخا يصنع ذلك، فإذا دخل المدينة يضع ثياباً كانت عليه حساناً، ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطيعون فيها، ثم يأخذ ورقه، فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاماً وشراباً، ويتسّع ويتجسّس لهم الخبر، هل ذكر هو وأصحابه بشيء من ملء المدينة، ثم يرجع إلى أصحابه بطعمتهم وشرابهم، ويخبرهم بما سمع من أخبار الناس، فلبثوا بذلك ما لبثوا.

ثم قدم دقینوس الجبار المدينة التي منها خرج إلى مدینته، وهي مدینة أفسوس فأمر عظماء أهلها، فذبحوا للطواوغیت، ففرز من ذلك أهل الإيمان، فتخابوا من كل مخبأ وكان يملیخا بالمدینة يشتري لأصحابه طعامهم وشرابهم ببعض نفقتهم، فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، فأخبرهم أن الجبار دقینوس قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا وافتقدوا والتمسوا مع عظماء أهل المدينة ليذبحوا للطواوغیت فلما أخبرهم بذلك، فزعوا فرعاً شديداً، ووقعوا سجوداً على وجوههم يدعون الله، ويتصرّرون إليه، ويتعوّذون به من الفتنة ثم إن يملیخا قال لهم: يا إخواته، ارفعوا رؤوسكم، فاطعموا من هذا الطعام الذي جئتكم به، وتكلموا على ربكم فرفعوا رؤوسهم، وأعينهم تقپیص من الدمع حذراً وتخوّفاً على أنفسهم، فطعموا منه، وذلك مع غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدّثون ويتدارسون، ويدرك بعضهم بعضاً على حزن منهم، مشفقين مما أتاهم به صاحبهم من الخبر.

فييناهم على ذلك، إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف سنين عدداً، وكلهم باسط ذراعيه بباب الکھف، فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون، مصدقون بالوعد، ونفقتهم موضوعة عندهم فلما كان الغد فقدهم دقینوس، فالتمسهم فلم يجدهم، فقال لعظماء أهل المدينة: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا. لقد كانوا يظنون أن بي غصباً عليهم فيما صنعوا في أول شأنهم، لجهلهم ما جهلوا من أمري، ما كنت لأجهل عليهم في نفسي، ولا أؤخذ أحداً منهم بشيء إن هم تابوا وعبدوا آهتي، ولو فعلوا لتركتهم، وما عاقبهم بشيء سلف منهم. فقال له عظماء أهل المدينة: ما أنت بحقيقة أن ترحم قوماً فجرة مرددة عصاة، مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم، وقد كنت أجلتهم أجيلاً، وأخرتهم عن العقوبة التي أصبت بها غيرهم، ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا ولم ينزعوا ولم يندموا على ما فعلوا، وكانتوا منذ انطلقت بيذرون أموالهم بالمدینة فلما علموا بقدومك فرّوا فلم يُروا بعد. فإن أحببت أن تؤتى بهم، فأرسل إلى آبائهم فامتحنهم، واسدد عليهم يذلوك عليهم، فإنهم مختبئون منك.

فلما قالوا ذلك لدقینوس الجبار، غضب غصباً شديداً، ثم أرسل إلى آبائهم، فأتى بهم فسألهم عنهم وقال: أخبروني عن أبناءكم المردة الذين عصوا أمري، وتركوا آهتي أئتونني بهم، وأنبئوني بمكانهم فقال له آباؤهم: أما نحن فلم نعص أمرك ولم نخالفك. قد عبّدنا آهتك وذبحنا لهم، فلم تقتلنا في قوم مرددة، قد ذهبوا بأموالنا فيذرونها وأهلکوها في

أسواق المدينة، ثم انطلقوا، فارتقاوا في جبل يدعى بنجلوس، وبينه وبين المدينة أرض بعيدة هرما منك؟ فلما قالوا ذلك خلى سيلهم، وجعل يأتمر ماذا يصنع بالفتية، فألقى الله عز وجل في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم كرامة من الله، أراد أن يكرمه، وبكرم أجساد الفتية، فلا يجول، ولا يطوف بها شيء، وأراد أن يحييهم، ويجعلهم آية لأمة سُتُّخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. فأمر دقينوس بالكهف أن يسد عليهم، وقال: دعوا هؤلاء الفتية المراءة الذين تركوا آلهتي فليموتوا كما هم في الكهف عطشا وجوعا، ول يكن كهفهم الذي اختاروا لأنفسهم قبرا لهم ففعل بهم ذلك عدو الله، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم، وقد تَوْفَى الله أرواحهم وفيات النوم، وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف، قد عَشَاه اللهم ما غشاهم، يُقلِّبون ذات اليمين ذات الشمال.

ثم إن رحلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقينوس يكتمان إيمانهما: اسم أحدهما بيروس، واسم الآخر: روناس، فأتمرا أن يكتبَا شأن الفتية أصحاب الكهف، أنسابهم وأسماء آبائهم، وقصة خبرهم في لوحين من رصاص، ثم يصنعا له تابوتا من نحاس، ثم يجعلان اللوحين فيه، ثم يكتبَا عليه في فم الكهف بين ظهراني البنيان، ويختتما على التابوت بخاتمهما، وقالا: لعل الله أن يُظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيمة، فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم، ففعلا ثم بنينا عليه في البنيان، فبقي دقينوس وقرنه الذين كانوا منهم ما شاء الله أن يبيقوا، ثم هلك دقينوس والقرن الذي كانوا معه، وقررون بعده كثيرة، وخلفت الخلوف بعد الخلوف.

17280. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: كان أصحاب الكهف أبناء عظاماء مدینتهم، وأهل شرفهم، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئاً ما أظنّ أن أحداً يجده، قالوا: ماذا تجد؟ قال: أجد في نفسي أن رب السموات والأرض، قالوا: نحن نجد. فقاموا جميعاً، فقالوا: رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ لَنْ تَذْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَّا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطاً، فاجتمعوا أن يدخلوا الكهف، وعلى مدینتهم إذ ذاك جبار يقال له دقينوس، فلبثوا في الكهف ثلاثة مئة سنين وازدادوا تسعين رقداً.

17281. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: كان أصحاب الكهف فتیاناً ملوكاً مُطْوَقِين مُسَوَّرين ذوي ذواب، وكان معهم كلب صيدهم، فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب، وأخرجوها معهم الهمم التي يبعدون. وقذف الله في قلوب الفتية الإيمان فآمنوا، وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن صاحبه، فقالوا في أنفسهم من غير أن يظهر إيمان بعضهم لبعض: نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيّبنا عقاب بجرائمهم. فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة، فجلس فيه، ثم خرج آخر فرأه جالساً وحده، فرجأ أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر منه، فجاء حتى جلس إليه، ثم خرج الآخرون، فجاؤوا حتى جلسوا إليّهما، فاجتمعوا، فقال بعضهم: ما جمعكم؟ وقال آخر: بل ما جمعكم؟ وكل يكتم إيمانه من صاحبه مخافة

على نفسه، ثم قالوا: ليخرج منكم فَتَيَان، فِي خَلْوَةٍ، فَيَتواثِقُوا أَنْ لَا يُفْشِيَ
وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ يُفْشِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ أَمْرَهُ، فَإِنَّا نَرْجُو
أَنْ نَكُونَ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ. فَخَرَجَ فَتَيَانُ مِنْهُمْ فَتَواثِقُوا، ثُمَّ تَكَلَّمَا، فَذَكَرَ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَمْرَهُ لِصَاحِبِهِ، فَأَقْبَلَا مُسْتَبَشِّرِينَ إِلَى أَصْحَابِهِمَا قَدْ اتَّفَقُوا عَلَى
أَمْرٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا هُمْ جَمِيعًا عَلَى الإِيمَانِ، وَإِذَا كَهْفٌ فِي الْجَبَلِ قَرِيبٌ مِنْهُمْ،
فَقَالُوا بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ: أَئْتُمَا إِلَى الْكَهْفِ يَسْتَشْرِفُ لَكُمْ رَتِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَتُهَبِّيَءُ
لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا فَدَخَلُوا الْكَهْفَ وَمَعَهُمْ كُلُّ بَنِي صَيْدِهِمْ فَنَامُوا، فَجَعَلَهُ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَقْدَةً وَاحِدَةً، فَنَامُوا ثَلَاثَ مِائَةَ سَنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا. قَالَ:
وَفَقَدُهُمْ قَوْمُهُمْ فَطَلَبُوهُمْ وَبَعْثُوا الْبَرْدَ، فَعَمِيَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آثَارُهُمْ وَكَهْفُهُمْ.
فَلَمَّا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ كَتَبُوا أَسْمَاءِهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ فِي لَوْحٍ: فَلَانَ ابْنَ فَلَانَ،
وَفَلَانَ ابْنَ فَلَانَ أَبْنَاءَ مَلُوكَنَا، فَقَدَنَاهُمْ فِي عِيدٍ كَذَا وَكَذَا فِي شَهْرٍ كَذَا وَكَذَا
فِي سَنَةٍ كَذَا وَكَذَا، فِي مَمْلَكَةٍ فَلَانَ ابْنَ فَلَانَ وَرَفَعُوا الْلَوْحَ فِي الْخَرَانَةِ.
فَمَاتَ ذَلِكَ الْمَلَكُ وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ مَلَكُ مُسْلِمٍ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَ قَرْنَ بَعْدَ
قَرْنَ، فَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةَ سَنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا.
وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَ مَصِيرُهُمْ إِلَى الْكَهْفِ هَرَبَا مِنْ طَلْبِ سُلْطَانٍ كَانَ
طَلْبُهُمْ بِسَبِيلِ دَعْوَى جَنَاهِيَةٍ ادْعَى عَلَى صَاحِبِ لَهُمْ أَنَّهُ جَنَاهَا. ذَكَرَ مَنْ قَالَ
ذَلِكَ:

17282- حَدَثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا
مُعْمَرٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ شَرْوَسَ، أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبَ بْنَ مُنْبِهِ يَقُولُ:
جَاءَ حَوَارِيٌّ عِيسَى ابْنُ مُرِيمٍ إِلَى مَدِينَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْخُلَهَا،
فَقَيْلَ لَهُ: إِنْ عَلَى بَابِهَا صَنْمَا لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ إِلَّا سَجَدَ لَهُ فَكَرِهَ أَنْ
يَدْخُلَهَا، فَأَتَى حَمَّاماً، فَكَانَ فِيهِ قَرِيبًا مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَعْمَلُ فِيهِ
يَؤَاجِرُ نَفْسَهُ مِنْ صَاحِبِ الْحَمَامِ. وَرَأَى صَاحِبَ الْحَمَامِ فِي حَمَامِهِ الْبَرْكَةَ
وَدَرَّ عَلَيْهِ الرِّزْقَ، فَجَعَلَ يَعْرَضُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَجَعَلَ يَسْتَرِسُ إِلَيْهِ، وَعَلَقَهُ
فَتِيهٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَجَعَلَ يَخْبِرُهُمْ خَبْرَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَخَبْرَ الْآخِرَةِ،
حَتَّى أَمْنَوْا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَكَانُوا عَلَى مِثْلِ حَالِهِ فِي حُسْنِ الْهَيَّةِ. وَكَانَ
يُشَرِّطُ عَلَى صَاحِبِ الْحَمَامِ أَنْ الْلَّيْلَ لَيْلاً لَا تَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنِ الصَّلَاةِ
إِذَا حَضَرْتُ فَكَانَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جَاءَ ابْنُ الْمَلَكَ بِأَمْرِهِ، فَدَخَلَ بَهَا
الْحَمَامَ، فَعَيْرَهُ الْحَوَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْتَ ابْنُ الْمَلَكِ، وَتَدْخُلُ مَعَكُ هَذِهِ
النَّكَدَاءِ؟ فَاسْتَحْيَا، فَذَهَبَ فَرَجَعَ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ مَثْلُ ذَلِكَ، فَسَبَهُ
وَأَنْتَهَهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلَتْ مَعَهُ الْمَرْأَةُ، فَمَاتَتْ فِي الْحَمَامِ
جَمِيعًا. فَأَتَى الْمَلَكُ، فَقَيْلَ لَهُ: قُتِلَ صَاحِبُ الْحَمَامِ ابْنُكَ فَالْتُّمْسُوْسِ، فَلَمْ
يَقْدِرْ عَلَيْهِ هَرَبًا، قَالَ: مَنْ كَانَ يَصْبِهِ؟ فَسَمِعُوا الْفَتِيهَ، فَالْتُّمْسُوْسُ،
فَخَرَجُوا مِنْ الْمَدِينَةِ، فَمَرَّوْا بِصَاحِبِهِمْ لَهُمْ فِي زَرْعِهِ، وَهُوَ عَلَى مِثْلِ
أَمْرِهِمْ، فَذَكَرُوا أَنْهُمُ التُّمْسُوْسُ، فَانْطَلَقُوا مَعَهُمُ الْكَلْبُ، حَتَّى أَوَاهَمُ الْلَّيْلَ
إِلَى الْكَهْفِ، فَدَخَلُوهُ، فَقَالُوا: نَبِيتُ هَهُنَا الْلَّيْلَةَ، ثُمَّ نَصِحُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
فَتَرُونَ رَأْيَكُمْ، فَضَرَبُ عَلَى أَذَانِهِمْ. فَخَرَجَ الْمَلَكُ فِي أَصْحَابِهِ يَتَعَوَّنُهُمْ
حَتَّى وَجَدُوهُمْ قَدْ دَخَلُوا الْكَهْفَ فَكُلُّمَا أَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَدْخُلَ أَرْبَعَ، فَلَمْ
يَطْلُقْ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ، فَقَالَ قَائِلًا: أَلِيَسْ لَوْكَنْتُ قَدِرْتُ عَلَيْهِمْ قَتْلَتُهُمْ؟ قَالَ:
بَلَى قَالَ: فَابْنُ عَلَيْهِمْ بَابُ الْكَهْفِ، وَدَعَهُمْ فِيهِ يَمُوتُوا عَطْشاً وَجَوْءًا،
فَفَعَلَ.

الآية : 11 - 12

القول في تأويل قوله تعالى: {فَصَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَاداً * ثُمَّ بَعَثَنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ}: فضربنا على

آذانهم بالنوم في الكهف: أي ألقينا عليهم النوم، كما يقول القائل لآخر: ضربك الله بالفالج، بمعنى ابتلاه الله به، وأرسله عليه. قوله: ثُمَّ بَعَثَنَا عَدَاداً يعني سنين معدودة، ونصب العدد بقوله فَصَرَبْنَا. يقول: ثُمَّ بَعَثَنَا هُمْ لِتَعْلَمَ أَيِّ الْحِزْبَيْنِ أَخْصَى يَقُولُ: ثُمَّ بَعَثَنَا هُؤُلَاءِ الْفَتِيَّةِ الَّذِينَ أَوْفَاهُ إِلَى الْكَهْفِ بَعْدَ مَا ضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي سِنِينَ عَدَاداً مِّنْ رِقْدَتِهِمْ، لِيُنَظِّرُ عَبَادِي فَيَعْلَمُوا بِالْبَحْثِ، أَيِّ الطَّائِفَتَيْنِ الَّتِيْنِ اخْتَلَفَتَا فِي قَدْرِ مَبْلُغِ مُكْثَةِ الْفَتِيَّةِ فِي كَهْفِهِمْ رَقْوَدًا أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمْدَادِيَّا يَقُولُ: أَصْوَبُ لِقَدْرِ لِبِثِهِمْ فِيهِ أَمْدَادِيَّا وَيَعْنِي بِالْأَمْدِ: الْغَايَةِ، كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ:

إِلَّا لِمَتِلَكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبِيقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى الْأَمْدِ
وُذَكِّرَ أَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْوَرِهِمْ، قَوْمٌ مِّنْ قَوْمِ الْفَتِيَّةِ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ: كَانَ الْحَزَبَيْنَ جَمِيعًا كَافِرِيْنَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ كَانَ أَحَدُهُمَا
مُسْلِمًا، وَالْأَخْرَ كَافِرًا. ذَكَرَ مِنْ قَالَ: كَانَ الْحَزَبَيْنَ مِنْ قَوْمِ الْفَتِيَّةِ:
17283 حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَوْ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا
عِيسَى، عَنْ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدِيَّ الْحِزْبَيْنِ مِنْ قَوْمِ الْفَتِيَّةِ.
حدَّثَنِي الْحَرْثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ أَبِي
نَجِيجٍ، عَنْ مَجَاهِدِ، بِنْ حَوْهَ.

حدَّثَنِي الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَاجُ، عَنْ أَبِي جَرِيجٍ،
عَنْ مَجَاهِدِ، مِثْلِهِ.

17284 حَدَّثَنَا بَشَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ
ثُمَّ بَعَثَنَا هُمْ لِتَعْلَمَ أَيِّ الْحِزْبَيْنِ أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمْدَادِيَّا يَقُولُ: مَا كَانَ لَوْاحِدٌ
مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَمَ، لَا لِكَفَارِهِمْ وَلَا لِمُؤْمِنِيهِمْ.
وَأَمَّا قَوْلُهُ: أَمْدَادِيَّا فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ:
بعِيدًا. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

17285 حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: ثَنِي مَعَاوِيَةَ، عَنْ عَلِيٍّ،
عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ لِمَا لَبِثُوا أَمْدَادِيَّا يَقُولُ: بِعِيدًا.
وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: عَدَادًا. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

17286 حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَوْ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا
عِيسَى، عَنْ أَبِي نَجِيجٍ، عَنْ مَجَاهِدِ أَمْدَادِيَّا قَالَ: عَدَادًا.
حدَّثَنِي الْحَرْثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ أَبِي
نَجِيجٍ، عَنْ مَجَاهِدِ، مِثْلِهِ.

حدَّثَنِي الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَاجُ، عَنْ أَبِي جَرِيجٍ، عَنْ
مَجَاهِدِ، مِثْلِهِ.

وَفِي نَصْبِ قَوْلِهِ أَمْدَادِيَّا وَجَهَانَ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى التَّفْسِيرِ مِنْ
قَوْلِهِ أَخْصَى كَانَهُ قَيْلَ: أَيِّ الْحِزْبَيْنِ أَصْوَبُ عَدَادًا لِقَدْرِ لِبِثِهِمْ.
وَهَذَا هُوَ أَوْلَى الْوَجْهَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، لَأَنَّ تَفْسِيرَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ بِذَلِكَ
جَاءَ.

وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِوَقْوَعِ قَوْلِهِ لِبِثُوا عَلَيْهِ، كَانَهُ قَالَ: أَيِّ الْحِزْبَيْنِ
أَخْصَى لِبِثِهِمْ غَايَةً.

الآية : 13 - 14

القول في تأويل قوله تعالى {يَجْنُونَ تَقْصِيرًا عَلَيْكَ نَبَأْهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزَدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَّا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: نحن يا محمد نقص عليك خير هؤلاء الفتية الذين أتوا إلى الكهف بالحق، يعني: بالصدق واليقين الذي لا شك فيه إنهم فتيّة آمنوا بربهم يقول: إن الفتية الذين أتوا إلى الكهف الذين سألك عن نبئهم الملا من مشركي قومك، فتية آمنوا بربهم، وزدناهم هدى يقول: وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيمانا، وبصيرة بدينه، حتى صبروا على هجران دار قومهم، والهرب من بين أظهرهم بدينه، وفارق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه، إلى خشونة المكث في كهف الجبل.

وقوله: وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ يقول عز ذكره: وألهمناهم الصبر، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان حتى عرفت أنفسهم بما كانوا عليه من خفض العيش، كما:

17287- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ يقول: بالإيمان.

وقوله: إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يقول: حين قاموا بين يدي الجبار دقينوس، فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته: رب السموات والأرض يقول: قالوا ربنا ملك السموات والأرض وما فيهما من شيء، وألهتك مربوبة، وغير جائز لنا أن نترك عبادة الرب ونعبد المربيوب لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَّا يَقُولُ: لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِ رَبِّ السموات والأرض إليها، لأنها لا إله غيره، وإن كل ما دونه فهو خلقه لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا يَقُولُ جل ثناؤه: لَئِنْ دَعَوْنَا إِلَيْهَا غَيْرُ إِلَهِ السموات والأرض، لقد قلنا إذن بدعائنا غيره إليها، شططا من القول: يعني غالبا من الكذب، مجاوزا مقداره في البطول والغلو: كما قال الشاعر:

ألا يَلْقَوْمِي قَدْ أَشْطَطْتُ عَوَادِلِيُّوْزْعُمْ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّي بِاطْلِي
يقال منه: قد أشطط فلان في السوم إذا جاوز القدر وارتفع، يشطط إشطاطا وشططا. فأما من بعد فإنما يقال: شطط منزل فلان يشطط شطوطا ومن الطول: شطط الجارية تشطط شططا وشطاطة: إذا طالت. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله شططا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17288- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا يَقُولُ كذبا.

17289- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا قال: لقد قلنا إذن خطأ، قال: الشطط: الخطأ من القول.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {هَوَلَاءُ فَوْمَنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلَهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}.

يقول عز ذكره مخيراً عن قيل الفتية من أصحاب الكهف: هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها من دونه لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يقول: هلا يأتون على عبادتهم إياها بحجّة بينة. وفي الكلام محفوظ

اجترىء بما ظهر عما حذف، وذلك في قوله: **لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلطَانٍ**
بَيْنَ فَالْهَاءِ وَالْمِيمِ فِي عَلَيْهِمْ مِنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ، وَالْإِلَهَةُ لَا يَؤْتَى عَلَيْهَا
بِسُلطَانٍ، وَلَا يُسَأَّلُ السُلطَانُ عَلَيْهَا، إِنَّمَا يُسَأَّلُ عَابِدُوهَا السُلطَانُ عَلَى
عِبَادَتِهِمُوها، فَمَعْلُومٌ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، أَنْ مَعْنَى الْكَلَامِ: لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَى
عِبَادَتِهِمُوها، وَاتَّخَادُهُمُوها إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ بِسُلطَانٍ بَيْنَهُمْ وَنَحْنُ مَا قَلَّنَا
فِي مَعْنَى السُلطَانِ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلَ.

ذكر من قال ذلك:
لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلطَانٍ بَيْنَ يَقُولُ: بَعْذَرْ بَيْنَ.

وعنِّي بِقَوْلِهِ عَزَّ ذِكْرُهُ: **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَنْ أَشَدَّ**
اعْتِدَاءً وَإِشْرَاكًا بِاللَّهِ، مِنْ اخْتِلَقَ، فَتَخَرَّصَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، وَأَشْرَكَ مَعَ
اللَّهِ فِي سُلْطَانِهِ شَرِيكًا يَعْبُدُهُ دُونَهِ، وَيَتَّخِدُهُ إِلَيْهَا.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى {وَإِذْ اغْتَرَ لِتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوْوا
إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا} .
يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل بعض الفتية لبعض: وإذا اعترزلتم أيها
الفتية قومكم الذين اتخذوا من دون الله إلهة وما يعبدون إلا الله يقول:
وإذا اعترزلتم قومكم الذين يعبدون من الآلهة سوى الله، ف«ما» إذ كان
ذلك معناه في موضع نصب عطفا لها على الهاء، والميم التي في قوله
وإذ اغْتَرَ لِتُمُوهُمْ. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من
قال ذلك:

لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلطَانٍ بَيْنَ يَقُولُ: بَعْذَرْ بَيْنَ.
وَإِذْ اغْتَرَ لِتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَهِيَ فِي مَصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ: «وَمَا
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» هَذَا تَفْسِيرُهَا.

وأما قوله: **فَأَوْوا إِلَى الْكَهْفِ** فإنه يعني به: فصيروا إلى غار الجبل الذي
يسْمَى بنجلوس، **يَنْشُرُ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ** يقول: يبسط لكم ربكم من
رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي قد رُميتم به من الكافر
دقينوس وطلبه إياكم لعراضكم على الفتنة.

وقوله: **فَأَوْوا إِلَى الْكَهْفِ جَوَابٌ لِإِذْ**، كأن معنى الكلام: إذا اعترزلتم أيها
القوم قومكم، **فَأَوْوا إِلَى الْكَهْفِ** كما يقال: إذا ذنبت فاستغفر لله وتب
إليه.

وقوله: **وَيُهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا** يقول: وييسر لكم من أمركم الذي
أنتم فيه من الغم والكرب خوفا منكم على أنفسكم ودينكم مرفقا،
يعني بالمرفق: ما ترتفقون به من شيء. وفي المرفق من اليد وغير
اليد لغتان: كسر الميم وفتح الفاء، وفتح الميم وكسر الفاء. وكان
الكسائي يُنكر في مرفق الإنسان الذي في اليد إلا فتح اليم وكسر
الميم. وكان الفراء يحكى فيهما، يعني في مرافق الأمر واليد اللغتين
كلتيمهما، وكان ينشد في ذلك قول الشاعر:

(بَتْ أَجَافِي مِرْفَقًا عَنْ مِرْفَقِي)

ويقول: كسر الميم فيه أجود.

وكان بعض نحوّي أهل البصرة يقول في قوله: **مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا** شيئا
ترتفقون به مثل المقطع، ومرفقا جعله اسمًا كالمسجد، ويكون لغة،
يقولون: رفق يَرْفُقْ مَرْفَقًا، وإن شئت مَرْفَقًا تزيد رفقا ولم يُفَرِّقْ.

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك. فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة: «وَيُهِيئُ لَكُم مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفِقاً» بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأته عامّة قراء العراق في المصريين مِرْفِقاً بكسر الميم وفتح الفاء.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهم قراءاتان بمعنى واحد، قد قرأ بكلٍّ واحدة منهم قراء من أهل القرآن، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب. غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن الذي اختار في قراءة ذلك: وَيُهِيئُ لَكُمْ أَمْرِكُمْ مِرْفِقاً بكسر الميم وفتح الفاء، لأن ذلك أفعى اللغتين وأشهرهما في العرب، وكذلك ذلك في كلٍّ ما اتفق به من شيء.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوِرٌ عَنْ كَهْفِهِمْ دَأْتَ الْيَمِينَ وَإِذَا غَرَبَتْ تَفْرِضُهُمْ دَأْتَ الشَّمَالَ وَهُمْ فِي جُحْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهَيَّدُ وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مَرْشِدًا}. يقول تعالى ذكره وتراوى الشمس يامحمد إذا طلعت تراواز عن كهفهم دأْتَ الْيَمِينَ. يعني بقوله: تراواز: تعديل وتميل، من الزور: وهو العوج والميل يقال منه: في هذه الأرض رَوْرٌ: إذا كان فيها اعوجاج، وفي فلان عن فلان ازورار، إذا كان فيه عنه إعراض ومنه قول بشر بن أبي خازم: يَوْمَ يَهَا الْخُدَاءُ مِيَاهَ تَخْلِوْفِيهَا عَنْ أَبَائِينِ ازْوَارٍ يعني: إعراضاً وصدماً.

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قراء المدينة ومكة والبصرة: «تَرَاوِرٌ» بتشدید الزاي، يُعنی: تتراواز بـتاءين، ثم أدغم إحدى التاءين في الزاي، كما قيل: تظاهرون عليهم. وقرأ ذلك عامّة قراء الكوفيین: تَرَاوِرٌ بتخفيف التاء والزاي، كأنه عنى به تفاعل من الزور. وروي عن بعضهم: «تَرْوَرٌ» بتخفيف التاء وتسكين الزاي وتشدید الراء مثل تحمر، وبعضهم: «تَرْوَازٌ» مثل تحمار.

والصواب من القول في قراءة ذلك عندنا أن يقال: إنهم قراءاتان، أعني تراواز بتخفيف الزاي، وتراواز بتشدیدها معروفتان، مستفيضة القراءة بكلٍّ واحدة منها في قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب الصواب. وأما القراءاتان الآخريان فإنهما قراءاتان لا أرى القراءة بهما، وإن كان لهما في العربية وجه مفهوم، لشذوذهما عما عليه قراءة الأمصار. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله تراواز عن كهفهم قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17292- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا محمد بن أبي الوضاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، قال: وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوِرٌ عَنْ كَهْفِهِمْ دَأْتَ الْيَمِينَ قال: تميل.

17293- حدثني عليٌّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس تَرَاوِرٌ عَنْ كَهْفِهِمْ دَأْتَ الْيَمِينَ يقول: تميل عنهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوِرٌ عَنْ كَهْفِهِمْ دَأْتَ الْيَمِينَ وَإِذَا غَرَبَتْ تَفْرِضُهُمْ دَأْتَ الشَّمَالَ يقول: تميل عن كهفهم يميناً وشمالاً.

17294. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَتَرِي الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَأَوْرُ عَنْ كَهْفِهِمْ دَاتَ الْيَمِينِ يقول: تميل ذات اليمين، تدعهم ذات اليمين.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معاشر، عن قتادة، في قوله: تَرَأَوْرُ عَنْ كَهْفِهِمْ دَاتَ الْيَمِينِ قال: تميل عن كهفهم ذات اليمين.

17295. حُدِثَتْ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، عَنْ سَفِيَانَ بْنِ حَسِينٍ، عَنْ يَعْلَمَ بْنِ مُسْلِمَ، عَنْ سَعِيدَ بْنِ جَبَرٍ، عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ، قَالَ: لَوْ أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعَ عَلَيْهِمْ لِأَحْرَقْتَهُمْ، وَلَوْ أَنَّهُمْ لَا يَقْلِبُونَ لِأَكْلِتَهُمُ الْأَرْضَ، قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَتَرِي الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَأَوْرُ عَنْ كَهْفِهِمْ دَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِصُهُمْ دَاتَ الشَّمَالِ.

حدثني محمد بن سنان القزار، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن مسلم بن أبي الواضاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، قال: تَرَأَوْرُ عَنْ كَهْفِهِمْ تميل.

وقوله: وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِصُهُمْ دَاتَ الشَّمَالِ يقول تعالى ذكره: وإذا غربت الشمس تتركهم من ذات شملتهم. وإنما معنى الكلام: وترى الشمس إذا طلعت تعذر عن كهفهم، فتطلع عليه من ذات اليمين، لئلا تصيب الفتية، لأنها لو طلعت عليهم قبلهم لأحرقتهم وثيابهم، أو أشحبتهم. وإذا غربت تتركهم بذات الشمال، فلا تصيبهم يقال منه: قرضت موضع كذا: إذا قطعته فجاوزته. وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة. وأما الكوفيون فإنهم يزعمون أنه المحاذاة، وذكروا أنهم سمعوا من العرب قرضته قُبْلًا ودُبْرًا، وحذوته ذات اليمين والشمال، وقبلاً ودبراً: أي كنت بحذائه قالوا: والقرض والحدو بمعنى واحد. وأصل القرض: القطع، يقال منه: قرضت الثوب: إذا قطعته ومنه قيل للمقراض: مقراض، لأنه يقطع منه قرض الفار الثوب ومنه قول ذي الرّمة:

إِلَى طَعْنٍ يَقْرِصُنَ أَجْوَارَ مُشْرِفِ شِمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ يعني بقوله: يَقْرِصُنْ: يقطعن. وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

17296. حدثني عليّ، قال: ثني أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِصُهُمْ دَاتَ الشَّمَالِ يقول: تَذَرُّهُمْ.

17297. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا محمد بن أبي الواضاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، قال: وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِصُهُمْ تتركهم ذات الشمال.

17298. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرج، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: تَقْرِصُهُمْ قال: تتركهم. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17299. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِصُهُمْ دَاتَ الشَّمَالِ يقول: تدعهم ذات الشمال.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمَر، عن قتادة، قوله: تَقْرِصُهُمْ ذَاتُ الشَّمَالِ قال: تَدْعُهُمْ ذَاتُ الشَّمَالِ.
حدثنا ابن سنان القَرَّاز، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: أخبرنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح عن سالم، عن سعيد بن جبير وَإِذَا عَرَبَتْ تَقْرِصُهُمْ قال: تَرَكُهُمْ.

وقوله: وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ يقول: والفتية الذين أتوا إليه في متسع منه يُخْمِعُونَ فَجَوَاتٍ، وَفِجَاءَ مَمْدُودًا. وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلَنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

17300 حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ يقول: في فضاء من الكهف، قال الله: ذلك مِنْ آياتِ الله.

17301 حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا محمد بن أبي الوضاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ قال: المكان الداخل.

17302 حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ قال: المكان الذاهب.

حدثني ابن سنان، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن مسلم أبو سعيد بن أبي الوضاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ قال: في مكان داخل.

وقوله: ذلك مِنْ آياتِ الله يقول عَزَّ ذَكْرُهُ: فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء الفتية الذين قصصنا عليكم أمرهم من تصويرناهم، إذ أردنا أن نضرب على آذانهم بحيث تزاور الشمس عن مصالعهم ذات اليمين إذا هي طلعت، وتقرضهم ذات الشمال إذا هي عَرَبتْ، مع كونهم في المتسع من المكان، بحيث لا يحرقهم الشمس فتشحّبهم، ولا يُبلِي على طول رقادتهم ثيابهم، فتعفن على أجسادهم، من حجج الله وأدلة على خلقه، والأدلة التي يستدلّ بها أولو الألباب على عظيم قدرته وسلطانه، وأنه لا يعجزه شيء أراده. قوله مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ يقول عَزَّ وجَلَّ: من يوفقه الله للاهتداء بأياته وحججه إلى الحقّ التي جعلها أدلة عليه، فهو المهدي.

يقول: فهو الذي قد أصاب سبيل الحقّ ومن يُصْلِلُ يقول: ومن أضلَهُ الله عن آياته وأدله، فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد فَلَنْ تَجِدَ لَهُ قَلِيلًا مُرْشِداً يقول: فلن تجد له يا محمد خليلاً وحليفاً يرشده لإصابتها، لأن التوفيق والخذلان بيد الله، يوفق من يشاء من عباده، وبخذل من أراد يقول: فلا يخزيك إدبار من أدرك عنك من قومك وتكذبهم إياك، فإني لو شئت هديتهم فآمنوا، وبيدي الهدایة والضلالة.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقَلْبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ يَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطْلَغْتَ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبَاً}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وتحسب يا محمد هؤلاء الفتية الذين قصصنا عليك قصتهم، لورأيتم في حال ضربنا على آذانهم في كفهم الذي أتوا إليه أيقاطاً. والأيقاط: جمع يَقِظ و منه قول الراجز:

- وَوَجَدُوا إِحْوَتَهُمْ أَيْقَاطًا وَسَيْفَ عَيَّاطٍ لَهُمْ عَيَّاطًا
وقوله: وَهُمْ رُقوْدٌ يقول: وهم نياً. والرقود: جمع راقد، كالجلوس: جمع
جالس، والقعود: جمع قاعد. قوله: وَنُقلَّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينَ وَذَاتَ الشَّمَالِ
يقول جل تناوه: ونقلب هؤلاء الفتية في رقتهم مرتة للجنب الأيمن،
ومرة للجنب الأيسر، كما:
17303. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:
وَنُقلَّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينَ وَذَاتَ الشَّمَالِ وهذا التقليب في رقتهم الأولى.
قال: وذكر لنا أن أبي عياض قال: لهم في كل عام تقليبتان.
17304. حدثت عن يزيد، قال: أخبرنا سفيان بن حسين، عن يعلى بن
مسلم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس وَنُقلَّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينَ وَذَاتَ
الشَّمَالِ قال: لو أنهم لا يقلبون لأكلتهم الأرض.
وقوله: وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ اختلف أهل التأويل في الذي عنى
الله بقوله: وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ فقال بعضهم: هو كلب من كلابهم كان
معهم. وقد ذكرنا كثيراً ممن قال ذلك فيما مضى. وقال بعضهم: كان
إنساناً من الناس طباخاً لهم ثم بعهم.
وأما الوصيد، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: هو
الفناء. ذكر من قال ذلك:
17305. حدثني عليٌّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن
عليٌّ، عن ابن عباس، قوله: بالوَصِيدِ يقول: بالفناء.
17306. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديٌّ، قال:
حدثنا محمد بن أبي الوضاح، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير
وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ قال: بالفناء.
17307. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا
عيسيٌّ وحدثني الحرات، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن
ابن أبي نجيح، عن مجاهد بالوَصِيدِ قال: بالفناء.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، عن
مجاهد بالوَصِيدِ قال: بالفناء. قال ابن حريج: يمسك بباب الكهف.
17308. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَكَلْبُهُمْ
بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ يقول: بفناء الكهف.
حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن
قتادة، قوله: بالوَصِيدِ قال: بفناء الكهف.
17309. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبي معاذ يقول: حدثنا عبيد بن
سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: بالوَصِيدِ قال: يعني
الفناء.
- و قال آخرون: الوَصِيدِ: الصعيد. ذكر من قال ذلك:
17310. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال:
ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ
يعني فناءهم، ويقال: الوَصِيدِ: الصعيد.
17311. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن هارون، عن عترة، عن
سعيد بن جبير، في قوله: وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ قال: الوَصِيدِ:
الصعيد.

17312. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، عن عمرو، في قوله: وَكَلِبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ قال: الوصيد: الصعيد، التراب.
وقال آخرون: الوصيد الباب. ذكر من قال ذلك:

17313. حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: حدثنا أبو عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس وَكَلِبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ قال: بالباب، وقالوا بالفناء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الوصيد: الباب، أو فناء الباب حيث يغلق الباب، وذلك أن الباب يُوَضَد، وإيصاده: إطياقه وإغلاقه من قول الله عزّ وجلّ: إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْسَدَةٌ وفيه لغتان: الأصيـد، وهي لغة أهل نجد، والوصـيد: وهي لغة أهل تهامة. وذـكر عن أبي عمرو بن العلاء، قال: إنـها لغة أهل الـيمـن، وذلك نظـير قولـهم: وَرَخَتْ الـكتـابْ وَأَرَخَـتهـ، ووـكـدتـ الـأـمـرـ وـأـكـدـتـهـ فـمـنـ قـالـ الـوـصـيدـ، قـالـ: أـصـدـتـ الـبـابـ فـأـنـاـ أـوـصـدـهـ، وـهـوـ مـوـضـدـ وـمـنـ قـالـ الـأـصـيـدـ، قـالـ: أـصـدـتـ الـبـابـ فـهـوـ مـوـضـدـ، فـكـانـ مـعـنـى الـكـلـامـ: وـكـلـبـهـمـ باـسـطـ ذـرـاعـيـهـ بـفـنـاءـ كـهـفـهـمـ عـنـدـ الـبـابـ، يـحـفـظـ عـلـيـهـمـ بـاـبـهـ.

وقوله: لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً يقول: لو اطلعت عليهم في رقتـهمـ التـيـ رـقـدوـهـاـ فـيـ كـهـفـهـمـ، لـأـدـبـرـتـ عـنـهـمـ هـارـبـاـ مـنـهـمـ فـارـاـ، وَلَمـلـئـتـ مـنـهـمـ رـغـبـاـ يـقـولـ: وـلـمـلـئـتـ نـفـسـكـ مـنـ اـطـلـاعـكـ عـلـيـهـمـ فـرـعاـ، لـمـاـ كـانـ اللـهـ بـلـغـ الـكـتـابـ فـيـهـمـ أـجـلـهـ، وـتـوـقـظـهـمـ مـنـ رـقـدـتـهـمـ قـدـرـتـهـ وـسـلـطـانـهـ فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ أـرـادـ أـنـ يـجـعـلـهـمـ عـبـرـةـ لـمـنـ شـاءـ مـنـ خـلـقـهـ، وـآـيـةـ لـمـنـ أـرـادـ الـاحـتـاجـ بـهـمـ عـلـيـهـ مـنـ عـبـادـهـ، لـيـعـلـمـوـاـ أـنـ وـعـدـ اللـهـ حـقـ، وـأـنـ السـاعـةـ أـتـيـةـ لـاـ رـبـ فـيـهاـ.

واختلفت القراء في قراءة قوله: وَلَمْلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبَا فـقرـأـتـهـ عـامـةـ قـرـاءـ المـدـيـنـةـ بـتـشـدـيـدـ الـلـامـ مـنـ قـوـلـهـ: «وَلَمـلـئـتـ» بـمـعـنـىـ أـنـهـ كـانـ يـمـتـلـئـ مـرـةـ بـعـدـ مـرـةـ. وـقـرـأـ ذـلـكـ عـامـةـ قـرـاءـ الـعـرـاقـ: وَلَمـلـئـتـ بـالـتـخـفـيفـ، بـمـعـنـىـ لـمـلـئـتـ مـرـةـ، وـهـمـ عـنـدـنـاـ قـرـاءـتـانـ مـسـتـفـيـضـتـانـ فـيـ الـقـرـاءـةـ، مـتـقـارـبـتـاـ الـمـعـنـىـ، فـبـأـيـهـمـاـ قـرـأـ الـقـارـيـءـ فـمـصـيـبـ.

الآلية : 19 و 20

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ بَعْثَاهُمْ لِتَسْأَلُوا بَيْتُهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لِيَسْمُ قَالُوا لَسْنًا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَيْكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لِيَسْمُ فَبَعْثَوْا أَجَدَكُمْ بِوَرِيقُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَيَنْظُرُ أَيْهَا أَرْكَهِ طَعَامًا فَلَيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلَيَلْطِفُ وَلَا يُسْعِرَنَّ بِكُمْ أَجَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهِرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُونَكُمْ أَوْ يُعِيدُونَكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْدَأُوا } .

يقول تعالى ذكره: كما أرقـدـنـاـ هـؤـلـاءـ الـفـتـيـةـ فـيـ الـكـهـفـ، فـحـفـظـنـاهـمـ مـنـ وـصـولـ وـاـصـلـ إـلـيـهـمـ، وـعـيـنـ نـاظـرـ أـنـ يـنـظـرـ إـلـيـهـمـ، وـحـفـظـنـاهـمـ مـنـ الـبـلـاءـ عـلـىـ طـولـ الزـمانـ، وـثـيـابـهـمـ مـنـ الـعـفـنـ عـلـىـ مـرـ الـأـيـامـ بـقـدرـتـنـاـ فـكـذـلـكـ بـعـثـنـاهـمـ مـنـ رـقـدـتـهـمـ، وـأـيـقـطـنـاهـمـ مـنـ نـوـمـهـمـ، لـنـعـرـفـهـمـ عـظـيمـ سـلـطـانـنـاـ، وـعـجـيبـ فـعـلـنـاـ فـيـ خـلـقـنـاـ، وـلـيـزـدـادـوـاـ بـصـيـرـةـ فـيـ أـمـرـهـمـ الـذـيـ هـمـ عـلـيـهـ مـنـ بـرـاءـتـهـمـ مـنـ عـبـادـةـ الـأـلـهـةـ، وـإـلـاـصـهـمـ لـعـبـادـةـ اللـهـ وـحـدـهـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ، إـذـا تـبـيـّنـهـمـ يـقـولـ: لـيـسـأـلـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ قـالـ قـائـلـ مـنـهـمـ كـمـ لـيـسـمـ يـقـولـ عـزـ ذـكـرـهـ: فـتـسـأـلـوـاـ قـائـلـ مـنـهـمـ لـأـصـحـابـهـ: كـمـ لـبـثـمـ وـذـلـكـ أـنـهـمـ اـسـتـنـكـرـوـاـ مـنـ

أنفسهم طول رقتهم قالوا لِيُثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ يقول: فأجابه الآخرون فقالوا: لِيُثْنَا يَوْمًا أو بعض يوم. ظناً منهم أن ذلك كذلك كان، فقال الآخرون: رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ فَسَلِّمُوا الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ.

وقوله: فَابْتَغُوا أَحَدَكُمْ بِقَرِيقَكُمْ هَذِهِ إِلَيْهِ الْمَدِيْنَةِ يعني مدینتهم التي خرجوا منها هِرَاباً، التي تسمى أفسوس فَلَيَنْظُرْ أَيْهَا أَرْكَ طَعَاماً فَلَيَأْتِكُمْ بِرْزَقٌ مِنْهُ ذكر أنهم هبوا من رقتهم جياعاً، فلذلك طلبوا الطعام. ذكر من قال ذلك، وذكر السبب الذي من أجله ذكر أنهم بعثوا من رقتهم حين بعثوا منها:

17314. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، قال: أخبرني إسماعيل بن بشروس، أنه سمع وهب بن منبه يقول: إنهم غبروا، يعني الفتية من أصحاب الكهف بعد ما بني عليهم باب الكهف زماناً بعد زمان، ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف، فقال: لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي من المطر، فلم يزل يعالجها حتى فتح ما أدخله فيه، ورَدَ إِلَيْهِمْ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْسَامِهِمْ مِنَ الْغَدَحِينِ أَصْبَحُوا، فبعثوا أحدهم بورق يشتري طعاماً فلما أتى بباب مدینتهم، رأى شيئاً يُنْكِرُهُ، حتى دخل على رجل فقال: يعني بهذه الدرارهم طعاماً، فقال: ومن أين لك هذه الدرارهم؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس، فـأَوَانَا اللَّيلَ، ثم أصبحوا، فأرسلوني، فقال: هذه الدرارهم كانت على عهد مُلْكٍ فلان، فـأَنِّي لِكَ بِهَا؟ فرفعه إلى الملك، وكان ملكاً صالحًا، فقال: من أين لك هذه الورق؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس، حتى أدركنا الليل في كهف كذا وكذا، ثم أمروني أنأشتري لهم طعاماً قال: وأين أصحابك؟ قال: في الكهف قال: فانطلقوا معه حتى أتوا بباب الكهف، فقال: دعوني أدخل على أصحابي قبلكم فلما رأوه، ودنا منهم ضرب على أذنه وأذانهم، فجعلوا كلما دخل رجل أربع، فلم يقدروا على أن يدخلوا عليهم، فبنوا عندهم كنيسة، اتخذوها مسجداً يصلون فيه.

17315. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، عن قتادة، عن عكرمة، قال: كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، فتَعَوَّذُوا بِدِينِهِمْ، واعتزلوا قومِهِمْ، حتى انتهوا إلى الكهف، فصَرَبَ الله على سمعهم، فلَبِثُوا دهراً طويلاً، حتى هَلَكَ أَمْتَهُمْ، وجاءت أُمّةٌ مسلمة، وكان ملكهم مسلماً، فاختلقو في الروح والجسد، فقال قائل: يُبَعَّثُ الرُّوحُ وَالْجَسَدُ جَمِيعاً وَقَالَ قَائِلٌ: يُبَعَّثُ الرُّوحُ، فَأَمَا الْجَسَدُ فَتَأْكِلُهُ الْأَرْضُ، فَلَا يَكُونُ شَيْئاً فِي شَقَّ عَلَى مَلَكِهِمْ اختلافهم، فانطلق فلبس المُسُوح، وجلس على الرّماد، ثم دعا الله تعالى فقال: أي ربّ، قد ترى اختلاف هؤلاء، فابعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً، فدخل السوق، فجعل يُنْكِرُ الوجوه، ويعرف الطرق، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهراً، فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلاً يشتري منه طعاماً فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها، قال: حسبت أنه قال: كأنها أخفاف الرّبيع، يعني الإبل الصغار، فقال له الفتى: أليس ملككم فلاناً؟ قال: بل ملكنا فلان فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك، فسألته، فأخبره الفتى خبر أصحابه، فبعث الملك في الناس، فجمعهم، فقال: إنكم قد اختلفتم في الروح والجسد، وإن الله قد بعث لكم آية، فهذا رجل من قوم فلان، يعني ملكهم الذي مضى، فقال

الفتى: انطلقا بي إلى أصحابي فركب الملك، وركب معه الناس حتى انتهوا إلى الكهف فقال الفتى دعوني أدخل إلى أصحابي، فلما أبصرهم ضرب على أذنه وعلى آذانهم فلما استبطؤوه دخل الملك، ودخل الناس معه، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً، غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم. قال قنادة: وعن ابن عباس، كان قد غزا مع حبيب بن مسلمة، فمروا بالكهف، فإذا فيه عظام، فقال رجل: هذه عظام أصحاب الكهف، فقال ابن عباس: لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة.

17316. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق فيما ذكر من حديث أصحاب الكهف، قال: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تيدوسيس فلما ملك بقي ملكه ثمانية وستين سنة، فتحزب الناس في ملكه، فكانوا أحزاباً، فمنهم من يؤمن بالله، ويعلم أنّ الساعة حقّ، ومنهم من يكذب، فكبر ذلك على الملك الصالح تيدوسيس، وبكي إلى الله وتضرع إليه، وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزیدون ويظهرون على أهل الحقّ ويقولون: لا حياة إلا الحياة الدنيا، وإنما تُبعث النفوس، ولا تُبعث الأجساد، ونسوا ما في الكتاب فجعل تيدوسيس يرسل إلى من يظنّ فيه خيراً، وأنهم أئمة في الحقّ، فجعلوا يكذبون بالساعة، حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحقّ وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح تيدوسيس، دخل بيته فأغلقه عليه، ولبس مسحاً وجعل تحته رماداً، ثم جلس عليه، فدأب ذلك ليلاً ونهاراً زماناً يتضرع إلى الله، ويبكي إليه مما يرى فيه الناس ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد، أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم، و يجعلهم آية لهم، وحجة عليهم، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن يستجيب لعبده الصالح تيدوسيس، ويتم نعمته عليه، فلا ينزع منه ملكه، ولا الإيمان الذي أعطاهم، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئاً، وأن يجمع من كان تبّدّد من المؤمنين، فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف، وكان الجبل ينجلوس الذي فيه الكهف لذلك الرجل، وكان اسم ذلك الرجل أولياً، أن يهدم البناء الذي على فم الكهف، فيبني به حظيرة لغنميه، فاستأجر عاملين، فجعلان ينزعان تلك الحجارة، ويبنيان بها تلك الحظيرة، حتى نزعوا ما على فم الكهف، حتى فتحا عنهم باب الكهف، وحجبهم الله من الناس بالرعب فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم غاية ما يمكنه أن يدخل من باب الكهف، ثم يتقدّم حتى يرى كلّهم دونهم إلى باب الكهف نائماً فلما نزعوا الحجارة، وفتحا عليهم باب الكهف، أذن الله ذو القدرة والعلمة والسلطان محبي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهري الكهف، فجلسوا فرحاً مُسْفِرَةً وجوههم طيبةً أنفسهم، فسلم بعضهم على بعض، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها. ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا، كالذي كانوا يفعلون، لا يرون، ولا يُرى في وجوههم، ولا أبشارهم، ولا ألوانهم شيء يُنكرونه كهيئتهم حين رقدوا بعشّيّ أمس، وهم يرون أن ملتهم دقينوس الجبار في طلتهم والتماسهم.

فلما قصوا صلاتهم كما كانوا يفعلون، قالوا لِيملِيخا، وكان هو صاحب نفقتهم، الذي كان يتبع لهم طعامهم وشرابهم من المدينة، وجاءهم بالخبر أن دقينوس يلتمسنهم، ويسأل عنهم: أبئنا يا أخي ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمسى عند هذا الجبار؟ وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد حُيل إليهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا فيها، حتى تسألهوا بینهم، فقال بعضهم البعض: كَمْ لَيْسْمِ نِياماً؟ قَالُوا لِيَثْنَا يَوْمَا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسْمِ وَكُلُّ ذَلِكَ فِي أَنفُسِهِمْ يَسِيرٌ. فقال لَهُمْ يَمْلِيْخَا: افْتَقِدُتُمْ وَالْتَّمِسْتُمْ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُؤْتَى بِكُمُ الْيَوْمَ، فَتَذَبَّحُونَ لِلطَّوَاغِيْتِ، أَوْ يَقْتُلُكُمْ، فَمَا شَاءَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ. فقال لهم مُكْسِلِمِيْنَا: يَا إِخْوَتَاهُ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُونَ، فَلَا تَكْفُرُوا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِذَا دَعَاكُمْ عَدُوُّ اللَّهِ، وَلَا تُنْكِرُوا الْحَيَاةَ الَّتِي لَا تَبِدِّي بَعْدَ إِيمَانِكُمْ بِاللَّهِ، وَالْحَيَاةَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ ثُمَّ قَالُوا لِيَمْلِيْخَا: انْطَلِقْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَتَسْمِعْ مَا يَقَالُ لَنَا بِهَا الْيَوْمَ، وَمَا الَّذِي نُذَكِّرُ بِهِ عَنْ دَقِينُوسَ، وَتَلْطِفْ، وَلَا يَشْعَرُنَّ بِنَا أَحَدٌ، وَابْتَعِنَا طَعَامًا فَأَتَنَا بِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ آتَنَا لَكَ، وَزَدَنَا عَلَى الطَّعَامِ الَّذِي قَدْ جَئَنَا بِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ قَلِيلًا، فَقَدْ أَصْبَحَنَا جِيَاعًا فَفَعَلَ يَمْلِيْخَا كَمَا كَانَ يَفْعُلُ، وَوَضَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخْذَ الثِّيَابَ الَّتِي كَانَ يَنْتَكِرُ فِيهَا، وَأَخْذَ وَرِقَا مِنْ نفقتهم التي كانت معهم، التي ضُرِبَتْ بِطَابَعِ دقينوس الملك، فَانْطَلِقْ يَمْلِيْخَا خارجاً فَلِمَا مَرَّ بِبَابِ الْكَهْفِ، رَأَى الْحَجَارَةَ مَنْزُوْعَةَ عَنْ بَابِ الْكَهْفِ، فَعَجَبَ مِنْهَا، ثُمَّ مَرَّ فَلِمَ يَبَالُ بِهَا، حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ مَسْتَخْفِيَا يَصْدِّ عَنِ الْطَّرِيقِ تَحْوُّفًا أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا، فَيَعْرِفُهُ، فَيَذَهِبُ بِهِ إِلَى دَقِينُوسَ، وَلَا يَشَدِّرُ الْعَبْدَ الصَّالِحَ أَنْ دَقِينُوسَ وَأَهْلَ زَمَانِهِ قَدْ هَلَكُوا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثَ مِائَةٍ وَتَسْعَ سَنِينَ، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا كَانَ مَا بَيْنَ أَنْ نَامُوا إِلَى أَنْ اسْتِيقْظُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَتَسْعَ سَنِينَ. فَلِمَا رَأَى يَمْلِيْخَا بَابَ الْمَدِينَةِ رَفِعَ بَصَرَهُ، فَرَأَى فَوْقَ ظَهَرِ الْبَابِ عَلَامَةً تَكُونُ لِأَهْلِ الإِيمَانِ، إِذَا كَانَ ظَاهِرًا فِيهَا فَلِمَا رَأَاهَا عَجَبَ وَجَعَلَ يَنْظَرُ مَسْتَخْفِيَا إِلَيْهَا فَنَظَرَ يَمِينًا وَشَمَالًا، فَتَعَجَّبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ الْبَابَ، فَتَحَوَّلَ إِلَى بَابِ أَخْرَى مِنْ أَبْوَابِهَا، فَنَظَرَ فَرَأَى مِنْ ذَلِكَ مَا يَحِيطُ بِالْمَدِينَةِ كُلُّهَا، وَرَأَى عَلَى كُلِّ بَابٍ مِثْلَ ذَلِكَ فَجَعَلَ يَخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّ الْمَدِينَةَ لَيْسَ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي كَانَ يَعْرِفُ، وَرَأَى نَاسًا كَثِيرَيْنِ مُحَدِّثِيْنِ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَجَعَلَ يَمْشِي وَيَعْجَبُ وَيَخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ حِيرَانٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي أَتَى مِنْهُ، فَجَعَلَ يَعْجَبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَ شِعْرِيْ، أَمَا هَذِهِ عَشِيَّةَ أَمْسِ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَخْفُونَ هَذِهِ الْعَلَامَةَ وَيَسْتَخْفُونَ بِهَا، وَأَمَا الْيَوْمَ فَإِنَّهَا ظَاهِرَةٌ لِعَلَيْهِ حَالَمٌ؟ ثُمَّ يَرَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَائِمٍ فَأَخْذَ كَسَاءَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَمْشِي بَيْنَ ظَهْرِيِّ سُوقَهَا، فَيَسْمَعُ أَنَاسًا كَثِيرًا يَحْلِفُونَ بِاسْمِ عِيسَى ابْنِ مُرِيمَ، فَزَادَهُ فَرْقاً، وَرَأَى أَنَّهُ حِيرَانٌ، فَقَامَ مُسْنِدًا ظَهَرَهُ إِلَى جَدَارٍ مِنْ جُذْرِ الْمَدِينَةِ وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هَذِهِ أَمْسِ عَشِيَّةُ أَمْسِ فَلَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ إِنْسَانٌ يَذَكِّرُ عِيسَى ابْنَ مُرِيمَ إِلَّا قُتُلَ وَأَمَّا الْفَدَاهَ فَأَسْمَعَهُمْ، وَكُلُّ إِنْسَانٌ يَذَكِّرُ أَمْرَ عِيسَى لَا يَخَافُ ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ هَذِهِ لِيَسْتَ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي أَعْرَفُ أَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِهَا وَلَا أَعْرَفُ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ بِمَدِينَةٍ قَرَبَ مَدِينَتِنَا فَقَامَ كَالْحِيرَانَ لَا يَتَوَجَّهُ وَجْهًا ثُمَّ لَقِيَ فَتِيَّ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ يَا فَتِي؟ قَالَ: أَسْمَهَا أَفْسُوسٌ،

فقال في نفسه: لعل بي مسا، أو بي أمر أذهب عقلي؟ والله يحقّ لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شرّ فاهمك. هذا الذي يحدّث به يمليخا أصحابه حين تبين لهم ما به.

ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام، فأخرج الورق التي كانت معه، فأعطها رجلاً منهم، فقال: يعني بهذه الورق يا عبد الله طعاماً. فأخذها الرجل، فنظر إلى ضرب الورق ونقشها، فعجب منها، ثم طرحتها إلى رجل من أصحابه، فنظر إليها، ثم جعلوا يتشاركونها بينهم من رجل إلى رجل، ويتعجبون منها، ثم جعلوا يتشاركون بينهم ويقول بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد أصاب كنزاً خبيئاً في الأرض منذ زمان ودهر طويلاً فلما رأهم يتشاركون من أجله فرق فرقاً شديداً، وجعل يرتعد ويظنّ أنه قد فطنووا به وعرفوه، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقينوس يسلمونه إليه. وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرّفونه، فقال لهم وهو شديد الفرق منهم: أفضلوا عليّ، فقد أخذتم ورقي فأمسكوا، وأما طعامكم فلا حاجة لي به. قالوا له: من أنت يا فتى، وما شأنك؟ والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الأولين، فأنت ت يريد أن تخفيه منا، فانطلق معنا فأرناه وشاركنا فيه، نخف عليك ما وجدت، فإنك إن لاتفعل نأت بك السلطان، فنسلمك إليه فيقتلك. فلما سمع قولهم، عجب في نفسه فقال: قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه ثم قالوا: يا فتى إنك والله ما تستطيع أن تكتم ما وجدت، ولا تظنّ في نفسك أنه سيخفى حالك. فجعل يمليخا لا يدرى ما يقول لهم وما يرجع إليهم، وفرق حتى ما يحير إليهم جواباً فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كسائه فطقوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكة المدينة ملبّياً، حتى سمع به من فيها، فقيل: أخذ رجلٌ عنده كنز.

واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأينا فيها قطّ، وما نعرفه يجعل يمليخا لا يدرى ما يقول لهم، مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة، فرق، فسكت فلم يتكلم ولو أنه قال إنه من أهل المدينة لم يصدق. وكان مستيقناً أنّ أباًه وإخوته بالمدينة، وأن حسبه من أهل المدينة من عظامه أهلها، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا، وقد استيقن أنه من عشية أمس يعرف كثيراً من أهلها، وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحداً.

في بينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله، أبوه أو بعض إخوته فيخلصه من أيديهم، إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها، وهما رجلان صالحان، كان اسم أحدهما أريوس، واسم الآخر أسطيوس فلما انطلق به إليهما، ظنّ يمليخا أنه يُنطلق به إلى دقينوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وجعل الناس يسخرون منه، كما يُسخر من المجنون والحيران، فجعل يمليخا يبكي. ثم رفع رأسه إلى السماء وإلى الله، ثم قال: اللهم إله السموات والأرض، أولج معى روحًا منك اليوم تؤيدنى به عند هذا الجبار. وجعل يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت، وأنني يُذهب بي إلى دقينوس الجبار فلو أنهم يعلمون، فليأتون، فنقوم جميعاً بين يدي دقينوس فإننا كنا توانقنا لنكون

معا، لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئاً، ولا نعبد الطواغيت من دون الله. فُرِّقَ بيني وبينهم، فلن يرونني ولن أراهم أبداً وقد كنا تواثقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبداً. يا ليت شعري ما هو فاعل بي؟ أفاللي هو أم لا؟ ذلك الذي يحذّث به يمليخا نفسه فيما أخبر أصحابه حين رجع إليهم.

فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين أريوس وأسطيوس، فلما رأى يمليخا أنه لم يذهب به إلى دقينوس، أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ أريوس وأسطيوس الورق فنظرها إليها وعجب منها، ثم قال أحدهما: أين الكنز الذي وجدت يا فتى؟ هذا الورق يشهد عليك أنه قد وجدت كنزاً فقال لها يمليخا: ما وجدت كنزاً ولكن هذه الورق ورق آياتي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدرى ما شأني، وما أدرى ما أقول لكم فقال له أحدهما: ممن أنت؟ فقال له يمليخا: ما أدرى، فكنت أرى أني من أهل هذه القرية، قالوا: فمن أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم باسم أبيه، فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباً له فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر يمليخا ما يقول لهم، غير أنه نكس بصره إلى الأرض. فقال له بعض من حوله: هذا رجل مجنون فقال بعضهم: ليس بمجنون، ولكنه يحمق نفسه عمداً لكي ينفلت منكم فقال له أحدهما، ونظر إليه نظراً شديداً: أتظن أنك إذ تتجانن برسلك وتصدقك بأن هذا مال أبيك، وضرب هذه الورق ونقشها منذ أكثر من ثلاثة مئة سنة؟ وإنما أنت غلام شاب تظن أنك تافيناً، ونحن شمط كما ترى، وحولك سراة أهل المدينة، وولاة أمرها، إني لأظنني سامر بك فتعذّب عذاباً شديداً، ثم أوثقك حتى تعرف بهذا الكنز الذي وجدت. فلما قال ذلك، قال يمليخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتم عما عندي أرأيتم دقينوس الملك الذي كان في هذه المدينة عشيّة أمس ما فعل؟ فقال له الرجل: ليس على وجه الأرض رجل اسمه دقينوس، ولم يكن إلا ملك قد هلك منذ زمان ودهر طويل، وهلكت بعده قرون كثيرة فقال له يمليخا: فوالله إني إذا لحیران، وما هو بمصدق أحد من الناس بما أقول والله لقد علمت، لقد فررنا من الجبار دقينوس، وإنني قد رأيته عشيّة أمس حين دخل مدينة أفسوس، ولكن لا أدرى أ مدينة أفسوس هذه أم لا؟ فانطلقا معاً إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس أريكهم أصحابي. فلما سمع أريوس ما يقول يمليخا قال: يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقا بنا معه يرنا أصحابه، كما قال. فانطلق معه أريوس وأسطيوس، وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم، نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم.

ولما رأى الفتية أصوات أصحاب الكهف يمليخا قد احتبس عليهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به، طنوا أنه قد أخذ فذهب به إلى ملكهم دقينوس الذي هربوا منه. فبينما هم يطعنون ذلك ويتحمّلونه، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيول مصعدة نحوهم، فطنوا أنهم رسول الجبار دقينوس بعث إليهم ليؤتي بهم، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة، وسلم بعضهم على بعض، وأوصى بعضهم ببعض، وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخانا يمليخا، فإنه الآن بين يدي الجبار دقينوس يتنتظر متى نأتيه. فبينما هم يقولون ذلك، وهم جلوس بين ظهري الكهف، فلم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفاً على باب الكهف. وسبقهم يمليخا، فدخل عليهم وهو

يبكي. فلما رأوه يبكي يكوا معه ثم سأله عن شأنه، فأخبرهم خبره وقصّة عليهم النباء كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياً ما بأمر الله ذلك الزمان كله، وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس، وتصديقاً للبعث، وللعلم أن الساعة أتية لا ريب فيها. ثم دخل على أثر يمليناً أريوس، فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة، فقام بباب الكهف ثم دعا رجلاً من عظماء أهل المدينة، ففتح التابوت عندهم، فوجدوا فيه لوحين من رصاص، مكتوباً فيهما كتاب، فقرأهما فوجد فيهما: أن مسلميناً، ومحسلييناً، ويمليناً، ومرطونس، وكسطونس، وبورس، ويكرنس، ويطبيونس، وقالوش، كانوا فتية هربوا من ملكهم دقينوس الجبار، مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسدّ عليهم بالحجارة، وإنما كتبنا شأنهم وقصة خبرهم، ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم. فلما قرأوه، عجبوا وحمدوا الله الذي أرّاهم آية للبعث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبّحه. ثم دخلوا على الفتية الكهف، فوجودهم جلوساً بين ظهيريه، مُشرقة وجوهره، لم تبل ثيابهم. فخرّ أريوس وأصحابه سجوداً، وحمدوا الله الذي أرّاهم آية من آياته. ثم كلام بعضهم بعضاً، وأنباءهم الفتية عن الذين لقوا من ملكهم دقينوس ذلك الجبار الذي كانوا هربوا منه. ثم إن أريوس وأصحابه بعنوا بريداً إلى ملكهم الصالح تيدوسيس، أن عَجَّلْ لعلك تنظر إلى آية من آيات الله، جعلها الله على ملوك، وجعلها آية للعالمين، لتكون لهم نوراً وضياءً، وتصديقاً بالبعث، فاعجل على فتية بعثهم الله، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاثة مئة سنة.

فلما أتى الملك تيدوسيس الخبر، قام من المسندة التي كان عليها، ورجع إليه رأيه وعقله، وذهب عنه همه، ورجع إلى الله عزّ وجلّ، فقال: أَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَعْبُدُكَ، وَأَحْمَدُكَ، وَأَسْبِحْ لَكَ طَوْلَتِي، وَرَحْمَتِي بِرَحْمَتِكَ، فَلَمْ تَطْفِئِ النُّورَ الَّذِي كُنْتَ جَعَلْتَهُ لِأَبَائِي، وَلِلْعَبْدِ الصَّالِحِ قَسْطَيْطِينُوسَ الْمَلَكِ، فَلَمَّا نَبَأْ بِهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ رَكِبُوا إِلَيْهِ، وَسَارُوا مَعَهُ حَتَّى أَتَوْا مَدِينَةَ أَفْسُوسَ، فَتَلَقَّاهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَسَارُوا مَعَهُ حَتَّى صَدَعُوا نَحْوَ الْكَهْفِ حَتَّى أَتَوْهُ فَلَمَّا رَأَوْا الْفَتِيَّةَ تِيدَوسِيسَ، فَرَحُوا بِهِ، وَخَرَّوْا سَجُودًا عَلَى وَجْهِهِمْ وَقَامْ تِيدَوسِيسَ قَدَامَهُمْ، ثُمَّ اعْتَنَقُوهُمْ وَبَكَى، وَهُمْ جَلُوسٌ بَيْنَ يَدِيهِ عَلَى الْأَرْضِ يَسْبِحُونَ اللَّهَ وَيَحْمُدُونَهُ، وَيَقُولُونَ: وَإِنَّ اللَّهَ مَا أَشْبَهُ بِكُمْ إِلَّا الْحَوَارِيُّونَ حِينَ رَأَوُا الْمَسِيحَ. وَقَالَ: فَرَجَ اللَّهُ عَنْكُمْ كَانُوكُمُ الَّذِي تُذَعَّوْنَ فَتَحْسِّنُوْنَ مِنَ الْقَبُورِ فَقَالَ الْفَتِيَّةُ لِتِيدَوسِيسَ: إِنَّا نَوَدُّكَ السَّلَامَ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ، حَفْظَكَ اللَّهُ، وَحَفْظَ لَكَ مَلَكُّ الْسَّلَامِ، وَنَعِذُكَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْجَنِّ وَالْإِنْسَنِ فَأَمْرَ بِعِيشَ مِنْ خُلُّرِ وَنَشِيلِ. إِنَّ أَسْوَأَ مَا سَلَكَ فِي بَطْنِ إِنْسَانٍ أَنْ لَا يَعْلَمْ شَيْئاً إِلَّا كَرَامَةً إِنْ أَكْرَمَ بِهَا، وَلَا هُوَانَ إِنْ أَهْيَنَ بِهِ.

فَبَيْنَمَا الْمَلَكُ قَائِمٌ، إِذْ رَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، فَنَامُوا، وَتَوَفَّى اللَّهُ أَنْفُسُهُمْ بِأَمْرِهِ. وَقَامَ الْمَلَكُ إِلَيْهِمْ، فَجَعَلَ ثِيَابَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَمْرَ أَنْ يَجْعَلَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ تَابُوتاً مِنْ ذَهَبٍ فَلَمَّا أَمْسَوْا وَنَامُوا، أَتَوْهُ فِي الْمَنَامِ، فَقَالُوا: إِنَّا لَمْ نَخْلُقْ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فَضْلَةً، وَلَكُنَا حَلَقْنَا مِنْ تَرَابٍ وَإِلَى التَّرَابِ نَصِيرٌ، فَاتَّرَكْنَا كَمَا كَنَا فِي الْكَهْفِ عَلَى التَّرَابِ حَتَّى يَبْعَثَنَا اللَّهُ مِنْهُ فَأَمْرَ الْمَلَكِ حِينَئِذٍ بِتَابُوتٍ مِنْ سَاجٍ، فَجَعَلُوهُمْ فِيهِ، وَحَجَبُوهُمُ اللَّهُ حِينَ خَرَجُوا مِنْ عَنْهُمْ

بالرعب، فِلَمْ يَقْدِرْ أَحَدْ عَلَى أَنْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ. وَأَمْرَ الْمَلَكْ فَجَعَلْ كَهْفَهُمْ مَسْجِدًا يُصَلِّى فِيهِ، وَجَعَلْ لَهُمْ عِيدًا عَظِيمًا، وَأَمْرَ أَنْ يَؤْتَى كُلَّ سَنَةٍ. فَهَذَا حَدِيثُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ.

17317. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن عبد العزيز بن أبي رقاد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: بعثهم الله يعني الفتية أصحاب الكهف وقد سلط عليهم ملك مسلم، يعني على أهل مدinetهم وسلط الله على الفتية الجوع، فقال قائل منهم: كَمْ لَيْشْمُ وَالْوَالِيْشْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قال: فَرِدَّوْا عَلَمْ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْشْمُ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقَكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِيْنَةِ وَإِذَا مَعْهُمْ وِرَقٌ مِّنْ ضَرَبِ الْمَلَكِ الَّذِي كَانُوا فِي زَمَانِهِ فَلَيَاتِكُمْ بِرْزَقٌ مِّنْهُ: أي بطعام ولا يُشعرون بكم أحداً. فخرج أحدهم فرأى المعالم متذكرة حتى انتهى إلى المدينة، فاستقبله الناس لا يعرف منهم أحداً فخرج ولا يعرفونه، حتى انتهى إلى صاحب الطعام، فسامه بطعامه، فقال صاحب الطعام: هات ورقك فأخرج إليه الورق، فقال: من أين لك هذا الورق؟ قال: هذه ورقنا وورق أهل بلادنا فقال: هيئات هذه الورق من ضرب فلان بن فلان منذ ثلاث مئة وتسعمائة سنة أنت أصبحت كنزاً ولست بتاركاً حتى أرفعك إلى الملك. فرفعه إلى الملك، وإذا الملك مسلم وأصحابه مسلمون، ففرح واستبشر، وأظهر لهم أمره، وأخبرهم خبر أصحابه فبعثوا إلى اللوح في الخزانة، فأتوا به، فوافق ما وصف من أمرهم، فقال المشركون: نحن أحق بهم هؤلاء أبناء آبائنا، وقال المسلمون: نحن أحق بهم، هم مسلمون منا. فانطلقوا على أصحابي حتى فلما أتوا بباب الكهف قال: دعونني حتى أدخل فبشرهم، وبقى الله أبشرهم، فإنهم إن رأوكم معى أرجعوا ملتهم فدخل فبشرهم، وبقى الله أرواحهم. قال: وعمى الله عليهم مكانهم، فلم يهتدوا، فقال المشركون: نبني عليهم بُنياناً، فإنهم أبناء آبائنا، ونعبد الله فيها. وقال المسلمون: نحن أحق بهم، هم منا، نبني عليهم مسجداً نصلِّي فيه، ونعبد الله فيه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: إن الله تعالى يعثهم من رقتهم ليتساءلوا بينهم كما بَيْنَا قَبْلَهُ، لأن الله عز ذكره، كذلك أخبر عباده في كتابه، وإن الله أعنّر عليهم القوم الذين أعنّرهم عليهم، ليتحقق عندهم ببعث الله هؤلاء الفتية من رقتهم بعد طول مدتھا بهيئتهم يوم رقدوا، ولم يشيّبوا على مَرِّ الأيام والليالي عليهم، ولم يهرموا على كر الدبور والأزمان فيهم قدرته على بعث من أماته في الدنيا من قبره إلى موقف القيامة يوم القيمة، لأن الله عز ذكره بذلك أخبرنا، فقال: وكذلك أَعْنَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا.

واختلفت القراء في قراءة قوله: فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقَكُمْ هَذِهِ فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قَرَاءِ أَهْلِ الْمَدِيْنَةِ وبعضاً العراقيين بِوَرِقَكُمْ هَذِهِ بفتح الواو وكسر الراء والكاف. وقرأ عامة قراء الكوفة والبصرة: «بِوَرِقَكُمْ» بسكون الراء، وكسر الكاف. وقرأه بعض المكيين بكسر الراء، وإغمام الكاف في الكاف، وكل هذه القراءات متفقات المعاني، وإن اختلفت الألفاظ منها، وهن لغات معروفات من كلام العرب، غير أن الأصل في ذلك فتح الواو وكسر الراء والكاف، لأنه الورق، وما عدا ذلك فإنه داخل عليه طلب التخفيف. وفيه أيضاً لغة أخرى وهو «الوَرْق»، كما يقال للكبش كَبَدَ. فإذا كان ذلك هو الأصل، فالقراءة به إلى أعجب، من غير أن تكون الآخريان

مدفوعة صحتهما، وقد ذكرنا الرواية بأن الذي بعث معه بالورق إلى المدينة كان اسمه يملحخا. وقد:

17318. حدثني عبيد الله بن محمد الزهرى، قال: حدثنا سفيان، عن مقاتل فابنُتُوا أَحَدَكُمْ بِوَرْقَكُمْ هَذِهِ اسْمُهُ يَمْلِحْ.

وأما قوله: فَلَيَنْتَظِرْ أَيْهَا أَرْكَى طَعَامًا فَإِنْ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ فَلَيَنْتَظِرْ أَيْهَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَكْثَرَ طَعَامًا. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

17319. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي حصين، عن عكرمة أَيَّهَا أَرْكَى طَعَامًا قال: أكثر.

وحدثنا الحسن، قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الثُّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي حُصَيْنِ، عَنْ عَكْرِمَةَ مُثْلَهِ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: أَيْهَا أَكْثَرُ.

وقال آخرون: بَلْ مَعْنَاهُ: أَيَّهَا أَحْلٌ طَعَامًا. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

17320. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير: أَيَّهَا أَرْكَى طَعَامًا قال: أحْلٌ.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الثُّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي حُصَيْنِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَيرٍ، مُثْلَهِ.

وقال آخرون: بَلْ مَعْنَاهُ: أَيَّهَا خَيْرُ طَعَامًا. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

17321. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُعْمَرَ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: أَرْكَى طَعَامًا قَالَ: خَيْرُ طَعَامًا.

وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: أحْلٌ وأظهر، وذلك أنه لا معنى في اختيار الأكثر طعاماً للشراء منه إلا بمعنى إذا كان أكثرهم طعاماً، كان خليقاً أن يكون الأفضل منه عنده أوجد، وإذا شرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل، فقد أمر بشراء الجيد، كان ما عند المشتري ذلك منه قليلاً الجيد أو كثيراً، وإنما وجه من وجہ تأويل أرکى إلى الأكثر، لأنه وجد العرب تقول: قد زكا مال فلان: إذا كثر،

وكما قال الشاعر:

فَبَائِلُنَا سَبْعُ وَأَتْمَمْ لَلَّاثَةَ وَالسَّبْعُ أَرْكَى مِنْ ثَلَاثٍ وَأَطْيَبُ

بمعنى: أكثر، وذلك وإن كان كذلك، فإن الحال الجيد وإن قلّ، أكثر من الحرام الخبيث وإن كثراً. وقيل: فَلَيَنْتَظِرْ أَيَّهَا فَأَضِيفُ إِلَى كَنَاءِ الْمَدِينَةِ، والمراد بها أهلها، لأن تأويل الكلام: فلينظر أي أهلها أرکى طعاماً لمعرفة السامع بالمراد من الكلام. وقد يُحتمل أن يكونوا عنوا بقولهم أَيَّهَا أَرْكَى طَعَامًا: أَيَّهَا أَحْلٌ، من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم وهم أهل أوثان، فلم يستجيزوا أكله ذيحوthem.

وقوله: فَلَيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ يَقُولُ: فَلَيَأْتِكُمْ بِقُوتٍ مِنْهُ تَقْتَاتُونَهُ، وَطَعَامٌ تَأْكِلُونَهُ، كَمَا:

17322. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير فَلَيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ قَالَ: بِطَعَامٍ.

وقوله: وَلَيَنْتَطِفَ يَقُولُ: وَلَيَنْتَرِفَ فِي شَرَائِهِ مَا يَشْتَرِي، وفي طريقه

ودخوله المدينة ولا يُشَعِّرُنَّ بِكُمْ أَحَدًا يَقُولُ: ولا يعلمنَّ بكم أحداً من الناس.

وقوله: إِنْهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ يَعْنُونَ بِذَلِكَ: دقينوس وأصحابه قالوا: إن دقينوس وأصحابه إن يظهروا عليكم، فيعلمونكم مكانكم،

يرجمونكم شتما بالقول، كما:

17323. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريح، في قوله: إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهِرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ قال: يشتمونكم بالقول، يؤذونكم.

وقوله: أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ يقول: أو يرددكم في دينهم، فتصيروا كفارا بعبادة الأوثان. وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا يقول: ولن تدركوا الفلاح، وهو البقاء الدائم والخلود في الجنان، إذن: أي إن أنتم عذتم في ملتهم. أبداً: أيام حياتكم.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَرُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرِهِمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيَّانًا رَبِّهِمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىَ أَمْرِهِمْ لَتَسْخَدَنَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا}. يقول تعالى ذكره: وكما بعثناهم بعد طول رقتهم كهيتهم ساعة رقدوا، ليتساءلوا بينهم، فيزدادوا بعظمتهم سلطان الله بصيرة، وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة كذلك أعتبرنا عليهم يقول: كذلك أطلغنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شك من قدرة الله على إحياء الموتى، وفي مزية من إنشاء أجسام خلقه، كهيتهم يوم قبضهم بعد البلى، فيعلمونا أن وعد الله حق، ويُوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17324. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وكذلك أعتبرنا عليهم يقول: أطلغنا عليهم ليعلم من كذب بهذا الحديث، أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها.

وقوله: إِذْ يَتَنَازَرُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرِهِمْ يعني: الذين اعتنوا على الفتية. يقول تعالى: وكذلك اعتننا هؤلاء المختلفين في قيام الساعة، وإحياء الله الموتى بعد مماتهم من قوم تيذوسيس، حين يتنازعون بينهم أمرهم فيما الله فاعل بمن أفناه من عباده، فأبلاه في قبره بعد مماته، أمنشئهم هو أم غير منشئهم. قوله: فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيَّانًا يقول: فقال الذين اعتنواهم على أصحاب الكهف: ابنيوا عليهم بنياناً ربيهم أعلم بهم يقول: رب الفتية أعلم بالفتية و شأنهم. قوله: قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىَ أَمْرِهِمْ يقول جل ثناؤه: قال القوم الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف لَتَسْخَدَنَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا.

وقد اختلف في قائل هذه المقالة، أهم الرهط المسلمين، أم هم الكفار؟ وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى، وسنذكر إن شاء الله ما لم يمض منه.

17325. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىَ أَمْرِهِمْ لَتَسْخَدَنَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا قال: يعني عدوهم.

17326. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: عَمِّي الله على الدين اعتنواهم على أصحاب الكهف مكانهم، فلم يهتدوا، فقال المشركون: نبني عليهم بنياناً، فإنهم أبناء آبائنا، ونعبد الله فيها، وقال المسلمون: بل نحن أحق بهم، هم منا، نبني عليهم مسجدا نصلي فيه، ونعبد الله فيه.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ حَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَّجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ إِلَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفِتْ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَدًا} .

يقول تعالى ذكره: سيقول بعض الخائضين في أمر الفتنية من أصحاب الكهف، هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب: يقول: قذفا بالظن غير يقين علم، كما قال الشاعر: (وَاجْعَلْ مِنِّي الْحَقَّ عَيْبًا مُرَجْمًا)

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 17327 حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ حَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَّجْمًا بِالْغَيْبِ أي قذفا بالغيب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: رجما بالغيب قال: قذفا بالظن.

وقوله: {وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ يقول: ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم. قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لقائي هذه الأقوال في عدد الفتية من أصحاب الكهف رجما منهم بالغيب: ربي أعلم بعидتهم ما يعلمه يقول: ما يعلم عددهم إلّا قليلٌ من خلقه، كما:

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ما يعلمه إلّا قليلٌ يقول: قليل من الناس.

وقال آخرون: بل عنى بالقليل: أهل الكتاب. ذكر من قال ذلك: 17328 حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس ما يعلمه إلّا قليلٌ قال: يعني أهل الكتاب. وكان ابن عباس يقول: أنا من استثناء الله، ويقول: عدتهم سبعة.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا إسرائيل، عن سمك، عن عكرمة، عن ابن عباس ما يعلمه إلّا قليلٌ قال: أنا من القليل، كانوا سبعة.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن حريج: قال ابن عباس: عدتهم سبعة وثامنهم كلبهم، وأنا من استثنى الله. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ما يعلمه إلّا قليلٌ قال: كان ابن عباس يقول: أنا من القليل، هم سبعة وثامنهم كلبهم.

وقوله: فلأتمار فيهم إلّا مراءً ظاهرا يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فلأتمار يا محمد: يقول: لا تجادل أهل الكتاب فيهم، يعني في عدّة أهل الكهف، وحذفت العدّة اكتفاء بذكرهم فيها لمعرفة

السامعين بالمراد. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ قال: لا تمار في عذّتهم.

وقوله: إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا اختلف أهل التأويل في معنى المراء الظاهر الذي استثناه الله، ورخص فيه لنبيه صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: هو ما قصّ الله في كتابه أبيح له أن يتلوه عليهم، ولا يماريهم بغير ذلك. ذكر من قال ذلك:

17329. حدثني محمد بن سعيد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا يقول: حَسْبُكَ ما قصصت عليك فلا تمار فيهم.

17330. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا يقول: إِلَّا بما قد أظهرنا لك من أمرهم.

17331. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا: أي حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، عن قتادة فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ قال: حَسْبُكَ ما قصصنا عليك من شأنهم.

17332. حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبد، قال: سمعت الصحاح يقول في قوله: فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا يقول: حَسْبُكَ ما قصصنا عليك.

وقال آخرون: المراء الظاهر هو أن يقول ليس كما تقولون، ونحو هذا من القول. ذكر من قال ذلك:

17333. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا قال: أن يقول لهم: ليس كما تقولون، ليس تعلمون عذّتهم إن قالوا كذا وكذا فقل ليس كذلك، فإنهم لا يعلمون عذّتهم، وقرأ: سَيَقُولُونَ لَلَّهُ رَأَيْعُهُمْ كُلُّهُمْ حَتَّى يَلْعَجُوا بِالْغَيْبِ.

وقوله: وَلَا تَسْتَفِتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا يقول تعالى ذكره: ولا تستفت في عدّة الفتية من أصحاب الكهف منهم، يعني من أهل الكتاب، أحداً لأنهم لا يعلمون عذّتهم، وإنما يقولون فيهم رجماً بالغيب، لا يقيينا من القول.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17334. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن عيسى، عن سفيان، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: وَلَا تَسْتَفِتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا قال: هم أهل الكتاب.

17335. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرات، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجح، عن مجاهد وَلَا تَسْتَفِتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا من يهود.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد وَلَا تَسْتَفِتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا: من يهود، قال: ولا تسأل يهوداً عن أمر أصحاب الكهف، إلا ما قد أخبرتك من أمرهم.

17336. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَلَا تَسْتَفِتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا: من أهل الكتاب. كنا نحدّث أنهم كانوابني

الآية : 23 و 24

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَا تَقُولَنِ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلُ ذَلِكَ عَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَإِذْكُرْ رَبِّكَ إِذَا تَسِيَّتْ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا}. *

وهذا تأديب من الله عزّ ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله.

وإنما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتي قد ذكرناها فيما مضى، اللواتي إحداهم المسألة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يحييهم عنهم غد يومهم، ولم يستثن، فاحتبس الوحي عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة، حتى حزنه إبطاؤه، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهم، وعرف نبيه سبب احتباس الوحي عنه، وعلمه ما الذي ينبغي أن يستعمل في عداته وخبره عما يحدث من الأمور التي لم يأته من الله بها تنزيل، فقال: وَلَا تَقُولَنِ يَا مُحَمَّدٌ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلُ ذَلِكَ عَدًا كَمَا قُلْتَ لِهُؤُلَاءِ الَّذِينَ سَأَلُوكُمْ عَنْ أَمْرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَالْمَسَائِلِ الَّتِي سَأَلُوكُمْ عَنْهَا، سَأَخْبُرُكُمْ عَنْهَا عَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.

ومعنى الكلام: إلا أن تقول معه: إن شاء الله، فترك ذكر تقول اكتفاء بما ذكر منه، إذ كان في الكلام دلالة عليه. وكان بعض أهل العربية يقول: جائز أن يكون معنى قوله: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ استثناء من القول، لا من الفعل كأن معناه عنده: لا تقول قولًا إلا أن شاء الله ذلك القول، وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنزيل مع خلافه تأويل أهل التأويل.

وقوله: وَإِذْكُرْ رَبِّكَ إِذَا تَسِيَّتْ اختلاف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: واستثن في يمينك إذا ذكرت أنك نسيت ذلك في حال اليمين. ذكر من قال ذلك:

17337. حدثنا محمد بن هارون الحربي، قال: حدثنا نعيم بن حماد، قال: حدثنا هشيم، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، في الرجل يحلف، قال له: أن يستئني ولو إلى سنة، وكان يقول: وَإِذْكُرْ رَبِّكَ إِذَا تَسِيَّتْ في ذلك قيل للأعمش سمعته من مجاهد، فقال: ثني به ليث بن أبي سليم، يرى ذهب كسائل هذا.

17338. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله وَلَا تَقُولَنِ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلُ ذَلِكَ عَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَإِذْكُرْ رَبِّكَ إِذَا تَسِيَّتْ الاستثناء، ثم ذكرت فاستثن.

17339. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر، عن أبيه، في قوله: وَإِذْكُرْ رَبِّكَ إِذَا تَسِيَّتْ قال: بلغني أن الحسن، قال: إذا ذكر أنه لم يقل: إن شاء الله، فليقل: إن شاء الله.

وقال آخرون: معناه: وذكر ربك إذا عصيت. ذكر من قال ذلك:

17340. حدثني نصر بن عبد الرحمن، قال: حدثنا حكام بن سلم، عن أبي سنان، عن ثابت، عن عكرمة، في قول الله: وَإِذْكُرْ رَبِّكَ إِذَا تَسِيَّتْ قال: اذكر ربك إذا عصيت.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكماً، عن أبي سنان، عن ثابت، عن عكرمة، مثله.

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: واذكر ربك إذا تركت ذكره، لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب الترك، وقد بينا ذلك فيما مضى قبل.

فإن قال قائل: أرجائنا للرجل أن يستثنى في يمينه إذ كان معنى الكلام ما ذكرت بعد مدة من حال حلفه؟ قيل: بل الصواب أن يستثنى ولو بعد جنه في يمينه، فيقول: إن شاء الله ليخرج بقوله ذلك مما أزمه الله في ذلك بهذه الآية، فيسقط عنه الحرج بتركه ما أمره بقوله من ذلك فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال، إلا أن يكون استثناؤه موصولاً بيمنه. فإن قال: فما وجه قول من قال له: تنياه ولو بعد سنة، ومن قال له ذلك ولو بعد شهر، وقول من قال ما دام في مجلسه؟ قيل: إن معناهم في ذلك نحو معناينا في أن ذلك له، ولو بعد عشر سنين، وأنه باستثنائه وقوله إن شاء الله بعد حين من حال حلفه، يسقط عنه الحرج الذي لولم يقله كان له لازماً فأما الكفارة فله لازمة بالجنة بكل حال، إلا أن يكون استثناؤه كان موصولاً بالحلف، وذلك أنا لا نعلم قائلاً قال ممن قال له تنياه بعد حين يزعم أن ذلك يضع عنه الكفارة إذا جنح، ففي ذلك أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك، وأن معنى القول فيه، كان نحو معناينا فيه.

وقوله: وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَ لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا يَقُولُ عَزْ ذَكْرُه لنبـيه صـلى اللهـ عليه وسلمـ: قـلـ وـلـعـلـ اللـهـ أـنـ يـهـدـيـنـيـ فـيـسـدـدـنـيـ لـأـسـدـ ماـ وـعـدـتـكـمـ وـأـخـبـرـتـكـمـ أـنـ سـيـكـونـ، إـنـ هوـ شـاءـ.

وقد قيل: إن ذلك مما أمر النبي صـلى اللهـ عليه وسلمـ أن يقولـه إذا نسيـ الاستثنـاءـ فيـ كـلـامـهـ، الـذـيـ هوـ عـنـدـهـ فـيـ أـمـرـ مـسـتـقـبـلـ معـ قولـهـ: إـنـ شـاءـ اللهـ، إـذـ ذـكـرـ ذـكـرـ منـ قـالـ ذـكـرـ:

17341 حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر، عن أبيه، عن محمد، رجل من أهل الكوفة، كان يفسر القرآن، وكان يجلس إليه يحيى بن عباد، قال: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِلَّيْ فَاعْلُمْ ذَلِكَ عَدَا إِلَّا أَنْ يَشَاءُ اللَّهُ وَإِذْكُرْ رَبِّكَ إِذَا تَسِيَّتْ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا قال: فإذا نسي الإنسان أن يقول: إن شاء الله، قال: فتوبيه من ذلك، أو كفارة ذلك أن يقول: عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا.

الآية : 25 و 26

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَإِرْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ عَيْنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشَرِّكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا }.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله ولبثوا في كهفهم ثلاثة مئات سنين وإردادوا تسعًا فقال بعضهم: ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن أهل الكتاب إنهم يقولون ذلك كذلك، واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله: قُل اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا وقالوا: لو كان ذلك خبراً من الله عن قدر لبثهم في الكهف،

لم يكن لقوله قُلَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا وَجْهًا مَفْهُومٌ، وَقَدْ أَعْلَمَ اللَّهُ خَلْقَهُ
مِنْ لِبَثِّهِمْ فِيهِ وَقْدَرِهِ. ذَكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

17342. حَدَثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ:
وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةً سِنِينَ وَأَرْدَادُوا تِسْعًا هَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْكِتَابِ،
فَرَدَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: قُلِّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ عَيْنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.
حَدَثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزْاقَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُعْمَرٌ، عَنْ
قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ قَالَ: فِي حِرْفٍ أَبْنَ مُسَعُودٍ: «وَقَالُوا
وَلَيْسُوا» يَعْنِي أَنَّهُ قَالَ النَّاسُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: قُلِّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا».

17343. حَدَثَنَا عَلِيٌّ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: حَدَثَنَا ضَمْرَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبْنَ
شَوْذَبَ عَنْ مَطْرِ الْوَرَاقِ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةً سِنِينَ
قَالَ: إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ قَالَهُ الْيَهُودُ، فَرَدَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: قُلِّ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا لَيْسُوا».

وَقَالُ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ عَنْ مِنْ لِبَثِّهِمْ فِي كَهْفِهِمْ. ذَكْرُ مَنْ
قَالَ ذَلِكَ:

17344. حَدَثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرٍ، قَالَ: حَدَثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَثَنَا
عِيسَى وَحَدَثَنِي الْحَرْثُ، قَالَ: حَدَثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنْ
أَبْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةً سِنِينَ وَأَرْدَادُوا
تِسْعًا قَالَ: عَدْ مَا لَبَثُوا.

حَدَثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَثَنَا الْحَسَنَ، قَالَ: ثَنَى حَجَاجٌ، عَنْ أَبْنَ جَرِيجٍ، عَنْ
مُجَاهِدٍ بِنِحْوَهُ، وَزَادَ فِيهِ قُلِّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا».

17345. حَدَثَنَا أَبْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَثَنَا سَلْمَةً، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَادِ،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبِيدِ بْنِ عَمِيرٍ، قَالَ: وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةً سِنِينَ
وَأَرْدَادُوا تِسْعًا قَالَ: وَتَسْعَ سَنِينَ.

17346. حَدَثَنَا أَبْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَثَنَا سَلْمَةً، عَنْ أَبِي إِسْحَاقِ بِنِحْوَهِ.

17347. حَدَثَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسْرُوقِيُّ، قَالَ: حَدَثَنَا أَبُو
أَسَامَةَ، قَالَ: ثَنَى الْأَجْلَحُ، عَنْ الصَّحَافِيِّ بْنِ مَزَاحِمٍ، قَالَ: نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ
وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةً فَقَالُوا: أَيَامًا أَوْ أَشْهَرًا أَوْ سَنِينَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ
سِنِينَ وَأَرْدَادُوا تِسْعًا.

17348. حَدَثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرٍ، قَالَ: حَدَثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَثَنَا

عِيسَى وَحَدَثَنِي الْحَرْثُ، قَالَ: حَدَثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنْ
أَبْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ قَالَ: بَيْنَ جَبَلَيْنِ.

حَدَثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَثَنَا الْحَسَنَ، قَالَ: ثَنَى حَجَاجٌ، عَنْ أَبِي جَرِيجٍ، عَنْ
مُجَاهِدٍ، مُثْلِهِ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يَقَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ ذَكْرُهُ: وَلَبِثَ
أَصْحَابُ الْكَهْفِ فِي كَهْفِهِمْ رَقُودًا إِلَى أَنْ بَعْثَمَ اللَّهُ، لِيَتْسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ،
وَإِلَى أَنْ أَعْثَرَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْثَرٍ، ثَلَاثَ مِئَةَ سِنِينَ وَتَسْعَ سَنِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ
بِذَلِكَ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ. وَأَمَّا الَّذِي ذُكِرَ عَنْ أَبْنَ مُسَعُودٍ أَنَّهُ قَرَأَ «وَقَالُوا: وَلَيْسُوا
فِي كَهْفِهِمْ» وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ
عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَانَ أَنْ أَهْلَ الْكِتَابَ قَالُوا فِيمَا
ذَكَرَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ لِلْفَتْيَةِ مِنْ لَدُنْ دَخْلِهِمْ
الْكَهْفَ إِلَى يَوْمِنَا ثَلَاثَ مِئَةَ سِنِينَ وَتَسْعَ سَنِينَ، فَرَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ،
وَأَخْبَرَ نَبِيَّهُ أَنَّ ذَلِكَ قَدْرُ لِبَثِّهِمْ فِي الْكَهْفِ مِنْ لَدُنْ أَوْلَى إِلَيْهِ أَنْ بَعْثَمَ

ليتساءلوا بينهم ثم قال جل شناوه لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم، من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا، لا يعلم بذلك غير الله، وغير من أعلمه الله ذلك. فإن قال قائل: وما يدل على أن ذلك كذلك؟ قيل: الدال على ذلك أنه جل شناوه ابتدأ الخبر عن قدر لبthem في كهفهم ابتداء، فقال: ولبثوا في كهفهم ثلاثة سنين وارداًدوا تسعا ولم يضع دليلاً على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه، وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء إلى أنه خبر عن غيره بغير برهان، لأن ذلك لو جاز جاز في كل أخباره، وإذا جاز ذلك في أخباره جاز في أخبار غيره أن يضاف إليه أنها أخباره، وذلك قلب أعيان الحقائق وما لا يخيل فساده.

فإن طن طنان أن قوله: قُلَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا دليلاً على أن قوله: ولبثوا في كهفهم خبر منه عن قوم قالوه، فإن ذلك كان يجب أن يكون كذلك لو كان لا يحتمل من التأويل غيره فاما وهو محتمل ما قلنا من أن يكون معناه: قل الله أعلم بما لبثوا إلى يوم أنزلنا هذه السورة، وما أشبه ذلك من المعاني فغير واجب أن يكون ذلك دليلاً على أن قوله: ولبثوا في كهفهم خبر من الله عن قوم قالوه، وإذا لم يكن دليلاً على ذلك، ولم يأت خبر بآن قوله: ولبثوا في كهفهم خير من الله عن قوم قالوه، ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها، صحيح ما قلنا، وفسد ما خالفه.

واختلفت القراءة في قراءة قوله: ثلاثة سنين فقرأت ذلك عامدة قراءة المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ثلاثة مئة سنين بتنوين: ثلاثة مئة، بمعنى: ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثة مئة. وقرأته عامدة قراءة أهل الكوفة: «ثلاث مئة سنين» بإضافة ثلاثة مئة إلى السنين، غير منون.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه: ثلاثة مئة بالتنوين سنين، وذلك أن العرب إنما تضيف المئة إلى ما يفسرها إذا جاء تفسيرها بلفظ الواحد، وذلك كقولهم ثلاثة مئة درهم، وعندي مئة دينار، لأن المئة والألف عدد كثير، والعرب لا تفسر ذلك إلا بما كان بمعناه في كثرة العدد، والواحد يؤدي عن الجنس، وليس ذلك للقليل من العدد، وإن كانت العرب ربما وضعت الجمع القليل موضع الكثير، وليس ذلك بالكثير. وأما إذا جاء تفسيرها بلفظ الجمع، فإنها تنون، فتقول: عندي ألف دراهم، وعندي مئة دنانير، على ما قد وصفت.

وقوله: لَهُ عَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يقول تعالى ذكره: لله علم غيب السموات والأرض، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يخفى عليه شيء، يقول: فسلموا له علم مبلغ ما لبنت الفتية في الكهف إلى يومكم هذا، فإن ذلك لا يعلمه سوى الذي يعلم غيب السموات والأرض، وليس ذلك إلا الله الواحد القهار.

وقوله: أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ يقال: أبصر بالله وأسمع، وذلك بمعنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه.

وتأويل الكلام: ما أبصر الله لكل موجود، وأسمعه لكل مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء، كما:

17349. حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أبصر به وأسمع فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع، تبارك وتعالى.

17350. حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌّ قال: يرى أعمالهم، ويسمع ذلك منهم سمياً بصيراً.

وقوله: مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌّ يقول جل تراؤه: ما خلقه دون ربهم الذي خلقهم ولهم، يلي أمرهم وتدبرهم، وصرفهم فيما هم فيه مصروفون. وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا يقول: ولا يجعل الله في قضائه وحكمه في خلقه أحداً سواه شريكاً، بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم، وتدبرهم وتصريفهم فيما شاء وأحب.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنْ لِمَّا أُوْجِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَّيْكَ لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا، ولا تترکن تلاوته، واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه، والعمل بحلاله وحرامه، فتكون من الهالكين وذلك أن مصير من خالفه، وترك اتباعه يوم القيمة إلى جهنم لا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ يقول: لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك أهل معاصيه، والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك.

وقوله: وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا يقول: وإن أنت يا محمد لم تقل ما أوحى إليك من كتاب ربك فتتبعه وتتألم به، فنانك وعيده الله الذي أوعد فيه المخالفين حدوده، لن تجد من دون الله موئلاً ثل إلية ومعدلاً تعدل عنه إليه، لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه، لا يقدر أحد منهم على الهرب من أمر أراد به.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: مُلْتَحِدًا قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه. ذكر من قال ذلك:

17351. حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: مُلْتَحِدًا قال: ملحاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرس، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مُلْتَحِدًا قال: ملحاً.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، مثله.

17352. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا قال: موئلاً.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر، عن قتادة، في قوله: مُلْتَحِدًا قال: ملحاً ولا موئلاً.

17353. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا قال: لا يجدون ملحداً يلتحدونه، ولا يجدون من دونه ملحاً ولا أحداً يمنعهم. والمتحد: إنما هو المفتعل من اللحد، يقال منه: لحدت إلى كذا: إذا ملت إليه ومنه قيل للحد: لحد، لأنه في ناحية من القبر، وليس بالشق الذي في وسطه، ومنه الإلحاد في الدين، وهو المعاندة بالعدول عنه، والترك له.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَعْقَلَنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطاً}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واصبِرْ يا محمد نَفْسَكَ مَعَ أَصْحَابِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ بِذِكْرِهِمْ إِيَاهُ بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها يُرِيدُونَ بفعلهم ذلك وَجْهَهُ لا يريدون عرضا من عرض الدنيا.

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في قوله يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ في سورة الأنعام، والصواب من

القول في ذلك عندنا، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع. والقراء على قراءة ذلك: بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ، وقد ذكر عن عبد الله بن عامر وأبي عبد الرحمن السلمي أنهما كانا يقرآن: «بِالْغَدَوَةِ وَالْعَشِيِّ»، وذلك قراءة عند أهل العلم بالعربية مكرورة، لأن غدوة معرفة، ولا ألف ولا لام فيها، وإنما يعرّف بالألف واللام ما لم يكن معرفة فاما المعرف فلا تعرّف بهما. وبعد، فإن غدوة لا تضاف إلى شيء، وامتناعها من الإضافة دليل واضح على امتناع الألف واللام من الدخول عليها، لأن ما دخلته الألف واللام من الأسماء صلحت فيه الإضافة وإنما تقول العرب: أتيتك غداة الجمعة، ولا تقول: أتيتك غدوة الجمعة، والقراءة عندنا في ذلك ما عليه القراء في الأمصار لا تستحيز غيرها لإجماعها على ذلك، وللعلة التي بيننا من جهة العربية.

وقوله: وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ يقول جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتكم يا محمد أن تنصير نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار، ولا تجاوزهم إليه وأصله من قوله: عدوك ذلك، فأنا أعدوك: إذا جاوزته. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17354. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، قال: قال ابن عباس، في قوله: وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ قال: لا تجاوزهم إلى غيرهم.

حدثني عليّ، قال: ثني عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ يقول: لا تتعدّهم إلى غيرهم.

17355. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: واصبِرْ نَفْسِكَ... الآية، قال: قال القوم للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: إننا نستحيي أن نجالس فلانا وفلانا، فجئنهم يا محمد، وجالس أشرف العرب، فنزل القرآن واصبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ولا تحقرهم، قال: قد أمروني بذلك، قال: وَلَا تُطِعْ مَنْ أَعْقَلَنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطاً.

17356. حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني أسامة بن زيد، عن أبي حازم، عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف، أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بعض أبياته واصبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ

فخرج يلتمس، فوجد قوماً يذكرون الله، منهم ثائر الرأس، وجافِ الجلد، ذو الثوبِ الواحد، فلما رأهم حلس معهم، فقال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي فِي أَمْتِي مَنْ أَمْرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُ» وَرُفِعت العينان بالفعل، وهو لا تعدد.

وقوله: تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: لا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْ هُؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبِّهِمْ إِلَى أَشْرَافِ الْمُشْرِكِينَ، تَبَغِي بِمَجَالِسِهِمُ الشرفُ وَالْفَخْرُ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ فِيمَا ذَكَرَ قَوْمًا مِّنْ عَظِيمَاءِ أَهْلِ الشَّرْكِ، وَقَالَ بِعِصْمِهِ: بَلْ مِنْ عَظِيمَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مَمْنَ لَا بَصِيرَةَ لَهُمْ بِالْإِسْلَامِ، فَرَأَوْهُ جَالِسًا مَعَ خَبَابَ وَصَهْيَبَ وَبِلَالَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَقِيمُهُمْ عَنْهُ إِذَا حَضَرُوا، قَالُوا: فَهُمْ رَبُّهُمْ بِالْعَدَاءِ وَالْعِيشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ثُمَّ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ، وَيَتَرَكُهُمْ قَعُودًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الْمُذْعُونَ رَبُّهُمْ بِالْعَدَاءِ وَالْعِيشِيِّ... الْآيَةُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: مَجَالِسُهُ أَوْلَئِكَ عَظِيمَاءُ الْأَشْرَافِ، وَفَدَ ذَكْرُ الرَّوَايَةِ بِذَلِكَ فِيمَا مَضِيَ قَبْلَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ.

17357- حدثني الحسين بن عمرو العنقيزي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي، وكان قارئاً للأزد عن أبي الكنود، عن خباب في قصة ذكرها عن النبي صلى الله عليه وسلم، ذكر فيها هذا الكلام مدرجاً في الخبر ولا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قال: تجالس الأشراف.

17358- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، قال: أخبرت أن عيينة بن حصن قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم: لقد آذاني ريح سلمان الفارسي، فاجعل لنا مجلساً منك لا يجتمعوننا فيه، واجعل لهم مجلساً لا نجتمعهم فيه، فنزلت الآية.

17359- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذُكر لنا أَنَّهُ لِمَا نَزَّلْتَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أَمْتِي مَنْ أَمْرَتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُ».

17360- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قال: ت يريد أشراف الدنيا.

17361- حدثنا صالح بن مسمار، قال: حدثنا الوليد بن عبد الملك، قال: سليمان بن عطاء، عن مسلمة بن عبد الله الجهنمي، عن عمته أبي مشجعة بن ربعي، عن سلمان الفارسي، قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يا نبِيُّ اللهِ، إِنَّكَ لَوْ جَلَستَ فِي صَدْرِ الْمَسْجَدِ، وَنَفَيتَ عَنَا هُؤُلَاءِ وَأَرْوَاحِ جَبَابِهِمْ يَعْنُونَ سَلْمَانَ وَأَبَا ذَرٍّ وَفَقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ عَلَيْهِمْ جَبَابُ الصَّوْفِ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ غَيْرَهَا جَلَسْنَا إِلَيْكَ وَحَادَثَنَا، وَأَخْذَنَا عَنْكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَأَنْلُ مَا أَوْحَيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلَّحَّداً، حَتَّى يَلْعَبَ إِلَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا يَتَهَدَّدُهُمْ بِالنَّارِ فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْتَمِسُهُمْ حَتَّى أَصَابُهُمْ فِي مُؤْخِرِ الْمَسْجَدِ يَذَكُرُونَ اللَّهَ، فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُمْتَنِي حَتَّى

أمرني أن أصيّر نفسي مع رجالٍ منْ أمتِي، معكُم المَحِيا وَمَعَكُم المَمَاتُ».

وقوله: ولا تطع مَنْ أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي عنك، عن ذكرنا، بالكفر وغلبة الشقاء عليه، واتبع هواه، وترك اتباع أمر الله ونهيه، وأثر هوى نفسه على طاعة ربه، وهم فيما ذكر: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذووهم.

17362. حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنزي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي، عن أبي الكنود، عن خباب ولا تطع مَنْ أغفلنا قلبه عن ذكرنا قال: عيينة، والأقرع.

وأما قوله: وكان أمراً فُرطاً فإن أهل التأويل اختلقو في تأويله، فقال بعضهم: معناه: وكان أمره ضياعاً. ذكر من قال ذلك:

17363. حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرس، قال: حدثنا الحسن، قال حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: وكان أمراً فُرطاً قال ابن عمرو في حديثه قال: ضائعاً. وقال الحرس في حديثه: ضياعاً.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: ضياعاً.

وقال آخرون: بل معناه: وكان أمره ندماً. ذكر من قال ذلك:

17364. حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا بدل بن المحبر، قال: حدثنا عباد بن راشد، عن داود فُرطاً قال: ندامة.

وقال آخرون: بل معناه: هلاكاً. ذكر من قال ذلك:

17365. حدثني الحسين بن عمرو، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي، عن أبي الكنود، عن خباب وكان أمراً فُرطاً قال: هلاكاً.

وقال آخرون: بل معناه: خلافاً للحق. ذكر من قال ذلك:

17366. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وكان أمراً فُرطاً قال: مخالف للحق، ذلك الفُرط.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: ضياعاً وهلاكاً، من قولهم: أفترط فلان في هذا الأمر إفراطاً: إذا أسرف فيه وتجاوز قدره، وكذلك قوله: وكان أمراً فُرطاً معناه: وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبير، واحتقار أهل الإيمان، سرفاً قد تجاوز حدّه، فَصَبَّعَ بِذَلِكَ الْحَقَّ وَهَلَكَ.

17367. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: قيل له: كيف قرأ عاصم؟ فقال كان أمراً فُرطاً قال أبو كريب: قال أبو بكر: كان عيينة بن حصن يفخر بقول أنا وأنا.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رِّبُّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكُفِرْ إِنَّا أَعْنَدْنَا لِلظَّالِمِينَ تَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقَهَا وَإِنْ يَسْتَغْيِثُوا يُعَاتِبُونَ بِمَا إِكْفَلْنَا لَهُمْ وَلَمْ يَنْلِهُمْ شَيْءٌ وَمَا يَنْتَهِي إِلَيْهِنَّ حَلَقَهَا}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا، واتبعوا أهواءهم: الحق أيها الناس من عند ربكم، وإليه التوفيق والحدلان، وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء منكم للرشاد، فيؤمن، ويصلّى من يشاء عن الهدى فيكفر، ليس إلى من ذلك شيء، ولست بطارد لهواكم من كان للحق متبعاً، وبالله وبما أنزل علىي مؤمناً، فإن شئتم فامنوا، وإن شئتم فاكفروا، فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نار أحاط بكم سرادقها، وإن أمنتם به وعملتم بطاعته، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته. وروي عن ابن عباس في ذلك ما:

17368. حديث عليٍّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: فَمَنْ شاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلِيَكُفُرْ يقول: من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر، وهو قوله: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء، والإيمان لمن أراد، وإنما هو تهديد ووعيد.

وقد بين أن ذلك كذلك قوله: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا وَالآيَاتُ بَعْدَهَا. كما: 17369. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن عمر بن حبيب، عن داود، عن مجاهد، في قوله: فَمَنْ شاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلِيَكُفُرْ. قال: وعيid من الله، فليس بمعجزي.

17370. حديث يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: فَمَنْ شاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلِيَكُفُرْ، وقوله أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ قال: هذا كله وعيid ليس مصانعة ولا مراشاة ولا تفويفاً. وقوله: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا يقول تعالى ذكره: إنا أعددنا، وهو من العدة. للظالمين: الذين كفروا بربهم. كما:

17371. حديث يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا قال: للكافرين. وقوله: أَحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا يقول: أحاط سرادق النار التي أعددتها الله للكافرين بربهم، وذلك فيما قيل: حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط، وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط، كما قال رؤبة: يا حَكَمَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنَ الْجَارِ وَدْسُرَادِقُ الْقَضْلِ عَلَيْكَ مَمْدُودٌ

وكما قال سلمة بن جندل:

هُوَ الْمُولِحُ النَّعْمَانَ بَيْنَا سَمَاوْهُصُدُورُ الْفَيُولِ بَعْدَ بَيْتِ مُسَرَّدَقِ
يعني: بيتنا له سرادق. ذكر من قال ذلك:

17372. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجج، عن ابن حريم، قال: قال ابن عباس، في قوله: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا قال: هي حائط من نار.

17373. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو سفيان، عن عمر، عن أخباره، قال أَحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا قال: دخان يحيط بالكافر يوم القيمة، وهو الذي قال الله: ظَلَّ ذِي ثَلَاثَ شَعْبٍ.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر يدل على أن معنى قوله أَحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا أَحاط بهم ذلك في الدنيا، وأن ذلك السرادق هو البحر. ذكر من قال ذلك:

17374. حديث العباس بن محمد والحسين بن نصر، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عبد الله بن أمية، قال: ثني محمد بن حبيبي بن يعلى، عن صفوان بن يعلى، عن يعلى بن أمية، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ» قال: فقيل له: كيف ذلك، فتلا هذه الآية، أو قرأ هذه الآية: ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ثُمَّ قال: وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُهَا أَبَدًا أَوْ مَا دُمْتُ حَيَا، وَلَا تُصِيبُنِي مِنْهَا قَطْرَةً.
17375. حديث محمد بن المثنى، قال: حدثنا عمر بن بشير، قال: حدثنا ابن المبارك، قال: أخبرنا رشدين بن سعد، قال: ثني عمرو بن الحارث، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سُرَادِقُ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ، كِنْفُ كُلٌّ وَاحِدٌ مِثْلٌ مَسِيرَةً أَرْبَعينَ سَنَةً».
- حدثنا بشير، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ، كِنْفُ كُلٌّ وَاحِدَةٌ مِثْلٌ مَسِيرَةً أَرْبَعينَ سَنَةً».
17376. حديث ابن وهب، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَاءُ كَالْمُهْلِ»، قال: «كَعَكَرِ الرِّيْتِ، فَإِذَا قَرَبَهُ إِلَيْهِ سَقَطَ قَرْوَهُ وَجْهِهِ فِيهِ». وقوله: وَإِنْ يَسْتَغْيِثُوا بِمَاءِ كَالْمُهْلِ يَقُولُ تَعَالَى ذَكْرُهُ: وَإِنْ يَسْتَغْثُ هُؤُلَاءِ الطَّالِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ مِنْ شَدَّةِ مَا بَهْمَ مِنَ الْعَطْشِ، فَيَطْلَبُونَ الْمَاءَ يُغَاثُوا بِمَاءِ الْمُهْلِ.
- واختلف أهل التأويل في المهل، فقال بعضهم: هو كل شيء أذيب وإنماع. ذكر من قال ذلك:
17377. حديث يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن ابن مسعود أهدى إلى سقاية من ذهب وفضة، فأمر بأخذ ذود فخذ في الأرض، ثم قذف فيه من جزل حطب، ثم قذف فيه تلك السقاية، حتى إذا أزبدت وانماعت قال لغلامه: ادع من يحضرنا من أهل الكوفة، فدعا رهطا، فلما دخلوا عليه قال: أترون هذا؟ قالوا: نعم، قال: ما رأينا في الدنيا شبها للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة، حين أزبد وإنماع. وقال آخرون: هو القبح والدم الأسود. ذكر من قال ذلك:
17378. حديث ابن حميد، قال: حدثنا حكام عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم، عن أبي بزرة، عن مجاهد في قوله: وَإِنْ يَسْتَغْيِثُوا بِمَاءِ كَالْمُهْلِ قال: القبح والدم.
- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرج، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بماء كالمهل قال: القبح والدم الأسود، كعكر الزيت. قال الحرج في حديثه: يعني دردية.
17379. حديث علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: كالمهل قال: يقول: أسود كهيئة الزيت.

17380. حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبد بن سليمان، قال: سمعت الصحاك يقول في قوله: **بِمَاءِ كَالْمَهْلِ** ماء جهنم أسود، وهي سوداء، وشجرها أسود، وأهلها سود.

17381. حُدثتى محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **وَإِن يَسْتَغْيِنُوا بِمَاءِ كَالْمَهْلِ** قال: هو ماء غليظ مثل دردي الزيت.

وقال آخرون: هو الشيء الذي قد انتهى حرّة. ذكر من قال ذلك: 17381. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر وهارون بن عتنرة، عن سعيد بن جبير، قال: المهل: هو الذي قد انتهى حرّة.

وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها، فمتقاربات المعنى، وذلك أن كلّ ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حرّة، وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت، فقد انتهى أيضا حرّة. وقد:

17382. حُدثت عن معمر بن المثنى، أنه قال: سمعت المتاجع بن نبهان يقول: والله لفلان أبغض إلى من الطلباء والمهمل، قال: فقلنا له: وما هما؟ فقال: الجرباء، والمملة التي تنحدر عن جوانب الخبزة إذا ملت في النار من النار، كأنها سهلة حمراء مدققة، فهي أحمره، فالمهمل إذا هو كلّ ماء قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حرّة، ولم يكن مائعا، فإنماع بالوقود عليه، ويبلغ أقصى الغاية في شدة الحرّ.

وقوله: **يَسْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ** يقول جلّ ثناؤه: يشوي ذلك الماء الذي يغاثون به وجههم. كما:

17383. حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: حدثنا حبيبة بن شريح، قال: حدثنا بقية، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الله بن بُشر هكذا قال ابن خلف عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، في قوله **وِسْقَى مِنْ مَاءِ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ** قال: «يقرب إليه فيتكرّهه، فإذا قرب منه، شوى وجهه، ووقيعت فرّوة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه»، يقول الله: **وَإِن يَسْتَغْيِنُوا بِمَاءِ كَالْمَهْلِ** يشوي الوجوه **بِئْسَ الشَّرَابُ**.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني وبعمر بن بشر، قالا: حدثنا ابن المبارك، عن صفوان، عن عبد الله بن بُشر، عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله.

17384. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر وهارون بن عتنرة، عن سعيد بن جبير، قال هارون: إذا جاء أهل النار. وقال جعفر: إذا جاء أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها، فاختلسوا جلود وجههم، فلو أن مازاً مازاً بهم يعرفهم، لعرف جلود وجههم فيها، ثم يصبّ عليهم العطش، فيستغيثون، فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حرّة، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حرّة لحوم وجههم التي قد سقطت عنها الجلود.

وقوله: **بِئْسَ الشَّرَابُ** يقول تعالى ذكره: بئس الشراب، هذا الماء الذي يغاث به هؤلاء الطالمون في جهنم الذي صفتة ما وصف في هذه الآية.

وقوله: **وَسَاءَتْ مُرْتَقًا** يقول تعالى ذكره: وساعت هذه النار التي اعتدناها لهؤلاء الطالمين مرتفقا والمرتفق في كلام العرب: المتكأ، يقال منه: ارتققت إذا اتكلأت، كما قال الشاعر:

قالَتْ لَهُ وَارْتَقَتْ أَلَا فَتَيَسُوقُ بِالْقَوْمِ عَرَالَاتِ الصَّحَى

أراد: واتكأت على مرفقها وقد ارتفق الرجل: إذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم، وهو مرتفق، كما قال أبو ذؤيب الهدلي: **نَامَ الْخَلِيلُ وَبِتِ اللَّيْلِ مُرْتَفِقًا كَمَا عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَدْبُوحُ**
 وأما من الرفق فإنه يقال: قد ارتفقت بك مرتفقا، وكان مجاهد يتأنّى قوله: **وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا** يعني المجتمع. ذكر الرواية بذلك: 17385 حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجح، عن مجاهد **مُرْتَفَقًا**: أي مجتمعا. حدثني يعقوب، قال: حدثنا معتمر، عن ليث، عن مجاهد **وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا** قال: مجتمعا.
 حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.
 ولست أعرف الارتفاق بمعنى الاجتماع في كلام العرب، وإنما الارتفاق: افتعال، إما من المرفق، وإما من الرفق.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَхْسَنَ عَمَلاً}. يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، إنا لا نضيع ثواب من أحسن عملاً، فأطاع الله، واتبع أمره ونهيه، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهر.

فإن قال قائل: وأين خبر «إن» الأولى؟ قيل: جائز أن يكون خبرها قوله: إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً فيكون معنى الكلام: إنا لا نضيع أجر من عمل صالح، فترك الكلام الأول، واعتمد على الثاني بنية التكرير، كما قيل: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ** **قِتَالٍ** **فِيهِ** بمعنى: عن قتال فيه على التكرير، وكما قال الشاعر:

إِنَّ الْحَلِيقَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرْتَاهُ سِرْبَالَ مُلْكٍ يَهُ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ
 ويروى: ترجى وجائز أن يكون: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا جزاءً، فيكون معنى الكلام: إن من عمل صالح فإننا لا نضيع أجره، فتضمر الفاء في قوله «إنا» وجائز أن يكون خبرها: أولئك لهم جنات عدن، فيكون معنى الكلام: إن الذين آمنوا وعملواصالحات، أولئك لهم جنات عدن.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَاحُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُخَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبِسُونَ ثِيَابًا حَصْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَرَقَ مُنْكِبَيْنَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعْمَمُ التَّوَابُ وَحَسْنَتْ مُرْتَفَقًا}.

يقول تعالى ذكره: لهؤلاء الذين آمنوا وعملواصالحات جناث عدن، يعني بساتين إقامة في الآخرة. تجري من تحتهم الأنهر يقول: تجري من دونهم ومن أيديهم الأنهر. وقال جل ثناؤه: من تحتهم، ومعناه: من دونهم وبين أيديهم، يخلون فيها من أساور يقول: يلبسون فيها من الحلبي أساور من ذهب، والأساور: جمع إسوار.

وقوله: يَلْبِسُونَ ثِياباً حُضْرَا مِنْ سُنْدُسٍ وَالسِندِسٍ: جمع واحدها سندسة، وهي مارقٌ من الديباج: والاستبرق: مَا غَلَظَ مِنْهُ وَثُخْنٌ وَقِيلَ: إِنَّ الْاسْتِبْرِقَ هُوَ الْحَرِيرُ وَمِنْهُ قَوْلُ الْمَرَقِشِ:
تَرَاهُنْ يَلْبِسُ الْمَشَايَرَ مَرَّةً وَاسْتِبْرِقَ الْدِبَاجِ طَوْرَا لِبَاسُهَا
يعني: غليظ الديباج.

وقوله: مُنْكِئَنَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ يَقُولُ: متكئين في جنات عدن على الأرائك، وهي السرير في الحال، واحدتها: أريكة ومنه قول الشاعر:
حُذُودَا حَقَّتْ فِي السَّيْرِ حَتَّى كَأْنَمِيَابِاشِزْنَ بِالْمَعْزَاءِ مَسْ الْأَرَائِكِ
وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعْشَى:

بَيْنَ الرَّوَاقِ وَجَانِبِ مِنْ سِرِّهَا مِنْهَا وَبَيْنَ أَرِيكَةِ الْأَنْصَادِ
وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلَنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّاوِيلِ ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:
17386- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا
معمر، عن قتادة، في قوله عَلَى الْأَرَائِكِ قال: هي الحال. قال معمر،
وقال غيره: السرير في الحال.

وقوله: نَعَمَ التَّوَابُ يَقُولُ: نعم التواب جنات عدن، وما وصف جل شناوه أنه
جعل لهؤلاء الذين آمنوا وعلموا الصالحات وَحَسِنْتُ مُرْتَفِقاً يَقُولُ: وحسنـت
هذه الأرائك في هذه الجنان التي وصف تعالى ذكره في هذه الآية متكـأـ.
وقال جل شناوه: وَحَسِنْتُ مُرْتَفِقاً فَأَنْتَ الْفَعْلُ بِمَعْنَى: وحسنـت هذه الأرائك
مرـتفـقاـ، ولو ذكر لتذكـيرـ المرـتفـقاـ كان صوابـاـ، لأنـ يـعـمـ وـيـئـسـ إنـما تـدخـلـهـماـ
الـعـربـ فـيـ الـكـلـامـ لـتـدـلـاـ عـلـىـ الـمـدـحـ وـالـذـمـ لـلـفـعـلـ، فـلـذـكـرـهـماـ مـعـ
المـؤـنـثـ، وـتـوـحـدـهـماـ مـعـ الـاثـنـيـنـ وـالـجـمـاعـةـ.

الآية : 32-34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاصْرِبْ لِهِمْ مُثَلًا رِجْلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَقَقْنَا هُمَّا بَنَحْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا رَزْعًا * كِلَّتَا الْجَنَّتَيْنِ أَثَّ أَكْلُهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْنَا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لَصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثُرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرَا} .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واصرب يا محمد
لهؤلاء المشركين بالله، الذين سألكوك أن تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشـيـ يـرـيدـونـ وـجـهـهـ، مـثـلـ رـجـلـيـنـ جـعـلـنـاـ لـأـحـدـهـمـاـ جـنـتـيـنـ أيـ جـعـلـنـاـهـ
بسـاتـيـنـ مـنـ كـرـوـمـ وـحـقـقـنـاـهـمـاـ بـنـحـلـ يـقـولـ: وـأـطـفـنـاـ هـذـيـنـ الـبـسـاتـيـنـ بـنـحـلـ.
وـقـولـهـ: وـجـعـلـنـاـ بـيـنـهـمـاـ رـزـعـاـ يـقـولـ: وـجـعـلـنـاـ وـسـطـ هـذـيـنـ الـبـسـاتـيـنـ زـرـعـاـ.
وـقـولـهـ: كـلـتـاـ الـجـنـتـيـنـ أـثـ أـكـلـهـاـ يـقـولـ: كـلـاـ الـبـسـاتـيـنـ أـطـعـمـ ثـمـرـهـ وـمـاـ فـيـهـ
مـنـ الـغـرـوـسـ مـنـ النـحـلـ وـالـكـرـمـ وـصـنـوـفـ الزـرـعـ. وـقـالـ: كـلـتـاـ الـجـنـتـيـنـ، ثـمـ
قـالـ: آتـ، فـوـحـدـ الـخـبـرـ، لـأـنـ كـلـتـاـ لـأـيـفـرـدـ وـاحـدـتـهـاـ، وـأـصـلـهـ كـلـ، وـقـدـ تـفـرـدـ
الـعـربـ كـلـتـاـ أـحـيـاـنـاـ، وـيـذـهـبـونـ بـهـاـ وـهـيـ مـفـرـدـةـ إـلـىـ التـشـيـةـ قـالـ بـعـضـ الـرـجـازـ
فـيـ ذـلـكـ:

فِي كِلْتَ رِجْلَيْهَا سُلَامِي وَاحَدَهُ كِلْتَاهُمَا مَقْرُونَهُ بِرَائِدَهُ
يـرـيدـ بـكـلـتـ: كـلـتـاـ، وـكـذـلـكـ تـفـعـلـ بـكـلـتـاـ وـكـلـ وـكـلـ إـذـاـ أـصـيـفـتـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ، وـجـاءـ
الـفـعـلـ بـعـدـهـنـ وـيـجـمـعـ وـيـوـحدـ. وـقـولـهـ: وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْنَا يـقـولـ: وـلـمـ تـنـقصـ
مـنـ الـأـكـلـ شـيـئـاـ، بـلـ آتـ ذـلـكـ تـامـاـ كـامـلـاـ، وـمـنـهـ قـولـهـ: ظـلـمـ فـلـانـ فـلـانـ حـقـهـ:
إـذـاـ يـحـسـهـ وـنـقـصـهـ، كـمـ قـالـ الشـاعـرـ:
تَظْلِمَنِي مـاـ لـيـ كـذـاـ وـلـوـيـ يـدـيـلـوـيـ يـدـهـ اللـهـ الـذـيـ هـوـ غـالـبـهـ

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
17387- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً**: أي لم تنقص منه شيئاً.
وقوله: **وَقَرْجَرْنَا خَلَالَهُمَا نَهْرًا** يقول تعالى ذكره: **وَسَيَّلْنَا خَلَالَ هَذِينَ الْبَسْتَانِيْنَ نَهْرًا**، يعني بينها وبين أشجارهما نهرًا. وفيه: **وَقَرْجَرْنَا فَتَقَلَّ** الجيم منه، لأن التفجير في النهر كله، وذلك أنه يميد ماء فيسيل بعضه بعضاً.

وقوله: **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ اخْتَلَفَتِ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ**، فقرأته عاممة قراءة الحجاز والعراق: «**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ**» بضم الثاء والميم. واختلف قارئه ذلك، فقال بعضهم: كان له ذهب وفضة، وقالوا: ذلك هو الثمر، لأنها أموال مثمرة، يعني مكثرة. ذكر من قال ذلك:

17388- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجح، عن مجاهد في قول الله عز وجل: **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ** قال: ذهب وفضة، وفي قول الله عز وجل: **يُثْمِرِهِ** قال: هي أيضاً ذهب وفضة. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله **ثَمَرٌ** قال: ذهب وفضة. قال: **وَأَحِيطَ بِيُثْمِرِهِ** هي أيضاً.

وقال آخرون: بل يعني به: المال الكثير من صنوف الأموال. ذكر من قال ذلك:
17389- حدثنا أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم، قال: ثني حاج، عن هارون، عن سعيد بن أبي عربة، عن قتادة، قال: قرأها ابن عباس: **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ** بالضم، وقال: يعني أنواع المال.
حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ** يقول: مال.

17382- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ** يقول: من كل المال.
حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، عن قتادة، في قوله **وَأَحِيطَ بِيُثْمِرِهِ** قال: الثمر من المال كله يعني الثمر، وغيره من المال كله.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو سفيان، عن معمراً، عن قتادة، قال: **«الثَّمَرُ»** المال كله، قال: وكل مال إذا اجتمع فهو ثمر إذا كان من لون الثمرة وغيرها من المال كله.

وقال آخرون: بل يعني به الأصل. ذكر من قال ذلك:
17390- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ** الثمر الأصل. قال **وَأَحِيطَ بِيُثْمِرِهِ** قال: بأصله.
وكأن الذين وجهوا معناها إلى أنها أنواع من المال، أرادوا أنها جمع ثمار جمع ثمر، كما يجمع الكتاب كتاباً، والحمار حمراً. وقد قرأ بعض من وافق هؤلاء في هذه القراءة **«ثَمَرٌ»** بضم الثاء وسكون الميم، وهو يريد الضم فيها غير أنه سكتها طلب التخفيف. وقد يحتمل أن يكون أراد بها جمع ثمرة، كما تجمع الخشبة خشباً. وقرأ ذلك بعض المدنيين: **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ**

بفتح الثاء والميم، بمعنى جمع التمرة، كما تجمع الخشبة حشباً.
والقصبة قصباً.

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ و كان لَهُ ثُمُرْ
بضم الثاء والميم لإجماع الحجة من القراء عليه وإن كانت جمع ثمار، كما
الكتب جمع كتاب.

ومعنى الكلام: وَفَجَّرْنَا خَلَالُهُمَا تَهْرًا وَكَانَ لَهُ مِنْهُمَا ثُمُرْ بِمَعْنَى مِنْ جَنْتِيهِ
أَنْوَاعَ مِنَ الْثَمَارِ. وَقَدْ بَيْنَ ذَلِكَ لِمَنْ وَفِقْ لِفَهْمِهِ، قَوْلُهُ: جَعَلْنَا لِأَخْدِهِمَا
جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَقَّفْنَاهُمَا بَتْحُلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا رَزْعًا ثُمَّ قَالَ: وَكَانَ لَهُ
مِنْ هَذِهِ الْكَرْوَمِ وَالنَّخْلِ وَالزَّرْعِ ثُمَّرًا.

وقوله: فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحاَوِرُهُ يَقُولُ عَزْ وَجْلٌ: فَقَالَ هَذَا الَّذِي جَعَلْنَا لَهُ
جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ، لِصَاحِبِهِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ وَهُوَ يَخْاطِبُهُ: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَا لَأَ
وَأَعَزُّ نَفَرًا يَقُولُ: وَأَعَزُّ عَشِيرَةً وَرَهْطًا، كَمَا قَالَ عَيْنَيْنِ وَالْأَقْرَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَحْنُ سَادَاتُ الْعَرَبِ، وَأَرْبَابُ الْأَمْوَالِ، فَنَحْنُ عَنَا
سَلْمَانَ وَجَبَابَا وَضُهَيبَا، احْتَقَارًا لَهُمْ، وَتَكْبِرًا عَلَيْهِمْ، كَمَا:
17391- حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:
فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحاَوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَا لَأَ وَأَعَزُّ نَفَرًا وَتِلْكَ وَاللَّهُ أَمْنِيَّةُ
الْفَاجِرِ: كَثْرَةُ الْمَالِ، وَعَزْرَةُ النَّفَرِ.

الآية : 36- 35

القول في تأويل قوله تعالى: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ طَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا
أَطْنَّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَطْنَ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتِ إِلَى رَبِّي
لِأَجِدَنْ حَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلِبًا}.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب دخل جنته وهي
بسنانه وهو طالم لنفسه وظلم نفسه: كفره بالبعث، وشكه في قيام
الساعة، ونسياه المعاد إلى الله تعالى، فأوجب لها بذلك سخط الله
وأليم عقابه. قوله: قال ما أطْنَّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا يقول جل ثناؤه: قال
لما عاين جنته، ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزرع والأنهار
المطردة شكا في المعاد إلى الله: ما أطْنَّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ الْجَنَّةُ أَبَدًا، ولا
تفنى ولا تخرُب، وما أطْنَ السَّاعَةَ التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقول
فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شك منه، فقال: وَلَئِنْ رُدِدْتِ إِلَى
رَبِّي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، وهو غير موقن أنه راجع إليه لأجدن حيرا منها مُنْقَلِبًا
يقول: لأجدن حيرا من جنتي هذه عند الله إن ردت إليه مرجا ومردا،
يقول: لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولئ عنده أفضل منها في
المعاد إن ردت إليه. كما:

17392- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في
قوله: وَمَا أَطْنَ السَّاعَةَ قَائِمَةً قال: شك، ثم قال: ولئن كان ذلك ثم رُدِدْتِ
إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنْ حَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلِبًا ما أَعْطَانِي هَذِهِ إِلَّا وَلِي عَنْهُ خَيْرٌ مِنْ
ذَلِكَ.

17393- حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:
وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ طَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَطْنَ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَطْنَ
السَّاعَةَ قَائِمَةً كَفُورٌ لِنَعْمَ رَبِّهِ، مَكْذُوبٌ بِلِقَائِهِ، مَتْمَنٌ عَلَى اللَّهِ.

الآية : 37 و 38

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالذِّي
خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لِكِنْ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرِكَ
بِرَبِّي أَحَدًا}.

يقول تعالى ذكره: قال لصاحب الجن提ين صاحبه الذي هو أقل منه مالاً وولدا، وهو يحاوره: يقول: وهو يخاطبه ويكلمه: أكفرت بالذي خلقك من تراب يعني خلق أباكAdam من تراب ثم من نطفة يقول: ثم عَدَ لك بشرا سويا رجلا، ذakra لا أنتي، يقول: أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدهك خلقا جديدا بعد ما تصير رفاتا لكـا هو الله ربـي يقول: أما أنا فلا أكفر ربـي، ولكن أنا هو الله ربـي، معناه أنه يقول: ولكن أنا أقول: هو الله ربـي ولا أشـرك ربـي أحدا. وفي قراءة ذلك وجهاـن: أحدهما لكنـ هو الله ربـي بتـشـدـيدـ النـونـ وـحـذـفـ الأـلـفـ فيـ حـالـ الـوـصـلـ، كماـ يـقـالـ: أـنـاـ قـائـمـ فـتـحـذـفـ الـأـلـفـ منـ أـنـاـ، وـذـلـكـ قـرـاءـةـ عـامـةـ قـرـاءـ أـهـلـ الـعـرـاقـ. وأـمـاـ فيـ الـوـقـفـ فـإـنـ الـقـرـاءـةـ كـلـهاـ تـثـبـتـ فـيـهاـ الـأـلـفـ، لأنـ الـنـونـ إـنـمـاـ شـدـدـتـ لـانـدـغـامـ الـنـونـ مـنـ لـكـنـ، وـهـيـ سـاـكـنـةـ فـيـ الـنـونـ التـيـ مـنـ أـنـاـ، إـذـ سـقطـتـ الـهـمـزـةـ التـيـ فـيـ أـنـاـ، فـإـذـاـ وـقـفـ عـلـيـهاـ ظـهـرـتـ الـأـلـفـ التـيـ فـيـ أـنـاـ، فـقـيـلـ: لـكـنـاـ، لأنـهـ يـقـالـ فـيـ الـوـقـفـ عـلـىـ أـنـاـ بـإـثـيـاتـ الـأـلـفـ لـاـ بـإـسـقـاطـهـاـ. وـقـرـأـ ذـلـكـ جـمـاعـةـ مـنـ أـهـلـ الـحـجـازـ: لـكـنـاـ بـإـثـيـاتـ الـأـلـفـ فـيـ الـوـصـلـ وـالـوـقـفـ، وـذـلـكـ وـإـنـ كـانـ مـمـاـ يـنـطـقـ بـهـ فـيـ ضـرـورةـ الشـعـرـ، كـمـاـ قـالـ الشـاعـرـ:

أـنـاـ سـيـفـ الـعـشـيـرـةـ فـأـعـرـ فـوـنـيـحـمـيـداـ قدـ تـدـرـيـثـ السـنـاـمـاـ
فـأـثـبـتـ الـأـلـفـ فـيـ أـنـاـ، فـلـيـسـ ذـلـكـ بـالـفـصـيـحـ مـنـ الـكـلـامـ، وـالـقـرـاءـةـ التـيـ هـيـ
الـقـرـاءـةـ الصـحـيـحـةـ عـنـدـنـاـ مـاـ ذـكـرـنـاـ عـنـ الـعـرـاقـيـنـ، وـهـوـ حـذـفـ الـأـلـفـ مـنـ
«لـكـنـ»ـ فـيـ الـوـصـلـ، وـإـثـيـاتـهـ فـيـ الـوـقـفـ.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا
فُوْهَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا}.
يقول عز ذكره: وهلا إذ دخلت بستانك، فأعجبك ما رأيت منه، قلت ما شاء الله كان وفي الكلام محفوظ استغني بدلالة ما ظهر عليه منه، وهو جواب الجزاء، وذلك كان.

إذا وجه الكلام إلى هذا المعنى الذي قلنا كانت «ما» نصبا بوقوع فعل الله عليه، وهو شاء وجاز طرح الجواب، لأن معنى الكلام معروف، كما قيل: فإن استطعت أن تتبعي نفقا في الأرض، وترك الجواب، إذ كان مفهوما معناه. وكان بعض أهل العربية يقول «ما» من قوله: ما شاء الله في موضع رفع بإضمار هو، كأنه قيل: قلت هو ما شاء الله لا فُوْهَ إِلَّا بِاللَّهِ يقول: لا فُوْهَ على ما نحاول من طاعته إلا به. وقوله: إنْ تَرَنِ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا وهو قول المؤمن الذي لا مال له، ولا عشيرة، مثل صاحب الجن提ين وعشيرته، وهو مثل سليمان وصهيون وخباب، يقول: قال المؤمن للكافر: إن ترن أيها الرجل أنا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فإذا إذا جعلت أنا عمادا نصب أقل، وبه القراءة عندنا، لأن عليه قراءة الأمصار، وإذا جعلته اسم رفعت أقل.

الآية : 40 و 41

القول في تأويل قوله تعالى: {فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِنَ حَيْرًا مِّنْ جَنْتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا رَّلْقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا عَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِعَ لَهُ طَلَبًا }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن الموقن للمعاد إلى الله للكافر المرتاب في قيام الساعة: إن تَرَنَ أيها الرجل أنا أقل منك مالاً وولدا في الدنيا، فعسى ربى أن يرزقني خيرا من بستانك هذا وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا يعني على جنة الكافر التي قال لها: ما أظن أن تبيه هذه أبدا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ يقول: عذاباً من السماء ترمي به رمي، وتقذف. **والحسبان**: جمع **حسبانة**، وهي المرامي. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17394. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أو **يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ عَذَابًا**.

17395. حدثت عن محمد بن يزيد، عن جوير، عن الصحاك، قال: عذابا.

17396. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ قال: عذابا، قال: **الحسبان**: قضاء من الله يقضيه.

17397. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: **الحسبان**: العذاب.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: أخبرنا معمرا، عن قتادة، في قوله **حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ** قال: عذابا. وقوله: **فَتُصْبِحَ صَعِيدًا رَّلْقًا** يقول عز ذكره: فتصبح جنتك هذه أيها الرجل أرضًا ملساء لا شيء فيها، قد ذهب كل ما فيها من عَرْس ونبت، وعادت خرابا بلا قع، **رَلْقا**، لا يثبت في أرضها قدم لا ملساسها، ودروس ما كان نابتا فيها.

17398. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **فَتُصْبِحَ صَعِيدًا رَّلْقا**: أي قد خُصِدَ ما فيها فلم يترك فيها شيء.

17399. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: **فَتُصْبِحَ صَعِيدًا رَّلْقا** قال: مثل الجرذ.

17400. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد، في قوله: **فَتُصْبِحَ صَعِيدًا رَّلْقا** قال: صعيда زلقا وصعيدا جرزا واحد ليس فيها شيء من النبات.

وقوله: أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا عَوْرًا يقول: أو يصبح مأواها غيرها فوضع الغور وهو مصدر مكان الغائر، كما قال الشاعر:

تَظَلَّ جِيادُهُ تَوْحًا عَلَيْهِمْ قَلَدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا
بمعنى نائحة وكما قال الآخر:

هَرِيقِي مِنْ دُمُوعِهِمَا سَجَاماً ضَبَاعَ وَجَاؤِبِي تَوْحَا قِياماً
والعرب توحد **الغور** مع الجمع والثنين، وتذكر مع المذكر والمؤنث، تقول: ماء غور، وماءان **غَور** ومياه **غَور**. ويعني بقوله: **غَورًا** ذاهبا قد غار في الأرض، فذهب فلا تلحقه الرشاء، كما:

17401. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أو **يُصْبِحَ مَأْوَهَا عَوْرًا** أي ذاهبا قد غار في الأرض.

وقوله: **فَلَنْ تَسْتَطِعَ لَهُ طَلَبًا** يقول: فلن تطيق أن تدرك الماء الذي كان في جنتك بعد **غَوره**، بطلبك إياه.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاحِيطاً بِتَمَرِهِ فَاصْبَحَ يُقْلِبُ كَفِيهَ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلِيَّتِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا}. يقول تعالى ذكره: وأحاط الهلاك والجوانح بشرمه، وهي صنوف ثمار جنته التي كان يقول لها: ما أطْنَ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبْدَا فَاصْبَحَ هَذَا الْكَافِرُ صَاحِبُ هَاتِيْنِ الْجَنْتَيْنِ، يقلب كفيه ظهراً ليطن، تلهفاً وأسفما على ذهاب نفقته التي أنفق في جنته وهي حاوية على عروشها يقول: وهي خالية على نباتها وبيوتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17402. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة فأصبح يُقْلِبُ كَفِيهَ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا مَتَلَهْفَا عَلَى مَا فَاتَهُ. وَهُوَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي، يَقُولُ: يَتَمَنِي هَذَا الْكَافِرُ بَعْدَ مَا أَصَبَ بِجَنْتَهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَانَ أَشْرِكَ بِرَبِّهِ أَحَدًا، يَعْنِي بِذَلِكَ: هَذَا الْكَافِرُ إِذَا هَلَكَ وَزَالَتْ عَنْهُ دُنْيَاَهُ وَانْفَرَدَ بِعَمَلِهِ، وَدَأْنَهُ لَمْ يَكُنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ شَيْئًا.

الآية : 43 و 44

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُتَّصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرُ تَوَابًا وَخَيْرُ عُقَبَا}. يقول تعالى ذكره: ولم يكن لصاحب هاتين الجنتين فِتْنَة، وهم الجماعة كما قال العجاج:

كَمَا يَحُوزُ الْفِتْنَةُ الْكَمِيَّ

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، وإن خالف بعضهم في العبارة عنه عبارتنا، فإن معناهم نظير معناها فيه. ذكر من قال ذلك:

17403. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عز وجل: وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ: عَشِيرَتِهِ حَدَثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَثَنَا الْحَسِينُ، قَالَ: ثَنَى حَجَاجُ، عَنْ أَبْنَى جَرِيجٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، مُثْلِهِ.

17404. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ: أَيْ جَنْدٌ يَنْصُرُونَهُ. وَقَوْلُهُ: يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ: يَمْنَعُونَهُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ وَعِذَابِ اللَّهِ إِذَا عَاقَبَهُ وَعَذَّبَهُ. وَقَوْلُهُ وَمَا كَانَ مُتَّصِرًا يَقُولُ: وَلَمْ يَكُنْ مُمْتَنَعًا مِنْ عِذَابِ اللَّهِ إِذَا عَذَّبَهُ، كَمَا:

17405. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَمَا كَانَ مُتَّصِرًا: أَيْ مُمْتَنَعًا. وَقَوْلُهُ: هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ يَقُولُ عَزْ ذَكْرُهُ: ثُمَّ وَذَلِكَ حِينَ حلَّ عِذَابُ اللَّهِ بِصَاحِبِ الْجَنْتَيْنِ فِي الْقِيَامَةِ.

واختلفت القراء في قراءة قوله: الولاية، فقرأ بعض أهل المدينة والبصرة والكوفة هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ بفتح الواو من الولاية، يعنون بذلك هُنَالِكَ الْمُوَالَاةُ لِلَّهِ، كقول الله: اللَّهُ وَلِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وكقوله: ذلك بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا يذهبون بها إلى الولاية في الدين. وقرأ ذلك عامّة قراء الكوفة:

«هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ» يكسر الواو: من المُلْك والسلطان، من قول القائل: وَلِيُّ عَمَلٌ كَذَا، أَوْ بَلْدَةٌ كَذَا إِلَيْهِ وَلَايَةٌ.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب، قراءة من قرأ بكسر الواو، وذلك أن الله عقب ذلك خبره عن ملكه وسلطانه، وأن من أحَلَّ به نقمته يوم القيمة فلا ناصر له يومئذ، فإنَّ اتباع ذلك الخبر عن انفراده بالمملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالة التي لم يجر لها ذكر ولا معنى، لقول من قال: لا يسمى سلطان الله ولية، وإنما يسمى ذلك سلطان البشر، لأن الولاية معناها أنه يلي أمر خلقه منفرداً به دون جميع خلقه، لأنه يكون أميراً عليهم.

واختلفوا أيضاً في قراءة قوله الحق فقرأ ذلك عامّة قراء المدينة والعراق خفضاً، على توجيهه إلى أنه من نعت الله، وإلى أن معنى الكلام: هنالك الولاية لله الحق الوهبي، لا الباطل بطول الوهبي التي يدعونها المشركون بِالله آلهة. وقرأ ذلك بعض أهل البصرة وبعض متآخري الكوفيين: «لِلَّهِ الْحَقُّ» برفع الحق توجيهها منها إلى أنه من نعت الولاية، ومعناه: هنالك الولاية الحق، لا الباطل لله وحده لا شريك له.

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب، قراءة من قرأه خفضاً على أنه من نعت الله، وأن معناه ما وصفت على قراءة كذلك.

وقوله: هُوَ حَيْرٌ تَوَابًا يَقُولُ عَزِّ ذَكْرِهِ: خير للمنبيين في العاجل والأجل ثواباً وَحَيْرٌ عُقْبَى يَقُولُ: وخيرهم عاقبة في الأجل إذا صار إليه المطبع له، العامل بما أمره الله، والمنتهى عما نهاه الله عنه. والعقب هو العاقبة، يقال: عاقبة أمر كذا وعقباه وعقبه، وذلك آخره وما يصير إليه منتها.

وقد اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأه عامّة قراء الكوفة عقباً بضم العين وتسكن القاف.

والقول في ذلك عندنا. أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار بمعنى واحد، فبأيتها قرأ القاريء فمصيب.

الآلية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاصْرِبْ لَهُمْ مُّتَّلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا إِنَّ رَبَّنَا مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ تَبَاثُ الْأَرْضِ فَاصْبَحَ هَشِيشاً مَّذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً}.

يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واصرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك: اطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، إذا نحن جئناك الدنيا منهم مثلاً يقول: شبهها كما إنزلناه من السماء يقول: كمطر أنزلناه من السماء فاختلط به تباث الأرض يقول: فاختلط بالماء نبات الأرض فأصبح هشيشاً يقول: فأصبح نبات الأرض يابساً متفتتاً مذروحة الريح يقول: تطيره الريح وتفرقه يقال منه: ذرته الريح ذرروه ذروا، وذرته ذرياً، وأذرته ذرريه إذراء كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَهُ صَوْبٌ وَلَا تُجْهِدْنِهِ فَيُذْرِكَ مِنْ أَخْرَى الْقَطَاةِ فَتَرْلَقِ

يقال: أذربت الرجل عن الدابة والبعير: إذا أقيته عنه.

وقوله: وكان الله على كل شيء مقتداً يقول: وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته: ما أطْنَّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَطْنَ السَّاعَةَ قائمةً وإهلاك أموال ذي الأموال الباخلين بها عن حقوقها، وإزالة دنيا

الكافرين به عنهم، وغير ذلك مما يشاء قادر، لا يعجزه شيء أراده، ولا يُعَيِّنه أمر أراده، يقول: فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله، ولا يستكبر على غيره بها، ولا يغترّ أهل الدنيا بدنياهم، فإنما مثّلها مثل هذا النبات الذي حسُن استواوه بالمطر، فلم يكن إلا رِيَثٌ أن انقطع عنه الماء، فتلاهني نهايته، عاد يابسا تذروه الرياح، فاسدا، تنبو عنه أعين الناظرين، ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفني، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا وَحَيْرٌ أَمَلًا} .

يقول تعالى ذكره: المال والبنون أيها الناس التي يفخر بها عيينة والأقرع، ويتكبران بها على سلمان وخباب وصهيب، مما يتزين به في الحياة الدنيا، وليس من عداد الآخرة والباقيات الصالحة حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا يقول: وما يعمل سلمان وخباب وصهيب من طاعة الله، ودعائهم ربهم بالغداة والعشي يربدون وجهه، الباقي لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا، خير يا محمد عند ربك ثوابا من المال والبنين التي يفتخر هؤلاء المشركون بها، التي تفني، فلا تبقى لأهلهما وَحَيْرٌ أَمَلًا يقول: وما يؤمل من ذلك سلمان وصهيب وخباب، خير مما يؤمل عيينة والأقرع من أموالهما وأولادهما. وهذه الآيات من لدن قوله: وَأَنْلَى مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ، ذُكْرُ أَنَّهَا نَزَّلَتْ فِي عِيِّنَةِ وَالْأَقْرَعِ ذكر من قال ذلك:

17406. حدثنا الحسين بن عمرو العنزي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي، وكان قارئ الأزد، عن أبي الكنود، عن خباب في قوله: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ ثم ذكر القصة التي ذكرناها في سورة الأنعام في قصة عيينة والأقرع، إلى قوله: وَلَا تُطْعِنْ مَنْ أَعْقَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَقال: عيينة والأقرع وَأَنْلَى هَوَاهُ قال: ثم قال ضرب لهم مثلاً رجلين، ومثل الحياة الدنيا.

واختلف أهل التأويل في المعنى بالباقيات الصالحات، اختلفهم في المعنى بالدعاء الذي وصف جل شناوه به الذين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن طردتهم، وأمره بالصبر معهم، فقال بعضهم: هي الصلوات الخمس. وقال بعضهم: هي ذكر الله بالتسبيح والتقديس والتهليل، ونحو ذلك. وقال بعضهم: هي العمل بطاعة الله. وقال بعضهم: الكلام الطيب. ذكر من قال: هي الصلوات الخمس:

17407. حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطي، قال: حدثنا يعقوب بن كاسب، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموي قال: سمعت عبد الله بن يزيد بن هرمز، يحدّث عن عبيد الله بن عتبة، عن ابن عباس أنه قال: الباقيات الصالحات: الصلوات الخمس.

17408. حدثني زريق بن إسحاق، قال: حدثنا قبيصه، عن سفيان، عن عبد الله بن مسلم، عن سعيد بن جبير، في قوله: وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ قال: الصلوات الخمس.

17409. حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن أبي إسحاق عن عمرو بن سرحبيل في هذه الآية والباقيات الصالحة قال: هي الصلوات المكتوبات.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن عبد الله بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: الباقيات الصالحات: الصلوات الخمس.

17410. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان عن الحسن بن عبد الله، عن إبراهيم، قال الباقيات الصالحات الصلوات الخمس.

17411. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حرير، عن منصور، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة والباقيات الصالحات قال: الصلوات الخمس. ذكر من قال: هنّ ذكر الله بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك:

17412. حدثنا ابن حميد وعبد الله بن أبي زياد ومحمد بن عمارة الأستي، قالوا: حدثنا عبد الله بن يزيد، قال: أخبرنا حية، قال: أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشي منبني تيم من رهط أبي بكر الصديق، أنه سمع الحرف مولى عثمان بن عفان، يقول: قيل لعثمان: ما الباقيات الصالحات؟ قال: هنّ لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

حدثني سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا أبو زرعة، قال: حدثنا حية، قال: حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد، أنه سمع الحرف مولى عثمان بن عفان يقول: قيل لعثمان بن عفان: ما الباقيات الصالحات؟ قال: هي لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: حدثنا نافع بن يزيد ورشدين بن سعد، قالا: حدثنا زهرة بن معبد، قال: سمعت الحارث مولى عثمان بن عفان يقول: قالوا لعثمان: ما الباقيات الصالحات؟ فذكر مثله.

17413. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: وَالباقيات الصالحات قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت عبد الملك، عن عطاء، عن ابن عباس، في قوله وَالباقيات الصالحات قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا طلق بن غنم، عن زائدة، عن عبد الملك، عن عطاء، عن ابن عباس، مثله.

17414. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا مالك، عن عمارة بن عبد الله بن صياد، عن سعيد بن المسيب، قال: الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

17415. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: أخبرني عبد الله بن عثمان بن حثيم، عن نافع بن سرجس، أنه أخبره أنه سأله ابن عمر عن الباقيات الصالحات، قال: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. قال ابن جريج، وقال عطاء بن أبي رباح مثل ذلك.

17416. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

حدثنا ابن المتنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد، بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله **واليقيات الصالحات** قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

17417. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني أبو صخر: أن عبد الله بن عبد الرحمن، مولى سالم بن عبد الله، حدثه قال: أرسليني سالم بن محمد بن كعب الفُرطِي، فقال: قل له **القَنِي** عند زاوية القبر، فإن لي إليك حاجة، قال: فالتقى، فسلم أحدهما على الآخر، ثم قال سالم: ما تعد الباقيات الصالحات؟ فقال: لا إله إلا الله، والحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، فقال له سالم: متى جعلت فيها لا حول ولا قوّة إلا بالله؟ فقال: ما زلت أجعلها، قال: فراجعه مرتين أو ثلاثة فلم ينزع. قال: فأثبتت، قال سالم: أجل، فأثبتت فإن أبا أيوب الأنباري حدثني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «**عُرَجَّ بِي إِلَى السَّمَاءِ فَأَرَيْتُ إِبْرَاهِيمَ**، فقال: يا جَبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فقال: **مُحَمَّدٌ**، فَرَحِّبَ بِي وَسَهَّلَ، ثُمَّ قال: **مُرْأَتُكَ فَلْتُكِثِرْ مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ**، فإن تربّتها طيبة، وأرضُها واسعة، فَقُلْتُ: **وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟** قال: **لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**».

17418. وجدت في كتابي عن الحسن بن الصّبّاح البزار، عن أبي نصر التمار، عن عبد العزيز بن مسلم، عن محمد بن عجلان، عن سعيد المقبّري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ** من الباقيات الصالحات».

17419. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، عن الحسن وقتادة، في قوله: **واليقيات الصالحات حيّر** قال: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله، هن الباقيات الصالحات.

17420. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث، أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات»، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الملة»، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «التكبير والتهليل والتسيّخ، والحمد، ولا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مالك، عن عمارة بن صياد، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول في الباقيات الصالحات: إنها قول العبد: الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

حدثني ابن البزقي، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب، قال: ثني ابن عجلان، عن عمارة بن صياد، قال: سألني سعيد بن المسيب، عن الباقيات الصالحات، فقلت: الصلاة والصيام، قال: لم

تصب فقلت: الزكاة والحجّ، فقال: لم تصب، ولكنهن الكلمات الخمس: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. ذكر من قال: هي العمل بطاعة الله عزّ وجلّ:

17421. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس والباقيات الصالحة حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا وَحَيْرٌ أَمَلًا قال: الأعمال الصالحة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: والباقيات الصالحة قال: هي ذكر الله قول لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وتبارك الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على رسول الله والصيام والصلوة والحجّ والصدقة والعتق والجهاد والصلة، وجميع أعمال الحسنات، وهنّ الباقيات الصالحة، التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض.

17422. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله والباقيات الصالحة حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا وَحَيْرٌ أَمَلًا قال: الأعمال الصالحة. ذكر من قال: هي الكلم الطيب:

17423. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: والباقيات الصالحة قال: الكلام الطيب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هنّ جميع أعمال الخير، كالذى رُوى عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، لأن ذلك كله من الصالحة التي تبقى لصاحبها في الآخرة، وعليها يجازي ويتاب، وإن الله عزّ ذكره لم يخصص من قوله والباقيات الصالحة حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا بعضا دون بعض في كتاب، ولا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن ظنّ ظانٍ أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ورد بأن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هنّ من الباقيات الصالحة، ولم يقل: هنّ جميع الباقيات الصالحة، ولا كل الباقيات الصالحة وجائز أن تكون هذه باقيات صالحة، وغيرها من أعمال البر أيضًا باقيات صالحة.

الآية : 47 و 48

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَاهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرْضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْنُمُونَا كَمَا حَلَقْنَاكُمْ أَوْلَ مَرَّةً بَلْ رَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ تَجْعَلَ لَكُمْ مُّؤْعِدًا} .

يقول تعالى ذكره: ويَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ عن الأرض، فنبسّها بسّنا، ونجعلها هباء منبا وترى الأرض بارزةً ظاهرة، وظهورها لرأي أعين الناظرين من غير شيء يسترها من جبل ولا شجر هو بروزها. وبنحو ذلك قال جماعة من أهل التأویل. ذكر من قال ذلك:

17424. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء،

جميعاً عن ابن أبي نجح، عن مجاهد وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً قال: لا حَمْرَ
فِيهَا وَلَا غِيَابَةً وَلَا بَنَاءً، وَلَا حَجَرٌ فِيهَا.
حدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج،
عن مجاهد، مثله.

17425 حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:
وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً لَيْسَ عَلَيْهَا بَنَاءً وَلَا شَجَرٌ.
وَقَيْلٌ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزاً أَهْلَهَا الَّذِينَ كَانُوا فِي بَطْنِهَا،
فَصَارُوا عَلَى ظُهُورِهَا. وَقَوْلُهُ وَحَسْرَنَا هُمْ يَقُولُونَ: جَمِيعُنَا هُمْ إِلَى مَوْقِفِ
الْحِسَابِ فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا، يَقُولُ: فَلَمْ نَتَرَكْ، وَلَمْ نَبْقِ مِنْهُمْ تَحْتَ
الْأَرْضِ أَحَدًا، يَقُولُ مِنْهُ: مَا غَادَرْتُ مِنْ الْقَوْمِ أَحَدًا، وَمَا أَغْدَرْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا،
وَمِنْ أَغْدَرْتُ قَوْلَ الرَّاجِزِ:

هَلْ لِكَ وَالْعَارِضُ مِنْكَ عَائِصُفِي هَجْمَةً يُعْدِرُ مِنْهَا الْقَابِضُ
وَقَوْلُهُ: وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفَّا يَقُولُ عَزْ ذَكْرُهُ: وَعَرِضَ الْخَلْقُ عَلَى
رَبِّكَ يَا مُحَمَّدٌ صَفَّا لَقَدْ جِئْنُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ يَقُولُ عَزْ ذَكْرُهُ:
يَقَالُ لَهُمْ إِذْ عَرَضُوا عَلَى اللَّهِ: لَقَدْ جِئْنُمُونَا إِلَيْهَا النَّاسُ أَحْيَاهُ كَهْيَتُكُمْ حِينَ
خَلَقْنَاكُمْ أَوْلَ مَرَّةً وَحْدَفَ يَقَالُ مِنَ الْكَلَامِ لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ بَأْنَهُ مَرَادُ فِي
الْكَلَامِ.

وَقَوْلُهُ: بَلْ رَعَمْتُمْ أَنْ تَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وَهَذَا الْكَلَامُ خَرَجَ مِنْ خَرْجِ الْخَبَرِ
عَنْ خَطَابِ اللَّهِ بِهِ الْجَمِيعِ، وَالْمَرَادُ مِنْهُ الْخَصُوصُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يَرِدُ
الْقِيَامَةُ خَلْقُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ، وَالْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُلِهِ وَبِالْبَعْثِ.
وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُقَالُ يَوْمَئِذٍ لِمَنْ وَرَدَهَا مِنْ أَهْلِ التَّصْدِيقِ بِوَعْدِ اللَّهِ فِي
الْدُّنْيَا، وَأَهْلِ الْيَقِينِ فِيهَا بِقِيَامِ السَّاعَةِ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ
الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَالْحَشْرَ إِلَى الْقِيَامَةِ مَوْعِدًا، وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَقَالُ
لِمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مَكْذُبًا بِالْبَعْثِ وَبِقِيَامِ السَّاعَةِ.

الآية : 49

القول في تأويل قوله تعالى: {وَوُجْنَيَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ
مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوْمَئِنَا مَا لِهَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَخْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاصِرِاً وَلَا يَظْلِمُ رَبِّكَ أَحَدًا}.

يَقُولُ عَزْ ذَكْرُهُ: وَوَضَعَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ كِتَابَ أَعْمَالِ عِبَادِهِ فِي أَيْدِيهِمْ، فَأَخْذَ
وَاحِدَ بِيْمِينِهِ وَأَخْذَ وَاحِدَ بِشَمَالِهِ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ
يَقُولُ عَزْ ذَكْرُهُ: فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ الْمُشَرِّكِينَ بِاللَّهِ مُشْفِقِينَ، يَقُولُ:
خَائِفِينَ وَجْلِينَ مِمَّا فِيهِ مَكْتُوبٌ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْسَّيِّئَةِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي
الْدُّنْيَا أَنْ يُؤَاخِذُوا بِهَا وَيَقُولُونَ يَا وَيَلَّنَا مَا لِهَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً إِلَّا أَخْصَاهَا يَعْنِي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِذَا قَرَأُوا كِتَابَهُمْ، وَرَأُوا مَا قَدْ كَتَبَ
عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنْ صَغَافَرَ ذُنُوبِهِمْ وَكَبَائِرَهُمْ، نَادُوا بِالْوَيْلِ حِينَ أَيْقَنُوا بِعَذَابِ
اللهِ، وَضَجَّوْ مِمَّا قَدْ عَرَفُوا مِنْ أَفْعَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ الَّتِي قَدْ أَحْصَاهَا كِتَابُهُمْ،
وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَنْكِرُوا صَحَّتِهَا كَمَا:

17426 حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:
مَا لِهَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَخْصَاهَا اشْتَكِيَ الْقَوْمُ كَمَا
تَسْمَعُونَ الْإِحْصَاءَ، وَلَمْ يَشْتَكِ أَحَدٌ ظَلْمًا، «فَإِيَاكُمْ وَالْمُحَقَّرُاتِ مِنْ
الذُّنُوبِ، فَإِنَّهَا تَجْتَمِعُ عَلَى صَاحِبِهَا حَتَّى تَهْلِكَهُ». ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَضْرِبُ لَهَا مَثَلًا، يَقُولُ كَمِثْلِ قَوْمٍ انْطَلَقُوا يَسِيرُونَ حَتَّى

نزلوا بفلاة من الأرض، وحضر صنيع القوم، فانطلق كلّ رجل يحتطب، فجعل الرجل يجيء بالعود، ويجيء الآخر بالعود، حتى جمعوا سواداً كثيراً وأججوا ناراً، فإن الذنب الصغير يجتمع على صاحبه حتى يهلكه. وقيل: إنه عنى بالصغيرة في هذا الموضع: الصحك. ذكر من قال ذلك:

17427. حديثي زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: حدثنا عبد الله بن داود، قال: حدثنا محمد بن موسى، عن الزبيال بن عمرو، عن ابن عباس لا يُعادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً قال: الصحك.

17421. حدثنا أحمد بن حازم، قال: حدثنا أبي، قال: حدثني أمي حمادة ابنة محمد، قال: سمعت أبي محمد بن عبد الرحمن يقول في هذه الآية في قول الله عزّ وجلّ: ما لَهَدًا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَخْصَاهَا قال: الصغيرة: الصحك.

ويعني بقوله: ما لَهَدًا الْكِتَابِ: ما شأن هذا الكتاب لا يُعادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً يقول: لا يبقى صغيرة مِن ذنوبنا وأعمالنا ولا كبيرة منها إِلَّا أَخْصَاهَا يقول: إِلَّا حفظها وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ حَاضِرًا فِي كِتَابِهِمْ ذَلِكَ مَكْتُوبٌ مِثْبَتًا، فَجَوَّزُوا بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَالْحَسَنَةُ مَا اللَّهُ جَازَيْهُمْ بِهَا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا يقول: ولا يجازي ربك أحداً يا محمد بغير ما هو أهله، لا يجازي بالإحسان إلا أهل الإحسان، ولا بالسيئة إلا أهل السيئة، وذلك هو العدل.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لَأَدَمَ فَسَاجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَقَسَّمَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفْتَنَحْدُونَهُ وَدُرْسِتُهُ أُولَيَاءِ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يُنَسِّي لِلظَّالِمِينَ بَدْلًا}.

يقول تعالى ذكره مذكراً هؤلاء المشركين حسد إبليس أباهم ومعلمهم ما كان منه من كبره واستكباره عليه حين أمره بالسجود له، وأنه من العداوة والحسد لهم على مثل الذي كان عليه لأبيهم: واذكر يا محمد إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لَأَدَمَ فَسَاجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ الذي يطيعه هؤلاء المشركون ويتبعون أمره، وبخلافون أمر الله، فإنه لم يسجد له استكباراً على الله، وحسداً لأدم كان مِنَ الْجِنِّ.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله كان مِنَ الْجِنِّ فقال بعضهم: إنه كان من قبيلة يقال لهم الجن. وقال آخرون: بل كان من خزان الجنة، فنُسب إلى الجنة. وقال آخرون: بل قيل من الجن، لأنه من الجن الذين استجنوا عن أعينبني أدم. ذكر من قال ذلك:

17428. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن خlad بن عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس قال: كان اسمه قبل أن يركب المعصية عزاريل، وكان من سكان الأرض، وكان من أشدّ الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، فذلك هو الذي دعاه إلى الكبر، وكان من حيٍّ يسمى جنا.

17429. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشير بن عمارة، عن أبي روق، عن الصحاك، عن ابن عباس، قال: كان إبليس من حيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجن، حُلقو من نار السmom من بين الملائكة، وكان اسمه الحارت. قال: وكان خازناً من خزان الجنة. قال: وحُلقت الملائكة من نور غير هذا الحي. قال: وحُلقت الجن الذين ذكرروا

في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت.

17430. حدثنا ابن المثنى، قال: ثني شيبان، قال: حدثنا سلام بن مسكين، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ
قال: كان إبليس من خزانة الجنة، وكان يدبر أمر سماء الدنيا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجاج، عن ابن جرير، قال: قال ابن عباس: كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة. وكان خازنا على الجنان، وكان له سلطان السماء الدنيا، وكان له سلطان الأرض، وكان فيما قضى الله أنه رأى أن له بذلك شرفا وعظمة على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله فما كان عند السجود حين أمره أن يسجد لأدم استخرج الله كبره عند السجود، فلעنه وأخره إلى يوم الدين. قال: قال ابن عباس: قوله: كَانَ مِنَ الْجِنِّ إِنَّمَا سُمِيَ بالجنان أنه كان خازنا عليها، كما يقال للرجل: مكيٌ، ومدنيٌ، وكوفيٌ، وبصريٌ، قاله ابن جرير.

وقال آخرون: هم سبط من الملائكة قبيلة، وكان اسم قبيلته الجن: 17431. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجاج، عن ابن جرير، عن صالح مولى التوامة، وشريك بن أبي نمر أحدهما أو كلاهما، عن ابن عباس، قال: إن من الملائكة قبيلة من الجن، وكان إبليس منها، وكان يسوس ما بين السماء والأرض، فعصى، فسخط الله عليه فمسخه شيطانا رجينا، لعنه الله ممسوخا. قال: وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجمة، وإذا كانت خطيئة في معصية فارجه، وكانت خطيئة آدم في معصية، وخطيئة إبليس في كبر.

17432. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَإِذْ قُلْنَا لِلملائِكَةِ اسْجُدُوا لِلَّادَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ قَبِيلَةِ الْجِنِّ يَقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ. وقال ابن عباس: لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود، وكان على خزانة السماء الدنيا. قال: وكان قتادة يقول: جن عن طاعة ربها. وكان الحسن يقول: ألجأ الله إلى نفسه. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معاذ، عن قتادة، في قوله إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ قال: كان من قبيلة الملائكة يقال لهم الجن.

17433. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن، قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس.

17434. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا عبيد، قال: سمعت الصحاك يقول: كان إبليس على السماء الدنيا وعلى الأرض وخازن الجنان.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الصحاك يقول في قوله: فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ: كان ابن عباس يقول: إن إبليس كان من أشراف الملائكة وأكرمهم

قبيلة، وكان خازنا على الجنان، وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض، وكان مما سُوّلت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله، فاستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لأدم، فاستكبر وكان من الكافرين، فذلك قوله للملائكة: إِنَّمَا أَعْلَمُ عَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنِمُونَ يعني: ما أسرّ إبليس في نفسه من الكبير.

وقوله: كَانَ مِنَ الْجِنِّ كَانَ ابْنَ عَبَاسٍ يقول: قال الله كان من الجن لأنه كان خازنا على الجنان، كما يقال للرجل: مكيّ، ومدني، وبصريّ، وكوفيّ.

وقال آخرون: كان اسم قبيلة إبليس الجن، وهم سبط من الملائكة يقال لهم الجن، فلذلك قال الله عزّ وجلّ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فنسبه إلى قبيلته.

17435. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله كان من الجن قال: من الجنانيين الذين يعملون في الجنان.

17436. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا أبو سعيد اليمامي إسماعيل بن إبراهيم، قال: ثني سوار بن الجعد اليمامي، عن شهر بن حوشب، قوله: مِنَ الْجِنِّ قال: كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة، فذهب به إلى السماء.

17437. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَقَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ قال: كان خازن الجنان فسمي بالجنان.

17438. حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: حدثنا أحمد بن بشير، عن سفيان بن أبي المقدام، عن سعيد بن جبير، قال: كان إبليس من خزنة الجنة.

وقد بيّنا

القول في ذلك فيما مضى من كتابنا هذا، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه، فأغنى ذلك عن إعادةه في هذا الموضوع.

وقوله: فَقَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ يقول: فخرج عن أمر ربه، وعدل عنه ومال، كما قال رؤبة:

يَهْوِينَ فِي تَجْدِيدِ وَغَورِ رَاغِئَرَافَوَاسِقاً عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِراً
يعني بالفواقس: الإبل المنعدلة عن قصد نجد، وكذلك الفسوق في الدين إنما هو الانعدال عن القصد، والميل عن الاستقامة. ويُحکى عن العرب سمعاً: فسقت الرطبة من قشرها: إذا خرجت منه، وفسقت الفارة: إذا خرجت من حجرها. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: إنما قيل: فَقَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ لِأَنَّهُ مَرَادُهُ: ففسق عن رده أمر الله، كما تقول العرب: اتخمت عن الطعام، بمعنى: اتخمت لما أكلته.

وقد بيّنا

القول في ذلك، وأن معناه: عدل وجار عن أمر الله، وخرج عنه. وقال بعض أهل العلم بكلام العرب: معنى الفسوق: الاتساع. وزعم أن العرب يقولون: فسوق في النفقه: بمعنى اتساع فيها. قال: وإنما سمي الفاسق فاسقاً، لاتساعه في محارم الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17439. حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحرج، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى فَقَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ قال: في السجود لآدم.

17440. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، عن مجاهد، في قوله فَقَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ قال: عصى في السجود لآدم.

وقوله: أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرْيَّتَهُ أُولَيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌ يقول تعالى ذكره: أفتتوالون يا بني آدم من استكبار على أبيكم وحسده، وكفر نعمتي عليه، وغره حتى أخرجه من الجنة ونعيشه فيها إلى الأرض وضيق العيش فيها، وتطيعونه وذريته من دون الله مع عدواته لكم قدماً وحديثاً، وتتركون طاعة ربكم الذي أنعم عليكم وأكرمكم، بأن أسدل لوالدكم ملائكته، وأسكنه جنانه، وأتاكتم من فواضل نعمه ما لا يحصى عدده، وذرية إبليس: الشياطين الذين يغرون ببني آدم. كما:

17441. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن حريج، عن مجاهد أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرْيَّتَهُ أُولَيَاءَ مِنْ دُونِي قال: ذرته: هم الشياطين، وكان يعدهم «زلبوا» صاحب الأسواق ويضع رايته في كل سوق ما بين السماء والأرض، و«ثبر» صاحب المصائب، و«الأعور» صاحب الزنا و«مسوط» صاحب الأخبار، يأتي بها فيلقها في أفواه الناس، ولا يجدون لها أصلاً، و«دامس» الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتعة ما لم يرفع، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه.

17442. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: حدثنا حفص بن غياث، قال: سمعت الأعمش يقول: إذا دخلت البيت ولم أسلم،رأيت مطهرة، فقلت: ارفعوا ارفعوا، وخاصمتهم، ثم أذكرا فأقول: داسم داسم.

17443. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: هم أربعة ثبر، داسم، زلبيور، والأعور، ومسوط: أحدها.

17444. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرْيَّتَهُ أُولَيَاءَ مِنْ دُونِي... الآية، وهو يتواترون كما تتواتر بني آدم، وهو لكم عدو.

17445. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرْيَّتَهُ أُولَيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌ وهو أبو الجنّ كما آدم أبو الإنس. وقال: قال الله لإبليس: إني لا أذرأ لآدم ذرية إلا ذرأت لك مثلك، فليس من ولد آدم أحد إلا له شيطان قد قرن به.

17446. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ينس للظالمين بَدَلًا يقول عز ذكره: ينس البدل للكافرين بالله اتخاذ إبليس وذريته أولياء من دون الله، وهو لكم عدو من تركهم اتخاذ الله ولها باتباعهم أمره ونهيه، وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم، المتفصل عليهم من الفواضل ما لا يحصى بدلًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17447. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ينس للظالمين بَدَلًا بِنَسْمَا استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطاعوا إبليس.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذًا لِّلْمُضْلِلِينَ عَصْدًا}. يقول عز ذكره: ما أشهدت إبليس وذراته خلق السماوات والأرض يقول: ما أحضرتهم ذلك فأستعين بهم على خلقها ولا خلق أنفسهم يقول: ولا أشهدت بعصمهم أيضا خلق بعض منهم، فأستعين به على خلقه، بل تفرد بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير، يقول: فكيف اتخذوا عدوهم أولياء من دوني، وهم خلق من خلق أمثالهم، وتركوا عبادتي وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم، وخالفهم وخالق من يوالونه من دوني منفردا بذلك من غير معين ولا ظهير.

وقوله: وما كُنْتُ مُتَّخِذًا لِّلْمُضْلِلِينَ عَصْدًا يقول: وما كنت متخد من لا يهدى إلى الحق، ولكنه يضل، فمن تبعه يحور به عن قصد السبيل أعوانا وأنصارا وهو من قولهم: فلان يغضد فلانا إذا كان يقويه ويعينه. وبنحو ذلك قال بعض أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17445. حدثنا بشير قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وما كُنْتُ مُتَّخِذًا لِّلْمُضْلِلِينَ عَصْدًا: أي أعوانا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معاذ، عن قتادة، مثله، وإنما يعني بذلك أن إبليس وذراته يضلونبني آدم عن الحق، ولا يهدونهم للرشد، وقد يحتمل أن يكون عنى بالمضلين الذين هم أتباع على الضلال، وأصحاب على غير هدى.

الآية : 52 و 53

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ رَعَمْتُمْ فَدَعْوَهُمْ قَلْمَ يَسْجِبُوا لَهُمْ وَجَعَلُنَا بَيْنَهُمْ مَّوْبِقاً * وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ قَطَنُوا أَنَّهُمْ مَوْاْفِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفاً}.

يقول عز ذكره ويوم يقول الله عز ذكره للمشركين به الآلهة والأنداد نادوا شركائي الدين رعمنا بقول لهم: ادعوا الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي في العبادة لينصروكم ويسعنوكم مني فدعوه قلم يسجبوا لهم يقول: فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم موقعا.

فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: يجعلنا بين هؤلاء المشركين وما كانوا يدعون من دون الله شركاء في الدنيا يومئذ عداوة. ذكر من قال ذلك:

17446. حدثني محمد بن عبد الله بن بزي، قال: حدثنا بشير بن المفضل، عن عوف، عن الحسن، في قول الله: وجعلنا بينهم موقعا قال: جعل بينهم عداوة يوم القيمة.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عثمان بن عمر، عن عوف، عن الحسن وجعلنا بينهم موقعا قال: عداوة.

وقال آخرون: معناه: يجعلنا فعلهم ذلك لهم مهلكا. ذكر من قال ذلك:

17447. حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وجعلنا بينهم موقعا قال: مهلكا.

17448. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معاذ، عن قتادة، في قوله: موقعا قال: هلاكا.

17449. حديثي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله وَجَعَلْنَا بَيْتَهُمْ مَوْبِقاً قال: الموبق: المهلك، الذي أهلك بعضهم ببعضًا فيه، أو يفق بعضهم ببعضًا. وقرأ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا.

17450. حدثت عن محمد بن يزيد، عن جوير، عن الصحاك مَوْبِقاً قال: هلاكا.

17451. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن عَرْفَة، في قوله وَجَعَلْنَا بَيْتَهُمْ مَوْبِقاً قال: مهلكا.

وقال آخرون: هو اسم واد في جهنم. ذكر من قال ذلك:

17452. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عديٌّ، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن عمرو البكاليٌّ: وَجَعَلْنَا بَيْتَهُمْ مَوْبِقاً قال: واد عميق فُصل به بين أهل الصلاة وأهل الهدى، وأهل الجنة، وأهل النار.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَجَعَلْنَا بَيْتَهُمْ مَوْبِقاً ذكر لنا أن عمراً البكالي حدث عن عبد الله بن عمرو، قال: هو واد عميق فُرق به يوم القيمة بين أهل الهدى وأهل الصلاة.

17453. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عمر بن عبيد، عن الحجاج بن أرطاة، قال: قال مجاهد وَجَعَلْنَا بَيْتَهُمْ مَوْبِقاً قال: واديا في النار.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحرس، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نحيف، عن مجاهد، قوله: وَجَعَلْنَا بَيْتَهُمْ مَوْبِقاً قال: واديا في جهنم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، مثله.

17454. حديثي محمد بن سنان القرذاري، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا يزيد بن درهم، قال: سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله عزّ وجلّ وَجَعَلْنَا بَيْتَهُمْ مَوْبِقاً قال: واد في جهنم من قبح ودم.

أولى الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، ومن وافقه في تأويل الموبق: أنه المهلك، وذلك أن العرب تقول في كلامها: قد أوبقت فلاناً إذا أهلكته. ومنه قول الله عزّ وجلّ: أُؤْيُونَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا بمعنى: يهلكهُنَّ. ويقال للمهلك نفسه: قد ويق فلان فهو يوبق وبقا. ولغةبني عامر: يابق بغير همز. وحُكى عن تميم أنها تقول: يبقي. وقد حُكى ويق يباق ويبقا، حكاها الكسائي. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: الموبق: الوعد، ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر:

وحاد شَرْوَرِي فالسَّتَّارَ فَلَمْ يَدْعُتَعَاراً لَهُ وَالوَادِيَيْنِ بِمَوْبِقٍ
ويتأوله بموعده. وجائز أن يكون ذلك المهلك الذي جعل الله جلّ شأنه بين هؤلاء المشركين، هو الوادي الذي ذكر عن عبد الله بن عمرو، وجائز أن يكون العداوة التي قالها الحسن.

وقوله: وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ يقول: وعاين المشركون النار يومئذ قَطَّنُوا
أَنْهُمْ مُوَاقِعُوهَا يقول: فعلموا أنهم دخلوها، كما:

17455. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: قَطَّنُوا أَنْهُمْ مُوَاقِعُوهَا قال: علموا.

17456. حديثي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن دِرَاج، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدريٌّ، عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إِنَّ الْكَافِرَيْرَى جَهَنَّمَ فَيَظُنُّ أَنَّهَا مُوَاقِعَتُهُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

وقوله: وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا يقول: ولم يجدوا عن النار التي رأوا معدلاً يعدلون عنها إليها. يقول: لم يجدوا من مواقعتها بـذا، لأن الله قد حتم عليهم ذلك. ومن المصرف بمعنى المعنى قوله أبي كبير الهدلي: أَرْهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ مَصْرِفٍ أَمْ لَا خُلُودٌ لِبَازِلٍ مُتَكَلِّفٍ

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَتَّلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا}.

يقول عز ذكره: ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ووعطناهم فيه من كل عطة، واحتجنا عليهم فيه بكل حجة ليذكروا فينبينا، ويعتبروا فيتعظوا، وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان وكان الإنسان أكثر شيء جدلا يقول: وكان الإنسان أكثر شيء مراء وخصوصة، لا ينيب لحق، ولا ينجر لموعضة، كما:

17457. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا قال: الجدل: الخصومة، خصومة القوم لأنبيائهم، ورددتهم عليهم ما جاءوا به. وقرأ: مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِنْكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكِلُونَ مِنْهُ وَيَشْرُبُ مِمَّا تَشْرِبُونَ. وقرأ: يُرِيدُ أَنْ يَقْصِلَ عَلَيْكُمْ. وقرأ: حَتَّى تُؤْفَى... الآية: وَلَوْ تَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ... الآية. وقرأ: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلَّلُوا فِيهِ يَعْرُجُونَ قال: هم ليس أنت لقالوا إِنَّمَا سُكِّرْتَ أَبْصَارُنَا بَلْ تَحْنُّ قَوْمًا مَسْخُورَوْنَ.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبِّهِمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ سُنْنَةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبْلًا}.

يقول عز ذكره: وما منع هؤلاء المشركين يا محمد الإيمان بالله إذ جاءهم الهدى بيان الله، وعلموا صحة ما تدعوهם إليه وحقيقة، والاستغفار مما هم عليه مقيمون من شركهم، إلا مجئهم سنتنا في أمثالهم من الأمم المكذبة رسلاها قبلهم، أو إتيانهم العذاب قبلا.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: أو يأتيهم العذاب فجأة. ذكر من قال ذلك:

17458. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جمیعا عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبْلًا قال فجأة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: معناه: أو يأتيهم العذاب عيانا. ذكر من قال ذلك:

17459. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبْلًا قال: قبلاً معاينة ذلك القبل.

وقد اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته جماعة ذات عدد أو يأتيهم العذاب قبلاً بضم القاف والباء، بمعنى أنه يأتيهم من العذاب ألوان

وضروب، ووجهوا القُبْلَ إِلَى جمع قبیل، كما يجمع القتيل القُتل، والجديد الجُدد. وقرأ جماعة أخرى: «أَوْ يَأْتِيْهُمْ الْعَذَابُ قَبْلًا» بكسر القاف وفتح الباء، بمعنى أو يأتيهم العذاب عياناً من قولهم: كلّمته قبلاً. وقد بيّنت

القول في ذلك في سورة الأنعام بما ألغى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُحَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِصُوا بِهِ الْحَقَّ وَانْهَدُوا أَيَّاتِي وَمَا أَنْذِرُوا هُرُوا}. [١]

يقول عز ذكره: وما نرسل إلا ليبشروا أهل الإيمان والتصديق بالله بحزيل ثوابه في الآخرة، ولينذروها أهل الكفر به والتكذيب، عظيم عقابه، وأليم عذابه، فينتهوا عن الشرك بالله، وينزجو عن الكفر به ومعاصيه ويُجادلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِصُوا بِهِ الْحَقَّ يقول: وبخاصم الذين كذبوا بالله ورسوله بالباطل، ذلك قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرنا عن حديث فتية ذهبوا في أول الدهر لم يدر ما شأنهم، وعن الرجل الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وعن الروح، وما أشبه ذلك مما كانوا يخاصمونه به، يتبعون إسقاطه، تعنيتا له صلى الله عليه وسلم، فقال الله لهم: إننا لسنا نبعث إليكم رسالنا للجدال والخصومات، وإنما نبعثهم بشيرين أهل الإيمان بالجنة، ومنذرين أهل الكفر بالنار، وأنتم تجادلونهم بالباطل طلباً منكم بذلك أن تبطلوا الحق الذي جاءكم به رسولي. وعنى بقوله: لِيُدْحِصُوا بِهِ الْحَقَّ ليبطلوا به الحق ويزيلوه ويدهبو به. يقال منه: دحض الشيء: إذا زال وذهب، ويقال: هذا مكان دَحْض: أي مُزْلِقٌ لا يثبت فيه خفٌ ولا حافر ولا قدم ومنه قوله الشاعر: رَدِيْثُ وَنَجِيَ الْيَشْكُرِيَّ حِدَارُهَ وحاد كما حاد البعير عن الدَّحْض

ويروى: ونَحْنُ، وأدْحَضْتَهُ أَنَا إِذَا أَذْهَبْتَهُ وَأَبْطَلْتَهُ.

وقوله: وَانْهَدُوا أَيَّاتِي وَمَا أَنْذِرُوا هُرُوا يقول: واتخذوا الكافرون بالله حججه التي احتاج بها عليهم، وكتابه الذي أنزله إليهم، والنذر التي أنذرهم بها سخرياً يسخرون بها، يقولون: إنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَسَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَلَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا.

الآية : 57

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمْنَ ذُكَّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَيْهِ قُلُوبَهُمْ أَكْنَهَهُ أَنْ يَقْعُهُهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْأً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدَا}. [٢]

يقول عز ذكره: وأي الناس أ وضع للأعراض والصد في غير موضعهما من ذكره بآياته وحججه، فدلله بها على سبيل الرشاد، وهداه بها إلى طريق النجاة، فأعرض عن آياته وأدله التي في استدلاله بها الوصول إلى الخلاص من الهلاك ونسى ما قدّمت يداه يقول: ونسى ما أسلف من الذنوب المهلكة فلم يتب، ولم يتب كما:

17460 - حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ: أي نسي ما سلف من الذنوب.

وقوله: إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْيَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْرًا يَقُولُ تعالى ذكره: إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْرَضُونَ عَنِ الْآيَاتِ اللَّهِ إِذَا ذَكَرُوا بِهَا أَغْطِيَةً لِئَلَّا يَفْقَهُوهُ، لَأَنَّ الْمَعْنَى أَنْ يَفْقَهُوا مَا ذَكَرُوا بِهِ، وَقُولُهُ: وَفِي آذانِهِمْ وَقْرًا يَقُولُ: فِي آذانِهِمْ ثَقَلًا لَثَلَاثًا يَسْمَعُوهُ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ يَقُولُ عَزَّ ذَكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَإِنْ تَدْعُ يَا مُحَمَّدًا هُؤُلَاءِ الْمُعْرَضِينَ عَنِ الْآيَاتِ اللَّهِ عِنْدَ التَّذْكِيرِ بِهَا إِلَى الْاسْتِقَامَةِ عَلَى مَحْجَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَمَا جَئَتْهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا يَقُولُ: فَلَنْ يَسْتَقِيمُوا إِذَا أَبَدًا عَلَى الْحَقِّ، وَلَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ، لَأَنَّ اللَّهَ قَدْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَسَمْعَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {وَرَبِّكَ الْغَفُورُ بُو الرَّحْمَةِ لَوْيَأْخُذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً}. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وربك الساتر يا محمد على ذنوب عباده بعفو عنهم إذا تابوا منهم ذو الرحمة بهم لـ لـ يـؤـاخـذـهـمـ بـمـاـ كـسـبـواـ لـهـؤـلـاءـ الـمـعـرـضـينـ عـنـ آـيـاتـهـ إـذـاـ ذـكـرـواـ بـهـ بـمـاـ كـسـبـواـ مـنـ الذـنـوبـ وـالـأـثـامـ لـعـجـلـ لـهـؤـلـاءـ الـعـذـابـ وـلـكـنـ لـرـحـمـتـهـ بـخـلـقـهـ غـيـرـ فـاعـلـ ذـلـكـ بـهـ إـلـىـ مـيـقـاتـهـ وـأـجـالـهـمـ، بـلـ لـهـؤـلـاءـ مـوـعـدـ يـقـولـ: لـكـنـ لـهـمـ مـوـعـدـ، وـذـلـكـ مـيـقـاتـ محلـ عـذـابـهـمـ، وـهـوـ يـوـمـ بـدـرـ لـنـ يـجـدـواـ مـنـ دـوـنـهـ مـوـئـلاـ يـقـولـ تعالى: ذـكـرـهـ: لـنـ يـجـدـ هـؤـلـاءـ الـمـشـرـكـوـنـ، وـإـنـ لـمـ يـعـجـلـ لـهـمـ الـعـذـابـ فـيـ الـدـنـيـاـ مـنـ دـوـنـ المـوـعـدـ الـذـيـ جـعـلـتـهـ مـيـقـاتـاـ لـعـذـابـهـمـ، مـلـجـاـ يـلـجـأـوـنـ إـلـيـهـ، وـمـنـجـىـ يـنـجـوـنـ مـعـهـ، يـعـنـيـ أـنـهـمـ لـاـ يـجـدـوـنـ مـعـقـلـاـ يـعـتـقـلـوـنـ بـهـ مـنـ عـذـابـ اللـهـ يـقـالـ مـنـهـ: وـأـلـتـ منـ كـذـاـ إـلـىـ كـذـاـ، أـئـلـ وـوـلـاـ، مـثـلـ وـعـوـلـاـ وـمـنـهـ قـوـلـ الشـاعـرـ: لـاـ وـأـءـلـتـ تـقـسـكـ حـلـيـتـهـاـلـلـعـاـمـرـيـنـ وـلـمـ تـكـلـمـ يـقـولـ: لـانـجـتـ وـقـولـ الـأـعـشـىـ:

وَقَدْ أَخَالِسُ رَبِّ الْبَيْتِ عَفْلَتْهُ وَقَدْ يُحَادِرِ مِنِّي ثُمَّ مَا يَتَلَّ

وـبـنـحـوـ الـذـيـ قـلـنـاـ فـيـ ذـلـكـ، قـالـ أـهـلـ الـتـأـوـيلـ. ذـكـرـمـنـ قـالـ ذـلـكـ:

17461. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحرس، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نحيف، عن مجاهد، قوله: مـوـئـلاـ قال: محرازا. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17462. حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: لـنـ يـجـدـواـ مـنـ دـوـنـهـ مـوـئـلاـ يـقـولـ: مـلـجـاـ.

17463. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة لـنـ يـجـدـواـ مـنـ دـوـنـهـ مـوـئـلاـ أيـ لـنـ يـجـدـوـنـ مـنـ دـوـنـهـ وـلـيـاـ وـلـاـ مـلـجـاـ.

17464. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: لـنـ يـجـدـواـ مـنـ دـوـنـهـ مـوـئـلاـ قال: ليس من دونه مـلـجـاـ يـلـجـأـوـنـ إـلـيـهـ.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَلَكَ الْقُرَىَ أَهْلَكَنَا هُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلُنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا}. يقول تعالى ذكره: وتلك القرى من عاد وثمود وأصحاب الأية أهلنا لما ظلموا، فكفروا بالله وأياته، وجعلنا لهم موعدا يعني ميقاتا

وأجلًا، حين بلغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم به، يقول: فكذلك جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك يا محمد الذين لا يؤمنون بك أبداً موعداً، إذا جاءهم ذلك الموعد أهلكناهم سنتنا في الذين خلوا من قبلهم من ضرائبهم كما: 17465 حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيج، عن مجاهد، قوله: لِمَهْلِكَهُمْ مَوْعِدٌ قال: أجلًا. حدثنا القاسم، قال: ثني الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

واختلفت القراءة في قراءة قوله لِمَهْلِكَهُمْ فقرأ ذلك عامّة قراءة الحجاز وال伊拉克: «لِمَهْلِكَهُمْ» بضمّ الميم وفتح اللام على توجيهه ذلك إلى أنه مصدر من أهلكوا إهلاكاً. وقرأه عاصم: «لِمَهْلَكَهُمْ» بفتح الميم واللام على توجيهه إلى المصدر من هلكوا هلاكاً ومهلاكاً.

وأولى القراءتين بالصواب عندي في ذلك قراءة من قرأه: «لِمَهْلِكَهُمْ» بضمّ الميم وفتح اللام لاجماع الحجة من القراء عليه، واستدلّاً بقوله: وَتَلَكَ الْقُرَى أَهْلَكَنَاهُمْ فَإِنْ يَكُونُ الْمَصْدُرُ مِنْ أَهْلَكُنَا، إِذْ كَانَ قَدْ تَقدَّمَ قَبْلَهُ أَوْلَى. وقيل: أهلكناهم، وقد قال قبله: وَتَلَكَ الْقُرَى، لَأَنَّ الْهَلاَكَ إِنَّمَا حلَّ بِأَهْلِ الْقُرَى، فعاد إلى المعنى، وأجري الكلام عليه دون اللفظ.

وقال بعض نحوبيي البصرة: قال: وَتَلَكَ الْقُرَى أَهْلَكَنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا يعني أهلها، كما قال: وَاسْتَلَ الْقَرْيَةَ وَلَمْ يَجِيءُ بِلْفَظِ الْقُرَى، ولكن أجرى اللفظ على القوم، وأجرى اللفظ في القرية عليها إلى قوله التي كُنَّا فِيهَا، وقال: أَهْلَكَنَاهُمْ وَلَمْ يَقُلْ: أَهْلَكَنَاها، حمله على القوم، كما قال: جاءت تميم، وجعل الفعل لبني تميم، ولم يجعله لتميم، ولو فعل ذلك لقال: جاء تميم، وهذا لا يحسن في نحو هذا، لأنّه قد أراد غير تميم في نحو هذا الموضوع، فجعله اسمًا، ولم يتحمل إذا اعتُقلَ أن يحذف ما قبله كله معنى التاء من جاءت مع بني تميم، وترك الفعل على ما كان ليعلم أنه قد حذف شيئاً قبل تميم. وقال بعضهم: إنما جاز أن يقال: تلك القرى أهلكناهم، لأن القرية قامت مقام الأهل، فجاز أن ترد على الأهل مرة وعليها مرّة، ولا يجوز ذلك في تميم، لأن القبيلة تعرف به وليس تميم هو القبيلة، وإنما عرفت القبيلة به، ولو كانت القبيلة قد سميت بالرجل لجرت عليه، كما تقول: وقعت في هود، تريد في سورة هود وليس هود اسمًا للسورة وإنما عرفت السورة به، فلو سميت السورة بهود لم يجر، فقتل: وقعت في هود يا هذا، فلم يجر، وكذلك لو سمىبني تميم تميماً لقليل: هذه تميم قد أقبلت، فتاویل الكلام: تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا، وجعلنا لإهلاكهم موعداً.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَخُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا}. يقول عزّ ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لفتاه يوشع: لا أُبْرَخُ يقول: لا أزال أسيير حتى أبلغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ، كما:

17466. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: لا أَبْرُخُ قال: لا أنتهي.
- وقيل: عنى بقوله: مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ اجتماع بحر فارس والروم، والمجمع: مصدر من قولهم: جمع يجمع. ذكر من قال ذلك:
17467. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: حَتَّى أَبْلَغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ وَالْبَحْرَانِ: بحر فارس وبحر الروم، وبحر الروم مما يلي المغارب، وبحر فارس مما يلي المشرق.
- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ قال: بحر فارس، وبحر الروم.
17468. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجج، عن ابن جريج، عن مجاهد مجتمع البحرين قال: بحر الروم، وبحر فارس، أحدهما قِبَلَ الْمِشْرَقِ، وَالآخَرُ قِبَلَ الْمَغْرِبِ.
17469. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: مُجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ.
17470. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن الصريص، قال: حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب، في قوله: لا أَبْرُخُ حَتَّى أَبْلَغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ قال: طنجة.
- وقوله: أَوْ أَمْضِيَ حُقُبَا يقول: أو أسيير زماناً ودهراً، وهو واحد، ويجمع كثيره وقليله: أحقاب. وقد تقول العرب: كنت عنده حقبة من الدهر، ويجمعونها حقباً. وكان بعض أهل العربية بوجه تأويل قوله لا أَبْرُخُ: أي لا أزول، ويستشهد لقوله ذلك ببيت الفرزدق:
- فَمَا بَرِخُوا حَتَّى تَهَادَثْ نِسَاؤُهُمْ بَطْحَاءِ ذِي قَارِ عِيَابَ اللَّطَائِمِ
- يقول: ما زالوا.
- وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب، أن الحقب في لغة قيس: سنة. فأما أهل التأويل فإنهم يقولون في ذلك ما أنها ذاكره، وهو أنهم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو ثمانيون سنة. ذكر من قال ذلك:
17471. حدثت عن هشيم، قال: حدثنا أبو بلج، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو، قال: الحقب: ثمانيون سنة.
- وقال آخرون: هو سبعون سنة. ذكر من قال ذلك:
17472. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حاجج، عن ابن جريج، عن مجاهد أَوْ أَمْضِيَ حُقُبَا قال: سبعين خريفاً.
- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.
- وقال آخرون في ذلك، بنحو الذي قلنا. ذكر من قال ذلك:
17473. حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: أَوْ أَمْضِيَ حُقُبَا قال: دهراً.
17474. حدثنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله حُقُبَا قال: الحقب: زمان.
17475. حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أَوْ أَمْضِيَ حُقُبَا قال: الحقب: الزمان.

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّا بَلَغَا مَحْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَانْجَدَ سَيِّلَةُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا}.

يعني تعالى ذكره: فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين، كما: 17476 حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرات، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجح، عن مجاهد، قوله مجمع بينهما قال: بين البحرين. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقوله: نسيَا حُوتَهُمَا يعني بقوله: نسيَا: تركا، كما: 17477 حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرات، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجح، عن مجاهد نسيَا حُوتَهُمَا قال: أضلاه. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: أضلاه.

قال بعض أهل العربية: إن الحوت كان مع يوشع، وهو الذي نسيه، فأضيف النسيان إليهما، كما قال: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ وإنما يخرج من الملح دون العذب.

إنما جاز عندي أن يقال: نسيَا لأنهما كانا جميعا تزوداه لسفرهما، فكان حمل أحدهما ذلك مضافا إلى أنه حمل منهما، كما يقال: خرج القوم من موضع كذا، وحملوا معهم كذا من الزاد، وإنما حمله أحدهما ولكنه لما كان ذلك عن رأيهما وأمرهم أضيف ذلك إلى جميعهم، فكذلك إذا نسيه حامله في موضع قيل: نسي القوم زادهم، فأضيف ذلك إلى الجميع بنسيان حامله ذلك، فيجري الكلام على الجميع، والفعل من واحد، فكذلك ذلك في قوله: نسيَا حُوتَهُمَا لأن الله عز ذكره خاطب العرب بلغتها، وما يتعارفونه بينهم من الكلام.

وأما قوله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ فإن القول في ذلك عندنا بخلاف ما قال فيه، وسببيه إن شاء الله تعالى إذا انتهينا إليه.

واما قوله: فَانْجَدَ سَيِّلَةُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا فإنه يعني أن الحوت اتخذ طريقه الذي سلكه في البحر سربا، كما:

17478 حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد فانجد سليلة في البحر سربا قال: الحوت اتخاذ يعني بالسرب: المسلك والمذهب، يسرب فيه: يذهب فيه ويسلكه. ثم اختلف أهل العلم في صفة اتخاذه سليلة في البحر سربا، فقال بعضهم: صار طريقه الذي يسلكه فيه كالحجر. ذكر من قال ذلك:

17479 حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله سربا قال: أثره كأنه حجر.

17480 حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك: «ما انجابٌ ماءٌ مُنْدُ كَانَ النَّاسُ غَيْرُهُ شَتَّ مَكَانٌ الْحُوتُ الَّذِي فِيهِ فَانْجَابَ كَالْكُوَّةِ حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ مُوسَى، فَرَأَى مَسْلَكَهُ، فَقَالَ: ذَلِكَ مَا كُنَّا تَبْغِي».

17481. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن عطية، قال: حدثنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله **فَاتَّحَدَ سَبِيلَةً فِي الْبَحْرِ سَرِّيَا** قال: جاء فرأى أثر جناحه في الطين حين وقع في الماء، قال ابن عباس **فَاتَّحَدَ سَبِيلَةً فِي الْبَحْرِ سَرِّيَا** وحلق بيده.

وقال آخرون: بل صار طريقه في البحر ماء جاماً. ذكر من قال ذلك:

17482. حدثنا يزيد، قال: حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة، قال: سرب من الجر حتي أفضى إلى البحر، ثم سلك، فجعل لا يسلك فيه طريقاً إلا صار ماء جاماً.

وقال آخرون: بل صار طريقه في البحر حجراً. ذكر من قال ذلك:

17483. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة.

وقال آخرون: بل إنما اتخذ سبيله سريباً في البر إلى الماء، حتى وصل إليه لا في البحر. ذكر من قال ذلك:

17484. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **فَاتَّحَدَ سَبِيلَةً فِي الْبَحْرِ سَرِّيَا** قال: قال: حشر الحوت في البطحاء بعد موته حين أحياه الله. قال ابن زيد، وأخبرني أبو شجاع أنه رأه قال: أتيت به فإذا هو شقة حوت وعين واحدة، وشق آخر ليس فيه شيء. والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عزوجل: واتخذ الحوت طريقه في البحر سريباً. وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياً عن الأرض وجائز أن يكون كان بجمود الماء وجائز أن يكون كان بتحوله حجراً.

وأصح الأقوال فيه ما رُوي الخبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا عن أبي عنه.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَ لِفَتَاهُ أَتَنَا عَذَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَابًا}.

يقول تعالى ذكره: فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين، قال موسى لفتاه يوشع آتينا عذاءنا يقول: جئنا بعذائنا وأعطيها، وقال: آتنا غداءنا، كما يقال: آتنا الغداء وأتيته، مثل ذهب وأذهبته، لقد لقينا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَابًا يقول: لقد لقينا من سفرنا هذا عناء وتعباً وقال ذلك موسى، فيما ذكر، بعد ما جاوز الصخرة، حين ألقى عليه الجوع ليتذكر الحوت، ويرجع إلى موضع مطلبه.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَتَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيْتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّحَدَ سَبِيلَةً فِي الْبَحْرِ عَجَبًا}.

يقول تعالى ذكره: قال فتى موسى لموسى حين قال له: آتنا غداءنا لنطعم: أرأيت إذا أويينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت هنالك وما أنساني إلا الشيطان يقول: وما أنساني الحوت إلا الشيطان أن أذكره فإن في موضع نصب رداً على الحوت، لأن معنى الكلام: وما أنساني أن أذكر الحوت إلا الشيطان سبق الحوت إلى الفعل، ورد عليه قوله أن

أذْكُرُهُ وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي مَصْفَحِ عَبْدِ اللَّهِ: «وَمَا أَنْسَانِيهِ أَنْ أَذْكُرَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ».

17485 حديثي بذلك بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة حدثني العباس بن الوليد قال: سمعت محمد بن معقل، يحدث عن أبيه، أن الصخرة التي أوى إليها موسى هي الصخرة التي دون نهر الذئب على الطريق.

وَاتَّخَذَ سَبِيلَةً فِي الْبَحْرِ عَجَباً يُعْجَبُ مِنْهُ كَمَا:

17486 حديثي محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **فِي الْبَحْرِ عَجَباً** قال: موسى يعجب من أثر الحوت في البحر ودوراته التي غاب فيها، يوجد عندها خضراً. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17487 حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر، عن قتادة، في قوله: **وَاتَّخَذَ سَبِيلَةً فِي الْبَحْرِ عَجَباً** فكان موسى لما اتخذ سبيله في البحر عجباً، يعجب من سرب الحوت.

17488 حديثي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **وَاتَّخَذَ سَبِيلَةً فِي الْبَحْرِ عَجَباً** قال: عجب والله حوت كان يؤكل منه أدهراً، أي شيء أعجب من حوت كان دهراً من الدهور يؤكل منه، ثم صار حياً حتى حشر في البحر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعجب من ذلك.

17489 حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا الحسن بن عطية، قال: حدثنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس **وَاتَّخَذَ سَبِيلَةً فِي الْبَحْرِ عَجَباً** قال: يعني كان سرب الحوت في البحر لموسى عجباً.

الآية : 64 و 65

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا تَبْغِ فَارِتَدًا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا}.

يقول تعالى ذكره: فقال موسى لفتاه ذلك يعني بذلك: نسيانك الحوت وما كنتم تبغونه: الذي كنا نلتقطه ونطلب، لأن موسى كان قيل له صاحبك الذي تربده حيث ننسى الحوت، كما:

17490 حديثي محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ذلك ما كنتم تبغونه قال موسى: فذلك حين أخبرت أني واجد خضراً حيث يفوتنني الحوت.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله، إلا أنه قال: حيث يفارقني الحوت.

وقوله: فَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا يَقُولُونَ: فَرَجَعُوا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي كَانُوا
قطعاً ناكسين على أدبارهمما يقصان آثارهمما التي كانوا سلكاهمما. وبنحو
الذى قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
17491. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا
عيسي وحدثني الحرن، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن
ابن أبي نجح، عن مجاهد، قوله: قَصَصَا قَالَ: اتَّبَاعُ مُوسَى وفَتَاهُ أَثْرُ
الحُوتَ، فَشَقَّ الْبَحْرَ رَاجِعِينَ.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن
مجاهد، قوله: فَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصَا قَالَ: اتَّبَاعُ مُوسَى وفَتَاهُ أَثْرُ
الحُوتَ بِشَقَّ الْبَحْرِ، وَمُوسَى وفَتَاهُ رَاجِعَانِ وَمُوسَى يَعْجَبُ مِنْ أَثْرِ الْحُوتِ
فِي الْبَحْرِ، وَدُورَاتِهِ الَّتِي غَابَ فِيهَا.

17492. حدثنا بشير، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال:
رَجَعَا عَوْدَهُمَا عَلَى بَدَئَهُمَا فَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصَا.

17493. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن
إسحاق، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، عن أبى
بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ذلك ما كننا
تَبْغُ فَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصَا: «أَيُّ يَقْصَانَ آثَارَهُمَا حَتَّى اتَّهِيَا إِلَى
مَدَحَّلِ الْحُوتِ».

وقوله: فَوَحِّدَا عَبْدًا مِنْ عَبَادِنَا آتَيْنَا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا يَقُولُ: وَهُبَّنَا لَهُ رَحْمَةً
مِنْ عَنْدِنَا وَعَلِمْنَا مِنْ لَدُنْنَا عِلْمًا يَقُولُ: وَعَلِمْنَا مِنْ عَنْدِنَا أَيْضًا عِلْمًا. كَمَا:
17494. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة مِنْ
لَدُنْنَا عِلْمًا: أَيُّ مِنْ عَنْدِنَا عِلْمًا.

وكان سبب سفر سئل: هل في الأرض أحد أعلم منك؟ فقال: لا، أو
حدّثته نفسه بذلك، فكره ذلك له، فأراد الله تعريفه أن من عباده في
الارض من هو أعلم منه، وأنه لم يكن له أن يحتم على ما لا علم له به،
ولكن كان ينبغي له أن يكل إلى عالمه.

وقال آخرون: بل كان سبب ذلك أنه سأله جل شناوه أن يدله على
عالم يزداد من علمه إلى علم نفسه. ذكر من قال ذلك:

17495. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن هارون بن عترة، عن
أبيه، عن ابن عباس، قال: سأله موسى ربّه وقال: ربّ أى عبادك أحبّ
إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني قال: فأى عبادك أقضى؟ قال: الذي
يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال: أى ربّ أى عبادك أعلم؟ قال: الذي
يبتغي علم الناس إلى علم نفسه، عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى،
أو ترده عن ردئ قال: ربّ فعل في الأرض أحذر؟ قال: نعم قال: ربّ، فمن
هو؟ قال: الخضر قال: وأين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة التي
ينفلت منها الحوت قال: فخرج موسى يطلبه، حتى كان ما ذكر الله،
وانتهى إليه موسى عند الصخرة، فسلم كلّ واحد منهمما على صاحبه،
فقال له موسى: إني أريد أن تستصحبني، قال: إنك لن تطبق صحيتي،
قال: بلى، قال: فإن صححتي «فَلَا تَسْأَلِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَحْدَثَ لَكَ مِنْهُ
ذِكْرًا فَإِنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ حَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُعْرِقَ أَهْلَهَا
لَقَدْ حَتَّى شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنِّي لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا قَالَ لَا
نُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيْتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَإِنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا

عُلَامًا فَقَتْلَهُ قَالَ أَفْتَلْتَ نَفْسًا رَكِيَّةً بِعَيْرِ تَفْسٍ لَقَدْ حَنَّتْ شَيْئًا تُكْرَا»... إِلَى قوله: لَا تَحْذِثْ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ: فَكَانَ قَوْلُ مُوسَى فِي الْجَدَارِ لِنَفْسِهِ، وَلِتَطْلُبْ شَيْءًا مِنَ الدُنْيَا، وَكَانَ قَوْلُهُ فِي السَّفِينَةِ وَفِي الْغَلَامِ لِلَّهِ، قَالَ هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَائِلُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ أَمَا السَّفِينَةُ وَأَمَا الْغَلَامُ وَأَمَا الْجَدَارَ، قَالَ: فَسَارِبُهُ فِي الْبَحْرِ حَتَّى انتَهَى إِلَى مَجْمِعِ الْبَحُورِ، وَلِنَسِ فِي الْأَرْضِ مَكَانٌ أَكْثَرُ مَاءً مِنْهُ، قَالَ: وَبَعْثَ رِبِّ الْخُطَافِ فَجَعَلَ يَسْتَقِي مِنْهُ بِمِنْقَارِهِ، فَقَيْلَ لِمُوسَى: كَمْ تَرَى هَذَا الْخُطَافُ رَزَأً مِنْ هَذَا الْمَاءِ؟ قَالَ: مَا أَقْلَّ مَا رَزَأً قَالَ: يَا مُوسَى إِنَّكَ عَلَمْتَ فِي عِلْمِ اللَّهِ كَمْ كَمْ مِنْ هَذَا الْخُطَافِ مِنْ هَذَا الْمَاءِ وَكَانَ مُوسَى قَدْ حَدَّثَ نَفْسَهُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدُ أَعْلَمِ مَنْ هُوَ، أَوْ تَكَلَّمُ بِهِ، فَمَنْ ثُمَّ أَمْرَأٌ أَنْ يَأْتِي الْخَضْرَ.

17496. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: خطب موسى بنى إسرائيل، فقال: ما أحد أعلم بالله وبأمره مني، فأوحى الله إليه أن يأتي هذا الرجل.

17497. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، عن قتادة أنه قيل له: إن آية لقيك إياه أن تنسى بعض متعالك، فخرج هو وفتاه يوشع بن نون، وتزوّدا حوتا مملوحاً، حتى إذا كانا حيث شاء الله، رد الله إلى الحوت روحه، فسرب في البحر، فاتخذ الحوت طريقه سرباً في البحر، فسرب فيه فلما جاؤه قال لفتاه آتينا عذاءنا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَقَرِنَا هَذَا تَصْبَاباً... حتى بلغ وَاحَدَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً فَكَانَ مُوسَى أَتَخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً، فَكَانَ يَعْجِبُ مِنْ سَرْبِ الْحَوْتِ.

17498. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمراً، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما اقتصر موسى أثر الحوت انتهى إلى رجل، راقد قد سجن عليه ثوبه فسلم عليه موسى فكشف الرجل عن وجهه الثوب ورد عليه السلام وقال: من أنت؟ قال: موسى، قال: صاحب بنى إسرائيل؟ قال: بلـ: نعم، قال: أو ما كان لك في بنى إسرائيل شغل؟ قال: بلـ، ولكن أمرت أن آتيك وأصحابك، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، كما قصّ الله، حتى بلغ فلما رأكـا فِي السَّفِينَةِ حَرَقَهَا صاحب موسى قال أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ حَنَّتْ شَيْئًا إِمْرًا يَقُولُ: نُكْرَا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا تَسْبِيْثُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرَا فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا لَقِيَا عُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَفْتَلْتَ نَفْسًا رَكِيَّةً بِعَيْرِ تَفْسٍ.

17499. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: إن نوفا يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى، فقال: كذب عدو الله. حدثنا أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مُوسَى قَامَ فِي بَيْنِ إِسْرَائِيلَ حَطِيبًا فَقَيْلَ: أَيِّ النَّاسُ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَنَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِينَ لَمْ يَرُدِّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَقَالَ: بَلِي عَيْدُ لِي عِنْدَ مَجْمَعَ الْبَحَرَيْنِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ بِهِ؟ فَقَيْلَ: تَأْخُذُ حُوتًا، فَتَجْعَلُهُ فِي مَكْتَلٍ، ثُمَّ قَالَ لِفُتَاهُ: إِذَا فَقَدْتَ هَذَا الْحُوتَ فَأَخْبِرْنِي، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ حَتَّى أَتَيَا صَحْرَةً، فَرَقَدَ مُوسَى، فَاصْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمَكْتَلِ، فَحَرَجَ فَوَقَعَ فِي الْبَحْرِ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرَيَةَ الْمَاءِ، فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَصَارَتْ لِلْحُوتِ

سَرِّبَا وَكَانَ لَهُمَا عَجَباً. ثُمَّ انْطَلَقاً، فَلَمَّا كَانَ حِينَ الْغَدِ، قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: أَتَنَا عَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِيْنَا مِنْ سَفَرْنَا هَذَا نَصَبَارًا. قَالَ: وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاؤَرَ حَيْثُ أَمْرَهُ اللَّهُ قَالَ: فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَنَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِنَّي سَبَّيْتُ الْحُوتَ، وَمَا أَنْسَانِيَ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً، قَالَ: فَقَالَ: ذَلِكَ مَا كُنَّا بَعْثَةً، فَإِنَّا رَجُلُ نَائِمٍ مُسَجَّلٍ بِتَوْيِهِ، فَسَلَمَ عَلَيْهِ مُوسَى، قَالَ: وَأَنِّي بِأَرْضِنَا السَّلَامُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بْنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، عَلِمْنِيَ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ، وَأَنَّ عَلَى عِلْمِهِ عَلِمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ، قَالَ: فَإِنِّي أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعْلِمَنِي مِمَّا عَلِمْتَ رُسْدًا، قَالَ: فَإِنِّي أَتَبِعْتُنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَخْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا. فَانْطَلَقاً يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ، فَعُرِفَ الْحَصِيرُ، فَحُمِلَ بَعْرِيْرَ تَوْلَ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِهَا فَنَفَرَ، أَوْ فَنَقَدَ فِي الْمَاءِ، فَقَالَ الْحَصِيرُ لِمُوسَى: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِقْدَارَ مَا نَقَصَ أَوْ نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ». أَبُو جَعْفَرُ الطَّبَرِيُّ يَشَكُّ، وَهُوَ فِي كِتَابِهِ تَأَكِّرُ، قَالَ: «فَبَيْنَمَا هُوَ إِذْ لَمْ يَفْجَأْهُ مُوسَى إِلَّا وَهُوَ يَتَدْ وَتَدًا أَوْ يَنْزُغُ تَحْتًا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: حُمِلْنَا بِعَرِيْرَ تَوْلَ وَتَحْرُفُهَا لِتُعْرِقَ أَهْلَهَا؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا، قَالَ: أَلْمَ أَفْلَ إِنِّي لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا، قَالَ: لَا تَوَاجِدْنِي بِمَا تَسْبِيْتُ، قَالَ: وَكَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى بِيَسِيَانًا قَالَ: ثُمَّ حَرَّجَ فَانْطَلَقاً يَمْشِيَانِ، قَابْصَرًا عُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغَلْمَانِ، فَأَخْدَ بِرَأْسِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَقْتَلْتَ نَفْسًا رَاكِيَّةً بِعَرِيْرَ تَفْسِ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا تُكْرَا، قَالَ: أَلْمَ أَفْلَ لَكَ إِنِّي لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا؟ قَالَ: إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبِنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِي غُدْرًا، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةَ اسْتَطَعُمَا أَهْلَهَا، فَلَمْ يَجِدَا أَحَدًا يُطْعِمُهُمْ وَلَا يَسْقِيَهُمْ، فَوَجَدَا فِيهَا جَدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ، فَأَقْأَمَهُ بِيَدِهِ، قَالَ: مَسَحَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: لَمْ يُصِيْقُونَا وَلَمْ يُنْزِلُونَا، لَوْ شِئْتَ لَا تَحْذَثَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: هَذَا فِرْقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوَدَدْتُ أَنِّي كَانَ صَبَرَ حَتَّى يَعْصِمَ عَلَيْنَا قَصَصَهُمْ».

17500- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن: حدثنا ابن إسحاق، عن الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتبة، عن سعيد بن جبير، قال: جلس فاسنداً ابن عباس وعنه نفر من أهل الكتاب، فقال بعضهم: يا أبا العباس، إن نوفاً ابن امرأة كعب يزعم عن كعب، أن موسى النبي الذي طلب العالم، إنما هو موسى بن ميشا. قال سعيد: قال ابن عباس: أنوف يقول هذا؟ قال سعيد: فقلت له نعم، أنا سمعت نوفاً يقول ذلك، قال: أنت سمعته يا سعيد؟ قال: قلت: نعم، قال: كذب نوف ثم قال ابن عباس: حدثني أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مُوسَى هُوَ بَيْنِي وَبَيْنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ رَبَّهُ فَقَالَ: أَيُّ رَبٌ إِنْ كَانَ فِي عِبَادِكَ أَحَدٌ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي فَادْلُنِي عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ فِي عِبَادِي مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي، ثُمَّ نَعَتَ لَهُ مَكَانَهُ، وَأَذَنَ لَهُ فِي لُقِيَّهِ فَحَرَّخَ مُوسَى مَعَهُ فَتَاهُ وَمَعَهُ حُوتٌ مَلِيجُ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: إِذَا حَيَيَ هَذَا الْحُوتُ فِي مَكَانِ فَصَاحِبِكَ هُنَالِكَ وَقَدْ أَذْرَكَتْ حَاجَتَكَ فَحَرَّخَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَاهُ، وَمَعَهُ ذَلِكَ الْحُوتُ يَحْمِلُنِيهِ، فَسَارَ حَتَّى جَهَدَهُ السَّيْرُ، وَأَنْهَى إِلَى الصَّخْرَةِ وَإِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ، مَاءُ الْحَيَاةِ، مَنْ شَرَبَ مِنْهُ حَلَدَ، وَلَا يُقَارِبُهُ شَيْءٌ مَيِّتٌ إِلَّا حَيَيَ فَلَمَّا تَرَالَ، وَمَسَّ الْحُوتَ

الماء حي، فاتخذ سبيلاً في البحر سربا فانطلقا، فلما جاؤه مُنْقلَبَه
قال موسى: آتنا عداءنا لقد لقينا من سرقنا هدا نصبا. قال الفتى وذكر:
أرأيت إذ أويينا إلى الصخرة فإنني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان
أن أذكره. فاتخذ سبيلاً في البحر عجا» قال ابن عباس: فظهر موسى
على الصخرة حين انتهيا إليها، فإذا رجل متلفف في كساء له، فسلم
موسى، فردد عليه العالم، ثم قال له: وما جاء بك؟ إن كان لك في قومك
لشغل؟ قال له موسى: جئت لتعلمni مما علمت رشدا، قال إله لـ
تستطيع معـي صبرا، وكان رجلاً يعلم علم الغيب قد علم ذلك، فقال
موسى: بلى قال وكيف تضـير على ما لم تحظـ به خبراً: أي إنما تعرف
ظاهر ما ترى من العـدـلـ، ولم تحـظـ بهـ علمـ الغـيـبـ بماـ أـعـلـمـ قالـ
سـاجـدـنيـ إـنـ شـاءـ اللهـ صـابـراـ وـلـأـعـصـيـ لـكـ أـمـراـ وـإـنـ رـأـيـتـ مـاـ يـخـالـفـيـ،
قالـ إـنـ أـتـبـعـنـيـ فـلـأـتـسـأـلـنـيـ عـنـ شـيـءـ وـإـنـ أـنـكـرـتـهـ حـتـىـ أـخـدـ لـكـ مـنـهـ
ذـكـراـ، فـانـطـلـقـاـ يـمـشـيـانـ عـلـىـ سـاحـلـ الـبـحـرـ، يـتـعـرـضـانـ النـاسـ، يـلـتـمـسـانـ
مـنـ يـحـمـلـهـمـاـ، حـتـىـ مـرـرـتـ بـهـمـاـ سـفـيـنـةـ جـدـيـدـةـ وـثـيقـةـ لـمـ يـمـرـ بـهـمـاـ مـنـ
الـسـفـنـ شـيـءـ أـحـسـنـ وـلـأـجـمـلـ وـلـأـوـثـقـ مـنـهـاـ، فـسـأـلـ أـهـلـهـاـ أـنـ يـحـمـلـهـمـاـ،
فـحـمـلـهـمـاـ، فـلـمـ اـطـمـأـنـاـ فـيـهـاـ، وـلـجـتـ بـهـمـاـ مـعـ أـهـلـهـاـ، أـخـرـجـ مـنـقـارـالـهـ
وـمـطـرـفـةـ، ثـمـ عـمـدـ إـلـىـ نـاحـيـةـ مـنـهـاـ فـضـرـبـ فـيـهـاـ بـالـمـنـقـارـ حـتـىـ خـرـقـهـاـ، ثـمـ
أـخـذـ لـوـحـاـ فـطـيـقـهـ عـلـيـهـاـ، ثـمـ جـلـسـ عـلـيـهـاـ يـرـقـعـهـاـ. قـالـ لـهـ مـوـسـىـ وـرـأـيـ أـمـراـ
فـطـعـ بـهـ: أـخـرـفـتـهـاـ لـتـقـرـقـ أـهـلـهـاـ لـقـدـ جـنـتـ شـيـئـاـ إـمـراـ قـالـ أـمـراـ أـفـلـ إـلـهـ لـنـ
تسـتطـيـعـ مـعـيـ صـبـراـ قـالـ لـاـ تـؤـاخـذـنـيـ بـمـاـ نـسـيـتـ: أيـ ماـ تـرـكـتـ مـنـ عـهـدـكـ وـلـاـ
تـزـهـقـنـيـ مـنـ أـمـرـيـ عـسـراـ. ثـمـ خـرـجـاـ مـنـ السـفـيـنـةـ، فـانـطـلـقـاـ حـتـىـ إـذـ أـتـيـاـ
أـهـلـ قـرـيـةـ فـإـذـاـ غـلـمـانـ يـلـعـبـونـ خـلـفـهـاـ، فـيـهـمـ غـلامـ لـيـسـ فـيـ الـغـلـمـانـ
أـطـرـفـ مـنـهـ، وـلـأـثـرـ وـلـأـوـضـاـ مـنـهـ، فـأـخـذـ بـيـدـهـ، وـأـخـذـ حـجـراـ، قـالـ: فـضـرـبـ
بـهـ رـأـسـهـ حـتـىـ دـمـغـهـ فـقـتـلـهـ، قـالـ: فـرـأـيـ مـوـسـىـ أـمـراـ فـطـيـقـاـ لـاـ صـبـرـ عـلـيـهـ،
صـبـيـ صـغـيـرـ لـاـ ذـنـبـ لـهـ قـالـ أـقـتـلـتـ تـفـسـاـرـاـكـيـهـ بـغـيـرـ تـفـسـ أيـ صـغـيـرـ بـغـيـرـ
نـفـسـ لـقـدـ جـنـتـ شـيـئـاـ تـكـرـاـ قـالـ أـلـمـ أـفـلـ لـكـ إـلـهـ لـنـ تسـتطـيـعـ مـعـيـ صـبـراـ قـالـ
إـنـ سـأـلـكـ عـنـ شـيـءـ بـعـدـهـاـ فـلـأـتـصـاحـبـنـيـ قـذـ بـلـغـتـ مـنـ لـذـبـيـ عـذـراـ: أيـ قدـ
أـعـذـرـتـ فـيـ شـائـيـ فـانـطـلـقـاـ حـتـىـ إـذـاـ أـتـيـاـ أـهـلـ قـرـيـةـ اـسـتـطـعـمـاـ أـهـلـهـاـ فـأـبـأـواـ أـنـ
يـصـيـقـوـهـمـاـ قـوـحـدـاـ فـيـهـاـ جـدـارـاـ يـرـيدـ أـنـ يـنـقـضـ فـهـدـمـهـ، ثـمـ قـعـدـ يـبـنـيـهـ، فـضـجـرـ
مـوـسـىـ مـمـاـ رـأـهـ يـصـنـعـ مـنـ التـكـلـيـفـ لـمـ لـيـسـ عـلـيـهـ صـبـرـ، فـقـالـ: لـوـ شـيـئـ
لـاتـخـذـتـ عـلـيـهـ أـجـرـاـيـ قدـ اـسـتـطـعـمـنـاهـمـ فـلـمـ يـطـعـمـونـاـ، وـضـفـنـاهـمـ فـلـمـ
يـضـيـفـونـاـ، ثـمـ قـعـدـ فـيـ غـيرـ صـنـيـعـ، وـلـوـ شـمـئـتـ لـأـعـطـيـتـ عـلـيـهـ أـجـرـاـ فـيـ
عـمـلـهـ قـالـ هـذـاـ فـرـاقـ تـبـيـنـيـ وـبـيـنـكـ سـأـلـتـكـ بـتـأـوـيلـ مـاـ لـمـ تسـتطـعـ عـلـيـهـ صـبـراـ
أـمـاـ السـفـيـنـةـ فـكـانـتـ لـمـسـاـكـيـنـ يـعـمـلـونـ فـيـ الـبـحـرـ فـأـرـدـتـ أـنـ أـعـيـهـاـ، وـكـانـ
وـرـاءـهـمـ مـلـكـ يـأـخـذـ كـلـ سـفـيـنـةـ عـصـبـاـ، وـفـيـ قـرـاءـةـ أـبـيـ بـنـ كـعبـ: «كـلـ
سـفـيـنـةـ صـالـحةـ»، وـإـنـماـ عـبـتـهـاـ لـأـرـدـهـ عـنـهـاـ، فـسـلـمـتـ حـيـنـ رـأـيـ العـيـبـ الـذـيـ
صـنـعـتـ بـهـاـ، وـأـمـاـ الـغـلـامـ فـكـانـ أـبـوـاهـ مـؤـمـيـنـ فـخـشـيـاـ أـنـ يـرـهـقـهـمـاـ طـغـيـانـاـ
وـكـفـرـاـ. فـأـرـدـنـاـ أـنـ يـبـدـ لـهـمـاـ رـبـهـمـاـ حـيـرـاـ مـنـهـ رـكـاـهـ وـأـقـرـبـ رـحـماـ وـأـمـاـ الـجـدـارـ
فـكـانـ لـعـلـامـيـنـ يـتـبـيـمـيـنـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ وـكـانـ تـحـنـهـ كـنـرـ لـهـمـاـ وـكـانـ أـبـوـهـمـاـ
صـالـحاـ فـأـرـادـ رـبـكـ أـنـ يـبـلـغـاـ أـشـدـهـمـاـ وـيـسـتـحـرـجـاـ كـنـرـهـمـاـ رـحـمـةـ مـنـ رـبـكـ وـمـاـ
فـعـلـتـهـ عـنـ أـمـرـيـ: أيـ مـاـ فـعـلـتـهـ عـنـ نـفـسـيـ ذـلـكـ تـأـوـيلـ مـاـ لـمـ تسـطـعـ عـلـيـهـ
صـبـراـ فـكـانـ أـبـنـ عـبـاسـ يـقـولـ: مـاـ كـانـ الـكـنـزـ إـلـاـ عـلـمـاـ.

17501. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن الحسن بن عماره، عن أبيه، عن عكرمة قال: قيل لابن عباس: لم يسمع لفتي موسى بذكر من حديث، وقد كان معه، فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال: شرب الفتى من الماء فخلد، فأخذه العالم فطابق به سفينه، ثم أرسله في البحر، فإنها تموج به إلى يوم القيمة، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب.

17502. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَخْ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا قال: لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر فلما استقررت بهم الدار أنزل الله عليه أن ذَكْرُهُمْ يَأْيَامَ اللَّهِ فخطب قومه، فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعم، وذكرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون، وذكرهم هلاك عدوهم، وما استخلفهم الله في الأرض، وقال: كلام الله نبيكم تكليما، واصطفاني لنفسه، وأنزل عليّ محبة منه، وأتاكم الله من كلّ ما سألتموه، فنبيكم أفضل أهل الأرض، وأنتم تقرأون التوراة، فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا ذكرها، وعرّفها إياهم، فقال له رجل منبني إسرائيل: هم كذلك يانبي الله؟ قال: لا فبعث الله جبرئيل إلى موسى عليهمما الإسلام، فقال: إن الله يقول: وما يدريك أين أضع علمي؟ بلـي إن على شط البحر رجلاً أعلم منك فقال ابن عباس: هو الخضر، فسأل موسى ربه أن يريه إياه، فأوحى الله إليه أن أئت البحر، فإـنك تجد على شط البحر حوتا، فـخذه فـادفعه إلى فـتاك، ثم الزـم شـط البحر، فإذا نسيـتـ الحـوت وـهـلـكـ منـكـ، فـثـمـ تـجـدـ العـبـدـ الصـالـحـ الـذـيـ تـطـلـبـ فـلـمـ سـفـرـ مـوـسـىـ رـبـهـ أـنـ يـرـيهـ إـيـاهـ، فـأـوـحـيـ سـأـلـ فـتـاهـ عـنـ الـحـوتـ، فـقـالـ لـهـ فـتـاهـ وـهـوـ غـلامـ أـرـأـيـتـ إـذـ أـوـيـنـاـ إـلـىـ الصـخـرـةـ فـإـنـيـ نـسـيـتـ الـحـوتـ وـمـاـ أـنـسـاـيـهـ إـلـاـ الشـيـطـانـ أـنـ ذـكـرـهـ قـالـ الفتـىـ: لـقـدـ رـأـيـتـ الـحـوتـ حـينـ اـتـخـذـ سـبـيـلـهـ فـيـ الـبـحـرـ سـرـبـاـ، فـأـعـجـبـ ذـلـكـ مـوـسـىـ فـرـجـعـ حـتـىـ أـتـىـ الصـخـرـةـ، فـوـجـدـ الـحـوتـ يـضـرـبـ فـيـ الـبـحـرـ، وـيـتـبعـ مـوـسـىـ، وـجـعـلـ مـوـسـىـ يـقـدـمـ عـصـاهـ يـفـرـجـ بـهـ عـنـ الـمـاءـ يـتـبعـ الـحـوتـ، وـجـعـلـ الـحـوتـ لـاـ تـمـسـ شـيـئـاـ مـنـ الـبـحـرـ إـلـاـ يـبـسـ حـتـىـ يـكـوـنـ صـخـرـةـ، فـجـعـلـ نـبـيـ اللـهـ يـعـجـبـ مـنـ ذـلـكـ حـتـىـ اـنـتـهـيـ بـهـ الـحـوتـ إـلـىـ جـزـيـرـةـ مـنـ جـزـائـرـ الـبـحـرـ، فـلـقـىـ الـخـضـرـ بـهـاـ فـسـلـمـ عـلـيـهـ، فـقـالـ الـخـضـرـ: وـعـلـيـكـ السـلـامـ، وـأـنـيـ يـكـوـنـ هـذـاـ السـلـامـ بـهـذـهـ الـأـرـضـ، وـمـنـ أـنـتـ؟ قـالـ: أـنـاـ مـوـسـىـ، فـقـالـ لـهـ الـخـضـرـ: أـصـاحـبـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ؟ قـالـ: نـعـمـ فـرـحـبـ بـهـ، وـقـالـ: مـاـ جـاءـ بـكـ؟ قـالـ: جـئـتـكـ عـلـىـ أـنـ تـعـلـمـنـيـ مـاـ عـلـمـتـ رـُشـداـ قـالـ إـنـكـ لـنـ تـسـتـطـعـ مـعـيـ صـبـراـ قـالـ: لـاـ تـطـيـقـ ذـلـكـ، قـالـ مـوـسـىـ: سـتـجـدـنـيـ إـنـ شـاءـ اللـهـ صـابـراـ وـلـاـ أـغـصـيـ لـكـ أـمـراـ قـالـ: فـانـطـلـقـ بـهـ وـقـالـ لـهـ: لـاـ تـسـأـلـنـيـ عـنـ شـيـءـ أـصـنـعـهـ حـتـىـ أـبـيـنـ لـكـ شـأنـهـ، فـذـلـكـ قـولـهـ: أـخـدـتـ لـكـ مـنـهـ ذـكـرـاـ. فـرـكـباـ فـيـ السـفـينـةـ يـرـيدـانـ الـبـرـ، فـقـامـ الـخـضـرـ فـخـرـقـ السـفـينـةـ، فـقـالـ لـهـ مـوـسـىـ أـحـرـفـتـهـ لـتـفـرـقـ أـهـلـهـاـ لـقـدـ حـتـىـ شـيـئـاـ إـمـراـ.

17503. حدثنا بشـرـ، قـالـ: حدثـناـ يـزـيدـ، قـالـ: حدـثـناـ سـعـيدـ، عـنـ قـتـادـةـ، قـولـهـ: فـلـمـاـ بـلـغاـ مـاجـمـعـ بـيـنـهـمـاـ نـسـيـاـ حـوتـهـمـاـ ذـكـرـاـ أـنـ نـبـيـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـمـ قـطـعـ الـبـحـرـ وـأـنـجـاهـ اللـهـ مـنـ آلـ فـرـعـونـ، جـمـعـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ، فـخـطـبـهـمـ

قال: أنتم خير أهل الأرض وأعلمهم، قد أهلك الله عدوكم، وأقطعكم البحر، وأنزل عليكم التوراة قال: فقيل له: إن هنا رجلاً هو أعلم منك. قال: فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه، وتزودا سمة مملوحة في مكتل لهما، وقيل لهم: إذا نسيتما ما معكم لقيتما رجلاً عالما يقال له الخضر فلما أتيا ذلك المكان، رد الله إلى الحوت روحه، فسرب له من الجسر حتى أفضى إلى البحر، ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقا إلا صار ماء جاماً. قال: ومضى موسى وفتاه يقول الله عز وجل: فلما جاؤنا قال لفتاه آتينا عذاءنا لقد لقينا من سقرا هدا نصبا قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني تسبّيُّ الحوت... ثم تلا إلى قوله: وعلمنا من لدنا علما فلقيا رجلاً عالما يقال له الخضر، فذكر لنا أن النبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضْرُ حَضِرًا لَأَنَّهُ قَعَدَ عَلَى قَرْوَةٍ بَيْضَاءً، فَاهْتَرَّتْ بِهِ حَضِرَاءً».

7504. حدثني العباس بن الوليد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: حدثنا الزهرى، عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزارى في صاحب موسى، فقال ابن عباس: هو حضر، فمر بهما أبي بن كعب، فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبى هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بَيْنَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: تَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمُ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ مُوسَى: يَلِى عَبْدُنَا حَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيَّهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ أَيَّهُ، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَاذْرِجْ فِيْكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ مُوسَى يَتَبَعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ فَتَى مُوسَى لِمُوسَى: أَرَأَيْتَ إذْ أَوْيَنَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِنَّمَا تَسْبِيُّ الْحُوتِ، قَالَ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كَنَا بِغَيْرِهِمَا قَصَاصًا، فَوَجَدَا عَبْدَنَا حَضِرًا، وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ».

حدثني محمد بن مزوق، قال: حدثنا الحجاج بن المنھال، قال: حدثنا عبد الله بن عمر النميري، عن يونس بن يزيد، قال: سمعت الزهرى يحدّث، قال: أخبرني عميد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزارى في صاحب موسى، ثم ذكر نحو حديث العباس، عن أبي بن كعب، عن النبيَّ صلى الله عليه وسلم.

الآية : 66 و 67

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتِيْعُكَ عَلَى أَنْ تُعْلَمَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِيَ صَبْرًا}. يقول تعالى ذكره: قال موسى للعالم: هل أتيتك علماً أن تعلمن من العلم الذي علمك الله ما هو رشد إلى الحق، ودليل على هدى؟ قال إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا يقول تعالى ذكره: قال العالم: إنك لن تطيق الصبر معى، وذلك أني أعمل بباطن علم علمنيه الله، ولا علم لك إلا بظاهر من الأمور، فلا تصرير على ما ترى من الأفعال، كما ذكرنا من الخبر عن ابن عباس قبل من أنه كان رجلاً يعمل على الغيب قد علم ذلك.

الآية : 68 و 69

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَيْفَ تَصِيرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحْطِبْ بِهِ خُبْرًا *} قال سَجَدْنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَغْصِي لَكَ أَمْرًا}.

يقول عَزَّ ذِكره مخبرا عن قول العالم لموسى: وكيف تصير يا موسى على ما ترى مني من الأفعال التي لا علم لك بوجوه صوابها، وتقيم معي عليها، وأنت إنما تحكم على صواب المصيب وخطأ المخطيء بالظاهر الذي عندك، وبمبلغ علمك، وأفعالك تقع بغیر دليل ظاهر لرأي عينك على صوابها، لأنها تبتدأ لأسباب تحدث آجلة غير عاجلة، لا علم لك بالحادث عنها، لأنها غيبة، ولا تحيط بعلم الغيب خبرا يقول علما، قال: سَجَدْنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا عَلَىٰ مَا أَرَىٰ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ خَلْفَ الْمَا هُوَ عَنِي صواب وَلَا أَغْصِي لَكَ أَمْرًا يقول: وأنتهي إلى ما تأمرني، وإن لم يكن موافقا هواي.

الآية : 70

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتِنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَخْبِرَنِي لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا}.

يقول تبارك وتعالى: قال العالم لموسى: فإن اتبعتنني الآن فلا تسألني عن شيء أعمله مما تستذكره، فإني قد أعلمتك أنني أعمل العمل على الغيب الذي لا تحيط به علما حتى أخرب لك منه ذكرا يقول: حتى أحدث أنا لك مما ترى من الأفعال التي أفعلها التي تستذكرها أذكريها لك وأبين لك شأنها، وأبتدئك الخبر عنها، كما:

17505 - حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَخْبِرَنِي لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا يعني عن شيء أصنعه حتى أبين لك شأنه.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِنْطَلَقَ أَهْلَهَا لِتُعْرِقَ حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَتَا فِي السَّفِينَةِ حَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِتُعْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}.

يقول تعالى ذكره: فانطلقا أهلاها لتعرقها يطلبان سفينه يركبانها، حتى إذا أصاباها ركبا في السفينة، فلما ركباها، خرق العالم السفينة، قال له موسى: أخرقتها بعد ما لججنا في البحر لتعرق أهلاها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا يقول: لقد جئت شيئا عظيما، وفعلت فعلًا منكرا.

17506 - حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا: أي عجبا، إن قوما لجووا سفينتهم فخرقتها، كاحرج ما نكون إليها، ولكن علم من ذلك ما لم يعلم النبي الله موسى ذلك من علم الله الذي أتاهم، وقد قال لنبي الله موسى عليه السلام: فَإِنِ اتَّبَعْتِنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَخْبِرَنِي لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا يقول: ذكرنا.

17507 - حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قال: منكرا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

والإِمْرُ: فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الدَّاهِيَةُ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

قَدْ لَقِيَ الْأَفْرَانُ مِنِي تُكَرَادًا هَيَاءً دَهْيَاءً إِذَا إِمْرًا

وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يَقُولُ: أَصْلُهُ: كُلُّ شَيْءٍ شَدِيدٌ كَثِيرٌ،
وَيَقُولُ مِنْهُ: قَيْلُ لِلْقَوْمِ: قَدْ أَمْرُوا: إِذَا كَثَرُوا وَاشْتَدَّ أَمْرُهُمْ. قَالَ: وَالْمَصْدَرُ
مِنْهُ: الْأَمْرُ، وَالْاسْمُ: الْأَمْرُ.

وَاحْتَلَفَتِ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَةً قِرَاءَةً
الْمَدِينَةِ وَالْبَصَرَةِ وَبَعْضُ الْكَوْفِيِّينَ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا بِالْتَّاءِ فِي لِتَغْرِقَ، وَنَصَبَ
الْأَهْلَ، بِمَعْنَى: لِتُغْرِقَ أَنْتَ أَيْهَا الرَّجُلُ أَهْلَ هَذِهِ السَّفِينَةِ بِالْخَرْقِ الَّذِي
خَرَقَ فِيهَا. وَقَرَأَهُ عَامَةً قِرَاءَةَ الْكَوْفَةِ: «لِيَغْرِقَ» بِالْيَاءِ أَهْلَهَا بِالرَّفْعِ،
عَلَى أَنَّ الْأَهْلَ هُمُ الَّذِينَ يَغْرِقُونَ.

وَالصَّوَابُ مِنْ قَوْلِهِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُمَا قِرَاءُتَانِ مَعْرُوفَتَانِ
مُسْتَفِيَضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، مُتَفَقِّنَا الْمَعْنَى وَإِنْ اخْتَلَفَ أَفَاطِهِمَا،
فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصَبِّبٌ.

وَإِنَّمَا قَلَنَا: هُمَا مُتَفَقِّنَا الْمَعْنَى، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ إِنْكَارَ مُوسَى عَلَى الْعَالَمِ
خَرَقَ السَّفِينَةِ إِنَّمَا كَانَ لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ ذَلِكَ سَبِيلٌ لِغَرْقِ أَهْلَهَا إِذَا أَحَدَثَ
مِثْلَ ذَلِكَ الْحَدِيثَ فِيهَا فَلَا خَفَاءَ عَلَى أَحَدٍ مَعْنَى ذَلِكَ قَرَأَهُ بِالْتَّاءِ وَنَصَبَ
الْأَهْلَ، أَوْ بِالْيَاءِ وَرَفَعَ الْأَهْلَ.

الآية : 72 و 73

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَلَمْ أَقْلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا
* قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا تَسِيَّثُ وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي غُسْرًا}.

يقول عَزَّ ذَكْرُهُ: قَالَ الْعَالَمُ لِمُوسَى إِذْ قَالَ لَهُ مَا قَالَ أَلَمْ أَقْلُ إِنَّكَ لَنْ
تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا عَلَى مَا تَرَى مِنْ أَفْعَالِي، لَأَنَّكَ تَرَى مَا لَمْ تُحِيطْ بِهِ
خَبْرًا قَالَ لَهُ مُوسَى: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا تَسِيَّثُ. فَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي
مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْعَالَمِ
مُعَارِضَةً، لَا أَنَّهُ كَانَ نَسِيَ عَهْدَهُ، وَمَا كَانَ يَقْدِمُ فِيهِ حِينَ إِسْتَصْبَبَ بِقَوْلِهِ:
فَإِنِّي أَتَبْغِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَخِدَّ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا. ذَكْرُ مَنْ قَالَ
ذَلِكَ:

17508. حُدِثَتْ عَنْ يَحْيَى بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: ثَنِي يَحْيَى بْنُ الْمَهْلَبِ، عَنْ رَجُلٍ،
عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَيرٍ، عَنْ أَبِيِّ بْنِ كَعْبِ الْأَنْصَارِيِّ فِي قَوْلِهِ: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا
تَسِيَّثُ قَالَ: لَمْ يَنْسِ، وَلَكِنَّهَا مِنْ مَعَارِيفِ الْكَلَامِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: لَا تُؤَاخِذْنِي بِتَرْكِي عَهْدِكَ، وَوَجَهَ أَنَّ مَعْنَى
النَّسِيَانِ: التَّرْكُ. ذَكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

17509. حُدِثَنَا أَبْنَ حَمِيدَ، قَالَ: حُدِثَنَا سَلْمَةُ، قَالَ: ثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَمَارَةَ، عَنْ الْحُكْمَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَيرٍ، عَنْ أَبِي
عَبَّاسٍ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا تَسِيَّثُ: أَيْ بِمَا تَرَكْتَ مِنْ عَهْدِكَ.

وَالصَّوَابُ مِنْ قَوْلِهِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ مُوسَى سَأَلَ صَاحِبَهُ أَنْ لَا
يُؤَاخِذَهُ بِمَا نَسِيَ فِيهِ عَهْدَهُ مِنْ سُؤَالِهِ إِيَّاهُ عَلَى وَجْهِ مَا فَعَلَ وَسَبَبَهُ لَا بِمَا
سَأَلَهُ عَنْهُ، وَهُوَ لِعَهْدِهِ ذَاكِرُ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
بِأَنَّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ مِنَ الْخَبْرِ، وَذَلِكَ مَا:

17510. حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤاخذني بما نسيت قال: «كانت الأولى من موسى نسيانا».

وقوله: ولا ترْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا يقول: لا تُعْشِنِي من أمري عسرا، يقول: لا تصيق على أمري معك، وصحتي إليك.

الآية : 74

القول في تأويل قوله تعالى: {فَانْطَلَقا حَتَّى إِذَا لَقِيَا عَلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا رَّكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا تُكْرَاهًا}. يقول تعالى ذكره: فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله العالم، فقال له موسى: أقتلت نفسا زكية.

وإختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عاممة قراءة الحجاز والبصرة: «أَقْتَلْتَ نَفْسًا رَّاكِيَّةً» وقالوا معنى ذلك: المطهرة التي لا ذنب لها، ولم تذنب قط لصغرها. وقرأ ذلك عاممة قراءة أهل الكوفة: نَفْسًا رَّكِيَّةً بمعنى: التائبة المغفور لها ذنبها. ذكر من قال ذلك:

17511. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: أَقْتَلْتَ نَفْسًا رَّكِيَّةً والزكية: التائبة.

17512. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قال أَقْتَلْتَ نَفْسًا رَّكِيَّةً قال: الزكية: التائبة.

17513. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معاذ يقول في قوله نَفْسًا رَّاكِيَّةً قال: قال الحسن: تائبة، هكذا في حديث الحسن وشهر زاكية.

17514. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبد، قال: سمعت الصحاح يقول في قوله نَفْسًا رَّكِيَّةً قال: تائبة. ذكر من قال: معناها المسلمة التي لا ذنب لها:

17515. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني يعلى بن مسلم، أنه سمع سعيد بن جبير يقول: وجد خضر غلمنا يلعبون، فأخذ غلاما طريفا فأضجه ثم ذبحه بالسكين. قال: وأخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبئي قال: اسم الغلام الذي قتله الخضر: جيسور «قال أَقْتَلْتَ نَفْسًا رَّاكِيَّةً» قال: مسلمة. قال: وقرأها ابن عباس: رَّكِيَّةً كقولك: زكيا.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة يقول: معنى الزكية والراكية واحد، كالقاسية والقسية، ويقول: هي التي لم تجن شيئاً، وذلك هو الصواب عندي لأنني لم أجده فرقاً بينهما في شيء من كلام العرب.

إذا كان ذلك كذلك، فبأي القراءتين قرأ ذلك القاريء فمصيب، لأنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأنصار بمعنى واحد.

وقوله: بِغَيْرِ نَفْسٍ يقول: بغير قصاص بنفس قتلت، فلزمها القتل قودا بها.

وقوله: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا تُكْرَاهًا يقول: لقد جئت بشيء منكر، وفعلت فعلًا غير

المعروف. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل: ذكر من قال ذلك:

17516. حدثنا بشير، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة لَقَدْ

جِئْتَ شَيْئًا تُكْرَاهًا والنَّكْرُ أَشَدُّ من الإمر.

الآية : 75 و 76

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَلْمَ أَفْلُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبِنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِي عُذْرًا } .

يقول تعالى ذكره: قال العالم لموسى ألم أفل لك إنك لن تستطيع معي صبرا على ما ترى من أفعالى التي لم يحط بها خبرا، قال موسى له: إن سألك عن شيء بعدها يقول: بعد هذه المرة فلا تصاحبني يقول: ففارقني، فلا تكن لي مصاحبا قد بلغت من لدني عذرا يقول: قد بلغت العذر في شأنى.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه عاممة قراء أهل المدينة: «من لدني عذرا» بفتح اللام وضم الدال وتحقيق الدال، وقرأه عاممة قراء الكوفة والبصرة بفتح اللام وضم الدال وتشديد النون، وقرأه بعض قراء الكوفة بإشمام اللام الصم وتسكين الدال وتحقيق النون، وكأن الذين شددوا النون طلبوا للنون التي في لدن السلامة من الحركة، إذ كانت في الأصل ساكنة، ولو لم تشدد لتحركت، فشددوها كراهة منهم تحريكها، كما فعلوا في «من، وعن» إذ أضافوهما إلى مكني المخبر عن نفسه، فشددوهما، فقالوا مني يعني. وأما الذين خففوا، فإنهم وجدوا مكني المخبر عن نفسه في حال الخفض ياء وحدها لأنون معها، فأجروا ذلك من لدن على حسب ما جرى به كلامهم في ذلك مع سائر الأشياء غيرها.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما لغتان فصيحتان، قد قرأ بكل واحدة منها علماء من القراء بالقرآن، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجب القراءتين إلى في ذلك قراءة من فتح اللام وضم الدال وشد النون. لعلتين: إحداهما أنها أشهر اللغتين، والأخرى أن محمد بن نافع البصري:

17517. حدثنا أمية بن خالد، قال: حدثنا أبو الجارية العبدى، عن أبي إسحاق، عن سعد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قد بلغت من لدني عذرا مثقلة.

17518. حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: حدثنا حجاج بن محمد، عن حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقال: «استحيانا في الله موسى».

17519. حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا بدل بن المحبر، قال: حدثنا عباد بن راشد، قال: حدثنا داود، في قول الله عز وجل إن سألك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استحيانا في الله موسى عندها».

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: حدثنا حجاج بن محمد، عن حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحدا فدعاه بدأ بنفسه، فقال ذات يوم: «رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى، لَوْلَيْتَ مَعَ صَاحِبِهِ لَا بَصَرَ الْعَجَبَ وَلَكِنَّهُ قَالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبِنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِي عُذْرًا» مثقلة.

الآية : 77

القول في تأويل قوله تعالى: {فَانطَّلِقا حَتَّى إِذَا أَتَيْا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعُمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا أَن يُضَيْقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَا تَحْدُثْ عَلَيْهِ أَجْرًا} .

يقول تعالى ذكره: فانطلق موسى والعالم حتى إذا أتي أهل قرية استطعهما أهلهما فأبوا أن يضيقوهما فوجدا فيهما جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لا تحدث علىه أجرًا .

يُضَيْقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنْقَضَ يقول: وجدا في القرية حائطا يريد أن يسقط ويقع يقال منه: انقضت الدار: إذا انهدمت وسقطت ومنه انقض الكوكب، وذلك سقوطه وزواله عن مكانه ومنه قول ذي الرمة: **انقض كالكوكب الدرري منصلتنا**

وقد روي عن يحيى بن عمر أنه قرأ ذلك: «**يُرِيدُ أَن يَنْقَضَ**».

وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب إذا قريء ذلك كذلك في معناه، فقال بعض أهل البصرة منهم: مجاز بنقاض: أي ينقطع من أصله، وتصدع، بمنزلة قولهم: قد انقضت السُّنَّ: أي تصدعت، وتصدعت من أصلها، يقال: فراق كقبض السُّنَّ: أي لا يجتمع أهله. وقال بعض أهل الكوفة منهم: الانقياض: الشق في طول الحائط في طي البئر وفي سُنَّ الرجل، يقال: قد انقضت سنة: إذا انشقت طولاً. وقيل: إن القرية التي استطعها أهلها موسى وصاحبه، فأبوا أن يضيقوهما: الأيلة. ذكر من قال ذلك:

17520- حدثني الحسين بن محمد الدزار، قال: حدثنا عمران بن المعتمر صاحب الكرايسى، قال: حدثنا حماد أبو صالح، عن محمد بن سيرين، قال: اتبوا الأيلة، فإنه قلل من يأتيها فيرجع منها خائبا، وهي الأرض التي أبوا أن يضيقوهما، وهي أبعد أرض الله من السماء.

17521- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فانطلقا حتى إذا أتي أهل قرية، وتلا إلى قوله لا تحدث علىه أجرًا شر القرى التي لا تضيق الضيف، ولا تعرف لابن السبيل حقه.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قول الله عز وجل يريد أن ينقض فقال بعض أهل البصرة: ليس للحائط إرادة ولا للموات، ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة فهو إرادته. وهذا كقول العرب في غيره: **يُرِيدُ الرَّمْخُ صَدَرَ أَبِي تَرَاعَ وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِهِ تَبَنِي عَقِيلٍ**

وقال آخر منهم: إنما كلم القوم بما يعقلون، قال: وذلك لما من الانقضاض، جاز أن يقول: يريد أن ينقض، قال: ومثله تكاد السموات يتقطرن وقولهم: إني لأكاد أطير من الفرح، وأنت لم تقرب من ذلك، ولم تهم به، ولكن لعظيم الأمر عندك. وقال بعض الكوفيين منهم: من كلام العرب أن يقولوا: الجدار يريد أن يسقط قال: ومثله من قول العرب قول الشاعر:

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمِيلِي بِجُمْلَلَ زَمَانٍ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ
وَقُولُ الْأَخْرَ:

يَشْكُو إِلَيْيَ حَمَلِي طُولَ السَّرَّصَبِرِيَ حَمِيلًا فَكِلَانَا مُبْتَلِي

قال: والجمل لم يشك، إنما تكلم به على أنه لو تكلم لقال ذلك قال:

وَكَذَلِكَ قَوْلُ عَنْتَرَةَ:
وَأَرْوَرَ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ وَشَكَا إِلَيْ بَعْرَةِ وَتَحَمْمُمِ

قال: ومنه قول الله عزّ وجلّ: ولَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْعَصْبُ وَالْغَصْبُ لَا يَسْكُتُ، وَإِنَّمَا يَسْكُتُ صَاحْبَهُ. وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: سَكُونٌ. وَقَوْلُهُ: فَإِذَا عَرَمَ الْأَمْرُ إِنَّمَا يَعْرِمُ أَهْلَهُ . وَقَالَ آخَرُ مِنْهُمْ: هَذَا مِنْ أَفْصَحِ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَقَالَ: إِمَا إِرَادَةُ الْجَدَارِ: مَيْلَهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا تَرَاءِي نَارَاهُمَا» وَإِنَّمَا هُوَ أَنْ تَكُونَ نَارَانِ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ صَاحِبَتِهَا بِمَوْضِعِ لَوْقَامٍ فِيهِ إِنْسَانٌ رَأَى الْأَخْرَى فِي الْقُرْبِ قَالَ: وَهُوَ كَوْلُ اللَّهِ عزُّ وَجَلُّ فِي الْأَصْنَامِ: وَتَرَاهُمْ يَنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ قَالَ: وَالْعَرَبُ قَوْلُهُ: دَارِي تَنْتَرُ إِلَى دَارِ فَلَانٍ، تَعْنِي: قَرْبُ مَا بَيْنَهُمَا وَاسْتَشَهَدُ بِقَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ فِي وَصْفِهِ حَوْضًا أَوْ مَنْزِلًا دَارِسًا: قَدْ كَادَ أَوْ قَدْ هَمَ بِالْبُلْيُودِ

قال: فجعله لهم، وإنما معناه: أنه قد تغير للبلى. والذي نقول به في ذلك أن الله عزّ ذكره بلطشه، جعل الكلام بين خلقه رحمة منه بهم، ليبين بعضهم لبعض عما في ضمائركم. مما لا تحسه بأصواتهم، وقد عقلت العرب معنى القائل:

فِي مَهْمَةٍ قَلِقْتُ بِهِ هَامَّا هَا قَلَقَ الْفُؤُوسِ إِذَا أَرْدَنَ نُصُولاً
وَفَهِمْتُ أَنَّ الْفُؤُوسَ لَا تَوْصِفُ بِهِ بَنُو آدَمَ مِنْ ضَمَائِرِ الصُّدُورِ مَعَ وَصْفِهَا
إِيَاهُمَا بِأَنَّهَا تَرِيدُ وَعْلَمْتُ مَا يَرِيدُ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ:
كَمِيلُ هَيْلِ الْتَّقَا طَافَ الْمُشَاهِدَ بِهِيَهَالُ حِينَا وَبِهِاهُ التَّرَى حِينَا
وَإِنَّمَا لَمْ يَرِدْ أَنَّ التَّرَى نَطْقٌ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ تَلَبِّدٌ بِالنَّدَى، فَمَنْعَهُ مِنَ
الْأَنْهَيَالِ، فَكَانَ مَنْعَهُ إِيَاهُ مِنْ ذَلِكَ كَالنَّهِيِّ مِنْ ذَوِي الْمَنْطَقِ فَلَا يَنْهَى.
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مَعْنَاهُ: قَدْ قَارَبَ مِنْ أَنْ
يَقُعَ أَوْ يَسْقُطَ، وَإِنَّمَا حَاطَبَ جَلَّ شَاءَهُ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَنْزَلَ الْوَحْيَ بِلِسَانِهِ،
وَقَدْ عَقَلُوا مَا عَنِّي بِهِ وَإِنْ اسْتَعْجَمْ عَنْ فَهْمِهِ ذُوَّ الْبَلَادَةِ وَالْعُمَى، وَضَلَّ فِيهِ
ذُوَّ الْجَهَالَةِ وَالْغَبَا.

وقوله: فَأَقَامَهُ ذَكْرُ عَنْ أَبْنَاءِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: هَدَمَهُ ثُمَّ قَعَدَ يَبْنِيهِ.
17522- حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق،
عن الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتبة، عن سعيد بن جبير، عن ابن
عباس. وقال آخرون في ذلك ما:

17523- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن
جريح، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير فوجدا فيها جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ
يَنْقُضَ قَالَ: رفع الجدار بيده فاستقام. والصواب من القول في ذلك أَنْ يُقالَ: إِنَّ اللَّهَ عزُّ ذُكْرَهُ أَخْبَرَ أَنَّ صَاحِبَ
مُوسَى وَمُوسَى وَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ صَاحِبُ مُوسَى، بِمَعْنَى:
عَدَلَ مَيْلَهُ حَتَّى عَادَ مَسْتَوِيَا. وَجَائزُ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ بِإِصْلَاحٍ بَعْدَ هَدْمِهِ.
وَجَائزُ أَنْ يَكُونَ كَانَ بِرْفَعٍ مِنْهُ لَهُ بِيَدِهِ، فَاسْتَوَى بِقُدرَةِ اللَّهِ، وَزَالَ عَنْهُ مَيْلُهُ
بِلَطْشِهِ، وَلَا دَلَالَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا خَيْرٌ لِلْعَذْرِ قَاطِعٌ بِأَيِّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَيِّ.

وقوله: قَالَ لَوْ شِئْتَ لَا تَحْدُثَ عَلَيْهِ أَجْرًا يَقُولُ: قَالَ مُوسَى لِصَاحِبِهِ: لَوْ
شِئْتَ لَمْ تَقْمِ لِهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ جِدَارَهُمْ حَتَّى يَعْطُوكَ عَلَى إِقْامَتِكَ أَجْرًا، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا عَنِّي مُوسَى بِالْأَجْرِ الَّذِي قَالَ لَهُ لَوْ شِئْتَ لَا تَحْدُثَ عَلَيْهِ أَجْرًا
الْقِرْيَ: أَيِّ حَتَّى يَقْرُونَا، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَبْوَا أَنْ يَصْبِيْفُونَا.
وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنِّي بِذَلِكَ الْعَوْضُ وَالْجَزَاءُ عَلَى إِقْامَتِهِ الْحَائِطِ الْمَائِلِ.

وأختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة أهل المدينة والكوفة لـ**شِنْت لَتَحَذْت** عَلَيْهِ أَجْرًا على التوجيه منهم له إلى أنه لافتعلت من الأخذ. وقرأ ذلك بعض أهل البصرة «لَوْ شَنِيتْ لَتَحَذْت» بتحقيق التاء وكسر الخاء، وأصله: لافتعلت، غير أنهم جعلوا التاء كأنهم من أصل الكلمة، ولأن الكلام عندهم في فعل ويفعل من ذلك: تَحَذْ فلان كذا يَتَحَذُّه تَحْذا، وهي لغة فيما ذكر لهديل. وقال بعض الشعراء:

وَقَدْ تَحَذَّتْ رِجْلِي لَدَى جَنْبِ عَرْزِ هَانِسِيفَا كَأْفُحُوصُ الْقَطَاةِ الْمُطَرِّقِ
والصواب من القول في ذلك عندي: أنهم لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد، فبأبيهما قرأ القارئ فمصيب، غير أنني اختار قراءته بتشديد التاء على لافتعلت، لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما، وأكثرهما على السن العرب.